



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

عاشق
و شاعر
و درویش

مجموعه اشعار
عاشق و شاعر و درویش

المؤلف
عزیز الحفادی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مع الحديدى فى شرحه: مقتطفات هامة من شرح ابن ابى الحديد

كاتب:

على خادمى

نشرت فى الطباعة:

جلوه كمال

رقمى الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١	مع الحديدي في شرحه: مقتطفات هامه من شرح ابن ابي الحديد
١١	اشاره
١٢	اشاره
١٦	فهرس المطالب
٢٥	تقديم
٢٩	تصدير بقلم المؤلف
٣٤	شرح الحديدي و مزاياه
٤٤	الفصل الأول: في ما يتعلق بـ«نهج البلاغه»
٤٤	اشاره
٤٦	١- نهج البلاغه و فصاحه أمير المؤمنين عليه السلام
٤٨	٢- صحه انتساب الخطبه الشَّقشقيه إلى أمير المؤمنين عليه السلام
٥٠	٣- صحه انتساب الخطبه الرابعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام
٥١	٤- اللَّفْظُ الْقُدْسِيُّ
٥٢	٥- عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَخْرٌ لِأَبَائِهِ
٥٤	٦- بين كلام عليّ عليه السلام و سائر الأصحاب
٥٥	٧- أَكْبَلُ الْأَحَادِيثِ
٥٦	٨- بين نهج البلاغه و خطب ابن نُباته
٦٢	٩- برهانٌ لطيف لصحه نهج البلاغه بتمامه
٦٦	١٠- أكثر من ألف مره
٦٧	١١- فِراسَةُ نَبِيَّهِ
٦٨	١٢- من معالي كلماته عليه السلام
٦٨	١٣- فصاحه عليّ عليه السلام
٧٠	١٤- صحه نهج البلاغه بتمامه

٧١	١٥- إحدى كلماته عليه السلام العديمه النظر
٧٤	الفصل الثاني: فيما يتعلق ب- «علي بن أبي طالب عليه السلام»
٧٤	اشاره
٧٦	١- كُنيه علي عليه السلام و إسمه
٧٧	٢- مولد علي عليه السلام
٧٩	٣- سن علي عليه السلام عند المبعث
٧٩	٤- ولاده علي عليه السلام على الفطره
٨٢	٥- دور أبي طالب في الإسلام
٨٢	٦- أشعار في مدح أبي طالب
٨٣	٧- فاطمه بنت أسد
٨٦	٨- أولاد علي عليه السلام
٨٧	٩- طعام علي عليه السلام
٨٧	١٠- أشقى الآخرين
٨٨	١١- علي عليه السلام سيد الشهداء
٨٨	١٢- علي عليه السلام و قاتله
٨٩	١٣- تاريخ شهاده الإمام عليه السلام
٩٠	١٤- مقتل علي عليه السلام و وصاياه
١٠٢	الفصل الثالث: فيما يتعلق ب- «أمير المؤمنين عليه السلام»
١٠٢	اشاره
١٠٤	١- معنى الأفضليه
١٠٦	٢- يعسوب الدين
١٠٩	٣- ما أقول في رجل
١٢٤	٤- علي عليه السلام و أخلاقه المتضاده
١٢٨	٥- سبب دخول علي عليه السلام في الشورى
١٢٩	٦- يوم الرزيه
١٣٤	٧- مكالمه علي عليه السلام و عمر

- ١٣٥ ٨- الأحاديث الغيبية
- ١٤١ ٩- الغدير و عقاب منكربه
- ١٤٥ ١٠- أعدل المذاهب
- ١٤٨ ١١- وجوب الإمامه
- ١٥١ ١٢- إمامكم عليّ عليه السلام
- ١٥٢ ١٣- المنحرفون عن عليّ عليه السلام
- ١٥٥ ١٤- طرف من مظلوميه الإمام عليه السلام و فضائله
- ١٦٠ ١٥- عليّ عليه السلام أول من أسلم
- ١٦١ ١٦- قصفه السقيفه
- ١٧٣ ١٧- كرديد و نكرديد
- ١٧٨ ١٨- ابن عباس و عمر
- ١٧٨ ١٩- مانعا خلافة عليّ عليه السلام
- ١٧٩ ٢٠- حديث خاصف النعل
- ١٨٢ ٢١- بعض فضائل الإمام عليه السلام
- ١٨٥ ٢٢- الأئمه من قريش
- ١٩١ ٢٣- أربعة و عشرون حديثاً في فضائل عليّ عليه السلام
- ٢٠٢ ٢٤- مناظره مع النقيب
- ٢٠٦ ٢٥- يوم الغدير
- ٢٠٩ ٢٦- مشتركات النبي و عليّ عليه السلام
- ٢١٢ ٢٧- سبب عشق الناس لعليّ عليه السلام
- ٢١٨ ٢٨- خطأ الشيعة
- ٢٢٠ ٢٩- من أسباب عدم قيام الإمام عليه السلام
- ٢٢٢ ٣٠- مناظره أخرى مع النقيب
- ٢٣٣ ٣١- وقار عليّ عليه السلام
- ٢٣٤ ٣٢- ولايه الأمر أو كيفية الدفن؟
- ٢٣٦ ٣٣- سبب قعود عليّ عليه السلام عن تجهيز النبي

- ٢٣٨ ٣٤- كرمَ عليّ عليه السلام
- ٢٣٩ ٣٥- من فضائل عليّ عليه السلام
- ٢٤٠ ٣٦- بغض قريش لأمير المؤمنين عليه السلام
- ٢٤٦ ٣٧- عداله عليّ عليه السلام
- ٢٤٦ ٣٨- بحقّ عليّ اغفر لعلّي
- ٢٤٨ الفصل الرابع: فيما يتعلق ب-«سيّده النساء عليها السلام»
- ٢٤٨ اشاره
- ٢٥٠ ١- سيّده النساء
- ٢٥١ ٢- فاطمه سلام الله عليها حبيبه رسول الله
- ٢٥١ ٣- فاطمه عليها السلام فى القيامة
- ٢٥٢ ٤- عليّ عليه السلام أفضل أم فاطمه عليها السلام
- ٢٥٤ ٥- خطبه الشيخين فاطمة عليها السلام
- ٢٥٤ ٦- قصه الهجوم
- ٢٥٧ ٧- قيام فاطمه عليها السلام دفاعاً عن الولاية
- ٢٥٨ ٨- فاطمه عليها السلام و فدك
- ٢٦٢ ٩- قصاص قاتل محسن بن فاطمه
- ٢٦٣ ١٠- غضب فاطمه عليها السلام على الشيخين
- ٢٦٤ ١١- تأريخ شهاده فاطمه عليها السلام
- ٢٦٥ ١٢- الحزن الدائم على فراق فاطمه عليها السلام
- ٢٦٨ الفصل الخامس: فيما يتعلق ب- «لصحابه»
- ٢٦٨ اشاره
- ٢٧٠ ١- التفضيل بين الصحابه
- ٢٧٥ ٢- لعن الصحابه و البراءه منهم
- ٣٠٢ ٣- قصه وضع الحديث
- ٣١٧ ٤- دور الصحابه فى تجهيز النبي
- ٣١٩ ٥- عصيان الصحابه رسول الله

- ٣٢٥ ----- ٦- ردّة أدله إمامه أبي بكر
- ٣٣٩ ----- ٧- أبوبكر و أبوه
- ٣٤٠ ----- ٨- رشوه أبي بكر لعمر و النساء
- ٣٤٩ ----- ٩- أبوبكر عند نفسه
- ٣٥٢ ----- ١٠- مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟
- ٣٥٢ ----- ١١- لولا عمر
- ٣٥٣ ----- ١٢- مِنْ سِيرِهِ عُمَرُ
- ٣٥٤ ----- ١٣- نبذه أخرى من سيره عمر
- ٣٥٧ ----- ١٤- طينه عمر
- ٣٥٨ ----- ١٥- عمر و المرأة الحامله
- ٣٥٨ ----- ١٦- عمر و طلحه
- ٣٥٩ ----- ١٧- عمر في بيت العباس
- ٣٦٠ ----- ١٨- خوف أبي سفيان من عمر
- ٣٦١ ----- ١٩- عمر و آيه الكلاله
- ٣٦١ ----- ٢٠- بين عليّ عليه السلام و عمر في السياسه
- ٣٦٤ ----- ٢١- صحيفه عمر
- ٣٦٥ ----- ٢٢- قول عمر في النساء
- ٣٦٥ ----- ٢٣- عثمان و مطاعنه
- ٣٦٦ ----- ٢٤- بين عليّ عليه السلام و عثمان
- ٣٧٣ ----- ٢٥- أهالي مصر و عثمان
- ٣٧٥ ----- ٢٦- ترجمه عائشه
- ٣٧٨ ----- ٢٧- بين عائشه و فاطمه عليها السلام
- ٣٨٤ ----- ٢٨- توبه عائشه
- ٣٨٩ ----- ٢٩- ترجمه أخرى من عائشه
- ٣٩٢ ----- ٣٠- لعن عليّ عليه السلام معاويه
- ٣٩٣ ----- ٣١- معاويه و جعل الحديث

- ٣٩٦----- حقد عمرو بن العاص على أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٩٧----- عمرو بن العاص و ابن عباس
- ٣٩٧----- توبه عمرو بن العاص
- ٣٩٩----- ختامه مسك
- ٤٠١----- فهرس المصادر
- ٤٠٧----- تعريف مركز

سرشناسه: خادمی، علی، ۱۳۶۵ -

عنوان قراردادی: شرح نهج البلاغه. برگزیده. شرح

نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پدیدآور: مع الحیددی فی شرحه: مقتطفات هامه من شرح ابن ابی الحدید/ تألیف علی الخادمی.

مشخصات نشر: قم: جلوه کمال، ۱۴۴۰ق. = ۱۳۹۷.

مشخصات ظاهری: ۴۱۰ ص.

شابک: ۵۰۰۰۰۰ ریال: ۹۷۸-۹۶۴-۲۷۹۴-۸۳-۶

وضعیت فهرست نویسی: فیپا

یادداشت: عربی.

یادداشت: کتاب حاضر برگزیده و شرحی بر کتاب «شرح نهج البلاغه» تألیف عبدالحمید بن هبهالله ابن ابی الحدید است که خود نیز شرحی بر نهج البلاغه است.

عنوان دیگر: مقتطفات هامه من شرح ابن ابی الحدید.

موضوع: ابن ابی الحدید، عبدالحمید بن هبه الله، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق. شرح نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- خطبه ها

موضوع: Ali ibn Abi-talib, Imam I. Nahjol - Balaghah

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- نامه ها

موضوع: Ali ibn Abi-talib, Imam I. Nahjol - Balaghah -- Correspondence

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- کلمات قصار

موضوع: Ali ibn Abi-talib, Imam I. Nahjol – Balaghah -- Quotations

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

موضوع: Ali ibn Abi-talib, Imam I. Nahjol – Balaghah -- Criticism and interpretation

شناسه افزوده: ابن ابی الحدید، عبدالحمید بن هبه الله، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق. شرح نهج البلاغه . برگزیده. شرح

شناسه افزوده: Ali ibn Abi-talib, Imam I Commantries.. Nahjol – Balaghah

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲۳/خ ۲/۱۳۹۷

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۵۵۹۳۳۸۰

ص: ۱

اشاره

ص: ۱

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيكَ الْحُجَّهَ بْنَ الْحَسَنِ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ، فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَلِيًّا وَحَافِظًا، وَقَائِدًا وَنَاصِرًا،
وَ دَلِيلًا وَ عَيْنًا، حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا، وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا

ص: ٣

مع الحديدى فى شرحه

تأليف : على الخادمى

ص: ٤

فهرس المطالب

١٣	تقديم
١٧	تصدير
١٧	ترجمة الحديدى
١٨	مذهب الحديدى
٢٠	مصنفات الحديدى
٢٢	شرح الحديدى و مزاياه
٢٥	كتب مرتبطة
٢٥	مشايخ الحديدى و من نقل عنهم
٢٨	مع الحديدى فى شرحه
٢٩	إقتراح
٣٠	تنبيهان
٣٠	إهداء
٣١	الفصل الأول: فى ما يتعلق بـ«نهج البلاغة»
٣٣	(١) نهج البلاغة و فصاحة أمير المؤمنين ؑ

مع الحديدي في شرحه

- ٣٥ (٢) صحة انتساب الخطبة الشَّقَشِقِيَّة إلى أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٧ (٣) صحة انتساب الخطبة الرابعة إلى أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٨ (٤) اللَّفْظُ الْقُدْسِيُّ
- ٣٩ (٥) عَلِيُّ عليه السلام فَخْرٌ لآبَائِهِ
- ٤١ (٦) بَيْنَ كَلَامِ عَلِيٍّ عليه السلام وَ سَائِرِ الْأَصْحَابِ
- ٤٢ (٧) آكِلُ الْأَحَادِيثِ
- ٤٣ (٨) بَيْنَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وَ خُطْبِ ابْنِ نُبَاتَةَ
- ٤٩ (٩) بَرَهَانٌ لَطِيفٌ لَصِحَّةِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ بِتَمَامِهِ
- ٥٣ (١٠) أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ مَرَّةٍ
- ٥٤ (١١) فِرَاسَةٌ نَبَوِيَّةٌ
- ٥٥ (١٢) مِنْ مَعَالِي كَلِمَاتِهِ عليه السلام
- ٥٥ (١٣) فَصَاحَةٌ عَلِيٍّ عليه السلام
- ٥٧ (١٤) صِحَّةُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ بِتَمَامِهِ
- ٥٨ (١٥) إِحْدَى كَلِمَاتِهِ عليه السلام الْعَدِيمَةَ النَّظِيرِ
- ٦١ الفصل الثاني: فيما يتعلق بـ «علي بن أبي طالب عليه السلام»
- ٦٣ (١) كُنْيَةُ عَلِيٍّ عليه السلام وَ إِسْمُهُ
- ٦٤ (٢) مَوْلَى عَلِيٍّ عليه السلام
- ٦٦ (٣) سَبَّ عَلِيٍّ عليه السلام عِنْدَ الْمَبْعَثِ
- ٦٦ (٤) وِلَادَةُ عَلِيٍّ عليه السلام عَلَى الْفِطْرَةِ
- ٦٩ (٥) دَوْرُ أَبِي طَالِبٍ فِي الْإِسْلَامِ
- ٦٩ (٦) أَشْعَارٌ فِي مَدْحِ أَبِي طَالِبٍ

فهرس المطالب

٧٠ (٧) فاطمة بنت أسد
٧٣ (٨) أولادُ عليّ ؑ
٧٤ (٩) طعامُ عليّ ؑ
٧٤ (١٠) أشقى الآخريين
٧٥ (١١) عليّ ؑ سيد الشهداء
٧٥ (١٢) عليّ ؑ وقاتله
٧٦ (١٣) تاريخ شهادة الإمام ؑ
٧٧ (١٤) مقتل عليّ ؑ و وصاياه
٨٩ الفصل الثالث: فيما يتعلق بـ «أمير المؤمنين ؑ»
٩١ (١) معنى الأفضلية
٩٣ (٢) يعسوب الدين
٩٦ (٣) ما أقول في رجل
١١١ (٤) عليّ ؑ وأخلاقه المتضادة
١١٥ (٥) سبب دخول عليّ ؑ في الشورى
١١٦ (٦) يوم الرزية
١٢١ (٧) مكالمة عليّ ؑ و عمر
١٢٢ (٨) الأحاديث الغيبية
١٢٨ (٩) الغدير و عقاب منكريه
١٣٢ (١٠) أعدل المذاهب
١٣٥ (١١) وجوب الإمامة
١٣٨ (١٢) إمامكم عليّ ؑ

مع الحديدي في شرحه

- ١٣٩ المنحرفون عن عليّ ﷺ (١٣)
- ١٤٢ طرف من مظلومية الإمام ﷺ و فضائله (١٤)
- ١٤٧ عليّ ﷺ أول من أسلم (١٥)
- ١٤٨ قصة السقيفة (١٦)
- ١٦٠ كرديد و نكرديد (١٧)
- ١٦٥ ابن و عباس و عمر (١٨)
- ١٦٥ مانعا خلافة عليّ ﷺ (١٩)
- ١٦٦ حديث خاصف النعل (٢٠)
- ١٦٩ بعض فضائل الإمام ﷺ (٢١)
- ١٧٢ الأئمة من قريش (٢٢)
- ١٧٨ أربعة و عشرون حديثاً في فضائل عليّ ﷺ (٢٣)
- ١٨٩ مناظرة مع النقيب (٢٤)
- ١٩٣ يوم الغدير (٢٥)
- ١٩٦ مشتركات النبي ﷺ و عليّ ﷺ (٢٦)
- ١٩٩ سبب عشق الناس لعليّ ﷺ (٢٧)
- ٢٠٥ خطأ الشيعة (٢٨)
- ٢٠٧ من أسباب عدم قيام الإمام ﷺ (٢٩)
- ٢٠٩ مناظرة أخرى مع النقيب (٣٠)
- ٢٢٠ وقار عليّ ﷺ (٣١)
- ٢٢١ ولاية الأمر أو كيفية الدفن؟ (٣٢)
- ٢٢٣ سبب قعود عليّ ﷺ عن تجهيز النبي ﷺ (٣٣)
- ٢٢٥ كرم عليّ ﷺ (٣٤)

فهرس المطالب

٢٢٦ من فضائل عليّ ؑ	(٣٥)
٢٢٧ بغض قريش لأمر المؤمنين ؑ	(٣٦)
٢٢٣ عدالة عليّ ؑ	(٣٧)
٢٢٣ بحقّ عليّ اغفر لعلّى	(٣٨)
٢٣٥ الفصل الرابع: فيما يتعلق بـ«سيدة النساء ؑ»	
٢٣٧ (١) سيدة النساء	
٢٣٨ (٢) فاطمة ؑ حبيبة رسول الله ﷺ	
٢٣٨ (٣) فاطمة ؑ فى القيامة	
٢٣٩ (٤) عليّ ؑ أفضل أم فاطمة ؑ	
٢٤١ (٥) خطبة الشيخين فاطمة ؑ	
٢٤١ (٦) قصّة الهجوم	
٢٤٤ (٧) قيام فاطمة ؑ دفاعاً عن الولاية	
٢٤٥ (٨) فاطمة ؑ و فدك	
٢٤٩ (٩) قصاص قاتل محسن بن فاطمة ؑ	
٢٥٠ (١٠) غضب فاطمة ؑ على الشيخين	
٢٥١ (١١) تأريخ شهادة فاطمة ؑ	
٢٥٢ (١٢) الحزن الدائم على فراق فاطمة ؑ	
٢٥٥ الفصل الخامس: فيما يتعلق بـ«الصحابة»	
٢٥٧ (١) التفضيل بين الصحابة	
٢٦٢ (٢) لعن الصحابة و البراءة منهم	

مع الحديدي في شرحه

- ٢٩٠ (٣) قصة وضع الحديد
- ٣٠٤ (٤) دور الصحابة في تجهيز النبي ﷺ
- ٣٠٦ (٥) عصيان الصحابة رسول الله ﷺ
- ٣١٢ (٦) رد أدلة إمامة أبي بكر
- ٣٢٦ (٧) أبوبكر وأبوه
- ٣٢٧ (٨) رشوة أبي بكر لعمر والنساء
- ٣٣٦ (٩) أبوبكر عند نفسه
- ٣٣٩ (١٠) من خير الناس؟
- ٣٣٩ (١١) لولا عمر
- ٣٤٠ (١٢) من سيرة عمر
- ٣٤٣ (١٣) نبذة أخرى من سيرة عمر
- ٣٤٤ (١٤) طينة عمر
- ٣٤٥ (١٥) عمر والمرأة الحاملة
- ٣٤٥ (١٦) عمر وطلحة
- ٣٤٦ (١٧) عمر في بيت العباس
- ٣٤٧ (١٨) خوف أبي سفيان من عمر
- ٣٤٨ (١٩) عمر وآية الكلاله
- ٣٤٨ (٢٠) بين عليّ ﷺ و عمر في السياسة
- ٣٥١ (٢١) صحيفة عمر
- ٣٥٢ (٢٢) قول عمر في النساء
- ٣٥٢ (٢٣) عثمان ومطاعنه
- ٣٥٣ (٢٤) بين عليّ ﷺ و عثمان

فهرس المطالب

٣٦٠ (٢٥) أهالى مصر و عثمان
٣٦٢ (٢٦) ترجمة عائشة
٣٦٥ (٢٧) بين عائشة و فاطمة <small>رضي الله عنها</small>
٣٧٣ (٢٨) توبة عائشة
٣٧٦ (٢٩) ترجمة أخرى من عائشة
٣٧٩ (٣٠) لعنُ على <small>رضي الله عنه</small> معاوية
٣٨٠ (٣١) معاوية و جعل الحديث
٣٨٢ (٣٢) حقد عمرو بن عاص على أمير المؤمنين <small>رضي الله عنه</small>
٣٨٣ (٣٣) عمرو بن عاص و ابن عباس
٣٨٣ (٣٤) توبة عمرو بن عاص
٣٨٥ (٣٥) ختامه مسك
٣٨٧ فهرس المصادر

بقلم أستاذ المؤلف

الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله الطاهرين و اللعنه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن التكلم حول خطب أمير المؤمنين على عليه السلام و رسائله و حكمه أمر مستصعب جداً، كما صرح به مؤلف نهج البلاغه أبو الحسن السيد الرضى رضوان الله عليه؛ قال فى مقدمه الكتاب: «فأما كلامه فهو البحر الذى لا يُساجل و الجم الذى لا يُحافل». و كيف لا يكون كذلك و هو صلوات الله عليه أمير الكلام، كما قال عليه السلام: «إِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ وَ فِينَا تَنْشَبَتْ عُرُوقُهُ وَ عَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ». و كلماته عليه السلام - مثل نفسه الشريفه - لا يحوم حولها الفكر و لا يدركها عقول البشر

ها على بشرٍ كيف بشرٍ***ربّ-ه فيه تجلّى و ظه-ر

و ذلك لأن فضائله النفيسه لا تعد و لا تحصى؛ كما قال الشاعر الفارسى:

كتاب فضل تو را آب بحر كافي نيست

که تر کنم سر انگشت و صفحه بشمارم

و فضائله و مناقبه عليه السلام أكثر من أن تجرى على لسان، و أعظم و أرقى من أن

تكتب بيان. هو صلوات الله عليه إنسان وصل إلى أعلى درجات الإنسانيه و أرقى مراتب البشريه. قال السيوطى نقلاً عن الحاكم: قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما ورد لعلى رضى الله عنه».(1) و نهج البلاغه عليه مسحه من العلم الإلهى و فيه عقبه من الكلام النبوى على حد ما عبر به الشريف الرضى رحمه الله .

و قد تصدى لشرح هذا السفر النفيس جماعه من الأعلام، منهم عبد الحميد بن أبى الحديد المدائنى. و شرحه على نهج البلاغه من الشروح المشهوره، فإنه شرح أدبى، تأريخى، كلامى؛ و كان مؤلفه حسن السليقه فى عرض البحوث، جَيِّد التعبير فى بيان المقاصد. و لكن حيث كان مذهبه الاعتزال، كما أشار إليه فى بعض قصائده:

و رأيت دين الاعتزال و إننى *** أهوى لأجلك كل من يتشيع

و لا يوافق مذهبه مع ما فى هذا الكتاب الذى تصدى لشرحه، أول كلام الإمام عليه السلام بتأويلات بارده غير صحيحه و خرج عن دائره الإنصاف فى بعض الموارد، و كلامه صلوات الله عليه صريح فى مراده و لا يقبل التأويل. مثل ما قال فى ذيل قوله عليه السلام فى الخطبه المشهوره بالشقشقيه: «أرى تراثى نهباً»:

إن قيل: بينوا لنا ما عندكم فى هذا الكلام، أليس صريحه دالاً على تظليم القوم و نسبتهم إلى اغتصاب الأمر، فما قولكم فى ذلك؛ إن حكمتم عليهم بذلك فقد طعتم فيهم، و إن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طعتم فى المتظلم المتكلم عليهم.

قيل: أما الإماميه من الشيعة فتجرى هذه الألفاظ على ظواهرها و تذهب إلى أن النبى نصّ على أمير المؤمنين عليه السلام و أنه غصب حقّه.

ص: ١٤

و أما أصحابنا فلهم أن يقولوا: إنه لما كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الأفضل و الأحق، و عدل عنه إلى من لا يساويه في فضل و لا يوازيه في جهاد و علم و لا يماثله في سؤدد و شرف ساغ إطلاق هذه الألفاظ و إن كان من وسم بالخلافه قبله عدلاً تقيّاً، و كانت بيعته يبعه صحيحه. أ لا ترى أن البلد قد يكون فيه فقيهان أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيره، فيجعل السلطان الأنقص علماً منهما قاضياً؛ فيتوجد الأعلم و يتألم و ينفث أحياناً بالشكوى. و لا يكون ذلك طعناً في القاضى و لا تفسيقاً له و لا حكماً منه بأنه غير صالح، بل للعدول عن الأحق و الأولي؛ و هذا أمر مركز في طباع البشر و مجبول في أصل الغريزه و الفطره. فأصحابنا لما أحسنوا الظنّ بالصحابه و حملوا ما وقع منهم على وجه الصواب و أنهم نظروا إلى مصلحه الإسلام و خافوا فتنه لا تقتصر على ذهاب الخلافه فقط، بل و تفضى إلى ذهاب النبوه و المله، فعدلوا عن الأفضل الأشرف الأحق إلى فاضل آخر دونه فعقدوا له، احتاجوا إلى تأويل هذه الألفاظ الصادره عن معتقدونه في الجلاله و الرفعه قريباً من منزله النبوه، فتأولوها بهذا التأويل و حملوها على التألم للعدول عن الأولي. (1)

و أنا أقول: و هل يمكن حمل قوله عليه السلام «أرى تُرائي نهباً» على التألم؟!!

و قد تصدّى و أجاد الأخ الكريم و الصديق العزيز الأستاذ في الحوزه العلميه المقدسه حجه الإسلام و المسلمین الشيخ على الخادمى دامت توفيقاته لنقل عباقر من عبائر الشارح حرفاً بحرف، ثم نظر فيها بعين الإنصاف، مضيفاً إليه الدقه و السداد، متمماً ذلك بالتأدب و اللينه؛ فأفاد و جيزه رائعه من هذا الشرح، معرباً عن محاسنه، مشيراً إلى زلاته. فله درّه و عليه برّه.

ص: ١٥

قسّم المؤلف المحترم كتابه إلى خمسة مواضيع، و غرضه من هذا التقسيم أولاً نقل ما ذكر الشارح الحديدي في هذه الموارد، و ثانياً بيان ما هو فيها من النظر بعين الإنصاف.

و نحن إذ كنا سائلين أن يوفقه الله تعالى في ابداع آثار أخر على هذا المستوى، نرجو من القارئ الكرام أن يستفيدوا من مجهوده و يستضيئوا من المختارات المذكوره في هذا الأثر القيم. إنه قريب مجيب.

الأحقر على النظرى المنفرد

١٨/ جمادى الأولى

سنه أربعمائه و أربعين بعد الألف من الهجره النبويه

ص: ١٦

عبد الحميد بن هبه الله (أبي الحديد) بن محمد بن محمد بن الحسين، كنيته: أبو حامد، و لقبه: عز الدين.

ولد بالمدائن غرّه ذى الحجه سنه ٥٨٦ و نشأ بها و تلقى عن شيوخها، و درس المذاهب الكلاميه فيها؛ ثم مال إلى مذهب الاعتزال. ثم صار إلى بغداد، فكان أحد الكتاب و الشعراء في ديوان الخلفه، و كان حظياً عند الوزير ابن العلقمى.

و أسرته أسر علميه فاضله، أبوه: أبو الحديد و أخوه: القاسم بن أبي الحديد من قضاه البصره.

قال المحدث القمى رحمه الله فى السفينه لفظه «حدد»: «ابن أبي الحديد، هو عبد الحميد بن محمّد بن محمّد بن الحسين بن أبي الحديد المدائنى، الفاضل الأديب الأريب المؤرخ الحكيم الشاعر، شارح نهج البلاغه المكرمه، و صاحب القصائد السبع المشهوره، و كان مذهبه الاعتزال كما شهد لنفسه فى إحدى قصائده فى

مدح أمير المؤمنين عليه السلام :

و رأيت دين الاعتزال و إننى**أهوى لأجلك كل من يتشيع

توفى ببغداد سنة (٦٥٥)، يروى آيه الله العلامة عن أبيه عنه». انتهى كلام المحدث.

و ذكروا أنه أدرك سقوط بغداد و حكم عليه بالقتل، و لكن نجا من القتل بوساطه الوزير العلقميّ و الخواجه نصير الدين الطوسي؛ مع هذا لم يبقَ إلّا مده يسيره حتى توفى - على ما قاله الذهبي في سير أعلام النبلاء - في الخامس من جمادى الآخرة سنة ٦٥٦.

و مات أخوه القاضي موفق الدين أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني قبله بأربعة عشر يوم، فرثاه عزّ الدين عبد الحميد بقوله:

أ أبا ال-معالي هل سمعت تأوّه-ي

ف-ل-قد عهدت-ك في الحياه سميعا

عيني بكتك و ل-و تطيق جوانحي

و ج-وارحي أجرت عليك نجيعا

أنفا غضبت على الزمان فلم تطع

حب-لا لأسباب ال-وفاء قط-وع-ا

و وفيت للمولى الوزير فلم تعش

م-ن بعده شه-را و لا أسب-وع-ا

و بق-يت بعد كما فلو كان الردى

بيدى لفارقن-ا الحى-اه جمى-ع-ا

مذهب الحديدى

إن ما يظهر من مطاوى كلمات الحديدى و ترجمته، إستقامته على مسلك الإعتزال فى الإعتقادات و مذهب الشافعى فى الفقه؛ فما رمى به أمثال ابن كثير من تشييعه (١) غير مسموع. و كيف يمكن القول بتشيعه و هو مُصَرَّرٌ بعدم وجود نصّ معتبر جليّ من الرّسول على خلافه أمير المؤمنين عليه السلام ، كما ينبى من عباراته فى مواضع شتى من شرحه و ستعرفه إن شاء الله. نعم هو محبّ لأمر المؤمنين عليه السلام و أهل بيت الرّسول ، كما تبه هو عليه غير مرّه؛ و يشهد لحبه الوافر قصائده السبع العلويات، و صلاته على آل الرّسول فى نهايه الكتاب حيث قال:

و أنا أستغفر الله العظيم من كلّ ذنب يُبعد من رحمته، و من كلّ خاطرٍ يدعو إلى الخروج عن طاعته، و أستشفع إليه بمن أنصبتُ جسدى و أسهرتُ عيني و أعملتُ فكرى و استغرقتُ طائفه من عمري فى شرح كلامه و التّقرب إلى الله بتعظيم منزلته و مقامه، أن يعتق رقبتي من النار و ألا- يتليني فى الدنيا ببلاء تعجز عنه قوتي و تضعف عنه طاقتي و أن يصون وجهي عن المخلوقين و يكف عني عاديه الظالمين؛ إنّه سميع مجيب و حسبنا الله وحده و صلواته على سيدنا محمد النبى و آله و سلامه!

قال السيد عبد الزهراء الحسينى الخطيب فى مصادر نهج البلاغه و أسانيده، ج ١، صفحه ٢٣٦: «يعدّ ابن أبى الحديد من خصوم الشيعة و أشدّ مُناوئهم، رغم ما يظهر من حبه لعلى عليه السلام و إظهار تفضيله. و رأيتُ بخط الإمام المرحوم كاشف الغطاء على ظهر المجلد الأول من الشرح من الطبعه ذات المجلدين المطبوعه على الحجر فى ايران الموجوده فى مكتبته العامه الشهيره فى النجف الأشرف ما معناه: (نعم المؤلّف لو لا عناد المؤلّف). فتأمل هذه العبارة من هذا المطّلع المتتبع لتعرف

ص: ١٩

أن هؤلاء الذين نسبوا ابن أبي الحديد إلى التشيع، على جانبٍ من الخطأ عظيم.

و سمعتُ المرحوم الثقة السيد كاظم الحسيني الخطيب (أستاذي و ابن عم والدي) ينقل عن الامام الشيخ «محمد طه نجف» رحمه الله أنه قال: «لو أوقف خصومُ أمير المؤمنين عليه السلام بين يدي الله، ما استطاعوا أن يعتذروا عن أنفسهم كما اعتذر عنهم ابن أبي الحديد».

مصنّفات الحديدي

١. شرح نهج البلاغه.

٢. القصائد السبع العلويات، ذكر ابن الفوطي أنه نظمها

في صباه و هو بالمدائن، سنة ٦١١. (١) مجموعها ٣٩٠ بيتاً، عناوينها:

غزوه خيبر، فتح مكة، وصف النبي، وقعه الجمل، وصف أمير المؤمنين عليه السلام و رثاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وصفه عليه السلام و واقعه الطف أيضاً، وصفه عليه السلام أيضاً. علّق عليها كثير من الأعلام و طبعت مرات في النجف و بيروت و ايران. و قد طبع منشورات الشريف الرضي في قم المقدسه كتاب «الروضه المختاره» الحاوي للقصائد الهاشميات للكميت الأسدي و قصائد الحديدي هذه مع تعليقات صالح على الصالح سنة ١٤٠٨ هـ. (٢)

٣. الإعتبار على كتاب الذريعه في أصول الشريعه، ذكره ابن الفوطي (٣) و

ص: ٢٠

١- . أقول لابن الفوطي: هل الذي بلغ خمساً و عشرين سنه صبيّ؟

٢- . وطبعت أخيراً هذه القصائد في ضمن كتاب «عيون الشعر الولايتي» في ايران.

٣- . عبد الرزاق بن احمد بن محمد المعروف بابن الفوطي و ابن الصابوني، ولد ببغداد و توفي بها سنه ٧٢٣ق. كتابه المعروف: مجمع الآداب في معجم الألقاب في ٥٠ مجلداً، و لكن غير موجود؛ إلا أن تلخيصه كان الموجود و المطبوع.

صاحب روضات الجنّات.

٤. انتقاد المستصفي للغزالي، ذكره ابن الفوطي.

٥. الحواشي على كتاب المفصل في النحو، ذكره ابن الفوطي.

٦. شرح المحصل للإمام فخر الدين الرازي، وهو يجرى مجرى النقض له؛ ذكره ابن الفوطي.

٧. شرح مشكلات الغرر لأبي الحسين البصري في أصول الكلام؛ ذكره ابن الفوطي و صاحب روضات الجنّات.

٨. ديوان شعره، ذكره ابن شاعر الكتبي.

٩. زيادات النقيضين، ذكره المؤلف في الجزء الأول ص ٦١.

١٠. شرح الياقوت لابن نوبخت في الكلام، ذكره ابن الفوطي و صاحب روضات الجنّات.

١١. العبقري الحسان، ذكره صاحب روضات الجنّات، وقال: وهو كتاب غريب الوضع قد اختار فيه قطعه وافره من الكلام و التواريخ و الأشعار، و أودعه شيئاً من إنشائه و ترسلاته و منظوماته.

١٢. الفلك الدائر على الملك السائر؛ ألفه برسم الخليفة المستنصر؛ بدأ في تأليفه في أول ذي الحجه سنة ٦٣٣، و فرغ منه في خمسة عشر يوماً.

١٣. المستنصرات؛ كتبها برسم الخليفة المستنصر؛ و منه نسخه بمكتبه السماوي بالنجف.

١٤. نظم فصيح ثعلب؛ ذكره ابن شاعر و صاحب كشف الظنون.

١٥. نقض المحصول في علم الأصول للإمام فخر الدين الرازي؛ ذكره ابن الفوطي و صاحب روضات الجنّات و صاحب كشف الظنون.

ص: ٢١

شرح الحديدى و مزاياه

شرح الحديدى على نهج البلاغه يعدّ من أهمّ ما كتب فى هذا المجال منذ تأليفه إلى الآن، و من مزاياه:

١. ثانى الشروح بعد شرح القطب الراوندى رحمه الله؛ (١) قال الحديدى فى مقدمه شرحه:

و لم يشرح هذا الكتاب قبلى - فيما أعلمه - إلا واحد؛ و هو سعيد بن هبه الله بن الحسن، الفقيه المعروف بالقطب الراوندى، (٢) و كان من فقهاء الإماميه، و لم يكن من رجال هذا الكتاب، لاقتصاره مدّة عمره على الإشتغال بعلم الفقه وحده، و أنّى للفقيه أن يشرح هذه الفنون المتنوعه و يخوض فى هذه العلوم المتشعبه، لا جرم أنّ شرحه لا يخفى حاله عن الذكى و جرى الوادى فطم على القرى. (٣)

٢. إنّ هذا الشرح يضمّ أجزاءً من كتّاب لم يبق منها عين و لا أثر الآن؛ فمن ذلك: كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقرى و كتاب التاج لابن الزاوندى و كتاب

ص: ٢٢

١- . فما قاله السيد الخطيب فى مقدمه مصادر نهج البلاغه من تقدم شروح أخرى على هذين الشرحين فى غير محله؛ إذ ما عدّه فى ذلك ليس بشرح، بل يكون من قبيل تعليقه.

٢- . هو سعيد بن هبه الله بن الحسن الراوندى، أحد فقهاء الشيعة؛ و تصانيفه كثيره متنوعه؛ أسمى كتابه فى شرح النهج «منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه»، توفى سنة ٥٧٣هـ.

٣- . جرى الوادى فطم على القرى، مثل؛ قال الميدانى فى شرحه: أى جرى سيل الوادى فطم، أى دفن؛ يقال: طم السيل الركيه؛ أى دفنها. و القرى: مجرى الماء فى الروضه، و الجمع أقرية و قریان، و «على» من صله المعنى؛ أى أتى على القرى؛ يعنى أهلكه بأن دفنه؛ يضرب عند تجاوز الشىء حده. مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٥٩.

العباسيّه للجاحظ، و الموقّيات لزيير بن بكار و كتاب السقيفه لأحمد بن عبد العزيز الجوهري، و كتاب وقعه الجمل لأبي مخنف و كتاب الجمع بين الغريبين للهروي و الخراج لقدامه بن جعفر.

٣. اشتماله على كثير من تاريخ الإسلام و كثير من المباحث الكلاميه خصوصاً الإمامه.

شرح الحديدى فى تأليفه فى غزه شهر رجب من سنه ٦٤٤، و أتمه فى سلخ صفر من سنه ٦٤٩؛ ففضى أربع سنين و ثمانيه أشهر، و كانت كما قال فى نهايه كتابه:

و هو مقدارٌ مدّه خلافه أمير المؤمنين عليه السلام ، و ما كان فى الظنّ و التقدير أنّ الفراغ منه يقع فى أقلّ من عشر سنين؛ إلا أنّ الألفاظ الإلهيه و العنايه السماويه، شملتنا بارتفاع العوائم و انتفاء الصوارف و شحذت بصيرتنا فيه و أرهفت هممتنا فى تشييد مبانيه و تنضيد ألفاظه و معانيه.

و لما فرغ من تصنيفه، أنفذه على يد أخيه موقّق الدين أبى المعالى إلى ابن العلقمى،^(١) فبعث إليه بمائه دينار و خلعه ستيه و فرس؛ فكتب إلى الوزير:

ص: ٢٣

١- . ابن العلقمى (٥٩٣-٦٥٦ هـ) محمد بن أحمد (أو محمد بن محمد بن أحمد) بن على، أبو طالب، مؤيد الدين الأسدى البغدادى المعروف بابن العلقمى: وزير المستعصم العباسى. و صاحب الجريمه النكراء، فى ممالأه «هولاكو» على غزو بغداد، فى روايه أكثر المؤرخين. اشتغل فى صباه بالأدب، و ارتقى إلى رتبه الوزاره (سنه ٦٤٢) فوليها أربعه عشر عاماً. و وثق به «المستعصم» فألقى إليه زمام أموره. و كان حازماً خبيراً بسياسه الملك، كاتباً فصيح الإنشاء. اشتملت خزائنه على عشره آلاف مجلد، و صنّف له الصغانى «العباب» و ابن أبى الحديد «شرح نهج البلاغه» و نفى عنه بعض ثقات المؤرخين خبر المخامر على المستعصم حين أغار هولاكو على بغداد (سنه ٦٥٦) و اتفق أكثرهم على أنه مالأه، و ولى له الوزاره مدّه قصيره و مات و دفن فى مشهد موسى بن جعفر (الكاظميه) ببغداد، و خلفه فى الوزاره ابنه عز الدين «محمد بن محمد بن أحمد» و هناك روايات بأن مؤيد الدين أهين على أيدي التتار، بعد دخولهم، و مات غمّاً فى قله و ذله.

أى-ا ربّ العب-اد رفع-ت ضبعى
و طلت بمنكب-ى و بللت ربقى
و زى-غ الأش-عرى كسفت عنى
فلم أسل-ك بن-يات ال-ط-رى-ق
أحبّ الاع-تزال و ن-اص--رى-ه
ذوى الألباب و النّ-ظر الدّقى-ق
فأهل العدل و التوحى-د أهل-ى
و ن-ع-م ف-ريق-ه-م أبدا فريقي
و ش-رح الن-هيج ل-م أدرك-ه-إلا
بع-ون-ك بع-د مج-هده و ضيق
ت-م-ثّ-ل إذ بدأت به ل-عى-ن-ى
هناك كذروه الطّود السّ-ح-ى-ق
ف-تمّ بحسن عونك و ه-و أنأى
من الع-يوق أو ب-ى-ض الأن-وق
ب-آل الع-ل-ق-مى ورت زن-ادى
و قامت بين أهل الفضل سوقى
فكم ثوب أنيق ن-لت م-ن-ه-م
و نلت بهم و كم ط-رف-ع-تيق
أدام الله دول--ت-ه-م و أن-ح-ى
على أع-دائه-م بال-خنف-ق-يق(1)

قال فى مصادر نهج البلاغه و أسانیده، ج ١، ص ٢٣٢: «شرح ابن أبى الحدیء من أشهر الشروح و أكثرها انتشاراً، و اغزرها ماده، و أكثرها فائده. و قد حدثنى استاذى المرحوم السید كاظم الخطیب، قال: لقد قرأت شرح ابن أبى الحدیء عده مرات من فاتحته الى خاتمه، و مع ذلك كلما اعدت مراجعته أجد فيه ما كأنى لم أقرأه، و لم أعرج علیه.

و للدكتور صفاء خلوصى كلمه ضافیه حول شرح ابن أبى الحدیء نشرتها مجله (المعلم الجدید) بعنوان (الكنوز الدفینه فى شرح ابن أبى الحدیء)، نقتطف منها ما یلى: «كتاب و لا- كالكتب، بل بوسعى أن أقول: إنه من الكتب القلیله النادره التى تجمع بین المتعه و الفائده إلى أقصى حدودهما، مع نصاعه فى الدیباجه، و حلاوه

ص: ٢٤

١- الخنفیق: الداهیه.

فى اللغة، و سلامه فى التعبير، و سلاسه فى البيان. فانت حين تقرأ الكتاب تشعر كأنك تطالع دائره معارف تزودك بمعلومات لغويه، و أدبيه، و تاريخيه، و فلسفيه، على صعيد واحد ضمن إطار (نهج البلاغه) للإمام على . و ليس هذا فحسب، بل إن كثيراً من الكتب التى أصبحت فى عداد التراث العربى المفقود، لا تزال عناوينها و مقتبسات منها محفوظه فيه. و بوسع القارئ المطالع له أن يقتبس شيئاً جديداً من كل فصل من فصوله، إن لم أقل من كل صفحه من صفحاته، فهو الكتاب القديم الجديد دائماً و ابدأ» .»

* كُتِبَ مرتبطه

كُتِبَ من زمن تأليف هذا الشرح إلى الآن كُتِبَ مرتبطه به، بين نقد و تلخيص؛ فمن ذلك:

١. «الدُّرُّ النُّضِيدُ المُنْتَرَعُ من شرح ابن أبى الحديد» لعبد الله بن يحيى بن الحسين بن يحيى بن أحمد بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم (م ١١٥٠هـ): أديب عالم من أبناء أئمه الزيديه فى اليمن.

٢. «الرَّد على ابن أبى الحديد» لمحسن بن شريف بن عبد الحسين الجواهرى (م ١٣٥٥هـ).

٣. «سلاسل الحديد» منتخب من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، للسيد هاشم البحرانى (م ١١٠٧هـ). إلى غير ذلك. (١)

مشايخ الحديدى و من نقل عنهم

ص: ٢٥

١- . أنظر للزياده على هذا: مصادر نهج البلاغه و مسانيدده، ج ١.

١. أبو جعفر يحيى بن محمد بن محمد بن أبي زيد البصرى العلوى الحسنى نقيب البصره. (١) نقل الشارح عنه فى مواضع كثيره، منها: الجزء ٢ صفحہ ٥٣، الجزء ١٢ صفحہ ٨٢، الجزء ١٣ صفحہ ٣٢، الجزء ١٤ صفحہ ١٩٠ و الجزء ١٨ صفحہ ٦٥.

٢. أبو يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصرى النقيب. الظاهر أنه ولد أبى جعفر النقيب، و لكن أظن أن الناسخ أصحف أبى جعفر يحيى بأبى يحيى جعفر، خصوصاً و لم أجد ترجمته مع فحصى الكامل فى كتب التراجم. و يؤيد مضمونى هذا، أنه جاء فى مورد واحد فقط هذا الإسم و هو فى الجزء ١٦ صفحہ ٢١٥.

٣. ابن النجار البغدادي: (٢) نقل الحديدى مكالمه معه فى الجزء ١٥ صفحہ ٢٨.

٤. محمد بن معد العلوى الموسوى الفقيه: (٣) نقل عنه الحديدى فى الجزء ١٥ صفحہ ٢٣.

ص: ٢٦

١- . لا يشتبه أبو جعفر النقيب هذا مع أبى جعفر الإسكافى؛ فإنَّ أبى جعفر الإسكافى هو محمد بن عبد الله الإسكافى، عدّه قاضى القضاء فى الطبقة السابعه من طبقات المعتزله و صنّف سبعين كتاباً فى علم الكلام، شاعر من أشراف البصره، ولد بها عام ٥٤٨ هـ و ولى نقابه الطالبين فيها مده بعد والده، و توفى ببغداد عام ٦١٣ هـ. و هو الذى نقض كتاب العثمانى على أبى عثمان الجاحظ فى حياته و دخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال: من هذا الغلام السوادى الذى بلغنى أنه تعرض لنقض كتابى و أبو جعفر جالس، فاخفى منه حتى لم يره. و كان أبو جعفر يقول بالترفضيل على قاعده معتزله ببغداد.

٢- . أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبه الله بن محاسن، الحافظ الكبير محبّ الدين ابن النجار البغدادي، صاحب حاشيه تاريخ بغداد، توفى فى خامس شعبان سنه ٦٤٣ هـ. قال المحدث القمى قدس سره فى السفينه لفظه «نجر»: ابن النجار يطلق على جمع من علماء العامه منهم محبّ الدين محمد بن محمود البغدادي صاحب تذييل تاريخ بغداد تلميذ ابن الجوزى و المتوفى سنه (٦٤٣)، و قد يطلق على الشيخ الجليل العالم الفقيه جمال الدين أحمد بن النجار الإمامى تلميذ الشيخ الشهيد صاحب الحاشيه النجاريه على قواعد العلماءه.

٣- . محمد بن معد بن على و هو صفى الدين أبو جعفر الموسوى من تلاميذ ابن البطريق و مشايخ سديد الدين الحلى (والد العلماءه الحلى) و ابن طاوس كما صرح به فى كتاب اليقين عند روايته عنه فى العشر الأخير من صفر عام ٦١٦ هـ. قال المحدث النورى فى خاتمه المستدرک، ج ٢، ص ٤٢١: السيد صفى الدين أبو جعفر محمد بن معد بن على بن رافع بن أبى الفضائل معد بن على بن حمزه بن أحمد بن حمزه بن على بن أحمد بن موسى ابن إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام، العالم، الفاضل، المحدث.

٥. فخر بن معد العلوي الموسوي، أخ محمد بن محمد و هو أيضاً من علماء الإماميه. نقل الحديدي عنه في مقدمه شرحه الجزء ١ صفحه ٤١.

٦. أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي النحوي. (١) توفي ببغداد سنة ٦٠٥ هـ. نقل الحديدي عنه في موضعين: الجزء ١ صفحه ٢٠٥ و الجزء ١٩ صفحه ٦٤.

٧. أبو علي عبد الرحمن بن داود بن مهنا الخولاني الداراني، مصنف «تاريخ داريا». و داريا قريه من قري دمشق. نقل عنه الحديدي في الجزء ١٦ صفحه ٢٣٦.

٨. علي بن تقى النيلي، من متكلمي الإماميه. نقل الشارح عنه أيضاً في الجزء ١٦ صفحه ٢٣٦.

٩. أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعي. قرأ الشارح عنده علم الكلام، و نقل عنه في الجزء ٩ صفحه ١٩٢ و قال بشأنه: لم يكن يتشيع و كان شديداً في الاعتزال إلا أنه في التفضيل كان بغدادياً. قال ابن كثير في البدايه: أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد السلام اللمعي، أحد الأعيان من الحنفيه ببغداد، سمع الحديث و درس بجامع السلطان، و كان معتزلياً في الأصول، بارعا في الفروع، اشتغل على أبيه و عمه، و أتقن الخلاف و علم المناظره، و قارب

ص: ٢٧

١- . مصدق بن شبيب بن الحسين الصلحي الواسطي؛ ذكره القفطي في إنباه الرواه (٣: ٢٧٤)، و قال: إنه قدم بغداد، و قرأ بها على ابن الخشاب و حبشي بن محمد الضرير، و عبد الرحمن بن الأنباري و غيرهم؛ و توفي ببغداد سنة ٦٠٥.

١٠. على بن الفارقي (٢) مدرس المدرسه الغربيه ببغداد. ذكره الشارح فى الجزء ١٦، ص ٢٨٤. قال ابن الأثير: و فيها (سنه ٥٦٠٢هـ)، فى ذى الحجه، توفى أبو الحسن على بن على بن سعاد الفارقي، الفقيه الشافعي، ببغداد، و بقى مده طويله معيداً بالنظاميه، و صار مدرساً بالمدرسه التى أحدثتها أم الخليفه الناصر لدين الله. و كان مع علمه صالحاً، طلب للنيابه فى القضاء ببغداد فامتنع، فألزم بذلك، فوليه يسيراً. ثم فى بعض الأيام مشى إلى جامع ابن المطلب، فنزل، و لبس مئزر صوف غليظ، و غير ثيابه، و أمر الوكلاء و غيرهم بالإنصراف عنه. و أقام به حتى سكن الطلب عنه، و عاد إلى منزله بغير ولايه. (٣)

١١. يحيى بن سعيد بن على الحنبلى المعروف بابن عاليه من ساكنى «فطفتا» بالجانب الغربى من بغداد. نقل عنه فى الجزء ٩، صفحه ٣٠٧.

١٢. جعفر بن مكى الحاجب، نقل عنه فى الجزء ٩، صفحه ٢٤.

مع الحديدى فى شرحه

و أما كتابنا هذا، فهو مقتطفات من شرح الحديدى فى موضوعات خمس:

١. نهج البلاغه و فصاحه الإمام عليه السلام؛

٢. على بن أبى طالب عليه السلام، أى حياته الشخصيه؛

٣. أمير المؤمنين عليه السلام و ما يناسبه من مباحث الإمامه و الخلافه و فضائله و مظلوميته؛

ص: ٢٨

١- . البدايه و النهايه، ج ١٣، ص ٥٣.

٢- . نسبه إلى ميافارقين، و هى مدينه بتركيا.

٣- . الكامل، ج ١٢، ص ٢٤٣.

٤. سيده النساء فاطمه عليها السلام ؛

٥. ترجمه بعض أصحاب النبي .

أخرجت هذه المقتطفات طول مطالعتي للشرح في أيام مختلفه. و حيث إن بعضها مردوده و منظور فيها، فقد أوردت ما يناقضه كثيراً ما من شرح الخوئي رحمه الله و أحياناً من كتب أخرى؛ و ذلك - بعد قلّه و سعى العلمى و ضيق الوقت - لذكرى من هولاء الأعلام الذين صرفوا عمرهم فى التحقيق و التأليف، فينبغى أن يُذكر أسماؤهم و أسماء كتبهم، لله دَرُّهم.

فليناسب هنا أن أشكر سماحه الأستاذ العلامة المحقق آيه الله الحاج الشيخ على النظرى المنفرد دامت بركاته للإرشادات و التنبهات التى تفضل بها علىّ، فله دَرّه. (١)

إقتراح

أقترح إلى إخوانى الفضلاء الكرام أن يبذلوا جهدهم فى استخراج الموضوعات

ص: ٢٩

١- . ولد الأستاذ الفقيه الخطيب بقم المقدسه سنة ١٣٢٦ هـ. ش و نشأ بها، ثم شرع بتدرّس العلوم الحوزويه سنة ١٣٤١ هـ. ش و حضر أبحاث الخارج لأساتذه الوقت، منهم آيات الله: الميرزا هاشم الآملى و السيد محمد المحقق الداماد و الشيخ محمد على الأراكى قدس أسرارهم حتى حاز رتبه الإجتهد من قبل أستاذة آيه الله العظمى الآملى. ثم هاجر إلى عاصمه طهران سنة ١٣٦١ هـ. ش للحضور فى مجلس الشورى الإسلامى الدوره الأولى و الثانیه و اشتغل فى ضمنه تدريس الفقه و المعارف و إمامه الجماعه، ثم رجع بأمر من آيه الله العظمى الكليبايگانى قدس سره سنة ١٣٦٨ هـ. ش إلى قم المقدسه و خدم الشريعه الغراء فى ساحات مختلفه من تدريس الدروس العليا الموسومه بخارج الفقه و الأصول و التفسير، و تأليف كتب: فقهيه و أصوليه و تفسيريه و أخلاقيه و تاريخيه، و الوعظ و الإرشاد. فحقيق أن يقال فى وصفه: أنه دام بقاءه «فقيه الخطباء»، حفظه الله و رعاه. أوردت هذه الترجمة رعايه لبعض حقوقه العلميه علىّ.

المهمه التي طرحت في هذا الشرح، نظير: حياه النبي ، حياه الصحابه، المباحث الأخلاقيه، ردود السيد المرتضى على الجاحظ و...

تنبيهان

١. استفدت في تنظيم هذه المقدمه - مضافاً إلى الكتب المصرح بها - مما قدّمه محمد أبو الفضل إبراهيم على الطبعه المصريه للشرح، كما استفدت أيضاً من حواشيه و بعض إرجاعاته إلى المصادر، و تكون غالباً بشكل: (حليه الأولياء ١: ٦٣). و لذا ما سيأتي في نهايه الكتاب من فهرس المصادر منحصر بما رجعت إليه مباشره.

٢. مرجعنا في نقل عبائر الشارح المعتزلى طبعان من الشرح: الطبع المعروف بطبع مصر الذى طبع في ايران أيضاً من قبل مكتبه آيت الله المرعشى رحمه الله ، و الطبع الجديد في بيروت من قبل مؤسسه الأعلمی، و نراجع غالباً إليهما و ميّزنا بينهما؛ و ما يرجع إليه بلا قرينه فهو طبع مصر.

إهداء

فإن كان لعملى هذا القليل أجرٌ و ثواب، أهديه إلى عقيله بنى هاشم زينب الكبرى عليها السلام ، فإنّ دعاءها مستجاب إن شاء الله، لأنّها مكسوره القلب و الله تبارك و تعالى عند المنكسره قلوبهم.

الحوزه العلميه بقم المقدسه

على الخادمى الخوزستانى

ذى الحجه الحرام ١٤٣٩ هـ . ق

المطابق لشهريور ١٣٩٧ هـ . ش

ص: ٣٠

الفصل الأول: في ما يتعلق بـ«نهج البلاغه»

اشاره

ص: ٣١

عدّ الحديدي في مقدمه شرحه بعض فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، من جملتها: الفصاحه و البلاغه مستنداً إلى نهج البلاغه، قال:

و أما الفصاحه: فهو عليه السلام إمامُ الفُصحاء و سيّدُ البُلغاء؛ و في كلامه قيل: «دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين».

و منه تعلّم الناسُ الخطابه و الكتابه. قال عبد الحميد بن يحيى (١): «حفظتُ

ص: ٣٣

١- . عبد الحميد بن يحيى بن سعد: مولى بنى عامر بن لؤي، وزيرُ «مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك الأموي، آخر خلفاء بنى أميه»، الكاتب البليغ الذي يضرب به المثل، فيقال: فتحت الرسائل بعبد الحميد، و ختمت بآبِن العميد. و كان إماما في الكتابه و جميع فنونها، و هو القدوه فيها. و له رسائل في ألف ورقه، و أصله من قيساريه ثم سكن الشام، و تعلم هذا الشأن من سالم مولى هشام بن عبد الملك و كان يعقوب بن داود وزير المهدي يكتب بين يديه، و عليه تخريج، و كان ابنه إسماعيل بن عبد الحميد ماهرا في الكتابه أيضا، و قد كان أولا يعلم الصبيان ثم تقلبت به الأحوال أن صار وزيرا لمروان، و قتله السفاح و مثل به، و كان اللائق بمثله العفو عنه. و من مستجاد كلامه: العلم شجره ثمرتها الألفاظ، و الفكر بحر لؤلؤه الحكمة. و من كلامه و قد رأى رجلا- يكتب خطأ رديئا فقال: أطل جلفه قلمك و أسمنها، و حرّف قطتك و أيمنها. قال الرجل: ففعلت ذلك فجاد خطي. و سأله رجل أن يكتب له كتابا إلى بعض الأكابر يوصيه به، فكتب إليه: «حقّ موصل كتابي إليك كحقّه عليّ إذ رآك موضعا لأمله، و رآني أهلا لحاجته، و قد قضيت أنا حاجته فصدق أنت أمله». و كان كثيرا ما ينشد هذا البيت: إذا خرج الكتاب كان دويهم قسيا و أقلام القسي لها نبلا البدايه و النهايه، ج ١٠، ص ٥٥.

سبعين خطبه من خطب الأ صلح، ففاضت ثم فاضت».

و قال ابن نباته (١): «حفظت من الخطابه كنزاً لا يزيدُه الإنفاق إلا سعاً و كثرةً، حفظت مائه فصل من مواظ علي بن أبي طالب».

و لَمَّا قال مُحَفَّن بن أبي مُحَفَّن لمعاويه: «جتتك من عند أعيان الناس»؛ قال له: «ويحك، كيف يكون أعيان الناس؟ فوالله ما سنن الفصاحه لقريشٍ غيره» (٢).

ص: ٣٤

١- ابن نباته الخَطِيب (٣٣٥-٣٧٤ هـ) عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل ابن نباته الفارقي، أبو يحيى: صاحب الخطب المنبريه. كان مقدما في علوم الأدب، و أجمعوا على أن خطبه لم يعمل مثلها في موضوعها. ولد في ميفارقين (بديار بكر) و نسبته إليها، و سكن حلب فكان خطيبها. و اجتمع بالمتنبي في خدمه سيف الدوله الحمداني. و كان سيف الدوله كثير الغزوات، فأكثر ابن نباته من خطب الجهاد و الحث عليه. و كان تقيا صالحا. توفي بحلب. له «ديوان خطب». الأعلام، ج ٣، ص ٣٤٧.

٢- قال في كشف الغمه، ج ١، ص ٤٢١: «حَدَّثَ الرَّبِيعُ عَنْ رِجَالِهِ قَالَ دَخَلَ مُحَفَّنُ بْنُ أَبِي مُحَفَّنِ الضَّبِّيُّ عَلَيَّ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جِئْتِكَ مِنْ عِنْدِ أَلَمِ الْعَرَبِ وَ أَبْخَلَ الْعَرَبِ وَ أَعْيَا الْعَرَبِ وَ أَجْبَنَ الْعَرَبِ قَالَ وَ مَنْ هُوَ يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ مُعَاوِيَةُ يَا أَهْلَ الشَّامِ مَا يَقُولُ أَخُوكُمُ الْعِرَاقِيُّ فَابْتَدَرُوهُ أَيُّهُمْ يَنْزِلُهُ عَلَيْهِ وَ يُكْرِمُهُ فَلَمَّا تَصَدَّعَ النَّاسُ عَنْهُ قَالَ لَهُ كَيْفَ قُلْتَ فَأَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ وَيْحَكَ يَا جَاهِلٌ كَيْفَ يَكُونُ أَلَمُ الْعَرَبِ وَ أَبُوهُ أَبُو طَالِبٍ وَ حَيْدُهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَ امْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَ أَنِّي يَكُونُ أَبْخَلَ الْعَرَبِ فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ لَهُ بَيْتَانِ بَيْتِ تَيْبِ وَ بَيْتِ تَيْبٍ لَأَنْفَعَدَ تَيْبَهُ قَبْلَ تَيْبِنِهِ وَ أَنِّي يَكُونُ أَجْبَنَ الْعَرَبِ فَوَاللَّهِ مَا التَّقْتُ فِتْيَانِ قَطُّ إِلَّا مَا كَانَ فَارِسُهُمْ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَ أَنِّي يَكُونُ أَعْيَا الْعَرَبِ فَوَاللَّهِ مَا سَنَّ الْبَلَاغَةَ لِقُرَيْشٍ غَيْرُهُ وَ لَمَّا قَامَتْ أُمَّ مُحَفَّنٍ عَنْهُ أَلَمٌ وَ أَبْخَلَ وَ أَجْبَنَ وَ أَعْيَا لِبَطْرِ أُمِّهِ فَوَاللَّهِ لَوْ لَا مَا تَعَلَّمْ لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ فَإِيَّاكَ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْعُودَ إِلَى مِثْلِ هَذَا قَالَ وَ اللَّهُ أَنْتَ أَظْلَمُ مِنِّي فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ قَاتَلْتَهُ وَ هَذَا مَحَلُّهُ قَالَ عَلَيَّ خَاتِمِي هَذَا حَتَّى يَجُوزَ بِهِ أَمْرِي قَالَ فَحَسْبُكَ ذَلِكَ عَوْضًا مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَ أَلِيمَ عَذَابِهِ قَالَ لَا يَا ابْنَ مُحَفَّنٍ وَ لَكِنِّي أَعْرِفُ مِنَ اللَّهِ مَا جَهَلْتِ حَيْثُ يَقُولُ وَ رَحِمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ».

و يكفى هذا الكتاب الذى نحن شارحوه، دلالة على أنه لا يُجَارَى فى الفصاحة ولا يُبَارَى فى البلاغة؛ و حسبك أنه لم يُدَوَّن لأحد من فصحاء الصحابة، العُشْرُ و لا نصفُ العُشْرِ ممَّا دُوِّنَ له؛ و كفاك فى هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ فى مدحه فى كتاب «البيان و التبيين» و فى غيره من كتبه. (١)

٢- صحه انتساب الخطبه الشَّقَشَقِيه إلى أمير المؤمنين عليه السلام

إنَّ الخطبه الشَّقَشَقِيه أهمُّ ما ادَّعى أنَّها موضوعه مجعوله فى النهج؛ و لذا تصدَّى الشارح الحديدي بدفع هذا التَّوهم و نقل فى آخر شرح هذه الخطبه كلاماً عن شيخه ابن الخشاب، فهذا لفظه:

و أما قول ابن عباس: «ما أسيءتُ على كلام...» إلى آخره، فحدثنى شيخى أبو الخير مُصَدِّقُ بن شبيب الواسطى فى سنه ثلاث و ستمائه، قال: «قرأتُ على الشيخ أبى محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبه، فلما انتهيتُ إلى هذا الموضع قال لى: لو سمعتُ ابنَ عباس يقول هذا، لقلت له: و هل بقى فى نفس ابن عمِّك أمرٌ لم يبلغه فى هذه الخطبه لتتأسف ألا يكون بلغ من كلامه ما أراد؟ و الله ما رجع عن الأولين و لا عن الآخرين، و لا بقى فى نفسه أحد لم يذكره إلا رسول الله.»

قال مُصَدِّق: و كان ابنُ الخشاب صاحبَ دعايه و هزل.

ص: ٣٥

١- . شرح الحديدي، ج ١، ص ٢٤، (مصر) و ص ٢٨، (الأعلمى).

قال (مصدق): فقلت له (ابن الخشاب): أ تقول إنها منحوه؟(١)

فقال: لا والله، وإني لأعلم أنها كلامه كما أعلم أنك مصدق.

قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون: إنها من كلام الرضى رحمه الله تعالى.

فقال: أنى للرضى وغير الرضى هذا النفس وهذا الأسلوب؟ قد وقفنا على رسائل الرضى و عرفنا طريقته وفنه فى الكلام المنثور وما يقع مع هذا الكلام فى نحل ولا- خمر. ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبه فى كتب صيئت قبل أن يخلق الرضى بمائتى سنه، ولقد وجدتُها مسطوره بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضى.

ثم أضاف الحديدى رأيه بعد نقل هذه المحاوره وقال:

قلت: وقد وجدتُ أنا كثيراً من هذه الخطبه فى تصانيف شيخنا أبى القاسم البلخى (٢) إمام البغداديين من المعتزله، وكان فى دوله المقتدر قبل أن يخلق الرضى بمدّه طويله. و وجدتُ أيضاً كثيراً منها فى كتاب أبى جعفر بن قبه أحد متكلمى الإماميه (٣) و هو الكتاب المشهور المعروف بكتاب

ص: ٣٦

١- . أى المجعوله و الموضوعه.

٢- . أبو القاسم البلخى، ذكره ابن النديم وقال: «كان من أهل بلخ، يطوف البلاد و يجول الأرض؛ حسن المعرفه بالفلسفه و العلوم القديمه... و رأيت بخطه شيئاً كثيراً فى علوم كثيره مسودات و دساتير لم يخرج منها إلى الناس كتاب تام». الفهرست، ص ٢٩٩ و ابن خلكان، ج ١، ص ٢٥٢.

٣- . هو أبو جعفر بن محمد بن قبه؛ من متكلمى الشيعه و حذاقهم، و له من الكتب كتاب الإنصاف فى الإمامه. الفهرست، ص ١٧٦.

«الإِنصاف»، و كان أبو جعفر هذا من تلامذه الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى، و مات في ذلك الع-صر قبل أن يكون الرضى رحمه الله تعالى موجوداً. (١)

٣- صحه انتساب الخطبه الرابعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام

إن الخطبه الرابعه من النهج، التي خطبها الإمام عليه السلام بعد الجمل، أعنى قوله عليه السلام: «بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ وَ تَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ العُلَيَّاءِ...» من أفصح كلماته عليه السلام بشهادته مؤلفه الخبير السيد الرضى رحمه الله - وإن كانت كلها فصيحاً - . و يدعى الشارح الحديدي أولاً باختلاط هذه الخطبه مع بعض كلمات من الآخرين و ثانياً بتهذيبها من المؤلف رحمه الله ، ثم صرح بأن الموجود في النهج موافق الأصل؛ قال بما هذا لفظه:

هذه الكلمات و الأمثال ملتقطه من خطبه طويله منسوبه إليه عليه السلام ، قد زاد فيها قومٌ أشياء حملتهم عليها أهواؤهم، لا توافق ألفاظها طريقته عليه السلام في الخطب، و لا- تناسب فصاحتها فصاحته، و لا حاجه إلى ذكرها فهي شهيره. و نحن نشرح هذه الألفاظ لأنها كلامه عليه السلام ؛ لا- يشك في ذلك من له ذوقٌ و نقد و معرفه بمذاهب الخطباء و الفصحاء في خطبهم و رسائلهم؛ و لأن الروايه لها كثيره؛ و لأن الرضى رحمه الله تعالى عليه قد التقطها و نسبها إليه عليه السلام و صححها و حذف ما عداها. (٢)

ص: ٣٧

-
- ١- . شرح الحديدي، ج ١، ص ٢٠٥، (مصر) و ص ١٥٨، (الأعلمي).
 - ٢- . شرح الحديدي، ج ١، ص ٢٠٨، (مصر) و ص ١٥٩، (الأعلمي).

قال الشارح في شرح خطبه ٩٠ المعروفه بالأشباح، عند قول الإمام عليه السلام في وصف الملائكه:

«ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ...» ما هذا كلامه:

هذا موضع المثل: «إذا جاء نهْرُ الله بطل نهْر مَعْقِل».(١)

إذا جاء هذا الكلامُ الرِّبَانِيّ و اللفظُ القدسيّ، بطلت فصاحه العرب؛ و كانت نسبة الفصيح من كلامها إليه، نسبة التراب إلى النُّضار(٢) الخالص.

و لو فرضنا أنّ العرب تقدر على الألفاظ الفصيحه المناسبه أو المقاربه لهذه الألفاظ، من أين لهم المادّة التي عبّرت هذه الألفاظُ عنها؟ و من أين تعرف الجاهليّة بل الصحابه المعاصرون لرسول الله هذه المعاني الغامضه السمائيّه، ليتهيأ لها التعبير عنها؟ أمّا الجاهليّه، فإنّهم إنّما كانت تظهر فصاحتهم في صفه بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاه أو صفه جبال أو فلوات و نحو ذلك. و أمّا الصحابه، فالمذكورون منهم بفصاحه، إنّما كان منتهى فصاحه أحدهم، كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثه؛ إمّا في موعظه تتضمّن ذكر الموت أو ذمّ الدنيا أو يتعلّق بحرب و قتال، من ترغيب أو ترهيب؛ فأما الكلام في الملائكه و صفاتها و صورها و عباداتها و تسبيحها و معرفتها بخالقها و حبّها له و ولّيتها إليه، و ما جرى مجرى ذلك

ص: ٣٨

١- . نهْر مَعْقِل: مضاف إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزني؛ ذكر ياقوت عن الواقدي: أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يحفر نهرا بالبصره و أن يجريه على يد معقل بن يسار، فنسب إليه.

٢- . الذهب.

مما تضمنه هذا الفصل على طوله، فإنه لم يكن معروفاً عندهم على هذا التفصيل؛ نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم و لا مرتبه هذا الترتيب، بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم؛ و أما من عنده علم من هذه المادة، كعبد الله بن سلام و أمية بن أبي الصلت و غيرهم، فلم تكن لهم هذه العبارة، و لا قدروا على هذه الفصاحة. فثبت أن هذه الأمور الدقيقة، في مثل هذه العبارة الفصيحة، لم تحصل إلا لعلی وحده.

و أقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب، اقشعر جلده و رجف قلبه و استشعر عظمة الله العظيم في روعه و خلده، و هام نحوه و غلب الوجد عليه، و كاد أن يخرج من مسكه (١) شوقاً، و أن يفارق هيكله صباباً و جداً. (٢)

٥- علي عليه السلام فخر لآبائه

قال الشارح المعتزلي أيضاً في شرح خطبه ٩٠ بعد ذكر فصل منها متعلق بتبيين علم الله تعالى: «عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ وَ نَجْوَى الْمُتَخَفِتِينَ وَ حَوَاطِرِ رَجَمِ الظُّنُونِ وَ عَقْدِ عَزِيمَاتِ اليَقِينِ...» ما هذا لفظه:

لو سمع النضر بن كنانة (٣) هذا الكلام، لقال لقائله ما قاله علي بن العباس بن جريح (٤) لإسماعيل بن بلبل: (٥)

ص: ٣٩

- ١- . المسك بالفتح: الجلد.
- ٢- . شرح الحديدى، ج ٦، ص ٤٢٥، (مصر) و ص ٤٦٣، (الأعلمى).
- ٣- . الجد الحادى عشر لعلی بن أبى طالب عليه السلام ، و قيل إسمه قريش.
- ٤- . على بن العباس بن جريح، أو جورجيس، الرومى، أبو الحسن: شاعر كبير، من طبقه بشار و المتنبى. رومى الأصل، كان جده من موالى بنى العباس. ولد و نشأ ببغداد، و مات فيها مسموماً سنة ٢٨٣هـ. الأعلام، ج ٤، ص ٢٩٧.
- ٥- . الوزير أبو الصقر الشيبانى (م ٢٧٨هـ) كاتب بليغ، شاعر محسن جواد ممدوح. وزر للمعتمد سنة خمس و ستين و مائه، بعد الحسن بن مخلد، ثم عزل بعد شهر، ثم وزر ثانياً، ثم عزل. ثم وزر ثالثاً. و كان فى نهايه الجمال، و تمام القد و الجسم. عن جماعه من أهل الحضرة أن المعتضد أمر بإسماعيل بن بلبل، فأتخذ له تغارا (وعاء) كبيراً، و ملئ أسفيذاجا حياً و بله، ثم جعل رأس إسماعيل فيه إلى آخر عنقه و بعض صدره. و مسك عليه حتى جمد الإسفيذاج عليه، فلم تزل روحه تخرج حتى مات. و روى أنه رآه أحد في المنام، فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: غفر الله لى بما لقيت. و لم يكن الله ليجمع على عذاب الدنيا و الآخرة. تاريخ الإسلام، ج ٢٠، ص ٣٠٤.

قالوا أبو الصقرِ مِن شيبانَ، قلتُ لهم

كَلَّا، و ل-ك-ن ل-عَمري من-ه شيبانُ

و كم أبٍ قد علا باب-نِ ذراشَ-رَفٍ

ك-م-ا-ع-لا ب-رس-ول الله ع-دن-انُ

إذ كان يفخر به على عدنان و قحطان، بل كان يقترّ به عينُ أبيه إبراهيم خليل الرحمن، و يقول له: «إنه لم يُعَفِّ ما شَيدتُ من معالم التوحيد، بل أخرج الله تعالى لك من ظهري ولداً ابتدَع من علوم التوحيد في جاهليه العرب ما لم تبتدعه أنت في جاهليه التَّبَطَّ».

بل لو سمع هذا الكلامَ أرسطوطاليس القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات، لخشع قلبه و قفَّ شعره و اضطرب فكره. ألا ترى ما عليه من الرِّواء و المهابه و العظمه و الفخامه و المتانه و الجزاله؟ مع ما قد أُشربَ من الحلاوه و الطَّلاوه و اللطف و السَّلاسه. لا أرى كلاماً يشبه هذا إلَّا أن يكون كلامَ الخالق سبحانه، فإنَّ هذا الكلامَ نَبَعَهُ (1) من تلك الشجره و جدولٌ من ذلك

ص: ٤٠

١- . غُصْنٌ من الشجر.

البحر و جذوة من تلك النار و كأنه شرح قوله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» (١).

٦- بين كلام علي عليه السلام و سائر الأصحاب

قال الشارح في ضمن شرح خطبه ١٠٥، عند قول الإمام عليه السلام في تعظيم النبي ما هذا أصله:

قلت: سألت النقيب أبا جعفر رحمه الله - و كان منصفاً بعيداً عن الهوى و العصبية عن هذا الموضوع - فقلت له: قد وقفت على كلام الصحابة و خطبهم، فلم أر فيها من يُعظم رسول الله تعظيم هذا الرجل، و لا يدعو كدعائه؛ فإننا قد وقفنا من نهج البلاغه و من غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل، تدل على إجلال عظيم و تبجيل شديد منه لرسول الله .

فقال: و من أين لغيره من الصحابة كلام مدون يتعلم منه كيفية ذكرهم للنبي؟ و هل وجد لهم إلاما كلمات مبتدرة، لا طائل تحتها؟

ثم قال: إن علياً عليه السلام كان قوياً الإيمان برسول الله و التصديق له، ثابت اليقين، قاطعاً بالأمر، متحققاً له، و كان مع ذلك يحب رسول الله لنسبته منه و تربيته له و اختصاصه به، من دون أصحابه. و بعد، فشرّفه له لأنهما نفس واحدة في جسمين: الأب واحد و الدار واحدة و الأخلاق متناسبه، فإذا عظّمه، فقد عظّم نفسه؛ و إذا دعا إليه، فقد دعا إلى نفسه؛ و لقد كان يؤد أن تطبق دعوة الإسلام مشارق الأرض و مغاربها؛ لأن جمال

ص: ٤١

١- . الأنعام، ٥٩؛ شرح الحديدي، ج ٧، ص ٢٣، (مصر) و ص ١٩، (الأعلمي).

ذلك لاحق به و عائد عليه؛ فكيف لا يُعظّمه و يُبجّله و يجتهد في إعلاء كلمته. (١)

٧- آكل الأحاديث

عدّ الحديدي خطبه ١٠٨ - التي تتضمن تمجيدَ الله سبحانه و ذكر الملائكة و المواعظ - من عزيز كلمات الإمام عليه السلام و عبّر عنها بآكل الأحاديث؛ قال بما هذا لفظه:

هذا موضعُ المثل: «في كلِّ شجرٍ نار، و استمجد المرخ و العفار». (٢)

الخُطْبُ الوعظيُّ الحسانُ كثيرةٌ، و لكن هذا حديثٌ يأكل الأحاديث.

محاسن - أصناف المغنين جمّة و ما قصبات السبق إلا لم - عبد (٣)

من أراد أن يتعلم الفصاحة و البلاغة و يعرف فضل الكلام بعضه على بعض، فليأمل هذه الخطبه؛ فإن نسبتها إلى كلّ فصيح من الكلام - عدا كلام الله و رسوله - نسبة الكواكب المنيرة الفلكية إلى الحجارة المظلمة الأرضية. ثم لينظر الناظر إلى ما عليها من البهاء و الجلاله و الرّواء و الديباجه، و ما تحدّثه من الروعه و الرهبه و المخافه و الخشيه، حتى لو تليت

ص: ٤٢

١- شرح الحديدي، ج ٧، ص ١٧٤، (مصر) و ص ١١٩، (الأعلمي).

٢- في مجمع الأمثال للميداني، ج ٢، ص ١٨: استمجد المرخ و العفار؛ أي استكثرا و أخذوا من النار ما هو حسبهما؛ شبا بمن يكثر العطاء طلبا للمجد لأنهما يسرعان الوري.

٣- قال في الأعلام، ج ٧، ص ٢٦٤: مَعْيِدُ الْمُغْنِيِّ (م ١٢٦ هـ) معبد بن وهب، أبو عباد المدني: نابغه الغناء العربي في العصر الأموي. كان مولى لبنى مخزوم و نشأ في المدينة يرضى الغنم لمواليه، و ربما اشتغل في التجاره. و لما ظهر نبوغه في الغناء، أقبل عليه كبراء المدينة. ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها و ارتفع شأنه. و كان أدبيا فصيحاً. و عاش طويلا إلى أن انقطع صوته. و مات في عسكر الوليد بن يزيد.

على زنديق ملحد مصمم على اعتقاد نفي البعث و النشور لهدت قواه و أرعبت قلبه و أضعفت على نفسه و زلزلت اعتقاده. فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ما جزى به ولياً من أوليائه. فما أبلغ نصرته له: تارة بيده و سيفه و تارة بلسانه و نطقه و تارة بقلبه و فكره؛ إن قيل جهاد و حرب، فهو سيّد المجاهدين و المحاربين؛ و إن قيل وعظ و تذكير، فهو أبلغ الواعظين و المذكرين؛ و إن قيل فقه و تفسير فهو رئيس الفقهاء و المفسرين؛ و إن قيل عدلٌ و توحيد، فهو إمام أهل العدل و الموحدين.

ليس على الله بمُست-ن-كر أن يج-مع العالم في واحد(١)

٨- بين نهج البلاغه و خطب ابن نباته

قاس الشارح الشافعي في ضمن شرح خطبه ١٠٨، مواعظ نهج البلاغه بمواعظ الخطيب الشهير البليغ «ابن نباته»؛ و ذكر وجه جواز هذه المقايسه و وجوه علو مواعظ العلويه عن غيرها؛ فإليك لفظه:

و نحن نذكر في هذا الموضوع فصلاً من خطب الخطيب الفاضل عبد الرحيم بن نباته رحمه الله و هو الفائز بقصبات السبق من الخطباء؛ و للناس غرامٌ(٢) عظيمٌ بخطبه و كلامه. ليتأمل الناظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه و مواعظه، و كلام هذا الخطيب المتأخر الذي قد وقع الإجماع على خطابته و حسنها، و أنّ مواعظه هي الغايه التي ليس بعدها غايه.

١. فمن ذلك قوله: «أيها الناس، تجهزوا فقد ضرب فيكم بوق الرحيل؛ و

ص: ٤٣

١- شرح الحديدى، ج ٧، ص ٢٠٢، (مصر) و ص ١٣٨، (الأعلمى).

٢- . معناه هنا: العشق.

ابْرُزُوا فَقَدْ قَرَبْتَ لَكُمْ نَوْقَ التَّحْوِيلِ وَ دَعَا التَّمَسُّكَ بِخُدَعِ الْأَبَاطِيلِ وَ الرُّكُونَ إِلَى التَّسْوِيفِ وَ التَّعْلِيلِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ مَا كَرَّرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ قِصَصِ أَبْنَاءِ الْقُرَى وَ مَا وَعَظَكُمْ بِهِ مِنْ مِصَارِعَ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْوَرَى، مِمَّا لَا يَعْتَرِضُ لِدَوَى الْبِصَائِرِ فِيهِ شَكٌّ وَ لَا مِرَا، وَ أَنْتُمْ مَعْرُضُونَ عَنْهُ إِعْرَاضَكُمْ عَمَّا يُخْتَلَقُ وَ يَفْتَرَى، حَتَّى كَانَ مَا تَعْلَمُونَ مِنْهُ أَضْغَاثُ أَحْلَامِ الْكَرَى، وَ أَيْدِي الْمَنَايَا قَدْ فَصَمَتْ مِنْ أَعْمَارِكُمْ أَوْثُقَ الْعُرَى، وَ هَجَمَتْ بِكُمْ عَلَى هَوْلٍ مَطْلَعِ كَرِيهِ الْقِرَى. فَالْقَهْقَرَى رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَنْ حِبَائِلِ الْعَطْبِ الْقَهْقَرَى، وَ اقْطَعُوا مَفَاوِزَ (١) الْهَلَكَاتِ بِمُوَاصِلِهِ السِّ-رَى، (٢) وَ قَفُوا عَلَى أَحْدَاثِ الْمُنْتَزِلِينَ مِنْ شَنَاخِيبِ الدُّرَى، الْمُنْجَلِينَ بِوَاذِعِ أُمِّ حَبِوَكْرَى، (٣) الْمَشْغُولِينَ بِمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ جَرَى. وَ اكشَفُوا عَنِ الْوَجْهِ الْمُنْعَمِ أَطْبَاقَ الثَّرَى، تَجَدُّوا مَا بَقِيَ مِنْهَا عِبْرَةً لِمَنْ يَرَى. فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً رَحِمَ نَفْسَهُ فَبَكَاهَا، وَ جَعَلَ مِنْهَا إِلَيْهَا مَشْتَكَاهَا قَبْلَ أَنْ تَعْلُقَ بِهِ خَطَايِفُ الْمَنُونِ، وَ تَصَدَّقَ فِيهِ أَرَاخِيفُ الظُّنُونِ، وَ تَشْرِقَ عَلَيْهِ بِمَائِهَا مُقَلَّ الْعَيُونِ، وَ يَلْحَقَ بِمَنْ دَثَرَ مِنَ الْقُرُونِ قَبْلَ أَنْ يَبْدُوَ عَلَى الْمَنَاكِبِ مَحْمُولًا وَ يَغْدُوَ إِلَى مَحَلِّ الْمِصَائِبِ مَنْقُولًا، وَ يَكُونَ عَنِ الْوَاجِبِ مَسْئُولًا، وَ بِالْقُدُومِ عَلَى الطَّالِبِ الْغَالِبِ مَشْغُولًا. هُنَاكَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ وَ يُوَضِّعُ الْكِتَابَ وَ تَقْطَعُ الْأَسْبَابَ وَ تَذْهَبُ الْأَحْسَابُ وَ يَمْنَعُ الْإِعْتَابَ وَ يَجْمَعُ مَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعِقَابُ، وَ مِنْ وَجِبَ لَهُ الثَّوَابُ فَيَضْرِبُ «بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ» (٤).

ص: ٤٤

١- . المفاوز: جمع مفازه هي الصحراء الواسعه.

٢- . السرى: سير الليل.

٣- . حبوكرى: اسم للداهيه.

٤- . الحديد، ١٣.

فلينظر المنصف هذا الكلام و ما عليه من أثر التوليد:

أولاً: بالنسبة إلى ذلك الكلام العربى المحض، ثم لينظر فيما عليه من الكسل و الرخاوه و الفتور و البلاده حتى كأن ذلك الكلام لعامر بن الطفيل (١) مستلماً شِكْتَه (٢) ركباً جواده. و هذا الكلام للدلال المدينى (٣) المخْت، آخذاً زَمَارَتَه، متأبطاً دَفَه.

و المَح ما فى «بوق الرحيل» من السفسفه و اللفظ العامى الغث. و اعلم أنهم كلهم عابوا على أبى الطيب قوله:

فإن كان بعض الناس سيفاً لدوله ففى الن-اس ب-وق-ات له-ا و طبول

و قالوا: لا تدخل لفظه «بوق» فى كلام يفلح أبداً.

و المِج ما على قوله: «القَهقرى القَهقرى» متكرره من الهجنه، و أهجنُ منها «أم حبوكرى» (٤) و أين هذا اللفظ الحوشى الذى تفوح منه روائح الشَّيح و القَيْصوم، (٥) و كأنه من أعرابى قُح (٦) قد قَدِم من نجد لا يفهم محاوره أهل الحضر و لا أهل الحضر يفهمون حواره من هذه الخطبه اللينه الألفاظ التى تكاد أن تتشنى من لينها و تتساقط من ضعفيها.

ثم المَح هذه الفِقَر و السَّجَعات التى أولها «القرى»، ثم «المرا»، ثم «يفترى»،

ص: ٤٥

- ١- . عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى، ابن عم لبيد؛ أحد فرسان العرب و فتاكهم. توفى سنه ٧٠ق.
- ٢- . الشكه بالكسر: السلاح.
- ٣- . الدلال المدينى، و اسمه ناقد، و كنيته أبو زيد، كان من أهل المدينه، و أحد ظرفاء ثلاثه كانوا بها: طويس، و الدلال، و هنب، كان هنب أقدمهم، و الدلال أصغرهم.
- ٤- . أم حبوكرى: من أسماء الداھيه عندهم.
- ٥- . هما من أسماء النباتات السهليه.
- ٦- . أعرابى قُح أى خالص الذى لم يدخل الأمصار.

ثم «الكري» إلى قوله: «عبره لمن يرى»؛ هل ترى تحت هذا الكلام معنى لطيفاً أو مقصداً رشيقيّاً؟ أو هل تجد اللفظ نفسه لفظاً جزلاً فصيحاً أو عذباً معسولاً و إنما هي ألفاظٌ قد ضُمَّ بعضها إلى بعضٍ و الطائل تحتها قليلٌ جداً.

و تأمل لفظه «مرا»، فإنها ممدودة في اللغة، فإن كان قصرها فقد ركب ضروره مستهجنه و إن أراد جمع «مريه» فقد خرج عن الصناعه، لأنه يكون قد عطف الجمع المفرد فيصير مثل قول القائل: «ما أخذت منه ديناراً و لا دراهم» في أنه ليس بالمستحسن في فنّ البيان.

٢. و من ذلك قوله: «أيها الناس، حصحص الحق، فما من الحق مناص؛ و أشخص الخلق، فما لأحد من الخلق خلاص؛ و أنتم على ما يباعدكم من الله حراص؛ و لكم على موارد الهلكه اغتصاص؛ و فيكم عن مقاصد البركه انتكاص، كأن ليس أمامكم جزاءً و لا قصاص؛ و لجوارح الموت في وحش نفوسكم اقتناص، ليس بها عليها تأب و لا اعتياص».

فليتأمل أهل المعرفة بعلم الفصاحه و البيان هذا الكلام بعين الإنصاف، يعلموا أنّ سطرّاً واحداً من كلام «نهج البلاغه» يساوى ألف سطرٍ منه، بل يزيد و يُربى على ذلك؛ فإنّ هذا الكلام ملزقٌ عليه آثارٌ كلفه و هُجنه ظاهره، يعرفها العاميُّ فضلاً عن العالم.

٣. و من هذه الخطبه: «فاهجروا رحمكم الله وثير المراقد، و ادّخروا طيب المكتسب، تخلصوا من انتقاد الناقد؛ و اغتتموا فسحه المهل قبل انسداد المقاصد؛ و اقتحموا سبل الآخره على قله المرافق و المساعد».

فهل يجد متصفح الكلام لهذا الفصل عُذوبه، أو معنى يُمدح الكلام لأجله؟

و هل هو إلا ألفاظ مضموم بعضها إلى بعض، ليس لها حاصلٌ؟ كما قيل في شعر ذى الرِّمَّة: بعر ظباء و نقط عروس(١)

٤. و من ذلك قوله: «فيا له من واقع في كُرب الحشارج، مصارع لسكرات الموت معالج، حتى درج على تلك المدارج، و قدم بصحيفته على ذى المعارج».

و غيرُ خافٍ ما في هذا الكلام من التَّكلف.

٥. و من ذلك قوله: «فكأنكم بمنادى الرحيل قد نادى في أهل الإقامه، فاقتموا بالصغار محجَّه القيامه، يتلو الأوائل منهم الأواخر و يتبع الأكبر منهم الأصاغر، و يلتحق الغوامر من ديارهم بالغوامر، حتى تبتلع جميعهم الحفر و المقابر».

فإنَّ هذا الكلام ركيكٌ جداً، لو قاله خطيب من خطباء قُرى السواد لم يُستحسن منه، بل ترك و استرذل.

و لعل عائباً يعيب علينا فيقول: شرعتم في المقايسه و الموازنه بين كلام أمير المؤمنين عليه السلام و بين كلام ابن نباته؛ و هل هذا إلا بمنزله قول من يقول: السيفُ أمضى من العصا؟ و فى هذه غضاضه على السيف.

فنقول: إنَّه قد اشتملت كتب المتكلمين على المقايسه بين كلام الله تعالى و بين كلام البشر، ليبيّنوا فضل القرآن و زياده فصاحته على فصاحه كلام العرب؛ نحو مقايستهم بين قوله تعالى: «و لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ»(٢) و بين قول القائل: «القتل أنفى للقتل»؛ و نحو مقايستهم بين قوله تعالى: «خُذِ

ص: ٤٧

١- من كلام جرير فى وصف شعر ذى الرمه.

٢- البقره، ١٧٩.

الْعَفْوِ وَ أَمْرٌ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ» (١) و بين قول الشاعر:

فإن عرضوا بالشّر فاصفح تكّرم -

وإن كت-موا عنك الحديث فلا تسل

و نحو إيرادهم كلام مُسَيْلِمَةَ و أحمد بن سليمان المَعْرَى و عبد الله بن المقفع فصلاً فصلاً، و الموازنه و المقايسه بين ذلك و بين القرآن المجيد، و إيضاح أنه لا يبلغ ذلك إلى درجه القرآن العزيز و لا يقاربها، فليس بمُسْتَنَكِرٍ مَّا أن نذكر كلام ابن نباته فى معرض إيرادنا كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، لتظهر فضيلته كلامه عليه السلام بالنسبه إلى هذا الخطيب الفاضل الذى قد اتفق الناس على أنه أوحد عصره فى فنه.

و اعلم أننا لا ننكر فضل ابن نباته و حسن أكثر خطبه، و لكنّ قوماً من أهل العصبية و العناد، يزعمون أنّ كلامه يساوى كلام أمير المؤمنين عليه السلام و يماثله، و قد ناظر بعضهم فى ذلك؛ فأحبت أن أبين للناس فى هذا الكتاب: أنه لا نسبة لكلامه إلى كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، و أنه بمنزله شعر

الأبله و ابن المعلم بالإضافه إلى زهير و النابغه.

و اعلم أنّ معرفه الفصيح و الأفصح و الرشيق و الأرشق و الحلو و الأهلّى و العالى و الأعلى من الكلام، أمرٌ لا يُدرك إلّا بالذوق؛ و لا يمكن إقامة الدلاله المنطقيه عليه؛ و هو بمنزله جاريتين:

إحداهما بيضاء مشربه حمرة دقيقه الشفتين نقيه الثغر كحلاء العينين أسيله الخد دقيقه الأنف معتدله القامه؛

و الأخرى دونها فى هذه الصفات و المحاسن، لكنّها أهلكى فى العيون و القلوب منها و أليق و أصلح، و لا يُدرى لأى سبب كان ذلك، و لكنه

ص: ٤٨

بالذوق و المشاهده يُعرف، و لا يمكن تعليقه؛ و هكذا الكلام.

نعم يبقى الفرق بين الموضوعين أنّ حُسن الوجوه و ملاحظتها و تفضيل بعضها على بعض يدركه كلُّ من له عينٌ صحيحة؛ و أمّا الكلامُ فلا يعرفه إلّا أهلُ الذوق؛ و ليس كلُّ من اشتغل بالنحو و اللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق و ممّن يصلح لانتقاد الكلام؛ و إنّما أهل الذوق، هم الذين اشتغلوا بعلم البيان و راضوا أنفسهم بالرسائل و الخطب و الكتابه و الشعر و صارت لهم بذلك دُرْبَه (١) و ملكه تامه؛ فإلى أولئك ينبغي أن ترجع في معرفه الكلام و فضل بعضه على بعض، إن كنتَ عادماً لذلك من نفسك. (٢)

٩- برهانٌ لطيف لصحه نهج البلاغه بتمامه

تصدّى المؤلف في شرح خطبه ١٨٤ للإستدلال على صحه جميع ما أورده الرضى رحمه الله في النهج؛ فنقل أولاً كلاماً من ابن أبى الشَّخْبَاء العسقلانى (٣) ثمّ تعقّب به برهان لطيف، فإليك نصّه:

قلت: و قد شَغَفَ الناسُ فى المواعظ بكلام كاتبٍ محدثٍ يُعرف بابن أبى الشَّخْبَاء العسقلانى، و أنا أورد هاهنا خطبه من مواعظه هى أحسن ما وجدته له ليُعلمَ الفرق بين الكلام الأصيل و المولّد:

ص: ٤٩

١- . الدربه: العاده.

٢- . شرح الحديدى، ج ٧، ص ٢١١، (مصر) و ص ١٤٤، (الأعلمى).

٣- . ابن أبى الشَّخْبَاء (المتوفى سنه ٤٨٢ هـ) الحسن بن عبد الصمد بن أبى الشَّخْبَاء العسقلانى، أبو على، و يقال له الشيخ المجيد: منشئ، له خطب و رسائل جیده، أصله من عسقلان، و قتل بالقاهره مسجوناً. و له نظم فى «ديوان» رآه ابن خلكان. سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٥٨٧.

«أَيُّهَا النَّاسُ، فَكُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ حَلَقَاتِ الْأَمَالِ الْمُتَعَبَةِ، وَخَفِّفُوا ظُهُورَكُمْ مِنَ الْأَصَارِ الْمُسْتَحْقَبَةِ، وَلا تَسِيمُوا أَطْمَاعَكُمْ فِي رِيَاضِ الْأَمَانِيِّ الْمُتَشَعَّبَةِ، وَلا تُتَمِيلُوا صِيَّغَوَكُمْ إِلَى زَبَارِجِ الدُّنْيَا الْمُحِبَّبَةِ، فَتُظَلَّ أَجْسَامَكُمْ فِي هَشَائِمِهَا عَامِلَهُ نَصِبِهِ. أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ طِبَاعَهَا عَلَى الْغَدْرِ مَرَكَّبَةٌ، وَأَنَّهَا لِأَعْمَارِ أَهْلِهَا مُنْتَهَبَةٌ، وَلِمَا سَاءَ هُمْ مُنْتَظَرُهُ مَرْتَقِبَةٌ، فِي هَبَّتِهَا رَاجِعُهُ مُتَعَقِّبَةٌ. فَانضُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ رُكَّابِ الْإِعْتِبَارِ مُشْرِقَهُ وَمَغْرَبَهُ، وَاجْرُوا خِيُولَ التَّفَكُّرِ مُصْعَدَهُ وَمُصَوِّبَهُ. هَلْ تَجِدُونَ إِلَّا قُصُورًا عَلَى عُرُوشِهَا خَرِبَهُ، وَدِيَارًا مُعْطَشَهُ مِنْ أَهْلِهَا مُجْدِبَهُ. أَيْنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الْمُتَشَعَّبَةِ، وَالْجَبَابِرَةِ الْمَاضِيَةِ الْمُتَغَلَّبَةِ، وَالْمُلُوكِ الْمُعْظَمَةِ الْمُرَجَّبَةِ، أَوْلُوا الْحَفْدَةَ وَالْحَجَبَةَ وَالزَّخَارِفَ الْمُعْجِبَةَ وَالْجِيُوشَ الْجَرَارَةَ اللَّجِيَّةَ وَالْخِيَامَ الْفَضْفَاضَةَ الْمُطَنَّبَةَ وَالْجِيَادَ الْأَعُوجِيَّةَ الْمُجَنَّبَةَ وَالْمِصَاعِبَ الشَّدَقَمِيَّةَ الْمُصَحَّبَةَ وَاللَّدَانَ الْمُثَقَّفَةَ الْمُدْرَبَةَ وَالْمَازِيَةَ الْحَصِينَةَ الْمُنْتَخَبَةَ، طَرَقَتْ وَاللَّهُ خِيَامَهُمْ غَيْرَ مُنْتَهَبَةٍ وَأَزَارَتَهُمْ مِنَ الْأَسْقَامِ سِيُوفًا مُعْطَبَةَ وَسَيَّرَتْ إِلَيْهِمُ الْأَيَّامَ مِنْ نُوبِهَا كِتَابَ مَكْتَبِهِ، فَأَصْبَحَتْ أَظْفَارُ الْمُنِيهِ مِنْ مُهْجِهِمْ قَانِيَهُ مُخْتَضَّبَةً، وَغَدَتْ أَصْوَاتُ النَّادِبَاتِ عَلَيْهِمْ مَجْلِبَةً، وَأَكَلَتْ لِحُومَهُمْ هَوَامَّ الْأَرْضِ السَّغِيَّةِ ثُمَّ إِنَّهُمْ مَجْمُوعُونَ لِيَوْمٍ لَا يُقْبَلُ فِيهِ عِذْرٌ وَلا مَعْتَبَةٌ، وَتَجَاوَزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَانَتْ مَكْتَسِبَةً فَسَعِيدُهُ مَقْرَّبَهُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مَثُوبَةٌ وَشَقِيَّتُهُ مُعَذَّبَةٌ فِي النَّارِ مَكْبُكَبَةٌ» (١).

هذه أحسن خطبه خطبها هذا الكاتب، وهي كما تراها: ظاهرة التكلّف، بينه التوليد، تخطب على نفسها. وإنما ذكرت هذا، لأن كثيراً من أرباب الهوى يقولون: «إن كثيراً من نهج البلاغه كلامٌ مُحدَثٌ صنعه قومٌ من

ص: ٥٠

١- . إنتهى كلام العسقلانى.

فَصِيحَاءِ الشَّيْعَةِ». و ربما عَزَّوَا بَعْضُهُ إِلَى الرَّضِيِّ أَبِي الْحَسَنِ وَ غَيْرِهِ؛ وَ هُوَ لَاءُ قَوْمِ أَعْيَتِ الْعَصِيَّةِ أَعْيُنُهُمْ، فَضَلُّوا عَنِ «النَّهْجِ الْوَاضِحِ» وَ رَكِبُوا «بَيِّنَاتِ (١) الطَّرِيقِ» ضَلَالًا وَ قَلَّهَ مَعْرِفَهُ بِأَسَالِيبِ الْكَلَامِ، وَ أَنَا أَوْضَحُ لَكَ بِكَلَامٍ مُخْتَصِرٍ مَا فِي هَذَا الْخَاطِرِ مِنَ الْغَلَطِ فَأَقُولُ:

لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ كُلُّ «نَهْجِ الْبَلَاغَةِ» مَصْنُوعًا مَنحُولًا أَوْ بَعْضُهُ؛ وَ الْأَوَّلُ بَاطِلٌ بِالضَّرُورَةِ، لِأَنَّا نَعْلَمُ بِالتَّوَاتُرِ صِحَّةَ إِسْنَادِ بَعْضِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ قَدْ نَقَلَ الْمُحَدِّثُونَ كُلُّهُمْ أَوْ جُلُومَهُ وَ الْمُؤَرِّخُونَ كَثِيرًا مِنْهُ، وَ لَيْسُوا مِنَ الشَّيْعَةِ لِيُنْسَبُوا إِلَى غَرَضٍ فِي ذَلِكَ.

وَ الثَّانِي يَدُلُّ عَلَى مَا قَلْنَا؛ لِأَنَّ مَنْ قَدِ أَنْسَ بِالْكَلامِ وَ الْخُطَابَةِ وَ شَدَا طَرْفًا مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ وَ صَارَ لَهُ ذَوْقٌ فِي هَذَا الْبَابِ، لَا بَدَّ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الْكَلَامِ الرِّكِيكِ وَ الْفَصِيحِ وَ بَيْنَ الْفَصِيحِ وَ الْأَفْصَحِ وَ بَيْنَ الْأَصِيلِ وَ الْمُؤَلَّدِ وَ إِذَا وَقَفَ عَلَى كَرَّاسٍ وَاحِدٍ يَتَضَمَّنُ كَلَامًا لَجْمَاعِهِ مِنَ الْخُطَبَاءِ أَوْ لِاثْنَيْنِ مِنْهُمْ فَقَطْ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَفَرِّقَ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ وَ يُمَيِّزَ بَيْنَ الطَّرِيقَتَيْنِ. أَلَا تَرَى أَنَّا مَعَ مَعْرِفَتِنَا بِالشَّعْرِ وَ نَقْدِهِ لَوْ تَصَفَّحْنَا دِيوانَ أَبِي تَمَّامٍ، (٢) فَوَجَدْنَاهُ قَدْ كَتَبَ فِي أَثْنَائِهِ قِصَائِدَ أَوْ قِصِيدَهُ وَاحِدَهُ لغيره لَعَرَفْنَا بِالذَّوْقِ مُبَايَنَتَهَا لِشَعْرِ أَبِي تَمَّامٍ وَ نَفْسِهِ وَ طَرِيقَتِهِ وَ مَذْهَبِهِ فِي الْقَرِيضِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ بِهَذَا الشَّانِ

ص: ٥١

- ١- . يقال: ركب بنيات الطريق، أي ضل؛ و أصل البنيات: الطرق الصغار، ثم أطلقت على الترهات.
- ٢- . أبو تَمَّامٍ (١٨٨- ٢٣١ هـ) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي: الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسوريه) و رحل إلى مصر، و استقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازته و قدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. كان أسمر طويلًا، فصيحًا، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيره، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزه من أراجيز العرب غير القصائد و المقاطيع. في شعره قوه و جزاله. له تصانيف منها: «فحول الشعراء» و «ديوان الحماسه» و...
الأعلام، ج ٢، ص ١٦٥.

حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحوه إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر و كذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه و لا من شعره و كذلك غيرهما من الشعراء و لم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة.

و أنت إذا تأملت «نهج البلاغه» وجدته كله «ماءً واحداً و نفساً واحداً و أسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذى ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض فى الماهية؛ و كالقرآن العزيز أوله كأوسطه و أوسطه كآخره و كلُّ سورة منه و كلُّ آية مماثله فى المأخذ و المذهب و الفنّ و الطريق و النظم لباقي الآيات و السُّور». و لو كان بعض «نهج البلاغه» منحولاً و بعضه صحيحاً، لم يكن ذلك كذلك. فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح: ضلالٌ من زعم أنّ هذا الكتاب أو بعضه منحوّلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

و اعلم أنّ قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبيل له به، لأننا متى فتحنا هذا الباب و سلطنا الشكوك على أنفسنا فى هذا النحو، لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله أبداً؛ و ساغ لطاعن أن يطعن و يقول: «هذا الخبر منحوّلٌ و هذا الكلام مصنوعٌ»؛ و كذلك ما نُقل عن أبي بكر و عمر من الكلام و الخطب و المواعظ و الأدب و غير ذلك؛ و كلُّ أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبي و الأئمة الراشدين و الصحابه و التابعين و الشعراء و المترسلين و الخطباء، فلناصرى أمير المؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغه و غيره، و هذا واضح. (١)

ص: ٥٢

١- . شرح الحديدى، ج ١٠، ص ١٢٦، (مصر) و ٣٠٢، (الأعلمى).

قال الحديدي عند شرحه خطبه ٢١٦ التي خطبها الإمام عليه السلام بعد قراءه سوره «الهاكم التكاثر»، ما هذا لفظه:

هذا موضع المثل: «ملعاً (١) يا ظليم، وإلاً فالتخويه».

من أراد أن يعظ ويخوف ويقرع صفاء القلب، ويعرف الناس قدر الدنيا وتصرفها بأهلها، فليأت بمثل هذه الموعظه في مثل هذا الكلام الفصيح، وإلاً فليمسك؛ فإن السكوت أستر، والعنى خير من منطق يفضح صاحبه.

ومن تأمل هذا الفصل، علم صدق معاويه في قوله فيه: «و الله ما سنّ الفصاحه لقريش غيره». وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبه في مجلس وتلى عليهم، أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدى بن الرقاع:

..... قلم أصاب من الدواهد (٢)

فلما قيل لهم في ذلك، قالوا: «إننا نعرف مواضع السجود في الشعر، كما تعرفون مواضع السجود في القرآن».

وإني لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع الأسود والنمور وأمثالهما من السباع الضارية، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه، إذا أراد الموعظه بكلام يدل على أن طبعه مشاكل

ص: ٥٣

١- . الملح: السير السريع، ويقال: خوّى الطائر؛ إذا أرسل جناحيه.

٢- . صدره: تزجى أغنّ كان إبره روقه.

لطباع الرهبان لابسى المسوح (١) الذين لم يأكلوا لحماً ولم يريقوا دماً؛ فتارة يكون فى صورهِ بسطام بن قيس الشيبانى وعتيبه بن الحارث اليربوعى و عامر بن الطفيل العامرى؛ و تارة يكون فى صورهِ سقراط الحبر اليونانى و يوحنا المعمدان الإسرائيلى و المسيح بن مريم الإلهى.

و أقسم بمن تقسم الأمم كلها به، لقد قرأت هذه الخطبه منذ خمسين سنه و إلى الآن أكثر من ألف مره، ما قرأتها قط إلا و أحدثت عندى روعه و خوفاً و عظه، و أثرت فى قلبى و جيباً، و فى أعضائى رعداً، و لا تأملتها إلا و ذكرت الموتى من أهلى و أقاربى و أرباب وُدّى، و خيلت فى نف-سى أتى أنا ذلك الشخص الذى وصف عليه السلام حاله.

و كم قد قال الواعظون و الخطباء و الفصحاء فى هذا المعنى، و كم وقفت على ما قالوه و تكرر وقوفى عليه، فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام فى نفسى. فإما أن يكون ذلك لعقيدتى فى قائله، أو كانت نيه القائل صالحه و يقينه كان ثابتاً و إخلاصه كان محضاً خالصاً، فكان تأثير قوله فى النفوس أعظم، و سريان موعظته فى القلوب أبلغ. (٢)

١١- فِراسه نبويه

قال الشارح الحديدى واصفاً كلام الإمام عليه السلام إلى معاويه فى ضمن رساله ١٠: «وَ كَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعًا مِنْ أَل-ضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ وَ الْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَ مَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ هِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ» ما هذا نصه:

ص: ٥٤

١- . ثياب من الصوف.

٢- . شرح الحديدى، ج ١١، ص ١٥٣، (مصر) و ص ١٠٥، (الأعلمى).

و اعلم أنّ قوله: «و كآنى بجماعتك...» إمّا أن يكونَ فراسهً نبويهً صادقّه و هذا عظيمٌ، و إمّا أن يكونَ إخباراً عن غيبٍ مفصّل و هو أعظم و أعجب؛ و على كلا الأمرين فهو غاية العجب. (١)

١٢- من معالى كلماته عليه السلام

قال المؤلف توضيحاً لعباره قصيره فصيحاه كتبها الإمام عليه السلام فى ضمن أحد أجوبته إلى معاويه (كتاب ٢٨): «...فإننا صنائع ربنا و الناس بعد صنائع لنا...» ما هذا لفظه:

هذا كلامٌ عظيمٌ، عالٍ على الكلام، و معناه عالٍ على المعانى.

و صنيعه المليك من يصطنعه الملك و يرفع قدره. يقول: ليس لأحد من البشر علينا نعمه، بل الله تعالى هو الذى أنعم علينا، فليس بيننا و بينه واسطه و الناس بأسرهم صنائعنا، فنحن الواسطه بينهم و بين الله تعالى. و هذا مقامٌ جليلٌ، ظاهره: ما سمعت، و باطنه: أنهم عبيد الله و أنّ الناس عبيدهم. (٢)

١٣- فصاحه على عليه السلام

قال أيضاً عند شرحه كتاب ٣٥ الذى كتبه الإمام عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبى بكر ما هذا كلامه:

ص: ٥٥

١- شرح الحديدى، ج ١٥، ص ٨٣، (مصر) و ص ٦٠، (الأعلمى).

٢- شرح الحديدى، ج ١٥، ص ١٩٤، (مصر) و ص ١٣٢، (الأعلمى).

أنظر إلى الفصاحه كيف تعطى هذا الرجل قيادها، و تملكه زمامها؛ و اعجب لهذه الألفاظ المنصوبه يتلو بعضها بعضاً، كيف تواتيه و تطاوعه، سَيْلِسَه سَهْلَه، تتدفق من غير تعسفٍ و لا تكلفٍ، حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال: «يَوْمًا وَاحِدًا وَ لَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا». و أنت و غيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبه، جاءت القرائن و الفواصل تارة مرفوعه و تارة مجروره و تارة منصوبه؛ فإن أرادوا قَـسَرَهَا بِأَعْرَابٍ وَاحِدٍ، ظهر منها في التكلف أثر بيّن و علامه واضحه؛ و هذا الصنف من البيان، أحد أنواع الإعجاز في القرآن، ذكره عبد القاهر، قال: «انظر إلى سوره النساء و بعدها سوره المائده، الأولى منصوبه الفواصل و الثانيه ليس فيها منصوب أصلاً؛ و لو مزجت إحدى السورتين بالأخرى، لم تمتزجا، و ظهر أثر التركيب و التأليف بينهما».

ثم إن فواصل كل واحدٍ منهما تنساق سياقه بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعه التكلفيه.

ثم انظر إلى الصفات و الموصوفات في هذا الفصل، كيف قال: «ولداً ناصحاً» و «عاملاً كادحاً» و «سيفاً قاطعاً» و «ركناً دافعاً»؛ لو قال: (ولدا كادحا) و (عاملاً ناصحاً) و كذلك ما بعده، لما كان صواباً و لا في الموقع واقعاً. فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسه و الخصائص الـشريفه، أن يكون غلاماً من أبناء عرب مكه، ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء و خرج أعرف بالحكمه و دقائق العلوم الإلهيه من «أفلاطون» و «أرسطو»، و لم يعاشر أرباب الحكم الخلقيه و الآداب النفسانيه؛ لأن قريشاً لم يكن أحد منهم مشهوراً بمثل ذلك، و خرج أعرف بهذا الباب من «سقراط». و لم يُربّب بين الشجعان؛ لأن أهل مكه كانوا ذوى تجاره، و لم يكونوا ذوى

حرب؛ و خرج أشجع من كلِّ بشرٍ م-شى على الأرض. قيل ليخلف الأحمر: أيما أشجع: عنبسه و بسطام أم على بن أبي طالب؟ فقال: إنما يُذكر عنبسه و بسطام مع البشر و الناس، لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة. فقيل له: فعلى كل حال؟ قال: والله لو صاح في وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما.

و خرج أفصح من سحبان و قس، و لم تكن قريش بأفصح العرب، كان غيرها أفصح منها. قالوا: أفصح العرب جرهم و إن لم تكن لهم نباهه.

و خرج أزهد الناس في الدنيا و أعفهم، مع أن قريشاً ذوو حرص و محبة للدنيا؛ و لا غرو فيمن كان محمد مربيه و مخرجه، و العناية الإلهية تمدّه و ترفده أن يكون منه ما كان. (١)

١٤- صحه نهج البلاغه بتمامه

إن أهالي يمن و قبيله ربيعه تعاهدوا على التعاون في دفع المعاندين، و كتب لهم رساله التعاهد أمير المؤمنين عليه السلام، فتكون هذه الكتابه تقريراً و تأييداً لهذه المعاهده؛ إلا أن هناك مانعاً و هو الحديث المنسوب إلى النبي على عدم مشروعيه عهد و حلف جديد في الإسلام. و لذا قام الشارح بدفع هذا المانع محتجاً بفعل الإمام عليه السلام هذا، فإليك كلامه:

و اعلم أنه قد ورد في الحديث عن النبي: «كل حلف كان في الجاهليه فلا يزيده الإسلام إلا شدة، و لا حلف في الإسلام»؛

لكن فعل أمير المؤمنين عليه السلام أولى بالإتباع من خبر الواحد؛ و قد تحالفت

ص: ٥٧

١- . شرح الحديدى، ج ١٦، ص ١٤٥، (مصر) و ص ٣٠١، (الأعلمى).

العرب في الإسلام مراراً. و من أراد الوقوف على ذلك، فليطلبه من كتب التواريخ. (١)

أقول: استظهر الشارح الخوئي رحمه الله من هذه العبارة، علم الحديدى بصدور تمام نهج البلاغه عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ فأليك لفظه: «هذه الجملة تدل على أن ما ذكره الرضى رحمه الله في نهجه كان معلوم الصدور حتى عند أمثال أبي الحديد المتأخر عن عصره بما يقرب من قرنين؛ فتدبر». (٢)

١٥- إحدى كلماته عليه السلام العديمه النظير

قال الحديدى فى ذيل كلام الإمام عليه السلام حين أرسل عبد الله بن العباس إلى الخوارج و وصاه ب-: «لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَلٌ ذُو وُجُوهِ...» (٣) ما هذا نصه:

هذا الكلام لا- نظير له فى شرفه و علو معناه، و ذلك: أن القرآن كثير الإشتباه، فيه مواضع يُظنُّ فى الظاهر أنها متناقضة متنافيه، نحو قوله: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...» (٤) و قوله: «إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» (٥) و نحو قوله: «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سِدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سِدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهْمَ لَيْ-بِصْرُونَ» (٦) و قوله: «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى...» (٧) و نحو ذلك و هو كثير جداً.

ص: ٥٨

- ١- . شرح الحديدى، ج ١٨، ص ٦٧، (مصر) و ص ٢٤٢، (الأعلمى).
- ٢- . منهاج البراعه، ج ٢٠، ص ٤٠٤.
- ٣- . القسم الثانى من النهج رقم ٧٧.
- ٤- . الأنعام، ١٠٣.
- ٥- . القيامة، ٢٣.
- ٦- . يس، ٩.
- ٧- . فصلت، ١٧.

و أما السِّينَةُ فليست كذلك، و ذلك: لأنَّ الصحابه كانت تسأل رسول الله و تستوضح منه الأحكام فى الوقائع، و ما عساه يشتهبه عليهم من كلامه، يراجعونه فيه و لم يكونوا يراجعونه فى القرآن إلَّا فيما قلَّ، بل كانوا يأخذونه منه تَلَقُّفًا و أكثرهم لا يفهم معناه، لا لأنه غير مفهوم، بل لأنهم ما كانوا يتعاطون فهمه إما إجلالاً له أو لرسول الله أن يسألوه عنه أو يجرونه مجرى الأسماء الشريفة التى إنما يراد منها بركتها لا الإحاطه بمعناها؛ فلذلك كثر الإختلاف فى القرآن.

و أيضاً فإنَّ ناسخه و منسوخه أكثر من ناسخ السنه و منسوخها... (١).

ص: ٥٩

١- . شرح الحديدى، ج ١٨، ص ٧١، (مصر) و ص ٢٤٤، (الأعلمى).

الفصل الثاني: فيما يتعلق بـ «علي بن أبي طالب عليه السلام»

أشاره

ص: ٦١

١- كُنْيَةُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْمُهُ

هو أبو الحسن عليّ بن أبي طالب - واسمه عبد مناف - بن عبد المطلب - واسمه شيبه - بن هاشم - واسمه عمرو - بن عبد مناف بن قصي.

الغالب عليه عليه السلام من الكنية أبو الحسن، و كان ابنه الحسن عليه السلام يدعوه في حياه رسول الله أبا الحسين و يدعوه الحسين عليه السلام أبا الحسن، و يدعوان رسول الله أباهما، فلما تُوفّي النبي دعواه بأبيهما.

و كُنْيَاهُ رَسُولُ اللَّهِ أبا تراب، و جده نائماً في تراب، قد سقط عنه رداؤه و أصاب التراب جسده، فجاء حتى جلس عند رأسه، و أيقظه، و جعل يمسح التراب عن ظهره و يقول له: «اجلس إنَّما أنت أبو تراب».(١)

ص: ٦٣

١- . روايه الخبر كما في صحيح البخاري، صفحه ٩٠٧ في كتاب فضائل الصحابه، باب ٣٧ بسنده عن عبد الله ابن مسلمه: أن رجلا جاء إلى سهل بن سعد، فقال: هذا فلان - لأمير ال-مدين-ه - يدع-و علياً عند المنبر، قال: فيقول ما ذا؟ قال: يقول له: أبو تراب. فضحك، قال: و الله ما سمّاه إلّا النبيّ صلّى الله عليه و سلم، و ما كان له اسم أحبّ إليه. فاستطعت الحديث سهلاً، و قلت: يا أبا عباس، كيف؟ قال: دخل على علي فاطمه، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبيّ صلّى الله عليه و سلم: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، و خلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: «اجلس يا أبا تراب» مرتين.

فكانت من أحبّ كناه إليه ، و كان يفرح إذا دُعي بها. و كانت تُرغّب بنو أميه خطباءها أن يسبوه بها على المنابر و جعلوها نقيصه له و وصفه عليه،(١) فكأنما كسوه بها الحليّ و الحُلل، كما قال الحسن البصريّ رحمه الله .

و كان اسمه الأول الذي سمّته به أمّه «حيدر» ، باسم أبيها أسد بن هاشم. و «الحيدر» الأسد؛ فغيّر أبوه اسمه و سمّاه علياً. و قيل إنّ «حيدر» اسمٌ كانت قريش تُسمّيه به. و القول الأول أصحّ؛ يدل عليه خبره يوم برز إليه مَرَحِب و ارتجز عليه فقال:

أنا الذي سمّنتي أمي مرحباً

فأجابه عليه السلام رجزاً:

أنا الذي سمّنتي أمي حيدر

و رجزهما معاً مشهورٌ منقولٌ، لا حاجة لنا الآن إلى ذكره.(٢)

٢- مولد عليّ عليه السلام

و اختلف في مولد عليّ عليه السلام أين كان؟ فكثيرٌ من الشيعة يزعمون أنّه ولد في الكعبة؛ و المحدثون لا يعترفون بذلك، و يزعمون أنّ المولود في الكعبة

ص: ٦٤

١- قال في إحقاق الحق، ج ٣٣، ص ٢٢٦: قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: كان بنو أميه تنقص عليا عليه السلام بهذا الاسم الذي سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، و يلعنوه على المنبر بعد الخطبه مده ولا يتهم و كانوا يستهزؤن به و انما استهزؤا بالذي سماه به و قد قال الله تعالى: «قُلْ أَبِاللّهِ وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤْنَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ».

٢- شرح الحديدي، ج ١، ص ١١، (مصر) و ص ١٨، (الأعلمي).

«حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي».(١)

أقول: إن للحديدي هنا ثلاثة دعاوى: ذهاب قليل من الشيعة إلى عدم تولد الإمام عليه السلام في الكعبة، وعدم ذهاب أحد من محدثي العامة إليه، وتولد حكيم بن حزام في الكعبة؛ وكلها مردودة.

أما الأول: فلأنه لم يعرف أحد من الشيعة قائل بتولده عليه السلام في مكان غيرها.

و أما الثاني: فعدم اطلاعه الواسع واستقصائه التام حمله على هذا القول. ويكفي في رده ما أورده المحدث الشهير أعني الحاكم النيشابوري الشافعي حيث قال: «قد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة».(٢)

وقال الحافظ الكنجي الشافعي بعد روايته مقاله الحاكم النيشابوري: «و لم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك وإجلالاً لمحلته في التعظيم».(٣)

و صرح المسعودي بذلك وقال: «كان مولده في الكعبة».(٤)

ص: ٦٥

١- شرح الحديدي، ج ١، ص ١٤، (مصر) و ص ٢٠، (الأعلمي). حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى (م ٥٤ هـ)، أبو خالد، صحابي قرشي و هو ابن أخي خديجه أم المؤمنين. كان صديقاً للنبي صلى الله عليه و سلم قبل البعثة و بعدها. و عمر طويلاً، قيل ١٢٠ سنة. و كان من سادات قريش في الجاهلية و الإسلام، عالماً بالنسب. أسلم يوم الفتح، و فيه الحديث يومئذ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، و من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن» له في كتب الحديث ٤٠ حديثاً. توفي بالمدينة. الأعلام، ج ٢، ص ٢٦٩.

٢- المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ٥٥٠، ح ٦٠٤٤.

٣- كفايه الطالب، ص ٤٠٧.

٤- مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٤٧.

و بحث العلامة الأمينى رحمه الله عن ذلك مفصلاً، و نقل من ٢٠ مصدراً من مصادر العامه ولادته فى الكعبه (١).

و أما الثالث: فبعد إجماع الشيعة و تواتر محدثى العامه - بشهاده الحاكم - فمن المقطوع أنّ بنى أميه وضعوا هذا التّوهم لينقصوا فضيله مخصوصه من فضائل الإمام عليه السلام .

٣- سنُّ على عليه السلام عند المبعث

و اختلف فى سنّه حين أظهر النبىّ الدعوه، إذ تكامل له أربعون سنه. فالأشهرُ من الروايات: أنّه كان ابن ع-شر و كثيرٌ من أصحابنا المتكلمين يقولون: أنّه كان ابن ثلاث ع-شره سنه؛ ذكر ذلك شيخنا أبو القاسم البلخى و غيره من شيوخنا.

و الأولون يقولون: إنّهُ قُتل و هو ابن ثلاث و ستين سنه، و هؤلاء يقولون: ابن ستّ و ستين؛ و الروايات فى ذلك مختلفه.

و من الناس من يزعم أنّ سنّه كانت دون العشر، و الأكثر الأظهرُ خلاف ذلك. (٢).

٤- ولاده على عليه السلام على الفطره

إنّ الشارح عقد لشرح خطبه ٥٦ سبعة مسائل، و بحث فى المسأله الخامسه

ص: ٦٦

١- . الغدير، ج ٦، ص ٢١. راجع للزياده على ذلك: إحقاق الحق، ج ٥، ص ٥٦ و ج ٧، ص ٤٨٦ و ج ١٧، ص ٣٦٤ و ج ٣٠، ص ١٧٥.

٢- . شرح الحديدى، ج ١، ص ١٤، (مصر) و ص ٢٠، (الأعلمى).

عن قول الإمام عليه السلام الدّال على تولّده على الفطره أعنى: «...فَأَمَّا السَّبُّ فَسَيُؤْنِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَ لَكُمْ نَجَاةٌ وَ أَمَّا الْبِرَاءَةُ فَلَا تَتَّبِعُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَ سَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَ الْهَجْرَةِ»، فإليك أصله:

المسألة الخامسة أن يقال: كيف علل نهيهم على البراءة منه عليه السلام بقوله: «فإني ولدت على الفطره»، فإن هذا التعليل لا يختص به عليه السلام، لأنّ كلّ أحدٍ يولد على الفطره؛ قال النبي: «كلّ مولودٍ يولد على الفطره و إنّما أبواه يهودانه و ينصرانه».

و الجواب: أنه عليه السلام علل نهيهم عن البراءة منه بمجموع أمورٍ و علل، و هي: كونه وُلد على الفطره و كونه سبق إلى الإيمان و الهجره؛ و لم يعلل بأحد هذا المجموع.

و مرادُه هاهنا بالولاده على الفطره: أنه لم يولد في الجاهليه؛ لأنّه وُلد عليه السلام لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل و النبي أُرسِل لأربعين سنه مضت من عام الفيل؛ و قد جاء في الأخبار الصحيحه: «أنّه مكث قبل الرساله سنين عشرين عشرين يسمع الصوت و يرى الضوء و لا يخاطبه أحدٌ»؛ و كان ذلك إرهاباً (1) لرسالته عليه السلام؛ فحكّم تلك السنين العشر حكّم أيام رسالته؛ فالمولود فيها إذا كان في حجره و هو المتولّى لتربيته، مولودٌ في أيام كأيام النبوه و ليس بمولود في جاهليه محضه؛ ففارق حاله حال من يدعى له من الصحابه مماثلته في الفضل.

و قد روى: أنّ السنه التي وُلد فيها عليّ عليه السلام هي السنه التي بدئ فيها برساله رسول الله، فأسمع الهتاف من الأحجار و الأشجار، و كشف عن

ص: ٦٧

١- . الإرهاص: الدلاله.

بصره، فشهد أنواراً وأشخاصاً، و لم يخاطب فيها بشىء.

و هذه السِّنة هي السِّنة التي ابتدأ فيها بالتبُّل و الانقطاع و العزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة، و أنزل عليه الوحى، و كان رسول الله يتيمَّن بتلك السنة و بولاده علىَّ عليه السلام فيها، و يسمِّيها سنَّة الخير و سنَّة البركة، و قال لأهله ليله ولادته - و فيها شاهد ما شاهد من الكرامات و القدره الإلهيه و لم يكن من قبلها شاهدٌ من ذلك شىء - : «لقد وُلد لنا الليلة مولودٌ يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة و الرحمة». و كان كما قال ، فإنَّه عليه السلام كان ناصره و المحامى عنه و كاشف الغماء عن وجهه؛ و بسيفه ثبت دينُ الإسلام و رست دعائمه و تمهدت قواعده.

و فى المسألة تفسير آخر و هو: أن يعنى بقوله عليه السلام : «فانى ولدت على

الفطره»، أى على الفطره التي لم تتغيَّر و لم تحل؛ و ذلك أن معنى قول النبي : «كلُّ مولودٍ يُولد على الفطره»، أن كلَّ مولودٍ فإن الله تعالى قد هيأه بالعقل الذى خلقه فيه و بصحة الحواس و المشاعر، لأن يعلم التوحيدَ و العدلَ، و لم يجعل فيه مانعاً يمنعه عن ذلك؛ و لكن التربيه و العقيدته فى الوالدين و الإيلف لاعتقادهما و حسن الظنَّ فيهما يصدُّه عما فطر عليه. و أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره، وُلد على الفطره التي لم تحل و لم يصدَّ عن مقتضاها مانعٌ، لا من جانب الأبوين و لا من جهه غيرهما. و غيره وُلد على الفطره و لكنَّه حالٌ عن مقتضاها و زال عن موجبها.

و يمكن أن يفسر: بأنَّه عليه السلام أراد بالفطره العصمة، و أنَّه منذ وُلد لم يواقع قبيحاً، و لا كان كافراً طرفه عينٍ قطُّ، و لا مُخطئاً و لا غلطاً فى شىءٍ من الأشياء المتعلقة بالدين؛ و هذا تفسير الإماميه. (١)

ص: ٦٨

١- . شرح الحديدي، ج ٤، ص ١١٤، (مصر) و ص ٣١٨، (الأعلمي).

٥- دور أبي طالب في الإسلام

اعلم أنّ عليّاً عليه السلام كان يدعى التقدّم على الكلّ، و الشرفَ على الكلّ، و النعمةَ على الكلّ، بابتن عمّه و بنفسه و بأبيه أبي طالب؛ فإنّ من قرأ علوم السّير عرف أنّ الإسلام لو لا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً. (١)

أقول: راجع ما قبل هذه العبارة و ما بعدها، فإنّ فيهما ظرائف و دقائق حول أبي طالب.

٦- أشعار في مدح أبي طالب

بحث الحديدي في ذيل رساله ٩ عن اختلاف الرأى في إيمان أبي طالب، و نقل أحاديث في ذلك، ثم قال في آخر بحثه:

و صنّف بعض الطالبين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب، و بعثه إليّ، و سألتني أن أكتب عليه بخطي نظماً أو نثراً أشهد فيه بصحة ذلك و بوثاقه الأدله عليه؛ فتحرجت أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً، لما عندى من التوقف فيه، و لم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإنّي أعلم أنّه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، و أعلم أنّ حقّه واجبٌ على كلِّ مسلمٍ في الدنيا إلى أن تقوم الساعة. فكتبتُ على ظاهر المجلّد:

و لو لا أب-و طال-ب و ابن-ه- لما مُ-تّل الدينُ شخصاً فقاما

ف-ذاك بمك-ة آوى و ح--امى و ه-ذا يثرب جس الح-م-اما

ص: ٦٩

١- . شرح الحديدي، ج ١، ص ١٤٢، (مصر) و ص ١١٢، (الأعلمي).

تَكَ-ف-لَ عَبْدٌ مِنْ-أَفِ بِأَمْرِ-و أودى ف-ك-ان عليّ ت-م-ام-ا

فَقُلْ فِي ثَبِيرٍ م-ضَى بَع-د م-ا قَضَى م-ا قَضَى-اه و أَبْقَى شَمَامًا(١)

ف-ل-لَّهُ ذَا ف-اتِح-أ ل-ل-ه-دى و لله ذال-لم-ع-ال-ى خت-ام-ا

و م-ا ض-رَّ مَجْدَ أَبِي ط-ال-بِ جَهَوْلٌ لَغ-ا أو بصيرٌ تَع-ام-ى

كما لا يَضُرُّ إِي-اه الص-ب-اح(٢) مَنْ ظَنَّ ضَوْءَ النَّهَارِ الظَّ-لاما

فَوْقَيْتُهُ حَقَّهُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَ الإِجْلَالِ، وَ لَمْ أَجْزَمْ بِأَمْرٍ عِنْدِي فِيهِ وَقْفَةٌ(٣)

أقول: سيأتي أيضاً بعض فضائل أبي طالب فى الفصل

الثالث عند قول الشارح: و ما أقول فى رجل أبوه أبو طالب سيّد البطحاء...

٧- فاطمه بنت أسد

١. و أمّه فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن ق-صيّ، أول هاشميه ولدّت لهاشميّ.

كان عليّ عليه السلام أصغرَ بنيتها، و جعفر أسنّ منه بع-شر سنين، و عقيل أسنّ منه بع-شر سنين، و طالب أسنّ من عقيل بعش-ر سنين، و فاطمه بنت أسد أمّهم جميعاً(٤).

٢. أسلمت فاطمه بنت أسد بعد ع-شره من المسلمين، و كانت الحاديّه عشره؛ و كان رسولُ الله يكرمها و يعظّمها و يدعوها: «أمّى». و أوصت

ص: ٧٠

١- . ثبير و شمام: إسمان لجبلين.

٢- . إياه الصبح: ضوءه، و أصله فى الشمس.

٣- . شرح الحديدى، ج ١٤، ص ٨٣، (مصر) و ص ٢٧٦، (الأعلمى).

٤- . شرح الحديدى، ج ١، ص ١٣، (مصر) و ص ١٩، (الأعلمى).

إليه حين حضرتها الوفاء، فقَبِلَ وصيَّتها، و صَلَّى عليها، و نزل في لحدِّها، و اضطجع معها فيه بعد أن ألبسها قميصه. فقال له أصحابه: «إنا ما رأيناك صنعتَ يا رسول الله بأحدٍ ما صنعتَ بها»، فقال: «إنه لم يكن أحدٌ بعد أبي طالب أبرَّ بى منها، إنما ألبستها قمى -صى لثك- سى من حُلل الجنه، و اضطجعتُ معها ليهونَ عليها ضَغْطَةُ القبر».

و فاطمه أوَّل امرأه بايعت رسول الله من النساء. (١)

٣. عن سعيد بن جبیر قال: خطب عبد الله بن الزبير، فقال من عليّ عليه السلام .

فبلغ ذلك محمد بن الحنفية، فجاء إليه و هو يخطب، فوُضع له كرسيٌّ، فقطع عليه خطبته و قال:

يا معشر العرب، شاهدت الوجوه، أينتقص عليّ و أنتم حضور؟ إن علياً كان يد الله على أعداء الله، و صاعقه من أمره أرسله على الكافرين و الجاحدين لحقه، فقتلهم بكفرهم فشئتوه و أبغضوه، و أضمروا له الشنف (٢) و الحسد، و ابن عمه حتى بعد لم يمت؛ فلما نقله الله إلى جواره و أحب له ما عنده، أظهرت له رجالاً أحقادها، و شفت أضغانها. فمنهم من ابتز حقه، و منهم من ائتمر به ليقتله، و منهم من شتمه و قذفه بالأباطيل؛ فإن يكن لذريته و ناصري دعوته دوله تن -شر عظامهم و تحفر على أجسادهم، و الأبدان منهم يومئذٍ باليه، بعد أن تقتل الأحياء منهم، و تذلل رقابهم، فيكون الله عز اسمه قد عدَّ بهم بأيدينا و أخزاهم، و نصرنا عليهم، و شفا صدورنا منهم، إنه و الله ما يشتم علياً إلَّا كافرٌ يس -ر شتم رسول الله و يخاف أن يبوح به؛ فيكنى بشتم علي عليه السلام عنه. أما إنه قد تخطت المنية

ص: ٧١

١- . شرح الحديدي، ج ١، ص ١٤، (مصر) و ص ٢٠، (الأعلمي).

٢- . الشنف: البغض.

منكم من امتدَّ عمره، وسمع قول رسول الله فيه: «لا- يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (١).

فعاد ابن الزبير إلى خطبته وقال: عذرتُ بنى الفواطم يتكلمون، فما بال ابن أم حنيفه؟

فقال محمد: يا ابن أم رومان، وما لي لا أتكلم؟ وهل فاتني من الفواطم إلا واحدة ولم يفتني فخرها، لأنها أم أخوي؛ أنا ابن فاطمه بنت عمران بن عائذ بن مخزوم جده رسول الله؛ وأنا ابن فاطمه بنت أسد بن هاشم

كافله رسول الله والقائمة مقام أمه. أما والله لو لا خديجه بنت خويلد ما تركتُ في بنى أسد بن عبد العزى عظماً إلا هشمته.

ثم قام فانصرف. (٢).

٤. وروى أن علي بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا، (٣) فقال: وا عجباً، إن الله تعالى نهى رسوله أن يقتر مسلمه على نكاح كافر، وقد كانت فاطمه بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تنزل تحت أبي طالب حتى مات. (٤)

٥. و من يطيق أن يُفاخر بنى أبي طالب و أمهم فاطمه بنت أسد بن هاشم، و هي أول هاشميه ولدت لهاشمي، و هي التي ربى رسول الله في حجرها، و كان يدعوها أمي، و نزل في قبرها، و كان يُوجب حقها كما يُوجب حق الأم.

من يستطيع أن يُسامي رجالاً ولدتهم هاشم مرتين من قبل أبيهم و من قبل أمهم.

ص: ٧٢

١- . الشعراء، ٢٢٧.

٢- . شرح الحديدي، ج ٤، ص ٦٢، (مصر) و ص ٢٨٢، (الأعلمي).

٣- . أي إيمان أبي طالب. نقله الحديدي في عداد أدله إيمان أبي طالب.

٤- . شرح الحديدي، ج ١٤، ص ٦٩، (مصر) و ص ٢٦٥، (الأعلمي).

قالوا: و من العجائب أنها ولدت أربعة كل منهم أسن من الآخر بحـ شر سنين: طالب و عقيل و جعفر و عليّ. (١)

٨- أولاد علي عليه السلام

و نحن نذكر أولاده: أمّا الحسن و الحسين و زينب الكبرى و أمّ كلثوم الكبرى، فأُمُّهم فاطمه بنت سيدنا رسول الله. (٢)

و أمّا محمّد فأُمّه حوّله بنت إياس (٣) بن جعفر من بني حنيفة.

و أمّا أبو بكر و عبد الله فأُمُّهما ليلي بنت مسعود النهشليّة من تميم.

و أمّا عمر و رقيه فأُمُّهما سبّيه من بني تغلب، يقال لها: الصّهباء. سبّيت في خلافة أبي بكر و إماره خالد بن الوليد بعين التمر. (٤)

و أمّا يحيى و عون فأُمُّهما أسماء بنت عميس الخثعميّة. (٥)

و أمّا جعفر و العباس و عبد الله و عبد الرحمن (٦) فأُمُّهم أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، من بني كلاب.

و أمّا رمله و أمّ الحسن فأُمُّهما أمّ سعيد بنت عروه بن مسعود الثقفي.

ص: ٧٣

١- شرح الحديدى، ج ١٥، ص ٢٧٨، (مصر) و ص ١٩٢، (الأعلمى). قاله الحديدى فى عداد مفاخر بنى هاشم على بنى أميه.

٢- جاء فى كتب مختلفه كتاريخ الطبرى، ج ٥، ص ١٥٣: «و يذكر أنّه كان لها منه من ابن آخر يسمى محسنًا، توفى صغيرًا».

٣- فى نسب قريش: «خوله بنت جعفر بن قيس».

٤- عين التمر: بلده قريبه من أنبار، غربى الكوفه. افتتحها المسلمون فى أيام ابى بكر سنه ١٢هـ .

٥- فى إحدى روايات الطبرى أنّه أعقب منها يحيى و محمّد الأصغر.

٦- فى الطبرى و نسب قريش: «و عثمان».

و أمّا أمّ كلثوم الصغرى و زينب الصغرى و جُمانه و ميمونه و خديجه و فاطمه و أمّ الكرام و نفيسه و أمّ سلمه و أمّ أبيها و أمّامه بنت على عليه السلام فهنّ لأُمّهات أولاد شتى. (١)

٩- طعام على عليه السلام

أَكَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَلِيلًا مِنْ تَمْرٍ دَقَلٍ، (٢) وَ شَرِبَ عَلَيْهِ مَاءً، وَ أَمَرَ يَدَهُ عَلِيٌّ بَطْنَهُ وَ قَالَ: «مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ»؛ ثُمَّ تَمَثَّلَ:

فإنك مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَ-ك س-ؤل-ه و ف-رَجَّكَ ن-ال-ا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

وَ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ، عِنْدَ الْحَسَنِ لَيْلَةً وَ عِنْدَ الْحُسَيْنِ لَيْلَةً وَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لَيْلَةً، لَا يَزِيدُ عَلِيَّ اللَّقْمَتَيْنِ أَوْ الثَّلَاثِ؛ فَيَقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: «إِنَّمَا هِيَ لَيَالٍ قَلَائِلٌ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَ أَنَا خَمِيصُ الْبَطْنِ». فَضْرِبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لِعَنَةِ اللَّهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. (٣)

١٠- أشقى الآخرين

رَوَى الْمُحَدِّثُونَ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ؟».

قال: نعم، عاقِرُ نَاقِه صالِح.

قال: «أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الْآخِرِينَ؟».

قال: الله و رسوله أعلم.

ص: ٧٤

- ١- . شرح الحديدي، ج ٩، ص ٢٤٢، (مصر) و ص ١٦٢، (الأعلمي).
- ٢- . التمر الدقل: أردأ التمر.
- ٣- . شرح الحديدي، ج ١٩، ص ١٨٧، (مصر) و ص ١١٢، (الأعلمي).

قال: «مَنْ يَضْرِبُكَ عَلَي هَذِهِ حَتَّى تَخْضَبَ هَذِهِ» (١).

١١- عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ

قوله عليه السلام: «إِنَّ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلكُلِّ فَضْلٌ حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِدْنَا»، المراد هاهنا: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حمزه رضي الله عنه.

و ينبغي أن يُحْمَل قولُ النبي فيه: «إِنَّهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ»، على أَنَّهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ؛ لِأَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاتَ شَهِيدًا، وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ حَمْزُهُ سَيِّدُهُ، بَلْ هُوَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ كَلَّهِمْ. وَ لَا خِلَافَ بَيْنَ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ حَمْزَةَ وَ جَعْفَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وَ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ التَّكْبِيرِ الَّذِي كَبَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَي حَمْزِهِ فِي قِصَّةِ أُحُدٍ. (٢)

أقول: ورد في الزياره التي زار بها الإمام الصادق عليه السلام جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في السابع عشر من ربيع الأول: «..السلام عليك يا سيد الشهداء، السلام عليك يا آية الله العظمى، السلام عليك يا خامس أهل العباء...» (٣)

١٢- عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَاتِلُهُ

كان إذا رأى ابن ملجم يقول: «أريد حياتَه»، البيت. (٤)

ص: ٧٥

١- شرح الحديدي، ج ١٠، ص ٢٦٤، (مصر) و ص ٣٩٤، (الأعلمي).

٢- شرح الحديدي، ج ١٥، ص ١٩٣، (مصر) و ص ١٣١، (الأعلمي).

٣- المزار الكبير، ص ٢٠٦.

٤- يشير إلى قول عمرو بن معديكرب: أرى-دُ حيات-ه و يريدُ قَتْلِي عَدِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَاد

فَيُقَالُ لَهُ: فَاقْتُلْهُ.

فيقول: «كيف أقتل قاتلي».(١)

أقول: يعنى عليه السلام بقوله هذا: كيف يمكن ردّ القضاء الإلهي الحتمي. والله العالم.

١٣- تأريخ شهادته الإمام عليه السلام

وُقُتِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ، فِي رِوَايَةِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، وَهِيَ الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ؛ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي مَخْنَفٍ: أَنَّهَا كَانَتْ لِأَحَدِيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ وَعَلَيْهِ الشِّيْعَةُ فِي زَمَانِنَا.

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أُثْبِتُ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ. وَاللَّيْلَةُ السَّابِعَةُ ع-شْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ هِيَ لَيْلَةُ بَدْرٍ، وَكَانَتْ الرِّوَايَاتُ وَرَدَتْ أَنَّهُ يُقْتَلُ فِي لَيْلَةِ بَدْرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَبْرُهُ بِالغُرَيِّ (٢). وَمَا يَدَّعِيهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ - مِنْ الْإِخْتِلَافِ فِي قَبْرِهِ، وَ أَنَّهُ حُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَوْ أَنَّهُ دُفِنَ فِي رَحْبَةِ الْجَامِعِ، أَوْ عِنْدَ بَابِ قَصْرِ الْإِمَارَةِ، أَوْ نَدَى الْبَعِيْرِ الَّذِي حَمَلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَتْهُ الْأَعْرَابُ - بِاطْلَلٍ كُلُّهُ، لَا حَقِيْقَةَ لَهُ؛ وَ أَوْلَادُهُ أَعْرَفَ بِقَبْرِهِ، وَ أَوْلَادُ كُلِّ النَّاسِ أَعْرَفَ بِقُبُورِ آبَائِهِمْ مِنَ الْأَجَانِبِ؛ وَ هَذَا الْقَبْرُ الَّذِي زَارَهُ بَنُوهُ لَمَّا قَدِمُوا الْعِرَاقَ، مِنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ غَيْرُهُ مِنْ أَكْبَرِهِمْ وَ أَعْيَانِهِمْ.

و روى أبو الفرج في مقاتل الطالبين بإسناد ذكره هناك أنّ الحسين عليه السلام لما

ص: ٧٦

١- شرح الحديدي، ج ٢٠، ص ٢٨٤، (مصر) و ص ٤٤٤، (الأعلمي).

٢- الغري: الحسن من كل شىء، يقال: رجل غري الوجه إذا كان حسنا مليحا. والغريان: طربالان و هما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب، رضى الله عنه. معجم البلدان، ج ٤، ص ١٩٦.

سُئِلَ: أَيْنَ دَفَنْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: «خَرَجْنَا بِهِ لَيْلًا مِنْ مَنْزِلِهِ بِالْكُوفَةِ حَتَّى مَرَرْنَا بِهِ عَلَى مَسْجِدِ الْأَشْعَثِ حَتَّى انْتَهَيْنَا بِهِ إِلَى الظَّهْرِ بِجَنْبِ الْغُرَى».

و سند ذكر خبر مقتله عليه السلام فيما بعد. (١)

١٤- مقتل علي عليه السلام و وصاياه

خطبه ٦٩: و قال عليه السلام فى سحره اليوم الذى ضرب فيه: «مَلَكْتَنِي عَيْنِي وَ أَنَا جَالِسٌ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَاللَّدَدِ فَقَالَ أَذْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ أَبَدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ أَبَدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي».

قال الرضى رحمه الله : يعنى بالأود الاعوجاج، و باللدد الخصام، و هذا من أفصح الكلام.

الشرح: قوله: «ملكتنى عينى» من فصيح الكلام، يريد: غلبنى النوم. قوله: «فسنح لى رسول الله»، يريد: مرّ بى، كما تسنح الطباء و الطير يمرّ بك و يعترض لك. و «ذا» هاهنا بمعنى: الذى، كقوله تعالى: «ما ذا ترى»، (٢) أى: ما الذى ترى؛ يقول: قلت له: ما الذى لقيت من أمتك؟ و «ما» هاهنا استفهاميه كأتى. و يقال ذلك فيما يستعظم أمره، كقوله سبحانه: «القارعة ما القارعة». (٣) و «شراً» هاهنا لا يدل على أنّ فيه شراً

كقوله: «قل أ ذلك خير»

ص: ٧٧

١- شرح الحديدى، ج ١، ص ١٥، (مصر) و ص ٢١، (الأعلمى).

٢- الصافات، ١٠٢.

٣- القارعة، ١ و ٢.

أَمْ جَنَّهُ الْخُلْدِ» (١) لا يدلّ على أنّ في النار خيراً.

و يجب أن نذكر في هذا الموضوع مقتله عليه السلام . و أصحّ ما ورد في ذلك ما ذكره أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين.

قال أبو الفرج على بن الحسين بعد أسانيد ذكرها مختلفه متفرقه، تجتمع على معنى واحد نحن ذاكره:

إِنَّ نَفَرًا مِنَ الْخَوَارِجِ اجْتَمَعُوا بِمَكَّةَ فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، فَعَابَوْهُمْ وَ عَابُوا أَعْمَالَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَ ذَكَرُوا أَهْلَ التَّهْرَوَانِ، فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِمْ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَوْ أَنَا شَرِينَا أَنْفُسَنَا لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَأَتَيْنَا أُمَّهُ الضَّلَالِ، وَ طَلَبْنَا غِرَّتَهُمْ، وَ أَرْحَنَّا مِنْهُمْ الْعِبَادَ وَ الْبِلَادَ، وَ ثَارْنَا بِإِخْوَانِنَا الشُّهَدَاءِ بِالنَّهْرَوَانِ.

فتعاقدوا عند انقضاء الحجّ، فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أكفيكم علياً؛ و قال واحدٌ: أنا أكفيكم معاويه؛ و قال الثالث: أنا أكفيكم عمرو بن العاص؛ فتعاقدوا و توثقوا على الوفاء و ألا ينكل أحدٌ منهم عن صاحبه الذي يتوجّه إليه و لا عن قتله؛ و اتعدوا لشهر رمضان في الليلة التي قتل فيها ابنُ ملجم علياً.

قال أبو الفرج: قال أبو مخنف: قال أبو زهير العب-سيّ: الرجلان الآخران: البرك بن عبد الله التميمي، و هو صاحب معاويه؛ و عمرو بن بكر التميمي، و هو صاحب عمرو بن العاص.

قال: فأما صاحب معاويه فإنه قصده، فلما وقعت عينه عليه ضرب به، فوقعت ضربته على أليته؛ و أخذ، فجاء الطبيب إليه، فنظر إلى الض-ربه

فقال: إنّ السيف مسموم؛ فاختر إمّا أن أحمي لك حديدة فأجعلها في

ص: ٧٨

الضربه فتبرأ؛ وإما أن أسقيك دواءً فتبرأ و ينقطع نسلك. فقال: أما النار فلا أطيئها، و أما النسل ففي يزيد و عبد الله ما تقرُّ عيني، و حسبي بهما. فسقاه الدواء، فعوفى، و عالج جرحه حتى التأم، و لم يولد له بعد ذلك.

و قال له البرك بن عبد الله: إن لك عندي بشاره؛ قال: و ما هي؟ فأخبره خبر صاحبه و قال له: إن علياً قُتل في هذه الليلة، فاحتسني عندك، فإن قُتل فأنت ولي ما تراه في أمري، و إن لم يُقتل أعطيتك العهودَ و الموائيق أن أمضى إليه فأقتله، ثم أعود إليك فأضع يدي في يدك، حتى تحكم في بما ترى. فحبسه عنده، فلما أتى الخبر أن علياً قتل في تلك الليلة خلى سبيله.

هذه روايه إسماعيل بن راشد، و قال غيره من الرواه: بل قتله من وقته.

و أمياً صاحبُ عمرو بن العاص، فإنه وافاه في تلك الليلة، و قد وجد عله فأخذ دواء، و استخلف رجلاً يُصلّي بالناس، يقال له «خارجه بن أبي حبيبه» أحد بنى عامر بن لؤي، فخرج للصلاه، فشَدَّ عمرو بن بكر فضربه بالسيف فأثبته؛(1) و أخذ الرجل، فأتى به عمرو بن العاص، فقتله؛ و دخل من غمٍ إلى خارجه و هو وجود بنفسه؛ فقال: أما و الله يا أبا عبد الله ما أراد غيرك. قال عمرو: و لكن الله أراد خارجه.

و أما ابن مُلجم فإنه قتل علياً تلك الليلة.

قال أبو الفرج: و حدثني محمد بن الحسن الأشنانداني و غيره قال: أخبرني علي بن المنذر الطريقي قال: حدثنا ابن فضيل قال: حدثنا فطر عن أبي الطفيل قال: جمع علي عليه السلام الناس للبيعه، فجاء عبد الرحمن بن

ملجم فردّه عليّ مرتين أو ثلاثاً، ثم مدّ يده فبايعه، فقال له عليّ: ما يحبس أشقاها، فوالذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذه؛ ثم أنشد:

ص: ٧٩

١- . أثبته: أي جرحه.

أشدد حيازيمك للموت ف-إن ال-موت لاق-ى-كا

ولا تج-زع م-ن الم-وت إذا ح-ل ب--وادي-ك-ا

قال أبو الفرج: وقد روى لنا من طرق غير هذه: أنّ عليّاً أعطى الناس، فلما بلغ ابن ملجم أعطاه و قال له:

أرى-دُح-يائه وئ-ريد قتلى عذيرك من خليلك من مُراد

قال أبو الفرج: و حدّثني أحمد بن عيسى العجليّ بإسناد ذكره في الكتاب إلى أبي زهير العبسي قال:

كان ابن ملجم من مُراد و عداؤه في كِنده، فأقبل حتى قدم الكوفة، فلقي بها أصحابه و كتمهم أمره، و طوى عنهم ما تعاقده هو و أصحابه عليه بمكّه من قتل أمراء المسلمين مخافه أن ينتشر، و زار رجلاً من أصحابه ذات يوم من بني تيم الرّباب، فصادف عنده قَاطم بنت الأخصر من بني تيم الرّباب - و كان عليّ قتل أخاها و أباه بالنهروان و كانت من أجمل نساء أهل زمانها - فلما رآها شُغف بها و اشتدّ إعجابُه، فخطبها، فقالت له: ما الذي تُسَيِّم لي من الصداق؟ فقال: احتكمتي ما بدا لك. فقالت: احتكمت عليك ثلاثه آلاف درهم و وصيفاً و خادماً و أن تقتل عليّ بن أبي طالب. فقال لها: لك جميع ما سألت؛ و أمّا قتل عليّ فأنتي لي بذلك؟ قالت: تلتمس غرّته، فإن أنت قتلتَه شفيت نفسي، و هناك العيش معي، و إن قُتلت فما عند الله خيرٌ لك من الدنيا. فقال لها: أما و الله، ما أقدمني هذا المصّر، و قد كنتُ هارباً منه لآمن أهله إلّا ما سألتني من قتل عليّ.

قالت له: فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على هذا و يقويك. ثم بعثت إلى «وردان بن مجالد» أحد بني تيم الرّباب فخبرتَه الخبر، و سألتَه

معاونته ابن ملجم؛ فتحمّل لها ذلك. و خرج ابن ملجم، فأتى رجلاً من أشجع يقال له «شبيب بن بجره» و قال له: يا شبيب، هل لك في شرف الدنيا و الآخرة؟ قال:

و ما ذاك؟ قال: تساعدني على قتل عليّ. و كان شبيب على رأى الخوارج، فقال له: هبّلتك الهبول، (١) لقد جئت شيناً إذا؛ و كيف تقدر ويحك على ذلك؟ قال ابن ملجم: نكمن له فى المسجد الأعظم، فإذا خرج لصلاه الفجر، فتكنا به و شفيننا أنفسنا منه، و أدركنا ثأرنا، فلم يزل به حتى أجابه.

فأقبل به حتى دخلا- على قطام و هى معتكفه فى المسجد الأعظم، قد ضربت لها قبة، فقالا لها: قد أجمع رأينا على قتل هذا الرجل. قالت لهما: فإذا أردتما ذلك فالقياني فى هذا الموضع. فانصرفا من عندها، فلبثا أياماً ثم أتياها و معها «وردان بن مجالد» الذى كلفته مساعدة ابن ملجم، و ذلك فى ليلة الجمعة لتسع عشره ليلة خلت من رمضان سنة أربعين.

قال أبو الفرج: هكذا فى روايه أبى مخنف و فى روايه أبى عبد الرحمن السلمى أنها كانت ليلة سبع عشره من شهر رمضان.

فقال لها ابن ملجم: هذه الليلة هى التى وعدت فيها صاحبى و وعدانى أن يقتل كل واحد منا صاحبه الذى يتوجه إليه.

قلت: (٢) إنما تواعدوا بمكة: عبد الرحمن و البرك و عمرو على هذه الليلة، لأنهم يعتقدون أن قتل ولاء الجور قربة إلى الله، و أحرى القربات ما تقرب به فى الأوقات الشريفة المباركة؛ و لما كانت ليلة الجمعة التاسعة عشره من شهر رمضان ليلة شريفه يُرجى أن تكون ليلة القدر عيئوها

لفعل ما يعتقدونه قربة إلى الله. فليعجب المتعجب من العقائد كيف ت-سرى فى القلوب و تغلب على العقول، حتى يرتكب الناس عظامم الأمور و أهوال الخطوب لأجلها.

ص: ٨١

١- . الهبل: الثكل، و الهبول: المرأه الثكول.

٢- . القائل: ابن أبى الحديد.

قال أبو الفرج: فدعت لهم بحريرٍ فعصبت به صدورهم و تقلدوا سيوفهم، و مضوا فجلسوا مقابل السُّدَّة التي كان يخرج منها على عليه السلام إلى الصلاة.

قال أبو الفرج: و قد كان ابن ملجم أتى الأشعث بن قيس في هذه الليلة، فخلا به في بعض نواحي المسجد، و مرَّ بهما حُجْرُ بن عدِيّ، فسمع الأشعث و هو يقول لابن ملجم: النَّجاء النِّجاء بحاجتك، فقد فضحك الصُّبحُ. قال له حُجْر: قتلته يا أعور. و خرج مبادراً إلى عليّ، و قد سبقه ابنُ ملجم فضربه، فأقبل حجر و الناس يقولون: قُتل أمير المؤمنين.

قال أبو الفرج: و للأشعث بن قيس في انحرافه عن أمير المؤمنين أخبارٌ يطول شرحها، منها حديثٌ حدّثنيه محمد بن الحسين الأشناداني قال: حدّثني إسماعيل بن موسى قال: حدّثنا عليّ بن مسهر، عن الأجلح، عن موسى بن أبي النعمان قال: جاء الأشعثُ إلى عليّ يستأذن عليه، فردّه قنبر، فأدّى الأشعثُ أنفه، فخرج عليّ و هو يقول: ما لي و لك يا أشعث، أما و الله لو بعبد ثقيف تمّرت لاقشعرت شعيراتك. قيل: يا أمير المؤمنين و من عبد ثقيف؟ قال: غلامٌ لهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلّا أدخلهم ذلًّا. قيل: يا أمير المؤمنين كم يلي أو كم يمكث؟ قال: عشرين، إن بلغها.

قال أبو الفرج: و حدّثني محمد بن الحسين أيضا بإسناد ذكره: أنّ الأشعث دخل على عليّ فكلّمه فأغلظ عليّ له، فعرض له الأشعث أنه سيفتكك به، فقال له عليّ: أ بالموت تُخوّفني أو تهددني؟ فوالله ما أبالي

وقعتُ على الموت أو وقع الموتُ عليّ.

قال أبو الفرج: قال أبو مخنف: فحدّثني أبي عن عبد الله بن محمد الأزدي قال: إنني لأصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل الم-صر، كانوا يصلّون في ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره، إذ نظرتُ إلى رجالٍ

يصلون قريباً من السُّدِّه قِياماً و قعوداً و ركوعاً و سجوداً، ما يسأمون؛ إذ خرج عليهم عليُّ بن أبي طالب الفجر، فأقبل يُنادى: الصلاة الصلاة. فرأيتُ بريقَ السيف، و سمعتُ قائلاً يقول: الحكم لله يا عليُّ لا لك. ثم رأيتُ بريقَ سيفِ آخر، و سمعتُ صوت عليِّ عليه السلام يقول: لا يفوتنكم الرجلُ.

قال أبو الفرج: فأما بريقُ السيف الأول، فإنه كان شبيب بن بجره ضربه فأخطأه، و وقعت ضربته في الطاق؛ و أما بريقُ السيف الثاني فإنه ابن ملجم، ضربه فأثبت الضربه في وسط رأسه، و شدَّ الناس عليهما من كل ناحية حتى أخذوهما.

قال أبو مخنف: فهمدان تذكُر: أن رجلاً منهم يكنى أبا أدماء أخذ ابن ملجم.

و قال غيرهم: بل أخذه المغيرةُ بن الحارث بن عبد المطلب، طرح عليه قطيفه ثم صرعه، و أخذ السيف من يده و جاء به.

قال: و أما «شبيب بن بجره» فإنه خرج هارباً، فأخذه رجلٌ فصرعه و جلس على صدره و أخذ السيف من يده ليقتله، فرأى الناس يقصدون نحوه، فخشى أن يعجلوا عليه، فوثب عن صدره و خلاه و طرح السيف عن يده؛ و أما «شبيب بن بجره» ففاته، فخرج هارباً حتى دخل منزله، فدخل عليه ابنُ عمِّ له، فرآه يحلَّ الحرير عن صدره، فقال له: ما هذا؟

لعلك قتلت أمير المؤمنين. فأراد أن يقول لا، فقال: نعم؛ فمضى ابن عمه فاشتمل على سيفه، ثم دخل عليه فضربه حتى قتله.

قال أبو مخنف: فحدَّثني أبي عن عبد الله بن محمد الأزدي قال: أدخل ابنُ ملجم عليَّ عليه السلام، و دخلتُ عليه فيمن دخل، فسمعتُ علياً يقول: «التَّنَفَسُ بِالنَّفْسِ، إن أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني، و إن سلِمْتُ رأيتُ فيه

رأى». فقال ابن ملجم: و لقد اشتريته بألف - يعنى السيف - و سممته بألف، فإن خاننى فأبعده الله. قال: فنادته أم كلثوم: يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين. قال: إنما قتلت أباك. قالت: يا عدو الله، إنى لأرجو ألا يكون عليه بأس. قال: فأراك إنما تبكين علياً، إذا و الله لقد ضربته ضربه لو قُسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

قال أبو الفرج: و أخرج ابن ملجم من بين يديه و هو يقول:

نحن ضربنا يا ابنه الخير إذ طغى أب-ح--سن م-أم-وم-ه-ف-ت-فطرا

و ن-حن حل-لنا ملكه من نظامه ب-ضربه سيف إذ ع-لا و تج-ب-را

و نحن كرام في الصب-ب-اح-ع-ز-ه إذا الم-رء بالم-وت ارتدى و تازرا

قال: و انصرف الناس من صلاة الصبح، فأحدقوا بابن ملجم، ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم السباع، و يقولون: يا عدو الله، ما ذا صنعت؟ أهلكت أمه محمداً، و قتلت خير الناس. و إنه لصامت ما ينطق.

قال أبو الفرج: و روى أبو مخنف عن أبي الطفيل: أن صعصعه بن صوحان استأذن على علي عليه السلام، و قد أتاه عائداً لما ضربه ابن ملجم - فلم

يكن عليه إذن - فقال صعصعه للأذن: قل له: يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً و ميتاً، فلقد كان الله في صدرك عظماً، و لقد كنت بذات الله عليمًا؛ فأبلغه الأذن مقالته، فقال: قل له: و أنت يرحمك الله، فلقد كنت خفيف المئونه، كثير المعونه.

قال أبو الفرج: ثم جمع له أطباء الكوفة، فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من «أثير بن عمرو بن هانئ السكوني»، و كان مُتطبياً صاحب كرسى، يعالج الجراحات، و كان من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم فى عين التمر فسباهم؛ فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين دعا برئه شاه

حاره، فاستخرج منها عرقاً و أدخله فى الجرح، ثم نفخه ثم استخرجه، و إذا عليه بياض الدِّماغ، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك، فإنَّ عدوَّ الله قد وصلتْ ضربتُه إلى أمِّ رأسِك.

فدعا عليُّ عليه السلام عند ذلك بدواه و صحيفه و كتب وصيته:

هذا ما أوصى به أمير المؤمنين على بن أبى طالب؛ أوصى بأنَّه يشهد أن لا إله إلا الله و أنَّ محمداً عبده و رسوله أرسله بالهُدى و دين الحقِّ ليُظهره على الدِّين كُلِّهِ و لُو كره المـشركون صلوات الله و بركاته عليه. إنَّ صِيَّلاتِي و نُسُوكِي و مَحْيَايَ و مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شريكَ لَهُ و بِذَلِكَ أُمِرْتُ و أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ.

أوصيك يا حسن و جميع ولدى و أهل بيتى و من بلغه كتابى هذا:

١. بتقوى الله ربِّنا و ربِّكم؛

٢. و لا تموتنَّ إلا و أنتم مسلمون؛

٣. و اعتصموا بحبلِ الله جميعاً و لا تفرَّقوا فإنِّي سمعتُ رسولَ الله يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاة و الصيام، و إنَّ المبيره

حالقه الدين إفساد ذات البين، و لا قوه إلا بالله العلى العظيم»؛

٤. انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوها يهون الله عليكم الحساب؛

٥. و الله الله فى الأيتام فلا تُعَيِّرَنَّ أفواههم بجفوتكم؛

٦. و الله الله فى جيرانكم، فإنَّها وصية رسول الله، فما زال يُوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم الله؛

٧. و الله الله فى القرآن فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم؛

٨. و الله الله فى الصلاة فإنَّها عمادُ دينكم؛

٩. و الله الله فى صيام شهر رمضان فإنه جُنَّه من النار؛

١٠. و الله الله فى الجهاد بأموالكم و أنفسكم؛

١١. و الله الله فى زكاه أموالكم فإنها تطفى غضب ربكم؛

١٢. و الله الله فى أهل بيت نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم؛

١٣. و الله الله فى أصحاب نبيكم فإن رسول الله أوصى بهم؛

١٤. و الله الله فى الفقراء و المساكين فأشركوهم فى معاشكم؛

١٥. و الله الله فيما ملكت أيمانكم فإنه كانت آخر وصيه رسول الله إذ قال: «أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم»؛

١٦. ثم الصلاة الصلاة؛

١٧. لا تخافوا فى الله لومه لائم يكفكم من بغي عليكم و من أرادكم بسوء؛

١٨. قولوا للناس حسناً كما أمركم الله به؛

١٩. و لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فيتولى ذلك غيركم، و تدعون فلا يستجاب لكم؛

٢٠. عليكم بالتواضع و التبادل و التبار، و إياكم و التقاطع و التفرق و التدابر، «تعاونوا على البرر و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العُدوان و

اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»؛

حفظكم الله من أهل بيت و حفظ فيكم نبيه؛ أستودعكم الله خير مستودع و عليكم سلام الله و رحمته.

قلت: (١) قوله: «و الله الله فى الأيتام فلا تغيرن أفواههم بجفوتكم» يحتل تفسيرين: أحدهما: لا تجيعوهم، فإن الجائع يخلف فمه و تتغير نكهته؛ و

ص: ٨٦

١- . القائل: الشارح الحديدي.

الثانى: لا تحوِّجهم إلى تكرار الطلب و السؤال، فإنَّ السائل ينضبُ ريقه و تنشفُ لهواته و يتغيَّر ريحُ فمه.

و قوله حكايةً عن رسول الله: «أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم» يعنى به: الحيوان الناطق و الحيوان الأعجم (١).

قال أبو الفرج: و حدَّثنى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى بإسناد ذكره فى الكتاب عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: قال لى الحسن بن على عليه السلام: خرجتُ و أبى يصلّى فى المسجد، فقال لى: «يا بنى، إنى بُتُّ الليله أوقظ أهلى، لأنّها ليله الجمعة صبيحه يوم بدر لتسع (٢) ع-شره ليله خلت من شهر رمضان، فملكتنى عيناي، فسَـنح لى رسول الله، فقلت: يا رسول الله، ما ذا لقيتُ من أمتك من الأود (٣) و اللدد؛ فقال لى: أدع عليهم؛ فقلت: اللهم أبدلنى بهم خيراً منهم و أبدلهم بى من هو شرٌّ منى».

قال الحسن عليه السلام: و جاء ابنُ أبى الساج، فأذنه بالصلاه، فخرج فخرجتُ خلفه، فاعتوره الرجلان، فأما أحدهما فوَقعت ضربته فى الطاق، و أما الآخر فأثبتها فى رأسه.

قال أبو الفرج: قال: حدَّثنى أحمد بن عيسى قال: حدَّثنا الحسين بن ن-صر قال: حدَّثنا زيد بن المعدل عن يحيى بن شعيب عن أبى مخنف عن فضيل بن خديج عن الأسود الكندى و الأجلح قالا: توفى على عليه السلام و هو ابن أربع و

ص: ٨٧

١- . أقول: بل تفسيره: النساء و العبيد، كما ورد فى المروى عن طرق الشيعة؛ روى الحديث فى فروع الكافى، ج ٧، ص ٥٢ هكذا: «اللَّهُ فى النَّساءِ وَ فىمَا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ فَإِنَّ آخِرَ ما تَكَلَّمُ بِهِ نبيُّكُمْ أَنْ قالَ: أوصيكم بالضعيفين النساءِ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ».

٢- . مقاتل الطالبين: «لسبع عشره».

٣- . فى مقاتل الطالبين: قال أبو الفرج: الأود: العوج، و اللدد: الخصومات.

ستين سنة في عام أربعين من الهجره ليله الأحد لإحدى وع-شرين ليله مضت من شهر رمضان.

و ولي غسله ابنته الحسن و عبد الله بن العباس، و كُفِّنَ في ثلاثه أثواب ليس فيها قميص، و صَلَّى عليه ابنته الحسن، فكَبِرَ عليه خمس تكبيرات، و دُفِنَ بالرَّحْبَةِ،^(١) ممَّا يلي أبواب كِنْدَةَ عند صلاه الصبح. هذه روايه أبي مخنف.

قال أبو الفرج: و حدَّثني أحمد بن سعيد قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال: حدثنا يعقوب بن زيد عن ابن أبي عمير عن الحسن بن علي الخلال عن جده قال: قلت للحسين بن علي عليه السلام: أين دفنتم أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: خرجنا به ليلاً من منزله حتى مررنا به على منزل الأشعث بن قيس، ثم خرجنا به إلى الظَّهْرِ بجنب الغرِّي.

قلت: ^(٢) وهذه الروايه هي الحق و عليها العمل. و قد قلنا فيما تقدّم: إنَّ

أبناء الناس أعرَفُ بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب؛ و هذا القبر الذي بالغرِّي، هو الذي كان بنو علي يزورونه قديماً و حديثاً و يقولون: هذا قبر أبينا؛ لا يشكُّ أحدٌ في ذلك من الشيعة و لا من غيرهم أعنى بنو علي من ظَهر الحسن و الحسين و غيرهما من سلالته، المتقدمين منهم و المتأخرين، ما زاروا و لا وقفوا إلا على هذا القبر بعينه. ^(٣)

ص: ٨٨

١- . كان علي رضي الله عنه يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ فِي رَحْبَةِ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ. و هي صَحْنُهُ، و عن الأزهري: قال الفراء: يقال للصحراء بَيْنَ أَفْيَهِ الْقَوْمِ و الْمَسْجِدِ رَحْبَةٌ وَ رَحْبَةٌ، و سُمِّيَتْ الرَّحْبَةُ رَحْبَةً لِسَبْعَتِهَا بِمَا رَحِبَتْ، أي بما اتسعت، يقال: مَنْزِلٌ رَحِيْبٌ وَ رَحْبٌ.

تاج العروس، ج ٢، ص ١٨.

٢- . القائل: الشارح المعتزلي.

٣- . شرح الحديدي، ج ٦، ص ١١٢، (مصر) و ص ٢٥١، (الأعلمي).

الفصل الثالث: فيما يتعلق بـ «أمير المؤمنين عليه السلام»

إشاره

ص: ٨٩

اختلفوا (شيوخ المعتزله) في التفضيل. فقال قدماء البصريين كأبي عثمان عمرو بن عُييد و أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النُّظَام و أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ و أبي معن ثمامه بن أشرس و أبي محمد هشام بن عمرو الفوطيّ و أبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشَّحَام و جماعه غيرهم:

إنَّ أبا بكر أفضل من عليّ عليه السلام ؛ و هؤلاء يجعلون ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

و قال البغداديون قاطبه، قدماؤهم و متأخروهم، كأبي سهل بشر بن المعتمر و أبي موسى عيسى بن صبيح و أبي عبد الله جعفر بن مب-شّر و أبي جعفر الإسكافيّ و أبي الحسين الخياط و أبي القاسم عبد الله بن محمود البلخيّ و تلامذته:

إنَّ عليّاً عليه السلام أفضل من أبي بكر. و إلى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو عليّ محمد بن عبد الوهاب الجُبَّائِيّ أخيراً، و كان من قبل من المتوقّفين، كان يميل إلى التفضيل و لا يص-رح به، و إذا صنّف ذهب إلى الوقف في مصنفاته؛ و قال في كثير من تصانيفه: إن صحّ خبر الطائر فعليّ

أفضل. (١)

ص: ٩١

١- . يشير إلى ما رواه الترمذى في باب المناقب ١٣: ١٧٠، بسنده عن أنس بن مالك، و لفظه: كان عند النبيّ صلّى الله عليه و سلم طير، فقال: «اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير»، فجاء على فأكل معه. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا يعرف من حديث السدى إلّا من هذا الوجه.

ثم إن قاضى القضاة رحمه الله ذكر فى شرح المقالات لأبى القاسم البلخى: أن أبا علىّ رحمه الله ما مات حتى قال بتفضيل علىّ عليه السلام، و قال: إنه نقل ذلك عنه سماعاً و لم يوجد فى شىء من مصنفاته.

و قال أيضاً: إن أبا علىّ رحمه الله يوم مات استدنى ابنه أبا هاشم إليه - و كان قد ضعف عن رفع الصوت - فألقى إليه أشياء، من جملة القول بتفضيل علىّ عليه السلام .

و ممّن ذهب من البصريين إلى تفضيله عليه السلام الشيخ أبو عبد الله الحسين بن علىّ البصرى رضى الله عنه. كان متحقّقاً بتفضيله و مبالغاً فى ذلك و صنف فيه كتاباً مفرداً.

و ممّن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريين قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رحمه الله؛ ذكر ابن مّتويه عنه فى كتاب «الكفايه» فى علم الكلام: أنه كان من المتوقّفين بين علىّ عليه السلام و أبى بكر، ثم قطع علىّ تفضيل علىّ عليه السلام بكامل المنزله.

و من البصريين المذهبيين إلى تفضيله عليه السلام أبو محمد الحسن بن مّتويه صاحب «التذكره»؛ نصّ فى كتاب «الكفايه» على تفضيله عليه السلام على أبى بكر، احتجّ لذلك و أطال فى الإحتجاج. فهذان المذهبان كما عرفت.

و ذهب كثير من الشيوخ إلى التوقّف فيهما، و هو قول أبى حذيفه واصل بن عطاء و أبى الهذيل محمد بن الهذيل العلاف من المتقدمين؛ و هما و إن

ذهبا إلى التوقف بينه عليه السلام و بين أبي بكر و عمر، قاطعان على تفضيله على عثمان.

و من الذاهبين إلى الوقف الشيخ أبو هاشم عبد السلام بن أبي عليّ رحمهما الله و الشيخ أبو الحسين محمد بن عليّ بن الطيّب البصرىّ رحمه الله .

و أمّا نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله عليه السلام ؛ و قد ذكرنا في كتبنا الكلاميه ما معنى الأفضل؛ و هل المراد به «الأكثر ثواباً» أو «الأجمع لمزايا الفضل و الخلال الحميده». و يتّينا أنّه عليه السلام أفضل على التفسيرين معاً. و ليس هذا الكتاب موضوعاً لذكر الحجاج في ذلك أو في غيره من المباحث الكلاميه لندكره، و لهذا موضع هو أملك به. (1)

أقول للشارح الشافعيّ: ما هي حصيله القول بالأفضليه على كلا التفسيرين، و هل هي إلا التقدم في الشؤون المختلفه، كالخلافه و إمره الجيش و إمامه الجماعه في الصلاه؟ فإن كانت للقول بها ثمره التقدم، فهو فضل حقيقي و لجدير بالبحث؛ و إلا لا يكاد يكون إلا أمراً لغواً بلا فائده.

٢- يعسوب الدين

تزعّم الشيعة أنّه خوطب في حياه رسول الله بأمر المؤمنين؛ خاطبه

بذلك جله المهاجرين و الأنصار. و لم يثبت ذلك في أخبار المحدثين؛ إلا أنّهم قد رووا ما يُعطى هذا المعنى - و إن لم يكن اللفظ بعينه - و هو قول رسول الله له: «أنت يعسوب الدين و المال يعسوب الظلمه».

ص: ٩٣

١- . شرح الحديدى، ج ١، ص ٧، (مصر) و ص ١٥، (الأعلمى).

و فى روايه اخرى: «هذا يعسوبُ المؤمنين و قائد الغرِّ المحجلين».(١)

و يعسوب: ذكر النحل و أميرها. روى هاتين الروايتين أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانئى فى «المسند» فى كتابه فضائل الصحابه؛ و رواهما أبو نعيم الحافظ فى «حليه الأولياء».(٢) و دُعى بعد وفاه رسول الله بوصئى رسول الله، لوصايته إليه بما أراد. (٣)

أقول: قال الشارح الخوئى رحمه الله مجيباً عن الحديدى: «إنكاره له لا وجه له، مع قيام الأخبار المتظافره بل المتواتره معنى عليه. و قد روى فى غايه المرام فى هذا المعنى: اثنتين و أربعين حديثاً

من طريق العامه، و ثمانيه و ثلاثين حديثاً من طريق الخاصه، و لعلنا نورد بعضها فى تضاعيف الشرح إن شاء الله، و يستفاد من بعض تلك الأحاديث أنه من الألقاب المخصوصه به عليه السلام، لا- يجوز أن يلقب به غيره. و هو ما رواه فيه عن ابن شهر آشوب، قال: قال رجل للصادق عليه السلام: يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: «مه، فإنه لا يرضى بهذه التسميه أحدٌ إلا ابتلى ببلاء أبى جهل».

قلت: بلاء أبى جهل إنه كان مخنئاً، لأنه يبغض النبى كما رواه الشارح المعتزلى.

ص: ٩٤

- ١- . و رواه أيضا الطبرانى فى الكبير، و نقله صاحب الرياض النضره ٢: ١٥٥؛ مع اختلاف فى اللفظ.
- ٢- . حليه الأولياء ١: ٦٣، بسنده عن أنس، و لفظه: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يا أنس، أول من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين، و سيد المسلمين، و قائد الغر المحجلين، و خاتم الوصيين».
- ٣- . شرح الحديدى، ج ١، ص ١٢، (مصر) و ص ١٩، (الأعلمى). و قال أيضاً فى شرح حكمه ٣٢٢ من حكم نهج البلاغه، أعنى قوله عليه السلام: «أنا يعسوبُ المؤمنينَ و المألُ يعسوبُ الفجارِ» ما هذا لفظه: هذه كلمه قالها رسول الله بلفظين مختلفين، تاره أنت يعسوب الدين و تاره أنت يعسوب المؤمنين و الكل راجع إلى معنى واحد كأنه جعله رئيس المؤمنين و سيدهم أو جعل الدين يتبعه و يقفو أثره حيث سلك كما يتبع النحل يعسوب و هذا نحو قوله: و أدر الحق معه كيف دار. شرح الحديدى، ج ١٩، ص ٢٢٤، (مصر) و ص ١٣٢، (الأعلمى).

و فيه أيضاً من تفسير العياشى عن محمّد بن اسماعيل الرّازى، عن رجل سمّاه، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال دخل رجل على أبى عبد الله عليه السلام، فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين، فقام عليه السلام على قدميه، فقال: «مه، هذا اسم لا يصلح إلّا لأمير المؤمنين عليه السلام سمّاه (١) به، و لم يسمّ به أحد غيره فرضى به إلّا كان منكوحاً، و إن لم يكن به ابتلى به، و هو قول الله عزّ و جل: «إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا» (٢).

قلت: فما ذا يدعى به قائمكم؟ قال: «يقال له: السلام عليك يا بن رسول الله».

أقول: و ما أبعد ما بين الشّارح المعتزلى فى إنكاره لهذا اللقب و بين ضياء الدّين أبى المؤيّد موفق بن أحمد

الخوارزمى فى إثباته الألقاب الشّامخه له عليه السلام . قال فى محكى كلامه فى كشف الغمّه: و أنا أقول فى ألقابه: هو أمير المؤمنين، و يعسوب (٣) المسلمين، و غرّه المهاجرين، و صفوه الهاشميين، و قاتل الكافرين و الناكثين و القاسطين و المارقين، و الكرار غير الفّرّار، نصّ ال فقار كل ذى ختر (٤) بذى الفقار، قسيم الجنّه و النّار، مقعص (٥) الجيش الجرار (٦)، لاطم وجوه اللجين (٧) و النّضار (٨)، بيد الإحتقار، أبو تراب، مجدّل الأتراب، معفرين ممّرقين فى العفر، (٩)

ص: ٩٥

١- . اى الله تعالى.

٢- . النساء، ١١٧.

٣- . يعسوب: ملك النحل، و منه قيل للسيد يعسوب قومه.

٤- . الختر: الغدر.

٥- . ضربه فأقعصه: قتله مكانه.

٦- . الجرار الجيش: الثقل السير لكثرتة.

٧- . اللجين: الفضة.

٨- . النضار: الذهب.

٩- . العفر: التراب، يقال عفره تعفيراً: مرّقه منه.

٣- ما أقول في رجلٍ

بحث المعتزلى فى ابتداء شرحه عن فضائل الإمام عليه السلام من

جهات مختلفه، كالعلم و الزهد و التدبير؛ و كرّر كلمه «ما أقول فى رجل» فى ستّه مواضع؛ فإليك لفظه مفصلاً:

فأمّا فضائله عليه السلام فإنّها قد بلغت من العظم و الجلاله و الإنتشار و الإشتهار مبلغاً يسمّج معه التعرّض لذكرها و التصدى لتفصيلها. فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل و المعتمد: رأيتنى فيما أتعاطى من وصف فضلك كالمُخبر عن ضوء النهار الباهر و القمر الزاهر، الذى لا يخفى على الناظر؛ فأيقنتُ أنّى حيث انتهى بى القولُ منسوب إلى العجز، مقصّر عن الغايه. فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، و وكلتُ الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

و ما أقول فى رجلٍ أقرّ له أعداؤه و خصومه بالفضل، و لم يمكنهم جحدُ مناقبه، و لا كتمان فضائله. فقد علمت أنّهُ استولى بنو أمية على سلطان الإسلام فى شرق الأرض و غربها، و اجتهدوا بكلّ حيله فى إطفاء نوره، و التحريض عليه و وضع المعايب و المثالب له. و لعنوه على جميع المنابر، و توعّدوا مادّحيه، بل حبسوهم و قتلوهم. و منعوا من روايه حديثٍ يتضمّن له فضيله، أو يرفع له ذكراً؛ حتى حظروا أن يُسمّى أحدٌ باسمه. فما زاده ذلك إلّا رفعه و سموّاً. و كان كالمسك كلّما ستر انتشر عرفه، و كلّما كُتم تضرّع

ص: ٩٤

نشره. و كالشمس لا تُستر بالراح، و كضوء النهار إن حُجبت عنه عين واحده أدرَكته عيونٌ كثيره.

و ما أقولُ في رجلٍ تُعزَى إليه كلُّ فضيله، و تنتهى إليه كلُّ فرقه، و تتجاذبه كلُّ طائفه. فهو رئيس الفضائل و ينبوعها، و أبو عُذرها و سابق مضمارها، و مُجلى حلبتها؛ كلُّ من بزغ فيها بعده، فمنه أخذ و له اقتفى و على مثاله احتذى.

و قد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأنَّ شرف العلم بشرف المعلوم، و معلومه أشرف الموجودات؛ فكان هو أشرف العلوم. و من كلامه عليه السلام اقتبس، و عنه نقل، و إليه انتهى، و م-نه ابت-دأ. فإن الم-عتزل-ه(١) - الذين هم أهل التوحيد و العدل و أرباب النظر، و منهم تعلّم الناس هذا الفن - تلامذته و أصحابه؛ لأنّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية،(٢) و أبو هاشم تلميذ أبيه و أبوه تلميذه عليه السلام. و أما الأشعريّ فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن عليّ [بن إسماعيل](٣) بن أبي ب-شر الأشعريّ، و هو تلميذ أبي عليّ الجبائيّ، و أبو عليّ أحد مشايخ المعتزله؛ فالأشعريه ينتهون بآخره إلى أستاذ المعتزله و معلّمهم، و هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام. و أمّا الإماميه و الزيديه فانتماؤهم إليه ظاهر.

و من العلوم علم الفقه؛ و هو عليه السلام أصله و أساسه، و كلّ فقيه في الإسلام فهو عيالٌ عليه و مستفيد من فقهه. أما أصحاب أبي حنيفه كأبي يوسف و محمد و غيرهما فأخذوا عن أبي حنيفه. و أما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفه. و أما أحمد بن حنبل فقرأ على

ص: ٩٧

١- انظر أمالي المرتضى ١: ١٤٨ و ما بعدها؛ في كلام للمؤلف عن سند المعتزله إلى عليّ عليه السلام.

٢- هو إمام الكيسانية؛ و عنه انتقلت البيعه إلى بني العباس. تنقيح المقال ٢: ٢١٢.

٣- من ابن خلكان ١: ٣٢٤.

الشافعي، فيرجع فقهُه أيضاً إلى أبي حنيفه، و أبو حنيفه قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام، و قرأ جعفر على أبيه عليه السلام، و ينتهي الأمر إلى علي عليه السلام. و أما مالك بن أنس فقرأ على ربيعه الرأي، و قرأ ربيعه على عكرمه، و

قرأ عكرمه على عبد الله بن عباس، و قرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب. و إن شئت فرددت إليه فقهُه الشافعي بقراءته على مالك، كان لك ذلك؛ فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

و أما فقهُه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر. و أيضاً فإن فقهاء الصحابه كانوا عمر بن الخطاب و عبد الله بن عباس، و كلاهما أخذ عن علي عليه السلام. أما ابن عباس فظاهر؛ و أما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه و علي غيره من الصحابه.

و قوله غير مرّة: لو لا عليُّ لهلك عمر.

و قوله: لا بقيت لمعضله ليس لها أبو الحسن.

و قوله: لا يُفَيِّتُنَّ أحدٌ في المسجد و عليٌّ حاضر. فقد عُرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقهُه إليه.

و قد روت العامه و الخاصه قوله: «أقضاكم عليٌّ»^(١) و القضاء هو الفقهُه، فهو إذا أفقهُهُم.

و روى الكلُّ أيضاً أنه قال له - و قد بعثه إلى اليمن قاضياً - : «اللهم اهدِ قلبه و ثبت لسانه». قال: «فما شككتُ بعدها في قضاء بين اثنين»^(٢).

ص: ٩٨

١- . نقله السيوطي في الجامع الصغير ١: ٥٨ عن مسند أبي يعلى بلفظ: «أرأف أمتي بأمتي أبو بكر، و أشدهم في دين الله عمر، و أصدقهم حياء عثمان، و أقضاهم علي ...» و ضعفه.

٢- . رواه أبو داود في كتاب الأنصيه ٣: ٤٠٩ بسنده عن علي، و لفظه: بعثني رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى اليمن قاضياً فقلت: يا رسول الله، ترسلني و أنا حديث السن، و لا علم لي بالقضاء! فقال: «إن الله سيهدي قلبك و يثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء»، قال: فما زلت قاضياً أو ما شككت في قضاء بعد.

و هو عليه السلام الذى أفتى فى المرأه التى وضعت لسته أشهر، و هو الذى أفتى فى الحامل الزانيه،(١) و هو الذى قال فى المنبريه:(٢) صار ثمنها تسعاً، و هذه المسأله لو فُكّر الفرضى فيها فُكراً طويلاً لاستُحسِن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهة و اقتضبه ارتجالاً.

و من العلوم علم تفسير القرآن: و عنه أُخِذَ و منه فُرع، و إذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحه ذلك؛ لأن أكثره عنه و عن عبد الله بن عباس، و قد علم الناس حال ابن عباس فى ملازمته له و انقطاعه إليه، و أنه تلميذه و خريجه. و قيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبه قطرُه من المطر إلى البحر المحيط.

و من العلوم علم الطريقه و الحقيقه و أحوال التصوف: و قد عرفت أن

أرباب هذا الفن فى جميع بلاد الإسلام، إليه ينتهون و عنده يقفون؛ و قد

ص: ٩٩

١- . ذكر القرطبى فى تفسيره ١٦: ١٩٣؛ عند الكلام على تفسير قوله تعالى: «وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» أن عثمان قد أتى بامرأه قد ولدت لسته أشهر، فأراد أن يقضى عليها بالحد، فقال له على رضى الله عنه: ليس ذلك عليها، قال الله تعالى: «وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا».

٢- . سميت المنبريه؛ لأنه سئل عنها و هو على المنبر؛ فأفتى من غير رويه؛ و بيانا أنه سئل فى ابنتين و أبوين و امرأه؛ فقال: صار ثمنها تسعاً، قال أبو عبيد: أراد أن السهام عالت حتى صار للمرأه التسع، و لها فى الأصل الثمن؛ و ذلك أن الفريضة لو لم تعل كانت من أربعة و عشرين، فلما عالت صارت من سبعة و عشرين، فللابنتين الثلثان: ستة عشر سهماً، و للأبوين السدسان: ثمانية أسهم، و للمرأه ثلاثه من سبعة و عشرين؛ و هو التسع، و كان لها قبل العول ثلاثه من أربعة و عشرين؛ و هو الثمن. و انظر النهايه لابن الأثير ٣: ١٣٩، و اللسان ١٣: ٥١٢، و حاشيه البقرى على متن الرحيه ٣٤.

صَرَّحَ بذلك الشُّبَلِيُّ و الجُنَيْدِ و سِرِّي (١) و أبو يزيد البسطامي و أبو محفوظ معروف الكرخي و غيرهم. و يكفيك دلاله على ذلك، الخرقه (٢) التي هي شعارهم إلى اليوم، و كونهم يسندونها بإسنادٍ متصلٍ إليه عليه السلام .

و من العلوم علم النَّحو و العربيه: و قد علم الناس كآفه أنه هو الذي ابتدعه و أنشأه، و أملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعَه و أصوله؛ من جملتها: «الكلام كله ثلاثه أشياء: اسم و فعل و حرف». و من جملتها: «تقسيم الكلمه إلى معرفه و نكره» و «تقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع و النصب و الجر و الجزم». و هذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأن القوه الب-شريّه لا تفي بهذا الحصر و لا تنهض بهذا الإستنباط.

و إن رجعت إلى الخصائص الخلقية و الفضائل النفسانية و الدينيه وجدته ابن جلاها و طلاع ثناياها. (٣)

و أما الشجاعه: فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، و محاسن من

يأتي بعده. و مقاماته في الحرب مشهوره، يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامه. و هو الشجاع الذي ما فرّ قط، و لا ارتاع من كتيبه، و لا بارز أحداً إلّا قتله، و لا ضرب ضربه قط فاحتاجت الأولى إلى ثانيه؛ و في الحديث: «كانت ضرباته و ترأ».

ص: ١٠٠

١- . هو سرى بن المغلس السقطي؛ خال الجنيد و أستاذه، و صاحب معروف الكرخي؛ و أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد و حقائق الأحوال. مات سنه ٢٥١. (طبقات الصوفيه للسلمي ص ٤٨).

٢- . فصل السهروردي في الباب الثاني عشر من كتابه عوارف المعارف (٤: ١٩١ و ما بعده- على هامش الإحياء) الكلام في شرح خرقه المشايخ الصوفيه و لبسها.

٣- . اقتباس من قول سحيم بين و ثيل الرياحي: أنا ابن جلا- و طلاع الثنايا/ متى أضع العمامه تعرفوني. و ابن جلا، أى الواضح الأمر؛ و طلاع الثنايا: كناية عن السيمو إلى معالى الأمور، و الثنايا فى الأصل: جمع ثنيه، و هى الطريق فى الجبل. و انظر اللسان ١٨: ١٦٥.

و لما دعا معاويه إلى المبارزه ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك. فقال معاويه: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم، أ تأمرني بمبارزه أبي الحسن و أنت تعلم أنه الشجاع المطرق؟ أراك طمعت في إماره الشام بعدى.

و كانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته؛ فأما قتلاه فافتخارُ رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر و أكثر. قالت أخت عمرو بن عبد ودّ ترثيه:

لو كان قاتلُ عمرو غي-رَقات-له بكيتهُ أبداً ما دمتُ في الأب-د(١)

لكنّ قاتله م-ن لا نظ-ير ل-ه و ك--ان يُدعى أبوه بيضه البلد(٢)

و انتبه يوماً معاويه فرأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجله على سريره، ففعد، فقال له عبد الله يداعبه: يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك لفعلت. فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر. قال: و ما الذى تنكره من شجاعتى و قد وقفت في الصفّ إزاء على بن أبى طالب. قال: لا جرم إنّه قتلك و أباك يُسرى يديه، و بقيت اليمنى فارغاً، يطلب من يقتله بها.

و جملة الأمر: أن كلّ شجاع في الدنيا إليه ينتهى، و باسمه ينادى في مشارق الأرض و مغاربها.

و أما القوه و الأيد: فبه يضرب المثل فيهما. قال ابن قتيبه في المعارف:

ما صارع أحداً قطّ إلّا صرعه.(٣)

ص: ١٠١

١- من أبيات ذكرها صاحب اللسان ٨: ٣٩٥، و روايته: لو كان قاتل عمرو غير قاتله / بكيته ما أقام الروح في جسدى / لكنّ قاتله من لا يعاب به / و كان يدعى قديماً بيضه البلد.

٢- بيضه البلد، يريد على بن أبى طالب، أى أنّه فرد ليس مثله في الشرف كالبيضه التى هى تريكه وحدها، ليس معها غيرها، كذا فسره في اللسان.

٣- المعارف: ٢١٠، و بعدها: «شديد الوثب قوى الضرب».

و هو الذى قلع بابَ خير، و اجتمع عليه عُصبه من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه. و هو الذى اقتلع هُبَل (١) من أعلى الكعبه و كان عظيماً جداً و ألقاه إلى الأرض. و هو الذى اقتلع الصخره العظيمه فى أيام خلافته عليه السلام بيده بعد عجز الجيش كله عنها، و أنبط الماء من تحتها.

و أما السخاء و الجود: فحالُه فيه ظاهره. و كان يصوم و يطوى و يؤثر بزاده، و فيه أنزل: «و يُطعمونَ الطعامَ على حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُوراً». (٢)

و روى المفسرون: أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً و بدرهم نهاراً و بدرهم سرّاً و بدرهم علانیه، فأنزل فيه: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً». (٣)

و روى عنه: أنه كان يسقى بيده لنخل قوم من يهود المدينه حتى مَجَلت (٤)

يُده، و يتصدق بالأجره و يشد على بطنه حجراً.

و قال الشعبى - و قد ذكره عليه السلام كان أسخى الناس - : كان على الخلق الذى يحبه الله: السخاء و الجود؛ ما قال «لا» لسائلٍ قط.

و قال عدوّه و مُبغضه الذى يجتهد فى وصمه و عيبه معاويه بن أبى سفيان لمحفن (٥) بن أبى محفن الضبى - لما قال له: جئتُك من عند أبخل الناس -

ص: ١٠٢

١- . صنم عظيم كان فى الكعبه.

٢- . الإنسان، ٩ و ١٠.

٣- . البقره، ٢٧٤.

٤- . مجلت يده، أى ثخن جلده و تعجر و ظهر فيه ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبه الخشنه، و منه حديث فاطمه: أنها شكت إلى على مجل يديها من الطحن. النهايه لابن الأثير ٤: ٨٠.

٥- . أورده الذهبى فى المشبه: ٥٧٣، و قال: «وفد على معاويه».

فقال: ويحك، كيف تقول إنه أبخل الناس؟ لو ملك بيتاً من تَبْرٍ وبيتاً من تَبِنٍ لأنفد تَبْرَهُ قبل تَبِنِهِ.

و هو الذى كان يكسب بيوت الأموال و يصلّى فيها. و هو الذى قال: يا صفراء، و يا بيضاء، غزى غيرى.

و هو الذى لم يخلف ميراثاً، و كانت الدنيا كلّها بيده إلا ما كان من الشام.

و أمّيا الحلم و الصفح: فكان أحلم الناس عن ذنب و أصفحهم عن م-سى ء. و قد ظهر صحّه ما قلناه يوم الجمل، حيث ظفر بمروان بن الحكم - و كان أعدى الناس له، و أشدهم بغضاً - فصفح عنه.

و كان عبد الله بن الزبير يشتمه على رءوس الأشهاد، و خطب يوم الب-صره فقال: قد أتاكم الوغد اللئيم على بن أبى طالب. و كان على عليه السلام يقول: «ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتى شبّ عبد الله». فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيراً، فصفح عنه و قال: «اذهب فلا أزيّنك»، لم يزد على ذلك.

و ظفر بسعيد بن العاص بعد وقعه الجمل بمكة، و كان له عدوّاً، فأعرض عنه و لم يقل له شيئاً.

و قد علمتم ما كان من عائشه فى أمره؛ فلما ظفر بها أكرمها، و بعث معها إلى المدينه عشرين امرأه من نساء عبد القيس، عمّمهنّ بالعمائم و قلدهنّ بالسيوف. فلما كانت ببعض الطريق، ذكرته بما لا يجوز أن يُذكر به، و تأففت و قالت: هتك ستري برجاله و جنده الذين و كلّهم بى. فلما وصلت المدينه ألقى النساء عمائمهنّ و قلن لها: إنّما نحن نسوه.

و حاربه أهل البصره و ضربوا وجهه و وجوه أولاده بالسيوف، و شتموه و لعنوه؛ فلما ظفر بهم رقع السيف عنهم و نادى مناديه فى أقطار العسكر: ألا لا يتبع مؤلّ، و لا يُجهز على جريح، و لا يُقتل مستأسر؛ و من ألقى

سلاحه فهو آمن، و من تحييز إلى عسكر الإمام فهو آمن. و لم يأخذ أثقالهم و لا سبي ذراريهم، و لا غنم شيئاً من أموالهم. و لو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، و لكنّه أبى إلّا الصّفح و العفو، و تقبيل سنه رسول الله يوم فتح مكه، فإنه عفا و الأحقاد لم تبرد و الإساءه لم تُنَس.

و لما ملك عسكر معاويه عليه الماء، و أحاطوا بش-ريعه الفرات، و قالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشا؛ سألهم عليّ عليه السلام و أصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء؛ فقالوا: لا و الله، و لا قطره حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان. فلمّا رأى عليه السلام أنّه الموت لا محاله، تقدّم بأصحابه و حمل على عساكر معاويه حملات كثيفه، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه الرّءوس و الأيدي، و ملكوا عليهم الماء، و صار أصحاب معاويه في الفلاه لا ماء لهم. فقال له أصحابه و شيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك، و لا تسقمهم منه قطره، و اقتلهم بسيف العطش، و خذهم قبضاً بالأيدي، فلا حاجه لك إلى الحرب. فقال:

«لا والله، لا أكافئهم بمثل فعلهم، أفسحوا لهم عن بعض الش-ريعه، ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك».

فهذه إن نسبتها إلى الحلم و الصّفح فناهيك بها جمالاً و حسناً، و إن نسبتها إلى الدين و الورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام .

و أمّا الجهاد في سبيل الله: فمعلوم عند صديقه و عدوّه أنّه سيّد المجاهدين. و هل الجهاد لأحد من الناس إلّا له.

و قد عرفت أنّ أعظم غزاه غزاه رسول الله و أشدها نكايه في المشركين بدر الكبرى؛ قتل فيها سبعون من المشركين؛ قتل عليّ نصّهم، و قتل المسلمون و الملائكه النصف الآخر. و إذا رجعت إلى مغازي محمد بن

عمر الواقديّ و تاريخ الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ و غيرهما علمت صحه ذلك.

دع من قتله في غيرها كأحد و الخندق و غيرهما. و هذا الفصل لا- معنى للإطّاب فيه؛ لأنّه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكّه و م-صر و نحوهما.

و أمّا الفصاحه:(١).

و أمّا سجاحه الأخلاق: و ب-شر الوجه و طلاقه المحيّا و التبسم، فهو المضروب به المثل فيه، حتى عابه بذلك أعداؤه.

قال عمرو بن العاص لأهل الشام: إنّه ذو دعابه شديده. و قال عليّ عليه السلام في ذاك: عجباً لابن النابغه، يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابه و أنّي امرؤ تلعبه، أعافس و أمارس.(٢) و عمرو بن العاص إنّما أخذها عن عمر بن

الخطاب لقوله له - لئما عزم عليّ استخلافه - : لله أبوك، لو لا دُعابه فيك. إلّا أنّ عمر اقتصر عليها، و عمرو زاد فيها و سمّجها.

قال صعصعه بن صوحان و غيره من شيعته و أصحابه: كان فينا كأحدنا، لين جانب، و شدّه تواضع، و سهوله قياد، و كُنّا نهابه مهابه الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه.

و قال معاويه لقيس بن سعد: رحّم الله أبا حسن، فلقد كان هَشّاً بَشّاً، ذا فُكاهه. قال قيس: نعم، كان رسول الله يمزح و يبتسم إلى أصحابه، و أراك تُسرّ حسواً في ارتغاء،(٣) و تعييه بذلك. أما و الله لقد كان مع تلك

ص: ١٠٥

١- . تقدم كلام الشارح في الفصاحه في الفصل الأول، رقم ١.

٢- . التلعبه، بفتح التاء و كسرهما: الكثير اللعب و المرح. و المعافسه: الملاعبه أيضاً. و الممارسه: ملاعبه النساء. و الخبر أورده ابن الأثير في النهايه ١: ١١٧، و ٣: ٥٩، ١١٠، و ٤: ٥٩، ٨٩.

٣- . في المثل: «هو يسر حسوا في ارتغاء»، يضرب لمن يظهر أمرا و هو يريد غيره. اللسان ١٩: ٤٦.

الفكاهه و الطلاقه أهيب من ذى ليدتين قد مسه الطوى، تلك هيبه التقوى و ليس كما يهابك طعام (١) أهل الشام.

و قد بقى هذا الخلق متوارثاً متناقلاً فى محبته و أوليائه إلى الآن، كما بقى الجفاء و الخشونه و الوعوره فى الجانب الآخر. و من له أدنى معرفه بأخلاق الناس و عوائدهم يعرف ذلك.

و أما الزهد فى الدنيا: فهو سيد الزهاد و بدل الأبدال، و إليه تشد الرحال و عنده تنفض الأحلاس. ما شبع من طعام قط. و كان أحسن الناس مأكلاً و ملبساً.

قال عبد الله بن أبى رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جراباً مختوماً،

فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً؛ فقدم فأكل. فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: «خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت».

و كان ثوبه مرقوعاً بجلد تاره و ليف أخرى، و نعلاه من ليف. و كان يلبس الكرباس (٢) الغليظ؛ فإذا وجد كمه طويلاً قطعه بشفره و لم يخطه؛ فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمه له.

و كان يأتدم إذا ائتمم بخل أو بملح؛ فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض فإرتفع عن ذلك فبقيل من ألبان الإبل.

و لا يأكل اللحم إلّا قليلاً، و يقول: «لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان». و كان مع ذلك أشد الناس قوه و أعظمهم أيداً، لا ينقض الجوع قوته، و لا يخون (٣) الإقلال منته.

ص: ١٠٦

١- . الأراذل.

٢- . الكرباس بالكسر: ثوب من القطن الأبيض، معرب.

٣- . يخون: ينقص، و فى ب: «يخور»، و ما أثبتته عن ا، ج.

و هو الذى طَلَّق الدنيا و كانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلَّا من الشام؛ فكان يفرِّقها و يمزقها، ثم يقول:

هذا جَنَائى و خيَارُهُ فى-ه إذ كُلُّ جانٍ يَدُهُ إلى فيه (١)

و أمَّا العبادَة: فكان أعبَد الناس و أكثرهم صلاة و صوماً. و منه تعلَّم

الناس صلاة الليل و ملازمه الأوراد و قيام النافله. و ما ظنُّك برجل يبلغ من محافظته على و رده أن يُسَطَّ له نِطْع بين الصَّفِّين ليله الهرير، فيصلى عليه و رده، و السهام تقع بين يديه و تمرُّ على صماخيه يميناً و شمالاً؛ فلا يرتاع لذلك و لا يقوم حتى يفرُّغ من وظيفته. و ما ظنُّك برجل كانت جبهته كَنَفَنَه البعير لطول سجوده.

و أنت إذا تأملت دعواته و مناجاته، و وقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه و إجلاله، و ما يتضمَّنه من الخضوع لهيبته، و الخشوع لعزَّته و الإستخذاء له، عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص، و فهمت من أىِّ قلب خرجتف و على أىِّ لسانٍ جرت.

و قيل لعلِّى بن الحسين عليه السلام - و كان الغايه فى العباده - : أين عبادتُك من عبادِه جدِّك؟ قال: «عبادتى عند عبادِه جدِّى، كعبادِه جدِّى عند عبادِه رسول الله».

و أمَّا قراءته القرآن: و اشتغاله به، فهو المنظور إليه فى هذا الباب. اتَّفَق الكلُّ على أنَّه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ، و لم يكن غيره يحفظه.

ص: ١٠٧

١- . البيت أنشده عمرو بن عدى حينما كان غلاماً، و كان يخرج مع الخدم يجتنون للملك (جذيمه الأبرش) الكمأه، فكانوا إذا وجدوا كمأه خياراً أكلوها و أتوا بالباقي إلى الملك، و كان عمرو لا- يأكل منه، و يأتى به كما هو، و ينشد البيت. و انظر القاموس ٣: ٢٥٩- ٢٦٠، و حديث على ورد مفصلاً فى حليه الأولياء ١: ٨١.

ثم هو أول من جمعه؛ نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعه أبي بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفه للبيعة، بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن. فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن؛ لأنه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله، لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته.

وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أنمه القراء كلهم يرجعون إليه، كأبي عمرو بن العلاء و عاصم بن أبي النجود وغيرهما؛ لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ. و أبو عبد الرحمن كان تلميذه و عنه أخذ القرآن. فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً، مثل كثير مما سبق.

و أمياً الرأي و التدبير: فكان من أسد الناس رأياً و أصحهم تدبيراً. و هو الذي أشار على عمر بن الخطاب - لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم و الفرس - بما أشار. و هو الذي أشار على عثمان بأمر كان صلاحه فيها؛ و لو قبلها لم يحدث عليه ما حدث. و إنما قال أعداؤه: لا رأى له؛ لأنه كان متقيداً بالشريعه، لا يرى خلافاً، و لا يعمل بما يقتضيه الدين تحريمه. و قد قال عليه السلام: «لو لا الدين و التقى لكنت أدهى العرب».

و غيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه و يستوفقه، سواء أ كان مطابقاً للشرع أم لم يكن. و لا ريب أن من يعمل بما يؤدى إليه اجتهاده، و لا يقف مع ضوابط و قيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب؛ و من كان بخلاف ذلك، تكون أحواله الدنيوية إلى الإنتثار أقرب.

و أما السياسة: فإنه كان شديد السياسة، خشناً في ذات الله؛ لم يراقب ابن

عمه في عملٍ كان ولّاه إياه، ولا راقب أخاه عقيلًا في كلامٍ جبهه به. و أحرق قوماً بالنار،^(١) و نقض دارَ مصقله بن هبيرة و دار جرير بن عبد الله البجلي، و قطع جماعةً و صلب آخرين.

و من جملة سياسته في حروبه أيام خلافته بالجمل و صفين و النهروان،

و في أقلّ القليل منها مفتح؛ فإن كلّ سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه و بطشه و انتقامه مبلغ العشر ممّا فعل عليه السلام في هذه الحروب بيده و أعوانه.

فهذه هي خصائص البشر و مزايهم قد أوضحنا أنّه فيها الإمام المتبع فعله، و الرئيس المقتفى أثره.

و ما أقول في رجلٍ تحبّه أهل الذّمه على تكذيبهم بالنبوه، و تعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّه، و تصوّر ملوك الفرنج و الروم صورته في بيعها^(٢) و بيوت عبادتها، حاملاً سيفه، مشمراً لحربه. و تصوّر ملوك التّرك و الدّيلم صورته على أسياها؛ كان على سيف عضد الدولة بن بويه و سيف أبيه ركن الدولة صورته؛ و كان على سيف ألب أرسلان و ابنه ملكشاه صورته. كأنهم يتفاءلون به النّصر و الظفر.

و ما أقول في رجلٍ أحبّ كلّ واحدٍ أن يتكثّر به، و ودّ كلّ أحدٍ أن يتجمّل و يتحسنّ بالإنتساب إليه؛ حتى الفتوه التي أحسن ما قيل في حدّها: ألاّ تستحسنّ من نفسك ما تستقبّحه من غيرك. فإنّ أربابها نسبوا أنفسهم إليه و صنّفوا في ذلك كتباً، و جعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه، و ق-صروه عليه و سَمّوه سيّد الفتیان؛ و عضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المرويّ، أنّه سُمع من السماء يوم أُحد:

ص: ١٠٩

١- . أنظر قصه الغلاه في شرح الحديدى، ج ٥، ص ٥ و من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٥٠.

٢- . جمع البيعه و هي معبد النصارى و اليهود.

لا سيفَ إلَّا ذو الفقار و لا ف-ت-ى إلّا ع-لى

و ما أقولُ فى رجلٍ أبوه أبو طالب سيّد البطحاء، و شيخ قريش و رئيس مكّه. قالوا: قلّ أن يسوّدَ فقيرٌ، و ساد أبو طالب و هو فقيرٌ لا مال له، و كانت قريش تسمّيه الشيخ.

و فى حديث عفيف الكندى (١) لما رأى النبىّ يصلّى فى مبدأ الدعوه - و معه غلامٌ و امرأه - قال: فقلت للعباس: أى شىء هذا؟ قال: هذا ابن أخى، يزعم أنّه رسولٌ من الله إلى الناس، و لم يتبعه على قوله إلّا هذا الغلام، و هو ابن أخى أيضاً، و هذه الإمراه، و هى زوجته. قال: فقلت: ما الذى تقولونه أنتم؟ قال: ننتظر ما يفعل الشيخ؛ يعنى أبا طالب.

و أبو طالب هو الذى كفل رسولَ الله صغيراً، و حماه و حاطه كبيراً، و منعه من مشركى قريش، و لقى لأجله عنتاً عظيماً، و قاسى بلاءً شديداً و صبر على نصره و القيام بأمره.

و جاء فى الخبر: أنّه لما توفى أبو طالب أوحى إليه و قيل له: «أخرج منها، فقد مات ناصرك».

و له مع شرف هذه الأبوه، أنّ ابن عمّه محمّد سيّد الأولين و الآخريين، و أخاه جعفر ذو الجناحين، الذى قال له رسول الله: «أشبهت خلقى و خلقتى»، فمرّ يحجل فرحاً.

و زوجته سيده نساء العالمين، و ابنيه سيّدا شباب أهل الجنة، فأبؤه آباء رسول الله و أمهاته أمهات رسول الله، و هو مسوط بلحمه و دمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله و أبى

ص: ١١٠

١- . الخبر فى أسد الغابه ٣: ٤١٤ مع اختلاف فى الروايه.

طالب. و أمّهما واحده، فكان منهما سيّدا الناس. هذا الأوّل و هذا التالى، و هذا المنذر و هذا الهادى.

و ما أقولُ فى رجلٍ سبق الناس إلى الهدى، و آمن بالله و عبّده و كلُّ من فى الأرض يعبد الحجر و يجحد الخالق. لم يسبقه أحدٌ إلى التوحيد إلّا

السابق إلى كلّ خير محمد رسول الله .

ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنّه عليه السلام أوّل الناس اتباعاً لرسول الله و إيماناً به و لم يخالف فى ذلك إلّا الأقلون.

و قد قال هو عليه السلام : أنا الصّدّيق الأكبر و أنا الفاروق الأوّل، أسلمتُ قبل إسلام الناس، و صليت قبل صلاتهم.

و من وقف على كتب أصحاب الحديث تحقّق ذلك و علمه واضحاً. و إليه ذهب الواقديّ و ابن جرير الطبريّ، و هو القول الذى رجحه و ن-صره صاحب كتاب الاستيعاب.(١)

و لأننا إنّما نذكر فى مقدمه هذا الكتاب جملةً من فضائله عنّت بالعرض لا بالقصد، و جب أن نختصر و نقت-صر. فلو أردنا شرح مناقبه و خصائصه لاحتجنا إلى كتاب مفرد يماثل حجّم هذا، بل يزيد عليه. و بالله التوفيق.(٢)

٤- على عليه السلام و أخلاقه المتضادّه

كان أمير المؤمنين عليه السلام ذا أخلاقٍ متضادّه: فمنها: ما قد ذكره الرضى رحمه الله،(٣)

و

ص: ١١١

١- الاستيعاب لابن عبد البر النمري القرطبيّ ٢: ٤٥٧.

٢- شرح الحديدى، ج ١، ص ١٦، (مصر) و ص ٢٢، (الأعلمى).

٣- قال الرضى فى مقدمه النهج: و من عجائبه عليه السلام التى انفرد بها و أمن المشاركه فيها أن كلامه الوارد فى الزهد و المواعظ و التذكير و الزواجر إذا تأمله المتأمل و فكر فيه المتفكر و خلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره و نفذ أمره و أحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك فى أنه كلام من لا حظ له فى غير الزهاده و لا شغل له بغير العباده قد قيع فى كسر بيت أو انقطع إلى سفح جبل لا يسمع إلا حسه و لا يرى إلا نفسه و لا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس فى الحرب مصلتا سيفه، فيقطّ الرقاب و يجدّل الأبطال و يعود به ينظف دما و يقطر مهجا و هو مع تلك الحال زاهد الزهاد و بدل الأبدال و هذه من فضائله العجيبه و خصائصه اللطيفه التى جمع بها بين الأضداد و ألف بين الأشتات و كثيرا ما أذاكر الإخوان بها و أستخرج عجبهم منها و هى موضع للعبره بها و الفكره فيها.

هو موضع التعجب؛ لأنَّ الغالب على أهل الشجاعه والإقدام والمغامره والجرأه أن يكونوا ذوى قلوب قاسيه، وفتكٍ وتمرّدٍ و
حَيَبْرِيَه؛ والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذّها والإشتغال بمواعظ الناس وتخويفهم المعادَ و تذكيرهم
الموت، أن يكونوا ذوى رَقَه و لين، و ضعفِ قلبٍ، و خَوَرِ طبعٍ. و هاتان حالتان متضادّتان، و قد اجتمعتا له عليه السلام .

و منها: أنّ الغالب على ذوى الشجاعه و إراقه الدماء أن يكونوا ذوى أخلاق سَبِعيّه و طباع حوشيّه و غرائز وحشيّه؛ و كذلك
الغالب على أهل الزهاده و أرباب الوعظ و التذكير و رفض الدنيا أن يكونوا ذوى انقباض فى الأخلاق و عُبوس فى الوجوه، و
نِفارٍ من الناس و استيحاش. و أمير المؤمنين عليه السلام كان أشجع الناس و أعظمهم إراقه للدم، و أزهد الناس و أبعدهم عن
ملاذّ الدنيا، و أكثرهم وعظاً و تذكيراً بأيام الله و مثلاته، و أشدّهم اجتهاداً فى العباده و آداباً لنفسه فى المعامله. و كان مع ذلك
الطف العالم أخلاقاً و أسفرهم وجهاً و أكثرهم بشرأً، و أوفاهم هشاشه و أبعدهم عن انقباض موحش، أو خلق نافرٍ أو تجهم
مباعد، أو غلظه و فظاظه تنفّر معهما نفس، أو يتكدر معهما قلب؛ حتى عيب بالدعابه. و لما لم

يجدوا فيه مغمزاً و لا مطعناً، تعلقوا بها، و اعتمدوا فى التنفير عنه عليها:

و تلك شكاه ظاهرٌ عنك عارها. (١)

ص: ١١٢

١- . الشكاه توضع موضع العيب و الدم؛ و غير رجل عبد الله بن الزبير بأمه؛ فقال ابن الزبير:

و هذا من عجائبه و غرائبه اللطيفه.

و منها: أن الغالب على شرفاء الناس و من هو من أهل بيت السيادة و الرئاسة أن يكون ذا كبرٍ و تيهٍ و تعظّم و تغَطُّسٍ؛ خصوصاً إذا أضيف إلى شرفه من جهة النسب شرفه من جهات أخرى. و كان أمير المؤمنين عليه السلام فى مُصاص الشرف و معدنه و معانيه؛ لا يشكُّ عدوُّ و لا صديق أنه أشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمه، و قد حصل له من ال-شرف غير شرف النسب جهاتٌ كثيرة متعددة قد ذكرنا بعضها. و مع ذلك فكان أشدّ الناس تواضعاً لصغير و كبير، و ألينهم عريكه و أسمحهم خلُقاً، و أبعدهم عن الكبر و أعرفهم بحقّ. و كانت حاله هذه فى كلّ زمانيه: زمان خلافته و الزمان الذى قبله، لم تغَيِّره الإمرة؛ و لا أحالت خلقه الرئاسة. و كيف تُحيل الرئاسة خلقه و ما زال رئيساً، و كيف تغَيِّر الإمرة سجيته و ما برح أميراً. لم يستفد بالخلافه شرفاً و لا اكتسب بها زينه؛ بل هو كما قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل؛ ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى فى تاريخه المعروف بالمنتظم: تذاكروا عند أحمد خلافة أبى بكر و

ص: ١١٣

١- أراد أن تعبيره إياه بأن أمه كانت ذات النطاقين ليس بعار. و معنى قوله: «ظاهر عنك عارها»، أى ناب، أراد أن هذا ليس عارا يلزق به؛ و أنه يفتخر بذلك؛ لأنها إنما سميت ذات النطاقين، لأنه كان لها نطاقان تحمل فى أحدهما الزاد إلى أبيها و هو مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الغار و كانت تنتطق بالنطاق الآخر، و هى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها. اللسان: (١٩: ١٧١)، و ديوان الهذليين (١: ٢١)، و هذا عجز بيت لأبى ذؤيب الهذلى، و صدره: * و غيرها الواشون أنى أحبها*

علِيّ، وقالوا فأكثرُوا. فرفع رأسه إليهم وقال: قد أكثرتم أنْ عليّاً لم تَزِنه الخِلافه، و لكنّه زانها. و هذا الكلام دالّ بفحواه و مفهومه على أنّ غيره ازدان بالخلافه و تمّت نقصه؛ و أنّ عليّاً عليه السلام لم يكن فيه نقصٌ يحتاج إلى أن يتمّ بالخلافه؛ و كانت الخلافه ذات نقص في نفسها؛ فتّم نقصها بولايتها إيّاها.

و منها: أنّ الغالب على ذوى الشجاعه و قتل الأنفس و إراقه الدماء أن يكونوا قليلى الصّيف، بعيدى العفو؛ لأنّ أكبادهم واغره و قلوبهم ملتبهه، و القوّه الغضبيه عندهم شديده. و قد علمتّ حال أمير المؤمنين عليه السلام فى كثره إراقه الدّم و ما عنده من الحلم و الصّفح، و مغالبه هوى النفس؛ و قد رأيتّ فعله يوم الجمل. و لقد أحسن مهيار فى قوله: (١)

ح-ت-ى إذا دارت رَحَى ب-غِيهِمْ ***عليهم و سبق السيْف الع-ذل

ع-اذوا بع--ف-وم-اج-د م-عوْد ***للع-فو حَمالٍ له-م-ع-لى العِلل

فَنَجَّت البُقيا عليهم مَن ن-جا ***و أَكَلَ الحديدُ من-هم مَن أَكَل

أَط-ت بهم أرحامُهم فلم يُطع ***نائره الغيظ و لم يشفِ الغلل

و منها: أنّا ما رأينا شجاعاً جواداً قطّ. كان عبد الله بن الزبير شجاعاً و

كان أبخل الناس، و كان الزبير أبوه شجاعاً و كان شحيحاً. قال له عمر: لو وُلّيتها لظلتّ تُلاطم الناس فى البطحاء على الصّاع و الميّد. و أراد عليّ عليه السلام أن يحجّر على عبد الله بن جعفر لتبذيره المال، فاحتال لنفسه، فشارك الزبير فى أمواله و تجاراته. فقال عليه السلام: «أما إنّّه قد لاذ بملاذ»، و لم يحجّر عليه.

و كان طلحه شجاعاً و كان شحيحاً، أمسك عن الإنفاق حتى خلف من الأموال ما لا يأتى عليه الحصر. و كان عبد الملك شجاعاً و كان شحيحاً،

ص: ١١٤

١- . من قصيده فى ديوانه ٣: ١٠٩-١١٦ يذكر فيها مناقب الإمام عليّ عليه السلام و ما معنى به من أعدائه.

يضرب به المثل في الشح، وسمى رشح الحجر ليخله. وقد علمت حال أمير المؤمنين عليه السلام في الشجاعه و السخاء كيف هي؛ و هذا من أعاجيبه أيضاً عليه السلام. (١)

٥- سبب دخول عليّ عليه السلام في الشورى

روى القطب الراوندى: أنّ عمر لما قال: كونوا مع الثلاثة التي عبد الرحمن فيها، قال ابنُ عباس لعليّ عليه السلام: ذهب الأمرُ منّا، الرّجل يريد أن يكون الأمر في عثمان.

فقال عليّ عليه السلام: «و أنا أعلم ذلك، و لكنني أدخل معهم في الشورى، لأنّ عمر قد أهلني الآن للخلافه و كان قبل ذلك يقول: إنّ رسول الله قال: إنّ النبوه و الإمامه لا يجتمعان في بيت؛ فأنا أدخل في ذلك لأظهر للناس مناقضه فعله لروايته».

الذي ذكره الراوندى غير معروف، و لم ينقل عمر هذا عن رسول الله ،

و لكنّه قال لعبد الله بن عباس يوماً: يا عبد الله، ما تقول منع قومكم منكم؟

قال: لا أعلم يا أمير المؤمنين.

قال: اللهم غفراً، إنّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوه و الخلافه، فتذهبون في السماء بُدْخاً و شُمَخاً، لعلكم تقولون: إنّ أبا بكر أراد الإمرة عليكم و هَضَمَكُم؛ كلاً، لكنّه حضره أمرٌ لم يكن عنده أحزم ممّا فعل. و لو لا رأى أبي بكر فيّ بعد موته لأعاد أمركم إليكم. و لو فعل

ص: ١١٥

١- شرح الحديدى، ج ١، ص ٥٠، (مصر) و ص ٤٨، (الأعلمى).

ما هناكم مع قومكم، إنهم لينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره. (١)

أقول: يكفى فى ردّ مقاله الحديدي هذه، ما جاء فى حاشيه البحار ما هذا لفظه: «كلام عمر هذا الذى نقله ابن أبى الحديد و اعترف به، يكشف عن حسادتهم، وقد قال الله عزّ و جلّ: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا». (٢)

و أما الروايه التى أشار إليها، فقد ذكره فى ج ١ / ١٣٤ عن كتاب السقيفه لابی بكر الجوهريّ، قال: حدّثنى أبو زيد قال: حدّثنا هارون بن عمر باسناد رفعه الى ابن عباس قال:

تفرق الناس ليله الجابيه عن عمر فسار كل واحد مع إلفه، ثم صادفت عمر تلك الليله فى المسير، فحادثته، فشكى إلى تخلف علىّ عنه. فقلت: أ لم يعتذر إليك؟ قال: بلى، فقلت: هو ما اعتذر به، قال: يا ابن عباس، إن أول من راثكم عن هذا

الأمر أبو بكر، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافه و النبوه. قلت: لم ذاك يا أمير المؤمنين، أ لم تنلهم خيراً؟ قال: بلى، و لكنهم لو فعلوا لكنتم عليهم حجفاً حجفاً. (٣)

٦- يوم الرزيه

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز (الجوهريّ): حدّثنى يعقوب بن شيبه باسناد رفعه إلى طلحه بن مصرف قال: قلت لهذيل بن شرحبيل: إن الناس

ص: ١١٦

١- شرح الحديدي، ج ١، ص ١٨٩، (مصر) و ص ١٤٧، (الأعلمي).

٢- النساء، ٥٤.

٣- بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٢٩٥.

يقولون: إن رسول الله أوصى إلى عليّ عليه السلام .

فقال: أبو بكر يتأمر على وصي رسول الله؟ ودّ أبو بكر أنّه وجد من رسول الله عهداً، فخرم أنفه.

قلت: هذا الحديث قد خرّجه الشيخان: محمد بن إسماعيل البخاريّ و مسلم بن الحجاج القشيريّ في صحيحيهما عن طلحة بن مصـرف، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: أوصى (١) رسول الله؟ قال: لا. قلت: فكيف كتب على المسلمين الوصيه (٢) أو كيف أمر بالوصيه و لم يوص (٣)؟ قال: أوصى بكتاب الله. (٤)

قال طلحة: ثم قال ابن أوفى: ما كان أبو بكر يتأمر على وصي رسول

الله؛ ودّ أبو بكر أنّه وجد من رسول الله عهداً، فخرم أنفه بخزاه.

و روى الشيخان في الصحيحين عن عائشه أنّه ذكر عندها: أنّ رسول الله أوصى. قالت: و متى أوصى، و من يقول ذلك؟ قيل: إنّهم يقولون. قالت: من يقوله؟ لقد دعا بطست لبيول، و إنّ بين سحري و نحري، فانخث (٥) في صدري، فمات و ما شعرت. (٦)

و في الصحيحين أيضاً خرّجاه معاً عن ابن عباس، أنّه كان يقول: يوم

ص: ١١٧

١- . لفظ مسلم: «هل أوصى؟».

٢- . لفظ مسلم: «فلم كتب على المسلمين الوصيه؟».

٣- . لفظ مسلم: «أو فلم أمروا بالوصيه؟».

٤- . صحيح مسلم ٣: ١٢٥٦.

٥- . انخث: مال و سقط.

٦- . لفظ مسلم ٣: ١٢٥٧ بسنده عن الأسود بن يزيد: «ذكروا عند عائشه أنّ عليا كان وصيا، فقالت: متى أوصى إليه؟ فقد كنت

مسندته إلى صدري- أو قالت حجري- فدعا بالطست، فلقد انخث في حجري، و ما شعرت أنّه مات، فمتى أوصى إليه؟».

الخميس، و ما يوم الخميس. ثم بكى حتى بل دمه الحصى. فقلنا: يا ابن عباس، و ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله وجعه، فقال: «اثنوني بكتاب أكتبه لكم (١) لا تضلوا بعدى أبداً». فتنازعوا، فقال: «إنه لا ينبغي عندي تنازع».

فقال قائل: ما شأنه، أ هجر؟ استفهموه.

فذهبوا يعيدون عليه، فقال: «دعوني، و الذى أنا فيه خيرٌ من الذى أنتم فيه».

ثم أمر بثلاثة أشياء، فقال: «أخرجوا المشركين من جزيره العرب، و أجزوا الوفد بنحو ما كنت أجزهم».

و سئل ابن عباس عن الثالثه، فقال: إمّا ألا يكون تكلم بها، و إمّا أن يكون

قالها فنسيت. (٢)

و فى الصحيحين أيضاً خرّجاه معاً عن ابن عباس رحمه الله تعالى، قال: لما احتضر (٣) رسول الله، و فى البيت رجال، منهم عمر بن الخطاب، قال النبى: «هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده».

فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع، و عندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف القوم و اختصموا، فمنهم من يقول: قربوا إليه يكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده؛ و منهم من يقول: القول ما قاله عمر.

فلما أكثروا اللغو و الإختلاف عنده عليه السلام، قال لهم: «قوموا». فقاموا؛ فكان ابن عباس يقول: إن الرزيه كل الرزيه ما حال بين رسول الله و بين أن

ص: ١١٨

١- . لفظ مسلم: «اثنوني أكتب لكم كتاباً».

٢- . لفظ مسلم: «قال: و سكت عن الثالثه أو قال: فأنسيته»، و الحديث فى صحيحه ٣: ١٢٥٧-١٢٥٨.

٣- . لفظ مسلم: «حضر»؛ و هما بمعنى حضره الموت.

يكتب لكم (١) ذلك الكتاب. (٢)

و ذكر في الجزء السادس من الشرح أيضاً:

قال أبو بكر: و حدّثنا الحسن بن الربيع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهريّ عن عليّ بن عبد الله بن العباس عن أبيه قال:

لما حضرت رسول الله الوفاة و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال رسول الله: «اثنوني بدواه و صحيفه أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدى».

فقال عمر كلمه معناها: أنّ الوجد قد غلب على رسول الله؛ ثمّ قال: عندنا

القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف من في البيت و اختصموا؛ فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله؛ و من قائل يقول: القول ما قال عمر. فلمّا أكثروا اللّغط و اللغو و الإختلاف، غَضِب رسول الله، فقال: «قوموا، إنّّه لا ينبغي لنبى أن يختلف عنده هكذا». فقاموا، فمات رسول الله في ذلك اليوم. فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزيه كلّ الرزيه ما حال بيننا و بين كتاب رسول الله . يعنى الإختلاف و اللغط.

قلت: هذا الحديث قد خرجه الشيخان: محمد بن إسماعيل البخاريّ و مسلم بن الحجاج القشيريّ في صحيحيهما، و اتفق المحدّثون كافه على روايته. (٣)

ثمّ نقل الحديدي في الجزء الثاني عشر مكالمه من ابن عباس و عمر في ذلك، فهذا أصلها:

ص: ١١٩

١- . لفظ مسلم: «لهم».

٢- . شرح الحديدي، ج ٢، ص ٥٤، (مصر) و ص ٢٩٥، (الأعلمي).

٣- . شرح الحديدي، ج ٦، ص ٥١، (مصر) و ص ٢٠٨، (الأعلمي).

روى ابن عباس رضى الله عنه قال: دخلت على عمر في أول خلافته، وقد ألقى له صاعاً من تمر على خَصِيْفِهِ، (١) فدعاني إلى الأكل، فأكلتُ تمره واحده، و أقبل يأكل حتى أتى عليه. ثم شرب من جرٍّ (٢) كان عنده، و استلقى على مرفقيه له، و طفق يحمّد الله يكرّر ذلك. ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟ قلتُ: من المسجد. قال: كيف خلفت ابن عمّك؟ فظننته يعنى عبد الله بن جعفر؛ قلتُ: خلفته يلعب مع أترابه. قال: لم أعن ذلك؛ إنّما عنيتُ عظيمكم أهل البيت. قلتُ: خلفته يمتح بالغرب (٣) على نخيلاتٍ من فلان و هو يقرأ

القرآن. قال: يا عبد الله، عليك دماء البُدن إن كتمتنيها. هل بقى فى نفسه شىء من أمر الخلافه؟ قلتُ: نعم. قال: أيزعم أنّ رسول الله نصّ عليه؟ قلتُ: نعم، و أزيدك، سألتُ أبى عمّا يدّعيه، فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله فى أمره ذرؤٌ (٤) من قول، لا- يثبت حججه و لا يقطع عذراً. و لقد كان يربح فى أمره وقتاً ما، و لقد أراد فى مرضه أن يصرح باسمه، فمنعتُ من ذلك إشفافاً و حيظه على الإسلام. لا، و ربّ هذه البتّه لا تجتمع عليه قریش أبداً، و لو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها. فعلم رسول الله أنّى علمتُ ما فى نفسه، فأمسك؛ و أبى الله إلّا إمضاء ما حتم.

ذكر هذا الخبر أحمد بن أبى طاهر صاحب كتاب «تاريخ بغداد» فى كتابه مسنداً. (٥)

ص: ١٢٠

- ١- . الخصفه، محرکه: الجله تعمل من الخوص للتمر.
- ٢- . الجر بفتح الجيم و تشديد الراء: آنيه من خزف، الواحده جره.
- ٣- . الغرب: الدلو.
- ٤- . ذرو: طرف.
- ٥- . شرح الحديدى، ج ١٢، ص ٢١، (مصر) و ص ٢٠٦، (الأعلمى).

قال أبو بكر (الجوهري): وأخبرنا أبو زيد قال: حدّثنا عبد العزيز بن الخطاب قال: حدّثنا عليّ بن هشام مرفوعاً إلى عاصم بن عمرو بن قتاده، قال:

لقي عليّ عليه السلام عمر، فقال له عليّ عليه السلام: أنشدك الله، هل استخلفك رسول الله؟ قال: لا. قال: فكيف تصنع أنت و صاحبك؟ قال: أمّا صاحبي فقد م-ضى لسبيله، و أمّا أنا فسأخلعها من عنقي إلى عنقك. فقال: جدع الله أنف من يُنقذك منها، لا و لكن جعلني الله علماً فإذا قمتُ فمن خالفني ضلّ.

و اعلم أنّ الآثار و الأخبار في هذا الباب كثيره جدّاً، و من تأملها و أنصف عَلم أنّه لم يكن هناك نصّ صريح و مقطوع به لا تختلجه الشكوك و لا تتطرّق إليه الإحتمالات كما تزعم الإماميه؛ فإنّهم يقولون: إنّ الرسول نصّ على أمير المؤمنين عليه السلام نصّاً صريحاً جلياً ليس بنصّ يوم الغدير و لا- خبر المنزله، و لا- ما شابههما من الأخبار الوارده من طرق العامه و غيرها؛ بل نصّ عليه بالخلافه و بإمره المؤمنين، و أمر المسلمين أن يسلموا عليه بذلك، فسلموا عليه بها؛ و صرح لهم في كثير من المقامات بأنّه خليفه عليهم من بعده؛ و أمرهم بالسمع و الطاعه له.

و لا ريب أنّ المنصف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفاه رسول الله، يعلم قطعاً أنّه لم يكن هذا النصّ، و لكن قد سبق إلى النفوس و العقول أنّه قد كان هناك تعريض و تلويح و كنايه و قولٌ غير صريح و حكم غير مبتوت؛ و لعلّه كان يصدّه عن التصريح بذلك أمرٌ يعلمه و مصلحه يراعيها، أو وقوف مع إذن الله تعالى في ذلك.

فأثراً امتناع عليّ عليه السلام من البيعه حتى أخرج على الوجه الذى أخرج عليه، فقد ذكره المحدثون و رواه أهل السير؛ و قد ذكرنا ما قاله الجوهري في هذا الباب و هو من رجال الحديث و من الثقات المأمونين؛ و قد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثره. (١)

أقول: قال البحراني رحمه الله راداً على الحديدى بما هذا لفظه: «انظر إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام في استدراكه: «و لك- ن جعلن-ى الله علما» الخ بعد سؤال-ه ل-عم-ر- «استخلفك رسول

الله؟» - فقال عمر: لا- يعطى كلامه عليه السلام: أن الإمامه لا- تكون إلا بالنص من رسول الله عن الله جلّ جلاله، و أنه عليه السلام هو العلم المنصوب من الله تعالى إماماً بعد رسول الله، و هذا واضح بين من الحديث، فالعامه في هذه المسأله لا يعقلون شيئاً و لا يهتدون». (٢)

ثم نقل البحراني رحمه الله عن شرح الحديدى بيتين من شاعر شيعي:

و قال شاعر من شعراء الشيعة:

حملوها يوم السقيفه أوزارا تضيّق عن حملهنّ الج-ب-ال

و أتوا بع-ده-ا يست-قى-لون

و هيهات تلك عثره لا تقال (٣)

٨- الأحاديث الغيبية

بحث الشارح المعتزلى عن علم الإمام عليه السلام بالمغيبات في موضعين من كتابه؛ أحدهما في ذيل خطبه ٣٧ عند قوله عليه السلام:

ص: ١٢٢

١- شرح الحديدى، ج ٢، ص ٥٨، (مصر) و ص ٢٩٨، (الأعلمى).

٢- حليه الأبرار فى أحوال محمد و آله الأطهار، ج ٢، ص ٣١٩.

٣- شرح الحديدى، ج ١، ص ١٦٨، (مصر) و ص ١٣١، (الأعلمى).

«سلونى قبل أن تفقدونى»؛ و الآخر فى شرح خطبه ٩٢. اخترنا من الموضوع الأول ثلاثة قصص بما يلى:

١. روى عثمان بن سعيد عن يحيى التيمى عن الأعمش عن إسماعيل بن

رجاء قال: قام أعشى همدان (١) - وهو غلام يومئذ حَدَثَ - إلى على عليه السلام - وهو يخطب و يذكر الملاحم - فقال: يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خُرافه.

فقال على عليه السلام: إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف؛ ثم سكت.

فقال رجال فقالوا: و من غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟

قال: غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمه إلا انتهكها؛ يضرب عنق هذا الغلام بسيفه.

فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟

قال: عشرين إن بلغها. قالوا: فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال إسماعيل بن رجاء: فوالله لقد رأيت بعينى أعشى باهله، وقد أح--ضرفى جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج؛ فقرّعه و وبّخه، و استنشده شعره الذى يحرض فيه عبد الرحمن على الحرب؛ ثم ضرب عنقه فى ذلك المجلس.

٢. و روى محمد بن على الصوّاف عن الحسين بن سفيان عن أبيه عن شَمِير بن سَدِير الأزدى قال: قال على عليه السلام لعمر بن الحمق الخزاعى: أين نزلت يا عمرو؟ قال: فى قومي. قال: لا تنزلنّ فيهم. قال: فأنزل فى بنى كنانة جيراننا؟

ص: ١٢٣

١- . أعشى همدان، أسره الحجاج ثم قتله؛ و انظر الأغاني ٦: ٥٨-٦٢.

قال: لا. قال: فأنزل في ثقيف. قال: فما تصنع بالمعزّه و المجره؟ قال: و ما هما؟ قال: عنقان من نار يخرجان من ظهر الكوفه، يأتي أحدهما على تميم و بكر بن وائل؛ فقلّما يُفْلِتُ منه أحدٌ. و يأتي العنق

الآخر فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفه؛ فقلّ من يصيب منهم؛ إنّما يدخل الدار فيحرق البيت و البيتين. قال: فأين أنزل؟ قال: انزل في بني عمرو بن عامر من الأزد.

قال: فقال قوم حضروا هذا الكلام: ما نراه إلّا كاهناً يتحدّث بحديث الكهنه. فقال: «يا عمرو، إنّك المقتول بعدى و إن رأسك لمنقول؛ و هو أوّل رأس يُنقل في الإسلام؛ و الويل لقاتلك. أما إنّك لا تنزل بقوم إلّا أسلموك برؤمتك، (1) إلّا هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الأزد؛ فإنّهم لن يسلموك و لن يخذلوك».

قال: فوالله ما مضت إلّا أيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافه معاويه في بعض أحياء العرب خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعه. فأسلموه، فقتل و حُمل رأسه من العراق إلى معاويه بالشام. و هو أوّل رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى بلد.

٣. و روى إبراهيم بن ميمون الأزدي عن حبه العرنى قال: كان جويريه بن مسهر العبدى صالحاً، و كان لعلّى بن أبى طالب صديقاً و كان علّى يحبه؛ و نظر يوماً إليه و هو يسير فناده: «يا جويريه، الحق بي، فإنّى إذا رأيتك هويتك».

قال إسماعيل بن أبان: فحدّثنى الصّباح عن مسلم عن حبه العرنى قال: سترنا مع علّى عليه السلام يوماً فالتفت فإذا جويريه خلفه بعيداً، فناده: «يا جويريه، الحق بي لا أبا لك؛ ألا تعلم أنّى أهواك و أحبّك». قال: فركض نحوه فقال له: «إنّى محدّثك

ص: ١٢٤

١- . أسلموك برمتك، أى أسلموك بجميع ما معك.

بأمور فاحفظها». ثم اشتركا في الحديث سرّاً. فقال له جويريه: يا

أمير المؤمنين، إني رجل نسيّ. (١) فقال له: «إني أعيد عليك الحديث لتحفظه». ثم قال له في آخر ما حدّثه إياه: «يا جويريه، أحبّ حبيبتنا ما أحبنا، فإذا أبغضنا فأبغضه، و أبغض بغيضنا ما أبغضنا، فإذا أحبنا فأحبّه». قال: فكان ناسٌ ممن يشكّ في أمر عليّ عليه السلام يقولون: أتراه جعل جويريه وصيّته كما يدعى هو من وصيه رسول الله؟ قال: يقولون ذلك لشده اختصاصه له، حتى دخل على عليّ عليه السلام يوماً وهو مضطجع وعنده قوم من أصحابه، فناداه جويريه: أيها النائم، استيقظ، فلتُ-ضربنّ على رأسك ضربه تخضب منها لحيتك.

قال: فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام؛ قال: «و أحدثك يا جويريه بأمرك، أما والذي نفسي بيده لكتعتنّ (٢) إلى العتّلّ الزنيم، فليقطعنّ يدك ورجلك، و ليصلبنك تحت جذع كافر».

قال: فوالله ما مضت إلّا أيام على ذلك حتى أخذ زياد جويريه، فقطع يده ورجله، و صلّبه إلى جانب جذع ابن مكعب، و كان جذعاً طويلاً، فصلبه على جذع قصير إلى جانبه. (٣)

و قال في الموضوع الثاني ما هذا كلامه:

و اعلم أنه عليه السلام قد أقسم في هذا الفصل (٤) بالله الذي نفسه بيده أنهم لا

ص: ١٢٥

١- . النسي: الكثير النسيان.

٢- . يقال: عتله عتلا؛ إذا أخذه بمجامعه و جره جرا عنيفا.

٣- . شرح الحديدي، ج ٢، ص ٢٨٨، (مصر) و ص ٤٥٦، (الأعلمي).

٤- . يعنى قوله عليه السلام فى خطبه ٩٢: «فاسألونى قبل أن تفقدونى فوالذى نفى سى بيده لا تسألونى عن شئ فيما بينكم و بين الساعه و لا عن فئه تهدى مائه و تضل مائه إلّا أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها و مناخ ركبها و محط رحالها و من يقتل من أهلها قتلاً و من يموت منهم موتاً و لو قد فقدتمونى و نزلت بكم كرائه الأمور و حوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين و فسل كثير من المسؤلين».

يسألونه عن أمرٍ يحدث بينهم و بين القيامة إلّا أخبرهم به، و أنه ما صحّ من طائفه من الناس يهتدى بها مائه و تضلّ بها مائه إلّا و هو مخبرٌ لهم - إن سألوه - برعاتها و قائدها و سائقها و مواضع نزول ركابها و خيولها و من يقتل منها قتلاً و من يموت منها موتاً. و هذه الدعوى ليست منه عليه عليه السلام ادّعاء الرّبوبيّه، و لا ادّعاء النبوه، و لكنّه كان يقول: إنّ رسول الله أخبره بذلك. و لقد امتحنّا إخباره، فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكوره.

كإخباره عن الضربه يُضرب بها فى رأسه فتخضب لحيته.

و إخباره عن قتل الحسين ابنه^٢، و ما قاله فى كربلاء حيث مرّ بها.

و إخباره بملك معاويه الأمر من بعده.

و إخباره عن الحجاج و عن يوسف بن عمر، و ما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان.

و ما قدمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم، و صلب من يُصلب.

و إخباره بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين.

و إخباره بعده الجيش الوارد إليه من الكوفه لما شَخَص عليه السلام إلى الب-صره لحرب أهلها، و

و كم له من الإخبار عن الغيوب الجاربه هذا المجرى، ممّا لو أردنا استقصاءه لك-سرنا له كراريس كثيره؛ و كتب السير تشتمل عليها مشروحه.

فإن قلت: لما ذا غلا الناس فى أمير المؤمنين عليه السلام، فادّعوا فيه الإلهيه، لإخباره عن الغيوب التى شاهدوا صدقها عياناً، و لم يغلوا فى رسول الله فيدّعوا له الإلهيه، و أخباره عن الغيوب الصادقه قد سمعوها و علموها

يقيناً، و هو كان أولى بذلك، لأنه الأصل المتبوع و معجزاته أعظم و أخباره عن الغيوب أكثر.

قلت: إن الذين صحبوا رسول الله و شاهدوا معجزاته و سمعوا أخباره عن الغيوب الصادقه عياناً، كانوا أشد آراء و أعظم أحلاماً و أوفر عقولاً من تلك الطائفة الضعيفه العقول السخيفه الأحلام، الذين رأوا أمير المؤمنين عليه السلام فى آخر أيامه، كعبد الله بن سبأ و أصحابه، فإنهم كانوا من ركاه البصائر و ضعفها على حال مشهوره، فلا عجب عن مثلهم أن تستخفهم المعجزات، فيعتقدوا فى صاحبها أن الجوهر الإلهى قد حلّه، لاعتقادهم أنه لا يصحّ من البشر هذا إلّا بالحلول.

و قد قيل: إن جماعه من هؤلاء كانوا من نسل النصارى و اليهود، و قد كانوا سمعوا من آبائهم و سلفهم القول بالحلول فى أنبيائهم و رؤسائهم، فاعتقدوا فيه عليه السلام مثل ذلك. و يجوز أن يكون أصل هذه المقاله من قوم ملحدين، أرادوا إدخال الإلحاد فى دين الإسلام، فذهبوا إلى ذلك؛ و لو كانوا فى أيام رسول الله لقالوا فيه مثل هذه المقاله، إضلالاً لأهل الإسلام و قصداً لإيقاع الشبهه فى قلوبهم. و لم يكن فى الصحابه مثل هؤلاء، و لكن قد كان فيهم منافقون و زنادقه، و لم يهتدوا إلى هذه الفتنة و لا خطر لهم مثل هذه المكيدة.

و ممّا ينقدح لى من الفرق بين هؤلاء القوم و بين العرب الذين عاصروا رسول الله: أن هؤلاء من العراق و ساكنى الكوفه، و طينه العراق ما زالت تنبت أرباب الأهواء و أصحاب النحل العجيبه و المذاهب البديعه، و أهل هذا الإقليم أهل بصير و تدقيق و نظر و بحث عن الآراء و العقائد و شبه معترضه فى المذاهب. و قد كان منهم فى أيام الأكاسره مثل:

مانى و

ص: ١٢٧

ديصان و مَرْدَك و غيرهم، و ليست طينه الحجاز هذه الطينه، و لا أذهان أهل الحجاز هذه الأذهان؛ و الغالب على أهل الحجاز الجفاء و العجفيه و خشونه الطبع، و مَنْ سكن المدن منهم كأهل مكه و المدينه و الطائف فطباعُهُمْ قريبه من طباع أهل الباديه بالمجاوره، و لم يكن فيهم من قبلُ حكيِّم و لا فيلسوف و لا صاحبُ نظرٍ و جدلٍ و لا موقعٍ شبهه و لا مبتدعٍ نحله. و لهذا نجد مقاله الغُلاه طارئه و ناشئه من حيث سكن علي عليه السلام بالعراق و الكوفه، لا فى أيام مقامه بالمدينه، و هى أكثر عمره.

فهذا ما لاح لى من الفرق بين الرّجلين فى المعنى المقدم ذكره.(١)

٩- الغدير و عقاب منكره

١. روى عثمان بن سعيد عن شريك بن عبد الله قال: لما بلغ علياً عليه السلام أنّ الناس يتهمونه فيما يذكره من تقديم النبي و تفضيله إياه على الناس، قال: «أَنشُدُ اللَّهَ مَنْ بَقِيَ مَمَّنْ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ و سمع مقاله فى يوم غدير خمّ، إلّا قام فشهد بما سمع».

فقام ستّه مَمَّنْ عن يمينه من أصحاب رسول الله و ستّه مَمَّنْ على شماله من الصحابه أيضاً، فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله يقول ذلك اليوم و هو رافع بيدي علي عليه السلام: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله و أحبّ من أحبّه و أبغض من أبغضه».(٢)

ص: ١٢٨

-
- ١- شرح الحديدى، ج ٧، ص ٤٧، (مصر) و ص ٣٤، (الأعلمى).
 - ٢- شرح الحديدى، ج ٢، ص ٢٨٨، (مصر) و ص ٤٥٦، (الأعلمى).

٢. روى أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن الجوزي في كتاب «المنتظم»: أن زياداً لما حصبه (١) أهل الكوفة و هو يخطب على المنبر، قطع أيدي ثمانين منهم؛ و همّ أن يخزّب دورهم و يجمّر نخلهم. فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد و الرّحبه، يعرضهم على البراءه من عليّ عليه السلام؛ و علم أنّهم سيمتنعون؛ فيحتجّ بذلك على استئصالهم و إخراج بلدهم.

قال عبد الرحمن بن السائب الأنصاريّ: فإني لمع نفرٍ من قومي و الناس يومئذ في أمر عظيم؛ إذ هومت تهويمه، (٢) فرأيتُ شيئاً أقبل طويل العنق، مثل عنق البعير أهدر أهدل. (٣)

فقلت: ما أنت؟ فقال: أنا النّقاد ذو الرقبه، بعثتُ إلى صاحب هذا الق-صر. فاستيقظت فزعاً فقلتُ لأصحابي: هل رأيتم ما رأيتم؟ قالوا: لا. فأخبرتهم، و خرج علينا خارجٌ من الق-صر فقال: انصرفوا، فإنّ الأمير يقول لكم: إنني عنكم اليوم مشغول. و إذا بالطاعون قد ضربه؛ فكان يقول: إنني لأجد في النّصف من جسدي حرّ النار حتى مات. فقال عبد الرحمن بن السائب:

م-ا كان مُنتَه-ياع-م-ا أراد ب-ن-ا حتى ت-ن-اول-ه الن-قّاد ذو الرقب-ه

ف-ا ثب-ت الشّقّ منه ضربه عظمت كم-ا تناول ظلماً صاحب الرّحبه

قلت: قد يظنّ ظانّ أنّ قوله: «صاحب الرّحبه» يمكن أن يحتجّ به من

قال: إنّ قبر أمير المؤمنين عليه السلام في رحبه المسجد بالكوفه. و لا حجّه في ذلك، لأنّ أمير المؤمنين كان يجلس معظم زمانه في رَحبه المسجد يحكم بين الناس،

ص: ١٢٩

١- . حصبه أي رماه بالحصي.

٢- . التهويم: هز الرأس من النعاس.

٣- . يقال: هدر البعير؛ صوت في غير شقشقه، و الجمل الأهدل: المسترخى المشفر.

فجاز أن ينسب إليه بهذا الاعتبار. (١)

٣. عن رباح بن الحارث النخعي قال: كنت جالساً عند عليّ عليه السلام إذ قدم عليه قوم متلثمون، فقالوا: السلام عليك يا مولانا. فقال لهم: «أَو لَسْتُمْ قَوْمًا عَرَبًا؟». قالوا: بلى، و لكننا سمعنا رسول الله يقول يوم غدیر خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، و انص - ر من نصره و اخذل من خذله».

قال: فلقد رأيتُ عليّاً عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذُه؛ (٢) ثم قال: «اشهدوا».

ثم إنَّ القوم مضوا إلى رحالهم فتبعْتهم، فقلتُ لرجل منهم: من القوم؟ قالوا: نحن رهطٌ من الأنصار، و ذاك - يعنون رجلاً منهم - أبو أيوب، صاحب منزل رسول الله . قال: فأتيته فصافحته. (٣)

٤. قال (ابو جعفر الإسكافي): و قد كان في المحدثين من يبغضه عليه السلام ، و يروى فيه الأحاديث المنكره. منهم حريز بن عثمان؛ كان يبغضه و ينتقصه، و يروى فيه أخباراً مكذوبه. و قد روى المحدثون: أنّ حريزاً رُؤى في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: كاد يغفر لي لو لا بغض عليّ. (٤)

ص: ١٣٠

١- . شرح الحديدي، ج ٣، ص ١٩٩، (مصر) و ص ١٣٧، (الأعلمي).

٢- . أي مقدّم الأسنان.

٣- . شرح الحديدي، ج ٣، ص ٢٠٨، (مصر) و ص ١٤٤، (الأعلمي).

٤- . شرح الحديدي، ج ٤، ص ٦٩، (مصر) و ص ٢٨٧، (الأعلمي). أقول: روى مثل ذلك المحدث القمي قدس سره في سفينه البحار، ج ٨، ص ٦٧٨: قال أبو عبد الله عليه السلام : من ينشدنا شعر أبي هريره (العجلي)؟ قلت: جعلت فداك أنه كان يشرب، فقال: رحمه الله و ما ذنب أآ و يغفره الله لو لا بغض عليّ عليه السلام . نسب هذه الروايه المحدث النورى رحمه الله في خاتمه المستدرک ج ٩، ص ٢٨٤ إلى معالم العلماء لابن شهر آشوب رحمه الله .

٥. روى يحيى بن عيسى الرملّي عن الأعمش: أنّ جريراً والأشعث خرجا إلى جَبان (١) الكوفة، فمرّ بهما ضبّ يعدو، وهما في ذمّ عليّ عليه السلام . فنادياه: يا أبا حِسل، (٢) هلّم يدك نبايعك بالخلافه. فبلغ عليّاً عليه السلام قولهما، فقال: «أما إنّهما يُحشران يوم القيامة وإمامهما ضبّ». (٣)

٦. أنّ الحجاج كان مثفراً، (٤) و كان يمسك الخنفساء حيّه ليشفى بحركتها في الموضع حكاكه.

قالوا: و لا يكون صاحب هذا الداء إلا شائناً مبغضاً لأهل البيت. قالوا: و لسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الداء، و إنّما قلنا كلّ من فيه هذا الداء فهو مبغض. (٥)

٧. المشهور أنّ عليّاً عليه السلام ناشد الناس الله في الرّحبه بالكوفه، فقال: «أنشدكم الله رجلاً سمع رسول الله يقول لى و هو منصـرف من حجّه الوداع: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه»». فقام رجال فشهدوا بذلك. فقال عليه السلام لأنس بن مالك: «لقد حضرتها، فما

بالك؟». فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت سنى، و صار ما أنساه أكثر ممّا أذكره. فقال له: «إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لا توارىها العمامه». فما مات حتى أصابه البرص. (٦)

ص: ١٣١

١- . الجبان في الأصل: الصحراء، و أهل الكوفه يسمون المقبره جبانه.

٢- . ابو حسل: كنيه الضب.

٣- . شرح الحديدي، ج ٤، ص ٧٥، (مصر) و ص ٢٩١، (الأعلمي).

٤- . رجل ذا أبنه.

٥- . شرح الحديدي، ج ٧، ص ٢٧٩، (مصر) و ص ١٩٠، (الأعلمي).

٦- . شرح الحديدي، ج ١٩، ص ٢١٧، (مصر) و ص ١٢٩، (الأعلمي).

قال الحديدي في شرح قول الإمام عليه السلام: «فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بِيَعْتِي وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي» ما هذا قوله:

هذه كلمات مقطوعه من كلام يَذكر فيه حاله بعد وفاه رسول الله ، و أنه كان معهوداً إليه ألا يُنازع في الأمر و لا يثيرَ فتنه، بل يطلبه بالرفق؛ فإن حصل له و إلا أمسك.

هكذا كان يقول عليه السلام ، و قوله الحق.

و تأويل هذه الكلمات:

«فَنَظَرْتُ فَإِذَا طَاعَتِي لِرَسُولِ اللَّهِ» أي: وجوب طاعتي، فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه.

«قَدْ سَبَقَتْ بِيَعْتِي لِلْقَوْمِ» أي: وجوب طاعه رسول الله عليّ و وجوب امتثالي أمره سابق على بيعتي للقوم؛ فلا سبيل لي إلى الإمتناع من البيعه، لأنه أمرني بها.

«وَ إِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي» أي: رسول الله أخذ عليّ الميثاق بترك الشقاق و المنازعه، فلم يحلّ لي أن أتعدّي أمره أو أخالف نهيه.

فإن قيل: فهذا تصريح بمذهب الإماميه.

قيل: ليس الأمر كذلك؛ بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديين، لأنهم يزعمون أنه الأفضل و الأحقّ بالإمامه، و أنه لو لا ما يعلمه الله و رسوله من أن الأصلح للمكلفين من تقديم المفضول عليه، لكان من تقدّم عليه هالكاً. فرسول الله أخبره: أن الإمامه حقّه و أنه أولى بها من الناس أجمعين، و أعلمه أنّ في تقديم غيره و صبره على التأخر عنها

مصلحه للدين راجعه إلى المكلفين؛ و أنه يجب عليه أن يمسك عن طلبها، و يُغضى عنها لمن هو دون مرتبه. فامتثل ما أمره به رسول الله . و لم يُخرجه تقدّم من كونه الأفضل و الأولى و الأحقّ.

و قد صرح شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى بهذا، و صرح به تلامذته و قالوا: لو نازع عقيب وفاه رسول الله و سل سيفه، لحكمننا بهلا-ك كل من خالفه و تقدم عليه؛ كما حكمننا بهلا-ك من نازعه حين أظهر نفسه. و لكنّه مالك الأمر و صاحب الخلافه، إذا طلبها و جب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، و إذا أمسك عنها و جب علينا القول بعداله من أغضى له عليها. و حكمه في ذلك حكم رسول الله ؛ لأنّه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحه أنّه قال: «علّي مع الحق و الحق مع علّي، يدور حيثما دار». و قال له غير مرّه: «حربك حربى و سلمك سلمى». و هذا المذهب هو أعدل المذاهب عندى و به أقول.(1)

أقول: قال الشارح الخوئي رحمه الله في هذا المجال: «أن تقدّم غيره عليه إمّا أن يكون بفعل الله سبحانه و فعل رسوله، و إمّا أن لا يكون بفعلها بل تقدّم الغير بنفسه لاعتقاده أنّه أحقّ بها

منه عليه السلام ، أو قدّمه من ساير الصحابه و المكلفين إمّا بهوى أنفسهم أو رعايه المصلحه العامه.

أمّا الأوّل ففيه: أولاً: أنّهم لا- يقولون به، لاتفاهم على عدم النصّ من الله و من رسول له في باب الامامه. و ثانياً: أنّه لو كان ذلك بفعلها لم يكن لتشكيه من القوم وجه و لما نسبهم إلى التظلم و لما كان يقول مدّه عمره و الله ما زلت مظلوما مدفوعا عن حقّي مستأثراً على منذ قبض الله رسوله و لكان الواجب أن يعذرهم

ص: ١٣٣

١- . شرح الحديدي، ج ٢، ص ٢٩٥، (مصر) و ص ٤٦٠، (الأعلمي).

فى ذلك. و ثالثاً: أنّ تقديم المفضول على الفاضل و الأفضل قبيح عقلاً و بنصّ القرآن قال سبحانه: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى» الآية. (١)

و قال أيضاً: «أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَ قَائِماً». (٢) و مع كونه قبيحاً كيف يمكن صدوره من الله سبحانه أو من رسوله.

فإن قلت: تقديم المفضول إذا كان لمصلحه الدين راجعه إلى المكلفين فلا نسلم قبحه.

قلت: بعد تسليم الصّغرى أولاً و تسليم كون الحسن و القبح فى الأشياء مختلفاً بالوجوه و الإعتبارات ثانياً، إنّ أمير المؤمنين إذا كان عالماً بالمصلحه فى تقدّم الغير على ما صرّح به من أنّ رسول الله أعلمه به، كان اللازم حينئذ له السّكوت، إذ المعلوم بالضرورة من حاله أنّ طلبه للخلافه لم

يكن للدنيا و حرصاً على الملك، بل إنّما كان غرضه بذلك حصول نظام الدين و انتظام أمر المكلفين و إقامه الحقّ و إزاحه الباطل، كما صرّح عليه السلام به فى قوله فى الخطبه الثالثه و الثلاثين: «و الله لهنى أحبّ إلى من أمارتكم هذه إلّا أن اقيم حقّاً أو أدفع باطلاً»، فاذا كان حصول هذا النظام و الإنتظام و صلاح المكلفين بتقدّم الغير، لا بدّ و أن يكون مشعوراً به و راضياً بذلك أشدّ الرضا، لا شاكياً و مظهراً للتظلمّ و الشكوى كما مرّ فى الخطبه الشّشقميّة. و فى قوله فى الخطبه السادسة و العشرين: «فنظرت فإذا ليس لى معين، اه».

و أمّا الثانى و هو أنّ تقدّم الغير عليه إنّما كان لزعم الغير أنّه أحقّ بها منه عليه السلام

ص: ١٣٤

١- . يونس، ٣٥.

٢- . الزمر، ٩.

ففيه: أنّ الأمر إذا دار بين متابعه رأى الأفضل و متابعه رأى المفضول، كان اللازم ترجيح الأول على الثاني دون العكس و هو واضح.

و أما الثالث و هو أنّ التّقدّم كان بتقديم المكلفين بمقتضى هوى أنفسهم الأماره بالسوء و لما كان فى صدورهم من الحسد و السخايم، فهو الحقّ و الصّواب من دون شكّ فيه و ارتياب» (١).

١١- وجوب الإمامه

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ [إِلَّا لِلَّهِ] وَ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَ يَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَ يُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفَنَى وَ يُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَ يُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ وَ قَالَ أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبُرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ وَ أَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَ تُدْرِكَ مَبِيَّتُهُ.

هذا نصّ صريح منه عليه السلام بأن الإمامه واجبه. و قد اختلف الناس فى هذه المسأله:

فقال المتكلمون كآفه: الإمامه واجبه؛ إلّا ما يحكى عن أبى بكر الأصمّ من قدماء أصحابنا: أنّها غير واجبه إذا تناصفت الأمه و لم تتظالم.

وقال المتأخرون من أصحابنا: إنّ هذا القول منه غير مخالف لما عليه الأمه؛

ص: ١٣٥

١- . منهاج البراعه، ج ٤، ص ١٤٦.

لأنه إذا كان لا يجوز في العاده أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم، فقد قال بوجوب الرئاسة على كل حال؛ اللهم إلا أن يقول: إنه يجوز أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس؛ وهذا بعيد أن يقوله.

فأما طريق وجوب الإمامه ما هي؟ فإن مشايخنا الب-صريين يقولون: طريق وجوبها الشرع، وليس في العقل ما يدل على وجوبها.

وقال البغداديون و أبو عثمان الجاحظ من البصريين و شيخنا أبو

الحسين رحمه الله تعالى: إن العقل يدل على وجوب الرئاسة. و هو قول الإماميه؛ إلا أن الوجه الذي منه يوجب أصحابنا الرئاسة غير الوجه الذي توجب الإماميه منه الرئاسة. و ذاك أن أصحابنا يوجبون الرئاسة على المكلفين من حيث كان في الرئاسة مصالح دينويه و دفع مضار دينويه؛ و الإماميه يوجبون الرئاسة على الله تعالى من حيث كان في الرئاسة لطف و بعد للمكلفين عن مواقعه القبائح العقلية.

و الظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام يطابق ما يقوله أصحابنا. ألا تراه كيف علل قوله: «لا بد للناس من أمير»، فقال في تعليقه: «يُجمع به الفىء و يقاتل به العدو و تُأمن به السبل و يؤخذ للضعيف من القوى»؛ و هذه كلها من مصالح الدنيا.

فإن قيل: ذكرتم أن الناس كافة قالوا بوجوب الإمام، فكيف يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن الخوارج: إنهم يقولون: لا إمره.

قيل: إنهم كانوا في بدء أمرهم يقولون ذلك، و يذهبون إلى أنه لا حاجة إلى الإمام؛ ثم رجعوا عن ذلك القول لما أمروا عليهم عبد الله بن وهب الزاسبي.

فإن قيل: فسروا لنا ألفاظ أمير المؤمنين عليه السلام .

قيل: إن الألفاظ كلّها ترجع إلى أمره الفاجر. (١)

أقول: لقد أجاد الميرزا الخوئي رحمه الله في ردّ مقاله الحديدي هذه، فانظر إلى كلامه: «أنت خبير بما فيه، لأنّ كلامه عليه السلام نصّ صريح في وجوب الإمارة، و الإمارة غير الإمامة، لإمكان حصولها من

البرّ و الفاجر، كما هو صريح كلامه بل من الكافر أيضاً، بخلاف الإمامة، فإنّها نياحه عن الرّسول، و الغرض العمده فيها هو مصلحة الدّين و اللّطف في حقّ المكلفين؛ كما أنّ المقصود من بعث النّبىّ أيضاً كان ذلك. فلا يمكن حصولها من الفاجر و إن كان يترتّب عليها مصلحة دنيويّه أيضاً؛ إلّا أنّ المصالح الدّنيويّه زائده في جنب المصالح الأخرويّه لا صلاحيّه فيها للعلّيه للإمامه، و إنّما يصلح علّه لوجوب الإمارة، و يكتفى فيها بذى شوكة له الرّياسه العامه إماماً كان أو غير إمام. فإنّ انتظام الأمر يحصل بذلك كما في عهد فخر بنى أميّه حيثما ذكرنا سابقاً. و لأجل كون نظره عليه السلام إلى وجوب الإمارة، علّل الوجوب بأمر راجعه إلى المصالح الدّنيويّه، و لو كان نظره إلى الإمامه لعلّها بأمر راجعه إلى مصالح الدّين و الدّنيا.

و بالجملة فلا دلالة في كلامه عليه السلام على مذهب الشّارح تبعاً للبعثاديين من كون وجوب الإمامه مستنداً إلى أنّ فيها جلب منافع دنيويّه و دفع مضارّ دنيويّه. و ليس مقصوده الإشاره إلى وجوب الإمامه، فضلاً عن كونه نصّاً صريحاً فيه. و إنّما كان مقصوده بذلك ردّ الخوارج المنكرين لوجوب الإمارة؛ فأثبت وجوبها لاحتياج الناس إليها. فافهم جيّداً. (٢)

ص: ١٣٧

١- شرح الحديدي، ج ٢، ص ٣٠٧، (مصر) و ص ٤٦٧، (الأعلمي).

٢- منهاج البراعة، ج ٤، ص ١٨٧.

روى ابنُ ديزيل(١) قال: حدّثنا يحيى بن زكريا قال: حدّثنا عليّ بن القاسم عن سعيد بن طارق عن عثمان بن القاسم عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله :

«ألا أدلكم على ما إن تساءلتم عليه لم تهلكوا؟ إنّ وليكم الله و إنّ إمامكم عليّ بن أبي طالب. فناصره و صدّقه، فإنّ جبريل أخبرني بذلك».

فإن قلت: هذا نصّ صريح في الإمامه، فما الذي تصنع المعتزله بذلك.

قلت: يجوز أن يريد أنّه إمامهم في الفتاوى و الأحكام الشرعيّه، لا في الخلافه.

و أيضاً فإنّا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديين ما محصّله:

إنّ الإمامه كانت لعلّي عليه السلام إن رغب فيها و نازع عليها، و إن أقرها في غيره و سكت عنها تولّينا ذلك الغير و قلنا بصحه خلافته. و أمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الأئمة الثلاثة، و لا جرّد السيف و لا استنجد بالناس عليهم. فدلّ ذلك على إقراره لهم على ما كانوا فيه؛ فلذلك تولّيناهم و قلنا فيهم بالطهاره و الخير و الصلاح.

و لو حاربهم و جرّد السيف عليهم و استصرخ العرب على حربهم، لقلنا فيهم ما قلناه فيمن عامّله هذه المعامله من التفسيق و التضليل.(٢)

ص: ١٣٨

١- إبراهيم بن الحسن بن ديزيل في كتاب صفّين، توفّي سنة ٢٨١، أنظر ترجمته في تاريخ الإسلام، ج ٢١، ص ١٠٨.

٢- شرح الحديدي، ج ٣، ص ٩٨، (مصر) و ص ٧٠، (الأعلمي).

أقول: لقد أجاد الشارح الخوئي رحمه الله في ردّ دعوى الحديدي هذه، فإليك نصّ كلامه: «بعد الإعراف بكون الزوايه نصّاً

صريحاً في الإمامه، كما هي كذلك في الواقع أيضاً، كيف يجوز تأويله؟ إذ التأويل إنّما يأتي في المتشابهات و الاحتمالات لا في التّوصيات. و على فرض التنزيل أقول: لا- أقلّ من كونها ظاهره في الإمامه المطلقة و لا دليل و لا داعي إلى رفع اليد عن الظهور و حملها على الإمامه في الفتاوى و الأحكام مع تنافي المعطوف عليه أعني قوله: ولئكم، لذلك الحمل أيضاً، لأنّ المتبادر منه هو الأولى بالتّصرف حسبما ذكرناه في مقدّمات الخطبه الشّقشقيّه. مضافاً إلى عدم تعارف استعمال لفظ الإمامه في مقام الفتوى و القضاء كما لا يخفى.

و أمّا ما ذكره من قول شيوخه البغداديين، فهو محضّ ما حكيناه عنه في مقدّمات الخطبه الشّقشقيه و في شرح الكلام السابع و الثلاثين في أوّل التّنبهين، و نبهنا هناك على فساد ما لا مزيد عليه، و دلّلنا على أنه عليه السلام طلب الخلافه و رغب فيها و استنجد في الناس و استصرخ العرب على الحرب و حمل امرأته و ابناه معه، فلم يدع أحداً من المهاجرين و الأنصار إلّا استنجد بهم و استنصر منهم، فلم يجبه إلّا ثلاثه أو أربعة. و لما لم يجد أعواناً كفّ و سكت تقيّه و حقناً لدمه. فليس في عدم تجريد السيف و النزاع دليلاً على التقرير و الرّضاء كما علمت تفصيلاً، فتذكّر» (١).

١٣- المنحرفون عن عليّ عليه السلام

عقد الشارح في شرح خطبه ٥٦ فصلاً في ذكر المنحرفين عن عليّ عليه السلام ، منهم الوليد بن عقبه؛ قال ما هذا كلامه:

ص: ١٣٩

١- منهاج البراعه، ج ٤، ص ٢٣٠.

قال شيخنا أبو القاسم البلخي: من المعلوم الذي لا ريب فيه - لإشتهار الخبر به، وإطباق الناس عليه - أن الوليد بن عقبه بن أبي معيط كان يبغض علياً ويشتمه؛ وأنه هو الذي لاحاه (١) في حياه رسول الله و نابذه، و قال له: أنا أثبت منك جناناً و أحد سناناً. فقال له علي عليه السلام: «اسكت يا فاسق». فأنزل الله تعالى فيهما: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» (٢) الآيات المتلوه. و سمي الوليد بحسب ذلك في حياه رسول الله الفاسق؛ فكان لا يُعرف إلا بالوليد الفاسق.

و هذه الآيه من الآيات التي نزل فيها القرآن بموافقه علي عليه السلام ، كما نزل في مواضع بموافقه عمر. (٣)

و سماه الله تعالى فاسقاً في آيه أخرى، و هو قوله تعالى: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا». (٤) و سبب نزولها مشهور، و هو كذبه على بنى المصطلق، و ادعاؤه أنهم منعوا الزكاه؛ و شهروا السيف حتى أمر النبي

بالتجهز للمسير إليهم؛ فأنزل الله تعالى في تكذيبه و براءه ساحه القوم هذه الآيه.

و كان الوليد مذموماً معيماً عند رسول الله ، يشنؤه و يُعرض عنه. و كان الوليد يُبغض رسول الله أيضاً و يشنؤه. و أبوه عقبه بن أبي معيط هو العدو الأزرق بمكه، و الذي كان يؤذى رسول الله في نفسه و أهله؛ و أخباره في ذلك مشهوره. فلما ظفر به يوم بدر ضرب عنقه. و ورث ابنه

ص: ١٤٠

١- . أي شتمه.

٢- . السجده، ١٨.

٣- . أقول: و أيه آيه في فضل عمر متفق عليه بين الفريقين؟ و ما يذكر في ذلك من آيات الهجره و ما شابهها، بمنزله المقتضى لا العله التامه؛ على أن تخصيص العام متعارف مقبول عند العقلاء؛ فتدبر.

٤- . الحجرات، ٦.

الوليد الشننَان و البَغْضَه (١) لمحمّد و أهله؛ فلم يزل عليهما إلى أن مات.

قال الشيخ أبو القاسم: و هو أحد الصبيّه الذين قال أبو عُقبه فيهم - و قد قَدّم لِيُضرب عنقه - من للصبيّه يا محمد؟ فقال: «النار، اضربوا عنقه».

قال: و للوليد شعر يقصد فيه الردّ على رسول الله حيث قال: «إن تولوها علينا تجدوه هادياً مهدياً». قال: و ذلك أن عليّاً عليه السلام لما قُتل قَصِد بنوه أن يُخْفُوا قبره خوفاً من بنى أميه أن يحدثوا في قبره حدثاً؛ فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليله - و هي ليله دفنه - إيهامات مختلفه، فشدّوا على جمل تابوتاً مُوثقاً بالحبال، يفوح منه روائح الكافور. و أخرجوه من الكوفه في سواد الليل صحبه ثقاتهم؛ يوهمون أنّهم يحملونه إلى المدينه فيدفنونه عند فاطمه عليها السلام . و أخرجوا بغلاً و عليه جنازه (٢) مغطاه؛ يوهمون أنّهم يدفنونه بالحيره. و حفروا حفائر عمده، منها بالمسجد، و منها برحبه الق-صرق-صر الإماره، و منها في حجره من دور آل جعده بن هبيره المخزومي، و منها في أصل دار عبد الله بن يزيد القسري بحذاء باب الوراقين ممّا يلي قبله المسجد، و منها في الكناسه، و منها في الثويّه.

فعمى على الناس موضع قبره؛ و لم يعلم دفنه على الحقيقه إلّا بنوه و الخواص المخلصون من أصحابه. فإنّهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر في الليله الحاديه و العشرى-ن من شهر رمضان. فدفنوه في النّجف بالموضع المعروف بالغريّ بوصاه منه عليه السلام إليهم في ذلك، و عهد كان عهد به إليهم. و عمى موضع قبره على الناس. و اختلفت الأراجيف في صبيحه ذلك اليوم اختلافاً شديداً، و افرقت الأقوال في موضع قبره الشريف و تشعبت، و ادعى قوم أنّ جماعه من طيئ وقعوا على

ص: ١٤١

١- . البغضه: شده البغض.

٢- . الجنازه بالكسر و بفتح: الميت.

جملٍ فى تلك الليله، و قد أضلّه أصحابه ببلادهم و عليه صندوق، فظنّوا فيه مالاً؛ فلما رأوا ما فيه خافوا أن يُطلبوا به، فدفنوا الصندوق بما فيه و نحرّوا البعير و أكلوه. و شاع ذلك فى بنى أميه و شيعتهم، و اعتقدوه حقّاً. فقال الوليد بن عُقبه من آيات يذكره عليه السلام فيها:

فإن يك قد ضلّ البعير بحمل - فما كان مهديّاً و لا كان هاديا

و روى الشيخ أبو القاسم البلخى أيضاً عن جرير بن عبد الحميد عن مغيره الضبى قال: مرّ ناسٌ بالحسن بن علىّ عليه السلام و هم يريدون عياده الوليد بن عقبه و هو فى عله له شديد، فأتاه الحسن عليه السلام معهم عائداً، فقال للحسن: أتوب إلى الله تعالى ممّا كان بينى و بين جميع الناس إلّا ما كان بينى و بين أبيك، فأنى لا أتوب منه.

قال شيخنا أبو القاسم البلخى: و أكّد بغضه له ضرره إياه الحدّ فى ولايه عثمان، و عزله عن الكوفه.

و قد اتفقت الأخبار الصحيحه التى لا ريب فيها عند المحدثين على أنّ

النبيّ قال: «لا يبغضك إلّا منافق، و لا يحبك إلّا مؤمن».(١)

١٤- طرف من مظلوميه الإمام عليه السلام و فضائله

روى شيخنا أبو القاسم البلخى رحمه الله تعالى عن سلمه بن كهيل عن المسيّب بن نجبه قال: بينا علىّ عليه السلام يخطب إذ قام أعرابىّ فصاح: «وا مظلّماتاه»، فاستدناه علىّ عليه السلام، فلما دنا قال له: «إنّما لك مظلّمه واحده، و أنا

ص: ١٤٢

١- شرح الحديدى، ج ٤، ص ٨٠، (مصر) و ص ٢٩٤، (الأعلمى).

قد ظلمت عددَ المدرِّ والوبرِ».

قال: و في روايه عباد بن يعقوب: إنه دعاه فقال له: «ويحك، و أنا و الله مظلومٌ أيضاً، هات فلندعُ على من ظلمنا».

و روى سدير الصيرفي عن أبي جعفر عن محمد بن علي قال: اشتكى علي عليه السلام شكاه، فعاده أبو بكر و عمر و خرجا من عنده، فأتيا النبي، فسألهما من أين جئتما؟ قالا: عُيدنا علياً. قال: «كيف رأيتما؟». قال: رأيناه يُخاف عليه ممّا به. فقال: «كلا، إنه لن يموت حتى يُوسعَ غدراً و بغياً، و ليكونن في هذه الأمة عبرةً يعتبر به الناس من بعده».

و روى عثمان بن سعيد عن عبد الله بن الغنوي: أنّ علياً عليه السلام خطب بالرحبه، فقال: «أيها الناس، إنكم قد أبيتم إلا أن أقولها و ربّ السماء و الأرض. إنّ من عهد النبي الأمي إليّ: أنّ الأمة ستغدر بك بعدى».

و روى هيثم بن بشير عن إسماعيل بن سالم مثله.

و قد روى أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه.

و روى الناس كافه: أنّ رسول الله قال له: «هذا وليي و أنا وئيه، عاديت من عاداه و سالم من سالمه». أو نحو هذا اللفظ.

و روى أيضاً محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله لعلي عليه السلام: «عدوك عدوي و عدوي عدو الله عز و جل».

و روى يونس بن حباب عن أنس بن مالك قال: كنّا مع رسول الله و علي بن أبي طالب معنا، فمررنا بحديقته، فقال علي: «يا رسول الله، ألا ترى ما أحسن هذه الحديقته». فقال: «إنّ حديقتك في الجنة أحسن منها». حتى مررنا بسبع حدائق يقول علي ما قال، و يجيبه رسول الله بما أجابه. ثم

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَقَفَ فَوْقَنَا، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى رَأْسِ عَلِيٍّ وَبَكَى. فَقَالَ عَلِيٌّ: «مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟». قَالَ: «ضَغَائِنُ فِي صَدْرِ قَوْمٍ لَا يُبَدُونَهَا لَكَ حَتَّى يَفْقِدُونِي». فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أَضَعُ سَيْفِي عَلَى عَاتِقِي فَأَيِّدَ خَضِرَاءَهُمْ؟» (١). قَالَ: «بَلْ تَصْبِر». قَالَ: «فَإِنْ صَبِرْتُ؟». قَالَ: «تَلَاقِي جَهْدًا». قَالَ: «أَفِي سَلَامِهِ مِنْ دِينِي؟». قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: «فَإِذَا لَا أَبَالِي».

و روى جابر الجعفي عن محمد بن علي عليه السلام قال: قال علي عليه السلام: «ما رأيت منذ بعث الله محمداً رخاءً، لقد أخافتني قريش صغيراً و أنصبتني كبيراً، حتى قبض الله رسوله فكانت الطامه الكبرى و الله المُشْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ».

و روى صاحب كتاب الغارات عن الأعمش عن أنس بن مالك قال:

سمعت رسول الله يقول: «سيظهر على الناس رجلٌ من أمتي، عظيم السُّرم، (٢) واسع البلعوم، يأكل و لا يشبع، يحمل وزرَ الثقلين، يطلب الإماره يوماً؛ فإذا أدركتموه فابقروا بطنه».

قال: و كان في يد رسول الله قضيب، قد وضع طرفه في بطن معاويه.

قلت: هذا الخبر مرفوع، مناسب لما قاله علي عليه السلام في نهج البلاغه، و مؤكّد لاختيارنا: أنّ المراد به معاويه؛ دون ما قاله كثيرٌ من الناس: إنه زياد و المغيره.

و روى جعفر بن سليمان الضبعي عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله يوماً لعلي ما يلقي بعده من العنت؛ فأطال.

ص: ١٤٤

١- . أي أصلهم.

٢- . السُّرم: الدبر.

فقال له عليه السلام: «أنشدك الله و الرَّحَمَ يا رسول الله لما دعوت الله أن يقبضني إليه قبلك». قال: «كيف أسأله في أجل مؤجل؟». قال: «يا رسول الله، فعلام أقاتل من أمرتني بقتاله؟». قال: «على الحدّث في الدين».

و روى الأعمش عن عمار الدُهْنِيّ عن أبي صالح الحنفيّ عن عليّ عليه السلام قال: قال لنا يوماً: «لقد رأيتُ الليلة رسول الله في المنام، فشكوتُ إليه ما لقيتُ، حتى بكيتُ. فقال لي: أنظر، فنظرتُ فإذا جلاميد، و إذا رجلاً مصفّداً». قال الأعمش: هما معاويه و عمرو بن العاص. قال: «فجعلتُ أَرْضُخُ رءوسهما ثمّ تعود، ثمّ أَرْضُخُ ثمّ تعود، حتى انتبهتُ».

و روى نحو هذا الحديث عمرو بن مُرّه عن أبي عبد الله بن سلمه عن عليّ عليه السلام قال: «رأيتُ الليلة رسول الله فشكوتُ إليه، فقال: هذه جهنم، فانظر من فيها. فإذا معاويه و عمرو بن العاص معلقين بأرجلها

منكسين، تُرَضُخُ رءوسهما بالحجاره؛ أو قال: «تُشَدُّخُ».

و روى قيس بن الربيع عن يحيى بن هانئ المراديّ عن رجل من قومه يقال له زياد بن فلان، قال: كنّا في بيتٍ مع عليّ عليه السلام نحن شيعة و خواصّه، فالتفت فلم ينكر منّا أحداً، فقال: «إنّ هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم و يسمّلون أعينكم». فقال رجل منّا: و أنت حيّ يا أمير المؤمنين؟ قال: «أعاذني الله من ذلك». فالتفت، فإذا واحداً يبكي؛ فقال له: «يا ابن الحمقاء، أ تريد اللذات في الدنيا و الدرجات في الآخرة؟ إنّما وعد الله الصابرين».

و روى زراره بن أعين عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام قال: كان عليّ عليه السلام إذا صلّى الفجر لم يزل معقّباً إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء و المساكين و غيرهم من الناس فيعلمهم الفقه و

القرآن؛ و كان له وقتٌ يقوم فيه من مجلسه ذلك. فقام يوماً فمرَّ برجلٍ، فرماه بكلمه هُجر، - قال: ل-م يسمه محمد بن عليّ عليه السلام - فرجع عَوَدَه على بدئه حتى صَعد المنبر، و أمر فنودي: الصلاة جامعهم. فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على نبيّه، ثم قال: «أيها الناس، إنه ليس شىء أحبّ إلى الله و لا أعمّ نفعاً من حلم إمام و فقهه، و لا شىء أبغض إلى الله و لا أعمّ ضرراً من جهل إمام و خرقه؛ ألا و إنّه من لم يكن له من نفسه واعظ، لم يكن له من الله حافظ. ألا و إنّه من أنصف من نفسه، لم يزد الله إلّا عزّاً. ألا و إنّ الذلّ في طاعه الله أقرب إلى الله من التعرّز في معصيته». ثم قال: «أين المتكلّم آنفاً؟». فلم يستطع الإنكار، فقال: ها أنا ذا يا أمير المؤمنين. فقال: «أما إنّي لو أشاء لقلْتُ». فقال: إن تعف و تصفح فأنت أهل ذلك. قال: «قد عفوت و صفحت».

فقيل لمحمد بن عليّ عليه السلام: ما أراد أن يقول؟ قال: «أراد أن ينسبه».

و روى زراره أيضاً قال: قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: إنّ قوماً هاهنا ينتقصون عليّاً عليه السلام. قال: «بم ينتقصونه لا أبا لهم؟ و هل فيه موضع نقيصه؟ و الله ما عرض لعلّي أمران قطّ كلاهما لله طاعه إلّا عمِل بأشدهما و أشقهما عليه؛ و لقد كان يعمل العمل كأنّه قائم بين الجنة و النار، ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له، و ينظر إلى عقاب هؤلاء فيعمل له. و إن كان ليقوم إلى الصلاة، فإذا قال: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ، تغيّر لونه حتى يعرف ذلك في وجهه. و لقد أعتق ألف عبداً من كدّ يده، كلٌّ منهم يعرق فيه جبينه و تحفى فيه كفه. و لقد بُشِّر بعينٍ نبعت في ماله مثل عنق الجوزور. (1) فقال: بُ-شّر الوارث بش-ر. ثم جعلها صدقه على الفقراء و المساكين و ابن السبيل إلى أن يرث الله الأرض

ص: ١٤٦

١- . البعير المذبوح.

وَمَنْ عَلَّيْهَا؛ لِيَصْرِفَ اللَّهُ النَّارَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَصْرِفَ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ».

و روى القنَاد عن أبي مريم الأنصاري عن عليّ عليه السلام : «لا يحبني كافر ولا ولد زنا».

و روى جعفر بن زياد عن أبي هارون العبديّ عن أبي سعيد الخدريّ قال: كُنَّا نبور إيماننا(١) بحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فمن أحبّه عرفنا أنه منّا.(٢)

١٥- عليّ عليه السلام أول من أسلم

و اعلم أنّ شيوخنا المتكلمين لا يكادون يختلفون في أنّ أوّل الناس إسلاماً عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، إلّا من عساه خالف في ذلك من أوائل الب-صريين. فأما الذي تقررت مقاله عليه الآن فهو القول بأنّه أسبقُ الناس إلى الإيمان؛ لا تكاد تجد اليوم في تصانيفهم و عند متكلميهم و المحققين منهم خلافاً في ذلك.

و اعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ما زال يدّعي ذلك لنفسه و يفتخر به، و يجعله في أفضليّته على غيره و يصرح بذلك، و قد قال غير مرّه: «أنا الصّدّيق الأكبر و الفاروق الأوّل، أسلمت قبل إسلام أبي بكر و صلّيت قبل صلاته».

و روى عنه هذا الكلام بعينه أبو محمد بن قتيبه في كتاب المعارف، و هو غير متّهم في أمره.

و من الشعر المروى عنه عليه السلام في هذا المعنى الأبيات التي أوّلها:

ص: ١٤٧

١- . نبور أي نخبر. راجع: النهاية في غريب الحديث و الأثر، ج ١، ص ١٤١.

٢- . شرح الحديدي، ج ٤، ص ١٠٦، (مصر) و ص ٣١٢، (الأعلمي).

محمد النبيّ أخى و صهرى و حمزه سيّد الشهداء عمى

و من جملتها:

سبقتكم إلى الإسلام ط-زاً غلاماً ما بلغت أو أن حلمى

و الأخبار الواردة فى هذا الباب كثيرة جداً، لا يتسع هذا الكتاب لذكرها؛ فلتطلب من مظانها. و من تأمل كتب السير و التواريخ عرف من ذلك ما قلناه.

فأما الذاهبون إلى أن أبا بكر أقدمهما إسلاماً فنفر قليلون... (١).

أقول: ذكر الحديدى أيضاً مقالاً من جاحظ حول إسلام أبى بكر و أفضليته و ما ردّ عليه أبو جعفر الإسكافى، بالتفصيل؛ تركناها خوفاً من التطويل، فللمتبع أن يراجعها، فإن فيها مطالب لطيفه؛ منها هذه اللطيفه التى أوردها الإسكافى ردّاً على الجاحظ، حيث تمسك بآيه الغار على أفضليه أبى بكر على أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

قد ثبت بالتواتر حديث الفراش (المفسّر لآيه من يشرى) فلا فرق بينه و بين ما ذكر فى نصّ الكتاب (آيه الغار)، و لا يجحده إلّا مجنون أو غير مخالط لأهل المله. (٢).

١٦- قصه السقيفه

بحث الحديدى عن قصه السقيفه فى ذيل خطبه ٦٦، و نقل عن كتاب «السقيفه و فدك» للجوهري ما هذا لفظه:

ص: ١٤٨

١- شرح الحديدى، ج ٤، ص ١٢٢، (مصر) و ص ٣٢٣، (الأعلمى).

٢- شرح الحديدى، ج ١٣، ص ٢١٥، (مصر) و ص ١٤٨، (الأعلمى).

أَنَّ النَّبِيَّ لَمَّا قُبِضَ اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ فِي سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قُبِضَ. فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ لِابْنِهِ قَيْسٍ أَوْ لِبَعْضِ بَنِيهِ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْمَعَ النَّاسَ كَلَامِي لِمَرْضِي؛ وَلَكِنْ تَلَقَّيْتُ مِنْ قَوْلِي فَأَسْمِعْهُمْ. فَكَانَ سَعْدٌ يَتَكَلَّمُ وَيَسْتَمِعُ ابْنُهُ وَيَرْفَعُ بِهِ صَوْتَهُ لِيَسْمَعَ قَوْمَهُ. فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ أَنْ قَالَ:

إِنَّ لَكُمْ سَابِقَةً إِلَى الدِّينِ وَفَضِيلَةً فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَتْ لِقَبِيلِهِ مِنَ الْعَرَبِ. إِنْ

رَسُولَ اللَّهِ لَبِثَ فِي قَوْمِهِ بَضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ وَخَلْعِ الْأَوْثَانِ، فَمَا آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا قَلِيلٌ. وَاللَّهُ مَا كَانُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَمْنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا يُعِزُّوا دِينَهُ وَلَا يَدْفَعُوا عَنْهُ عَدَاةَ؛ حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ خَيْرَ الْفَضِيلَةِ وَسَاقَ إِلَيْكُمْ الْكِرَامَةَ وَخَصَّيْكُمْ بِدِينِهِ وَرِزْقِكُمْ الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْإِعْزَازَ لِدِينِهِ وَالْجِهَادَ لِأَعْدَائِهِ. فَكُنْتُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنْكُمْ، وَأَثْقَلَهُ عَلَى عَدُوِّهِ مِنْ غَيْرِكُمْ؛ حَتَّى اسْتَقَامُوا لِأَمْرِ اللَّهِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَأَعْطَى الْبَعِيدَ الْمَقَادَةَ صَاحِرًا دَاخِرًا؛ حَتَّى أَنْجَزَ اللَّهُ لِنَبِيِّكُمْ الْوَعْدَ وَدَانَتْ لِأَسْيَافِكُمُ الْعَرَبُ. ثُمَّ تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ عَنْكُمْ رَاضٍ وَبِكُمْ قَرِيرٌ عَيْنٍ. فَشَدَّوْا يَدَيْكُمْ بِهَذَا الْأَمْرِ، فَإِنَّكُمْ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهِ.

فَأَجَابُوا جَمِيعًا: أَنْ وُفِّقَتْ فِي الرَّأْيِ وَأَصَبَتْ فِي الْقَوْلِ، وَ لَنْ نَعُدَّوْا مَا أَمَرْتَ؛ نُؤَلِّيكُ هَذَا الْأَمْرَ، فَأَنْتَ لَنَا مَقْنَعٌ، وَ لَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ رَضًا.

ثُمَّ إِنَّهُمْ تَرَادَوْا الْكَلَامَ بَيْنَهُمْ، فَقَالُوا: إِنْ أَبَتْ مُهَاجِرَةُ قُرَيْشٍ فَقَالُوا: نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ وَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ الْأَوْلُونَ، وَ نَحْنُ عَشِيرَتُهُ وَ أَوْلِيَائُوهُ، فَعَلَّامٌ تَنَازَعُونَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ؟ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: إِذَا نَقُولُ: مَنَا أَمِيرٌ وَ مِنْكُمْ أَمِيرٌ، لَنْ نَرْضَى بِدُونِ هَذَا مِنْهُمْ أَبَدًا؛ لَنَا فِي الْإِيوَاءِ وَ

النـصره ما لهم فى الهجره، و لنا فى كتاب الله ما لهم، فليسوا يعدّون شيئاً إلا و نعدّ مثله. و ليس من رأينا الإستشارَ عليهم. فمنّا أميرٌ و منهم أمير.

فقال سعد بن عباده: هذا أولُ الوهن.

و أتى الخبر عمر، فأتى منزل رسول الله ، فوجد أبا بكر فى الدار و عليّاً فى جِهاز رسول الله ، و كان الذى أتاه بالخبر معن بن عدى، فأخذ بيد عمر و قال: قُم. فقال عمر: إنى عنك مشغول. فقال: إنّه لا بدّ من قيام.

فقام معه فقال له: إنّ هذا الحىّ من الأنصار قد اجتمعوا فى سقيفه بنى ساعده، معهم سعدُ بن عباده، يدورون حوله و يقولون: أنت المرّجى، و نجلّك المرّجى. و ثمّ أناسٌ من أشرفهم و قد خُشيت الفتنة. فانظر يا عمر ما ذا ترى، و اذكر لإخوتك من المهاجرين، و اختاروا لأنفسكم؛ فإننى انظر إلى باب فتنة قد فُتح الساعه، إلا أن يُغلّقه الله. ففرع عمر أشدّ الفرع، حتى أتى أبا بكر فأخذ بيده فقال: قُم. فقال أبو بكر: إنى عنك مشغول. فقال عمر: لا بدّ من قيام، و سرجع إن شاء الله.

فقام أبو بكر مع عمر فحدّثه الحديث، ففرع أبو بكر أشدّ الفرع. و خرجا مسرعين إلى سقيفه بنى ساعده، و فيها رجالٌ من أشرف الأنصار، و معهم سعد بن عباده و هو مريض بين أظهرهم. فأراد عمر أن يتكلّم و يمهد لأبى بكر، و قال: خشيتُ أن يقصّر أبو بكر عن بعض الكلام. فلما نبس (١) عمر، كفّه أبو بكر و قال: على رسلك. (٢) فتلقّ الكلام ثمّ تكلم بعد كلامى بما بدا لك. فتشهد أبو بكر ثمّ قال:

ص: ١٥٠

١- . نبس: أى تكلم.

٢- . أى على مهلك.

إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، فَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَنَوَاصِينَا إِلَى مَا دَعَانَا إِلَيْهِ. وَكُنَّا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرِينَ أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا، وَالنَّاسِ لَنَا فِي ذَلِكَ تَبِعَ، وَنَحْنُ عَشِيرَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَأَوْسَطُ الْعَرَبِ أَنْسَابًا، لَيْسَ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا- وَلَقَرِيشَ فِيهَا وَلَاؤُهُ. وَأَنْتُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ نَصَرْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ أَنْتُمْ وَزُرَّاءُ رَسُولِ اللَّهِ وَإِخْوَانُنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَشُرَكَائُنَا فِي الدِّينِ وَفِيمَا كُنَّا فِيهِ مِنْ

خَيْرٍ. فَأَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْنَا وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْنَا، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالتَّسْلِيمِ لِمَا سَاقَ اللَّهُ إِلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَحَقُّ النَّاسِ أَلَّا تَحْسُدُوهُمْ، فَأَنْتُمْ الْمُؤَثَّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ حِينَ الْخِصَاصَةِ، وَأَحَقُّ النَّاسِ أَلَّا يَكُونَ انْتِفَاضُ هَذَا الدِّينِ وَاجْتِلاطُهُ عَلَى أَيْدِيكُمْ.

وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَعَمْرٍ، فَكِلَاهُمَا قَدْ رَضِيَتْ لِهَذَا الْأَمْرِ وَكِلَاهُمَا أَرَاهُ لَهُ أَهْلًا.

فَقَالَ عَمْرٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ فَوْقَكَ، أَنْتَ صَاحِبُ الْغَارِ، ثَانِيِ اثْنَيْنِ، وَأَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ بِالصَّلَاةِ، فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ.

فَقَالَ الْأَنْصَارُ: وَاللَّهِ مَا نَحْسُدُكُمْ عَلَى خَيْرِ سَاقَةِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَلَا أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيْنَا وَلَا أَرْضَى عِنْدَنَا مِنْكُمْ، وَلَكِنَّا نَشْفِقُ فِيمَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ، وَنَحْذَرُ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مَنْ لَيْسَ مَنَا وَلَا مِنْكُمْ. فَلَوْ جَعَلْتُمْ الْيَوْمَ رِجَالًا مِنْكُمْ بَايَعْنَا وَرَضِينَا - عَلَى أَنَّهُ إِذَا هَلَكَ إِخْتَرْنَا وَاحِدًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هَلَكَ كَانَ آخِرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَبَدًا مَا بَقِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ - كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ أَنْ نَعْدِلَ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، فَيَشْفِقُ الْأَنْصَارِيُّ أَنْ يَزِيغَ فَيَقْبِضَ عَلَيْهِ الْقَرَشِيُّ، وَيَشْفِقُ الْقَرَشِيُّ أَنْ يَزِيغَ فَيَقْبِضَ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِيُّ.

فقام أبو بكر فقال: إن رسول الله لما بُعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخالقوه و شاقوه. و خص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه و الإيمان به و المواساه له، و الصبر معه على شدة أذى قومه؛ و لم يستوحشوا لكثرة عدوهم. فهم أول من عبد الله في الأرض، و هم أول من آمن برسول الله، و هم أولياؤه و عترته، و أحق الناس بالأمر بعده، لا ينازعهم فيه إلا ظالم، و ليس أحد بعد المهاجرين فضلاً و قدماً

في الإسلام مثلكم. فحن الأمراء و أنتم الوزراء، لا نمتاز دونكم بمشوره، و لا نقضى دونكم الأمور.

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا مع-شر الأنصار، املكوا عليكم أيديكم؛ إنما الناس في فيئكم و ظلكم، و لن يجترئ مجترئ على خلافكم، و لا يصدر الناس إلا عن أمركم، أنتم أهل الإيواء و الن-صره، و إليكم كانت الهجره. و أنتم أصحاب الدار و الإيمان، و الله ما عبد الله علانية إلا عندكم و في بلادكم، و لا جمعت الصلاه إلا في مساجدكم، و لا عرف الإيمان إلا من أسيافكم. فاملكوا عليكم أمركم، فإن أبي هؤلاء فمنا أمير و منهم أمير.

فقال عمر: هيهات، لا يجتمع سيفان في غمد، إن العرب لا ترضى أن تؤمركم و نبيها من غيركم. و ليس تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوه فيهم و أولو الأمر منهم. لنا بذلك الحجج الظاهره على من خالفنا، و السلطان المبين على من نازعنا. من ذا يُخاصمنا في سلطان محمد و ميراثه، و نحن أولياؤه و عشيرته، إلا مدلٍ باطلٍ أو متجانفٍ لإثمٍ أو متورطٍ في هلكه.

فقام الحباب و قال: يا معشر الأنصار، لا تسمعوا مقاله هذا و أصحابه،

فيذهبوا بنصييكم من الأمر، فإن أبوا عليكم ما أعطيتموهم فأجلوهم عن بلادكم، و تولّوا هذا الأمر عليهم. فأنتم أولى الناس بهذا الأمر، إنه دان لهذا الأمر بأسيافكم من لم يكن يدين له. أنا جَدَيْلُهَا المَحْكُوكُ و عَدَيْقُهَا المَرْجَبُ؛ (١) إن شئتم لتعيدنّها جذعه، (٢) و الله لا يردّ أحدٌ عليّ ما أقول إلا حطمتُ أنفه بالسيف.

قال: فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن عباده - و كان حاسداً له، و كان من سادة الخزرج - قام فقال: أيها الأنصار، إننا و إن كنا ذوى سابقه، فإننا لم نردّ بجهادنا و إسلامنا إلا رضا ربنا و طاعه نبينا. و لا ينبغي لنا أن نستطيل بذلك على الناس، و لا نبتغي به عوضاً من الدنيا. إن محمداً رجلٌ من قريش، و قومه أحقُّ بميراث أمره. و ايم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر، فاتقوا الله و لا تنازعوهم و لا تخالفوهم.

فقام أبو بكر و قال: هذا عمر و أبو عبيده، بايعوا أيهما شئتم.

فقالا: و الله لا- نتولّى هذا الأمر عليك و أنت أفضل المهاجرين و ثابى اثنتين و خليفه رسول الله على الصلاة، و الصلاة أفضل الدّين؛ أبسط يدك نبايعك.

فلما بسط يده و ذهباً يبايعانه، سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحبابُ

ص: ١٥٣

- ١- قال الزمخشري في الفائق ١: ١٨١: «الجدل: عود ينصب للابل الجربى تحتك به فتستشفى. و المحكك: الذى كثر به الاحتكاك حتى صار مملسا. و العدق؛ بالفتح: النخلة. و المرجب: المدعوم بالرجبه؛ و هى خشبه ذات شعبتين؛ و ذلك إمّا طال و كثر حملة. و المعنى: إنى ذو رأى يشفى بالاستضاءه به كثيرا فى مثل هذه الحادته، و أنا فى كثره التجارب و العلم بموارد الأحوال فيها، و فى أمثالها و مصادرها، كالنخله الكثيره الحمل. ثم رمى بالرأى الصائب عنده، فقال: منا أمير و منكم أمير».
- ٢- قال فى اللسان: «إن شئتم أعدناها جذعه، أى أول ما يبتدأ فيها».

بن المنذر: يا بشير، عَقَّكَ عَقَاق، و الله ما اضطرَّكَ إلى هذا الأمر إلا الحسدُ لابن عمِّكَ.

و لَمَّا رأت الأوس أنَّ رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع، قام أُسَيد بنُ حُضَير - و هو رئيس الأوس - فبايع حسداً لسعد أيضاً و منافسه له أن يلي الأمر، فبايعت الأوس كلها لَمَّا بايع أُسَيد، و حُمِل سعد بن عباده و هو مريض، فُأدخِل إلى منزله، فامتنع من البيعه في ذلك اليوم و فيما بعده، و أراد عمر أن يُكرِهه عليها، فأشير عليه ألا يفعل و أنه لا يبايع حتى يُقتل، و أنه لا يُقتل حتى يُقتل أهله، و لا يقتل أهله حتى يُقتل الخزرج، و إن حوربت الخزرج كانت الأوس معها.

و فسد الأمر فتركوه، فكان لا يصلَّى بصلاتهم، و لا يجمع بجماعتهم و لا يقضى بقضائهم؛ و لو وجد أعواناً لضاربهم. فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر. ثم لَقِيَ عمرَ في خلافته و هو على فرس و عمر على بعير، فقال له عمر: هيهات يا سعد. فقال سعد: هيهات يا عمر. فقال: أنت صاحب مَنْ أنت صاحبُه؟ قال: نعم، أنا ذاك. ثم قال لعمر: و الله ما جاورني أحدٌ هو أبغضُ إليّ جواراً منك. قال عمر: فإنَّه مَنْ كَرِه جوارَ رجلٍ انتقل عنه. فقال سعد: إنِّي لأرجو أن أخليها لك عاجلاً إلى جوار مَنْ هو أحبُّ إليّ جواراً منك و من أصحابك. فلم يلبث سعدٌ بعد ذلك إلا قليلاً حتى خرج إلى الشام، فمات بَحُوران و لم يبايع لأحدٍ، لا لأبي بكر و لا لعمر و لا لغيرهما.

قال: و كثر الناسُ على أبي بكر، فبايعه معظمُ المسلمين في ذلك اليوم، و اجتمعت بنو هاشم إلى بيت عليّ بن أبي طالب، و معهم الزبير و كان يعدُّ نفسه رجلاً من بنى هاشم. كان عليٌّ يقول: «ما زال الزبيرُ منّا أهل البيت، حتى نشأ بنوه، فصرفوه عنّا».

و اجتمعت بنو أمّيه إلى عثمان بن عفّان، و اجتمعت بنو زهره إلى سعد و عبد الرحمن، فأقبل عمر إليهم و أبو عبيده، فقال: ما لي أراكم مُلتائين؟ قوموا فبايعوا أبا بكر، فقد بايع له الناس و بايعه الأنصارُ.

فقام عثمان و من معه، و قام سعد و عبد الرحمن و من معهما فبايعوا أبا بكر.

و ذهب عمر و معه عصابةً إلى بيت فاطمه، منهم أسيد بن حضير و سلمه بن أسلم؛ فقال لهم: انطلقوا فبايعوا.

فأبوا عليه و خرج إليهم الزبير بسيفه، فقال عمر: عليكم الكلب. فوثب عليه سلمه بن أسلم، فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار. ثم انطلقوا به و بعليّ و معها بنو هاشم و عليّ يقول: «أنا عبد الله و أخو رسول الله»، حتى انتهوا به إلى أبي بكر، فقيل: له بايع. فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم و أنتم أولى بالبيعة لي؛ أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرايه من رسول الله، فأعطوكم المقادّه و سلّموا إليكم الإمارة، و أنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار. فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، و اعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، و إلا فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون.

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع.

فقال له عليّ: «إحلب يا عمر حلباً لك شطره، اشدد له اليوم أمره ليردّ عليك غداً. ألا و الله لا أقبل قولك و لا أبايعه».

فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني لم أكرهك.

فقال له أبو عبيده: يا أبا الحسن، إنك حديث السنّ، و هؤلاء مشيخه قريش قومك؛ ليس لك مثل تجربتهم و معرفتهم بالأمور. و لا أرى أبا بكر إلّا

أقوى على هذا الأمر منك، و أشدَّ احتمالاً له و اضطلاعاً به. فسَلِّم له هذا الأمر و ارضَ به؛ فَإِنَّكَ إنْ تعش و يُطَلَّ عمرك فأنت لهذا الأمر خَلِيق و به حَقِيق، في فضلِكَ و قرابتِكَ و سابقَتِكَ و جهادِكَ.

فقال عليٌّ: «يا معشر المهاجرين، الله الله لا- تُخرجوا سلطان محمَّد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقِّه. فو الله يا معشر المهاجرين لنحنُ أهل البيت أحقُّ بهذا الأمر منكم. أ ما كان منَّا القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الرعيه؛ و الله إنَّه لفينا؛ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى فتردادوا من الحقِّ بعداً».

فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصارُ يا عليُّ قبل بيعتهم لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان؛ و لكنهم قد بايعوا.

و انصرف عليٌّ إلى منزله و لم يبايع، و لزم بيته حتى ماتت فاطمه فبايع.

قلتُ: هذا الحديث يدلُّ على بطلان ما يدعى من النصِّ على أمير المؤمنين و غيره، لأنَّه لو كان هناك نصٌّ صريح لاحتجَّ به، و لم يجر للنصِّ ذكر؛ و إنَّما كان الإحتجاج منه و من أبي بكر و من الأنصار بالسوابق و الفضائل و القرب. فلو كان هناك نصٌّ على أمير المؤمنين أو على أبي بكر لاحتجَّ به أبو بكر أيضاً على الأنصار، و لاحتجَّ به أمير المؤمنين على أبي بكر.

فإنَّ هذا الخبر و غيره من الأخبار المستفيضه يدلُّ على أنَّه قد كان كاشفهم و هتك القناع بينه و بينهم. أ لا تراه كيف نسبهم إلى التعدي عليه و ظلمه، و تمنع من طاعتهم، و أسمعهم من الكلام أشدَّه و أغلظه. فلو كان هناك نصٌّ لذكره أو ذكره بعض من كان من شيعته و حزبه، لأنَّه لا عطر بعد عروس.

و هذا أيضاً يدلُّ على أنَّ الخبر المرويَّ في أبي بكر في صحيح البخارى و

مسلم غير صحيح؛ و هو ما روى من قوله عليه السلام لعائشه في مرضه: «ادعى لى اباك حتى اكتب لأبى بكر كتاباً، فإنى أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمنً، و أبى الله و المؤمنون إلا أبى بكر». و هذا هو نص مذهب المعتزله. (١)

و قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: و حدثنا أحمد قال: حدثنى سعيد بن كثير قال: حدثنى ابن لهيعة: أن رسول الله لما مات و أبو ذر غائب، و قدم و قد ولى أبو بكر، فقال: أصبتم قناعه و تركتم قرابه. لو جعلتم هذا الأمر فى أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان.

قال أبو بكر: و أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال: حدثنا أبو قبيصه محمد بن حرب قال: لما توفى النبى و جرى فى السقيفه ما جرى، تمثّل على عليه السلام :

و أصبح أقوام يقولون ما اشتهوا و يطغون لما غال زيدا غوائله - (٢)

أقول: دعوى عدم وجود النص لخلافه أبى بكر فصحيحه بإجماع المسلمين، و أمّا بالنسبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فممنوعه جداً. فمن يطالع كتب أهل التسنن فضلاً عن كتب الشيعة يقرّ بذلك و لو عند نفسه. جاء فى هامش بحار الأنوار نقداً كافياً، فأليك لفظه:

«إنما لم يحتج - روى له الفداء - بنص الغدير و سائر

النصوص الواردة فى إمامته و ولايته، لأنه لم يحضر السقيفه من أول الأمر، و لا- حين احتجت الأنصار على المهاجرين و المهاجرون على الأنصار، و إنما كلمهم و احتج عليهم

ص: ١٥٧

١- . انتقلنا محكياً آخر هنا عن الجوهرى إلى الفصل الرابع رقم ٧.

٢- . شرح الحديدى، ج ٦، ص ٥، (مصر) و ص ١٧٤، (الأعلمى). وللوقوف على قصه السقيفه راجع أيضاً: ج ٢، ص ٢١ و ج ١٠، ص ٢٧١.

حينما قادوه كالجمل المخشوش إلى البيعه التي تمت صفقتها بالاحتجاج بالقرابه، فأنكر عليهم لزوم البيعه عليه، لأنه أقرب الأقربين إلى الرسول . فكان إنكاره و احتججه من باب الإلزام (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم) إتماماً للحجه، وإلا فالقوم كانوا مفتونين بالإماره، مشعوفين بحبّ الرئاسة، عازمين على منع العتره من حقوقهم؛ و لذلك لم ينفذوا جيش أسامه حذراً أن يلحق الرسول الأ-كرم بالرفيق الأعلى في غيابهم، فلا يمكنهم بعد ذلك تنفيذ نياتهم أو يشق عليهم ذلك. و لذلك قالوا: إنما الرجل يهجر، حين أمرهم بإحضار الكتف و الدواه؛ و لذلك أرادوا أن يفتكوا به و لذلك ...

على إنك قد عرفت فيما سبق ص ١٨٧ و ٢٧٣ أنه و هكذا أصحابه و شيعته إحتجوا بحديث الغدير و سائر الآيات النازله فى ولايته و إمامته عند إنكارهم لأمر السقيفه. و شارح النهج نفسه قد روى إحتججه بحديث الغدير، و اعترف بأنه حقّ ثابت حيث قال فى كلام له:

«نحن نذكر فى هذا الموضوع ما استفاض فى الروايات من مناشدته أصحاب الشورى - يعنى بعد موت عمر - و تعديده فضائله و خصائصه التى بان بها منهم و من غيرهم قد روى الناس فأكثرها، و الذى صحّ عندنا أنه لم يكن الأمر كما روى من تلك التعديلات الطويله، لكنّه قال

لهم بعد أن بايع عبد الرحمن و الحاضرون عثمان و تلكا هو عليه السلام عن البيعه: «إن لنا حقاً إن نعطه نأخذه، و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى» فى كلام قد ذكره أهل السير و قد أوردنا بعضه فيما تقدم. ثمّ قال لهم: أنشدكم الله أفيكم أحد أخى رسول الله بينه و بين نفسه غيرى؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله: من كنت مولاه فهذا مولاه غيرى؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله: أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا

أنه لا نبى بعدى غيرى؟ قالوا: لا. إلى أن قال: قال عليه السلام: فأينا أقرب إلى رسول الله نسباً؟ قالوا: أنت...» (١).

فعلى هذا لا- معنى لإنكاره النصّ وهو نفسه يروى نصّ الغدير و المؤاخاه و المنزله، و يعترف باحتجاجة عليه الصلاه و السلام بهذه النصوص المذكوره يوم الشورى؛ فإن الإحتجاج بالنص حيث ثبت النص، من دون فرق بين أن يكون فى مناشده الشورى أو فى الرحبه أو يوم الجمل أو يوم صفين. فإن شئت تفصيل ذلك فراجع الغدير المجلد الأول حيث أنه أثبت تواتر الحديث من دون ريب و ترى أحاديث المناشده من ص ٢١٣ - ١٥٩ و هكذا المجلد السادس من إحقاق الحقّ و نصوص المناشده من ص ٣٠٥ - ٣٤٠.

على أن احتجاجة - روى له الفداء - بالأولويه و الأقربيه، كافٍ فى إثبات إمامته و لزوم بيعته، لو كانوا مطيعين سامعين؛ و ذلك فى قول الله عزّ و جلّ (الأحزاب ٤): «النَّبِيُّ أَوْلَى

بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا».

فالنبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ما دام الحيات: يأمرهم و ينهاهم، حتى فى أمورهم الشخصيه - إن شاء - حسب ما أوضحناه فى ج ٨٩ ص ١٤١ - ١٤٢، كما أمر زينب بنت جحش أن تزوج نفسها من زيد بن حارثه مولاه، و فيه نزلت الآيه «و ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا».

و أمّا أولو الأرحام، فالمراد بالأرحام أرحام الرسول بقريته المقام. و إن

ص: ١٥٩

١- . شرح الحديدى، ج ٦، ص ١٦٧.

شئت فقل: لام العهد إنما يدلّ على حذف المضاف إليه بقريته المقام، و تقدير الكلام: «و أولو أرحامه - يعنى أولو أرحام الرسول - بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من سائر المؤمنين كالأنصار، و هكذا أولى من المهاجرين و فيهم قرابه الرسول و رهطه».

فصريح الآيه أن لا ولايه و لا حكمه لأحد من المؤمنين و المهاجرين على أرحام النبىؐ ، و لا لهم أن يتخذوا من دونهم أولياء أمراء و لا و لا الا أن يفعلوا إلى أوليائهم معروفاً، و أما أولو أرحامه، فبعضهم أولى ببعض ابدأ، فإن فيهم من هو أولى بهم سائر الدهر. فبعد الرسول الأعظم هو على عليه السلام بالقرابه و البيعه و المؤاخاه و المؤازره و النص، و بعده الحسن و الحسين، ثم من بعده من هو أولى به إلى أن يرث

الله الأرض و من عليها. و العاقبه للمتقين».(١)

١٧- كرديد و نكرديد

قال أبو بكر:(٢) و روى أبو زيد عن حباب بن يزيد عن جرير عن المغيرة: أنّ سلمان و الزبير و بعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا علياً بعد النبىؐ ، فلما بويع أبو بكر، قال سلمان للصحابه: أصبتم الخير، و لكن أخطأتم المعدن.

قال و فى روايه أخرى: أصبتم ذا السن منكم، و لكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم. أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان و لأكلتموها رَعْدًا.

ص: ١٦٠

١- . بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٣٤٩.

٢- . الجوهرى.

قلت: هذا الخير هو الذى رواه المتكلمون فى باب الإمامه عن سلمان أنه قال: كرديد و نكرديد.

تف-سره الشيعة فتقول: أراد: أسلمتم و ما أسلمتم. و يف-سره أصحابنا فيقولون: معناه: أخطأتم و أصبتم. (1)

و كان سلمان من شيعه على عليه السلام و خاصته، و تزعم الإماميه أنه أحد الأربعة الذين خلّقوا رءوسهم و أتوه متقلدى سيوفهم - فى خبرٍ يطول، و ليس هذا موضع ذكره - و أصحابنا لا- يخالفونهم فى أنّ سلمان كان من الشيعة، و إنّما يخالفونهم فى أمرٍ أزيد من ذلك؛ و ما يذكره المحدّثون من قوله للمسلمين يوم السقيفه: كرديد و نكرديد، محمولٌ عند أصحابنا على

أنّ المراد: صنعتم شيئاً و ما صنعتم؛ أى استخلفتم خليفهً و نعم ما فعلتم، إلّا أنّكم عدلتم عن أهل البيت؛ فلو كان الخليفه منهم كان أولى.

و الإماميه تقول: معناه أسلمتم و ما أسلمتم. و اللفظه المذكوره فى الفارسيه لا تعطى هذا المعنى، و إنّما تدلّ على الفعل و العمل لا غير. و يدلّ على صحه قول أصحابنا: أنّ سلمان عمل لعمر على المدائن؛ فلو كان ما تنسبه الإماميه إليه حقاً، لم يعمل له. (2)

أقول: ما نسبه الشارح الشافعى إلى الإماميه من تفسيرهم كلام سلمان بأسلمتم و ما أسلمتم، لا يعتضده الفهم العرفى و لا الأدبى، و لا- نعرف من قال به؛ بل معناه: فعلتم شيئاً و هو البيعه مع أحد الأصحاب، و تركتم الحقّ و الصواب و هو بيعه المستحقّ و الأفضل.

ص: ١٦١

١- . شرح الحديدى، ج ٦، ص ٤٣، (مصر) و ص ٢٠٢، (الأعلمى).

٢- . شرح الحديدى، ج ١٨، ص ٣٩، (مصر) و ص ٢٢٤، (الأعلمى).

و أما عمل سلمان لعمر، فكّم له من نظير، كعامليه عمار بن ياسر في أيام عمر بمشوره الإمام عليه السلام . و ليس له دليلٌ سوى الإعانه لإعزاز الدين الحديث التأسيس، و من المحتمل القوي أنّ ذلك أيضاً كان بمشوره من الإمام عليه السلام و إذنه. و لذا عقد الشيخ الحرّ رحمه الله باباً باسم: باب جواز الولاية من قبل الجائر لنفع المؤمنين و الدفع عنهم و العمل بالحق بقدر الإمكان، و أورد فيه ١٧ حديثاً، كصحيحه ابن يقطين حيث قال له أبو الحسن الكاظم عليه السلام: «إنّ الله تبارك و تعالى مع السلطان أولياء يدفع بهم عن أوليائه» (١). و يؤيد ذلك ما روى في الإحتجاج من جواب

سلمان لكتابٍ أتاه من عمر بما هذا لفظه:

«من سلمان مولى رسول الله إلى عمر بن الخطاب،

أما بعد، فإنه أتاني منك كتاب يا عمر تؤنّبني (٢) و تعيرني و تذكر فيه: أنّك بعثتني أميراً على أهل المدائن و أمرتني أن أقص أثر حذيفه (٣) و أستقصي أيام أعماله و سيره ثم أعلمك قبيحها؛ و قد نهاني الله عن ذلك يا عمر في محكم كتابه حيث قال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ لَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ» (٤). و ما كنت لأعصى الله في أثر حذيفه و أطيعك.

و أما ما ذكرت: أنى أقبلت على سف الخوص (٥) و أكل الشعير، فما هما مما يعير به مؤمن و يؤنب عليه؟ و أيم الله يا عمر لأكل الشعير و سف الخوص و الاستغناء عن رفيع المطعم و المشرب و عن غضب مؤمن حقه و ادعاء ما ليس له بحق

ص: ١٦٢

١- . وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ١٩٢.

٢- . أنبه: عنقه و لامه.

٣- . قص إثره: تتبعه شيئاً فشيئاً.

٤- . الحجرات، ١٢.

٥- . سف الخوص: نسجه.

أفضل و أحب إلى الله عز و جل و أقرب للتقوى. و لقد رأيت رسول الله إذا أصاب الشعير أكل و فرح و لم يسخطه.

و أما ما ذكرت من إعطائي، فإني قدمته ليوم فاقتى و حاجتى، و رب العزه يا عمر ما أبالى إذا جاز طعامى لهواتى و

انساغ (١) فى حلقى ألباب البرّ و مخ المعزه كان أو خشاره الشعير. (٢)

و أما قولك: إني ضعفت سلطان الله و أوهنته و أذلت نفسى و امتهنتها (٣) حتى جهل أهل المدائن إمارتى و اتخذونى جسرا يمشون فوقى و يحملون على ثقل حملتهم، (٤) و زعمت أنّ ذلك مما يوهن سلطان الله و يذلّه، فاعلم: أنّ التذلل فى طاعه الله أحب إلى من التعزز فى معصيته؛ و قد علمت أن رسول الله يتألف الناس (٥) و يتقرب منهم و يتقربون منه فى نبوته و سلطانه حتى كأنه بعضهم فى الدنو منهم. و قد كان يأكل الجشب (٦) و يلبس الخشن. و كان الناس عنده قرشيمهم و عربيمهم و أبيضهم و أسودهم سواء فى الدين. و أشهد أنّى سمعته يقول: من ولى سبعة من المسلمين بعدى ثم لم يعدل فيهم، لقي الله و هو عليه غضبان. فليتنى يا عمر أسلم من عماره المدائن (٧) مع ما ذكرت أنّى أذلت نفسى و امتهنتها فكيف يا

ص: ١٦٣

- ١- . انساغ: مر فى حلقه.
- ٢- . الخشاره: ما لا لب له من الشعير.
- ٣- . أى وضعتها موضع الإهانه.
- ٤- . كل ما له قدر، و وزن: فهو ثقل. و الحموله- بالفتح- الإبل التى تطيق أن يحمل عليها.
- ٥- . التألف: المداراه و الاستيناس.
- ٦- . الجشب- بفتح الجيم و سكون الشين-: الغليظ الخشن.
- ٧- . العماره بالفتح: الحى العظيم. و المدائن هى: مدينه كسرى و قيل هى عده مدن متقاربه، تقع على سبع فراسخ من بغداد، و هى دار مملكه الفرس، و أول من نزلها أنوشيروان، و بها أيوانه، و لم تزل آثاره باقيه حتى يومنا هذا، و بها قبرا سلمان و حذيفه و هما مشيدان و يعرف المكان باسم: «سلمان باك».

عمر حال من ولي الأمة بعد رسول الله و إني سمعت الله يقول: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (١) اعلم أني لم أتوجه أسوسهم و أقيم حدود الله فيهم إلا بإرشاد دليل عالم فنهجت فيهم بنهجه و سرت فيهم بسيرته (٢) و اعلم أن الله تبارك و تعالي لو أراد بهذه الأمة خيرا أو أراد بهم رشدا لولى عليهم أعلمهم و أفضلهم و لو كانت هذه الأمة من الله خائفين و لقول نبي الله متبعين و بالحق عاملين ما سموك أمير المؤمنين «فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» (٣) و لا تغتر بطول عفو الله عنك و تمديده بذلك من تعجيل عقوبته و اعلم أنك سيدركك عواقب ظلمك في دنياك و آخرتك و سوف تسأل عما قدمت و أخرت و الحمد لله وحده» (٤)

و ينبغي أن ننقل في هذا المجال ما ذكره الفقيه الشافعي عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني، قال:

لَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ اجْتَمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَى سَلْمَانَ

الْفَارِسِيَّ فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ لَكَ سَنَكَ وَ دِينَكَ وَ عَمَلَكَ وَ صُحْبَتَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقُلْ فِي هَذَا الْأَمْرِ قَوْلًا يُخَلِّدُ عَنْكَ.
فَقَالَ: «كُوَيْمِ اگَرِ شَنُوَيْدِ».

ثم غدا عليهم فقالوا: ما صنعت أبا عبد الله؟ فقال: «كفتم اگَرِ بكار بريد». ثم أنشأ يقول:

مَا كُنْتُ أَح-سَبُّ أَنْ الْأَمْرَ مُنْصَرِفٌ *** عَنْ ه-اشِمٍ ثُمَّ مِنْهَا عَنْ أَبِي حَسَنِ

ص: ١٦٤

١- . القصص، ٣٨.

٢- . يريد علياً عليه السلام .

٣- . طه، ٧٢.

٤- . الإحتجاج، ج ١، ص ١٣٠.

أَلَيْسَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى لِقِيَّ بِلَّيْتٍ - هـ *** وَأَعْلَمَ الْقَوْمَ بِالْأَحْكَامِ وَالشُّبُهَاتِ

مَا فِيهِمْ مِنْ صَنُوفِ الْفَضْلِ يَجْمَعُهَا *** وَ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ مَا فِيهِ مِنَ الْحَسَنِ

يقال: ليس لسلمان غير هذه الأبيات. (١)

١٨- ابن عباس و عمر

قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة بإسناد رفعه إلى ابن عباس، قال: إنني لأماشي عمر في سكه من سكك المدينة، يده في يدي؛ فقال: يا ابن عباس، ما أظن صاحبك إلا مظلوماً. فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها. فقلت: يا أمير المؤمنين، فاردد إليه ظلامته. فانتزع يده من يدي، ثم

مر بهم ساعه، ثم وقف. فلحقته فقال لي: يا ابن عباس، ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه. فقلت في نفسي: هذه شر من الأولى. فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءه من أبي بكر. (٢)

١٩- مانعا خلافة علي عليه السلام

عن ابن عباس قال: مر عمر بعلي و أنا معه بفناء داره، فسلم عليه، فقال له علي: أين تريد؟ قال: البقيع. قال: أ فلا تصل صاحبك و يقوم معك؟ قال: بلى. فقال لي علي: قم معه. فقمتم فمشيت إلى جانبه؛ فشبك أصابعه في

ص: ١٦٥

١- التدوين في أخبار قزوين، ج ١، ص ٧٩.

٢- شرح الحديدي، ج ٦، ص ٤٥، (مصر) و ص ٢٠٤، (الأعلمي).

أصابعى و مشينا قليلاً حتى إذا خَلَفنا البقيع قال لى: يا ابن عباس، أما و الله إنَّ صاحِبَكَ هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله ، إلما أنَّا خفناه على اثنين. قال ابن عباس: فجاء بكلام لم أجد بُيُداً من مسألته عنه، فقلتُ: ما هما يا أمير المؤمنين؟ قال: خفناه على حدائنه سنّه و حبّه بنى عبد المطلب. (١)

٢٠- حديث خاصف النعل

قال أبو مخنف: جاءت عائشه إلى أم سلمه تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبى أميه، أنتِ أول مهاجره من أزواج

رسول الله ، و أنتِ كبيره أمهات المؤمنين، و كان رسول الله يقسم لنا من بيتك، و كان جبريل أكثر ما يكون فى منزلك. فقالت أم سلمه: لأمر ما قلت هذه المقاله.

فقالت عائشه: إنَّ عبد الله أخبرنى: أنَّ القوم استتابوا عثمان، فلما تاب قتلوه صائماً فى شهر حرام؛ و قد عزمْتُ على الخروج إلى الب-صره، و معى الزبير و طلحه؛ فاخرجى معنا لعلَّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا و بنا.

فقالت أم سلمه: إنَّك كنتِ بالأمس تحرّضين على عثمان، و تقولين فيه أخبث القول، و ما كان اسمه عندك إلا نعتلاً؛ و إنَّك لتعرفين منزله على بن أبى طالب عند رسول الله . أفأذكرِك؟ قالت: نعم. قالت: أ تذكرين يوم

ص: ١٦٦

١- شرح الحديدى، ج ٦، ص ٥٠، (مصر) و ص ٢٠٨، (الأعلمى).

أقبل عليه السلام و نحن معه، حتى إذا هبط من قُديد ذات الشمال، خلا بعليّ يناجيه فأطال، فأردت أن تهجمي عليهما، فنهيتك فعصيتني، فهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعتِ بأكيه، فقلتُ: ما شأنك؟ فقلتُ: إنني هجمتُ عليهما و هما يتناجيان، فقلتُ لعلّي: ليس لي من رسول الله إلا- يومٌ من تسعه أيام، أ فما تدعني يا ابن أبي طالب و يومي؟ فأقبل رسولُ الله عليّ و هو غضبان محمّر الوجه، فقال: «ارجعي وراءك، و الله لا يبغضه أحدٌ من أهل بيتي و لا من غيرهم من الناس إلّا و هو خارج من الإيمان». فرجعت نادمةً ساقطه.

قالت عائشه: نعم، أذكر ذلك. قالت: و أذكرك أيضاً كنتُ أنا و أنتِ مع رسول الله و أنتِ تغسلين رأسه و أنا أحيس له حيساً، و كان الحيس (1)

يعجبه، فرفع رأسه و قال: «يا ليت شعري أيتكنّ صاحبه الجمل الأذنب، تنبّحها كلاب الحوآب، فتكون ناكبه عن الص-راط». فرفعتُ يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله و برسوله من ذلك. ثم ضرب على ظهرك و قال: «إياك أن تكونيها». ثم قال: «يا بنت أبي أميه، إياك أن تكونيها يا حُميراء، أما أنا فقد أنذرتك». قالت عائشه: نعم أذكر هذا.

قالت: و أذكرك أيضاً، كنت أنا و أنتِ مع رسول الله في سفر له، و كان عليّ يتعاهد نعلِي رسول الله فيخصه فيها، (2) و يتعاهد أثوابه فيغسلها. فنقبت (3) له نعلٌ فأخذها يومئذ يخصفها، و قعد في ظلّ سيمره، و جاء أبوك و معه عمر فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب و دخلا يحادثانه فيما أراد. ثم قالوا: يا رسول الله، إننا لا ندرى قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يستخلف

ص: ١٦٧

- ١- الحيس: تمر يخلط بسمن و أقط فيعجن و يدلّك حتّى تمتزج ثم يندر نواه.
- ٢- خصف النعل: حرزها.
- ٣- نقبت النعل: ثقبت.

علينا ليكون لنا بعدك مفزعا. فقال لهما: «أما إني قد أرى مكانه، و لو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران». فسكتا ثم خرجا. فلمّا خرجنا إلى رسول الله قلت له - و كنت أجراً عليه منّا - : من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: «خاصف النعل». فنظرنا فلم نرَ أحداً إلّا عليّاً، فقلت: يا رسول الله، ما أرى إلّا عليّاً. فقال: «هو ذاك». فقالت عائشه: نعم أذكر ذلك.

فقلت: فأى خروج تخرجين بعد هذا؟

فقلت: إنّما أخرج للإصلاح بين الناس؛ و أرجو فيه الأجر إن شاء الله.

فقلت: أنت و رأيك.

فانصرفت عائشه عنها، و كتبت أم سلمه بما قالت و قيل لها إلى عليّ عليه السلام .

فإن قلت: فهذا نصّ صريح في إمامه عليّ عليه السلام ، فما تصنع أنت و أصحابك المعتزله به.

قلت: كلا، إنّهُ ليس بنصّ كما ظننت، لأنّه لم يقل: قد استخلفته، و إنما قال: لو قد استخلفت أحداً لاستخلفته؛ و ذلك لا يقتضى حصول الإستخلاف. و يجوز أن تكون مصلحه المكلفين متعلقه بالنصّ عليه لو كان النبيّ مأموراً بأن ينصّ عليّ إمام بعينه من بعده؛ و أن يكون من مصلحتهم أن يختاروا لأنفسهم من شاءوا إذا تركهم النبيّ و آراءهم و لم يعين أحداً. (١)

أقول: يكفي في ردّ دعوى الحديدي ما أورده الشارح الخوئي رحمه الله حيث قال: «إنّ إنكار الشارح لدلاله الزوايه عليّ خلافه أمير المؤمنين لا معنى له، إذ قوله:

ص: ١٦٨

١- . شرح الحديدي، ج ٦، ص ٢١٧، (مصر) و ص ٣٢١، (الأعلمي).

«لو فعلت لتفرقتم» وإن لم يكن مستلزماً لوقوع الفعل، إلما أنّ الضمير في «أرى مكانه» راجع إلى المسئول عنه وقد سألا- عن المستخلف والمفزع، فقال: «أرى مكانه»؛ فيدلّ على أنّ المستخلف والمفزع كان موجوداً حين السؤال، وإلما لزم أن يكون كلامه غير مطابق للواقع و نعوذ بالله من ذلك. وهذا كله بعد الغصّ عن صحّح الروايه و عن تصحيح العامه فيها، وإلّا فقد قدّمنا هذه الروايه من الإحتجاج فى التنبيه الثانى من تنبيهات الكلام الثالث عشر؛ و فيها أنّهما قالوا: يا رسول

الله، فهل استخلفت أحداً؟ قال: «ما خليفنى فيكم إلّا خاصف النعل» فمراً على علىّ و هو يخصف نعل رسول الله. و عليه فالروايه ناصّه على خلافته من هذه الجهه أيضاً. (١)

٢١- بعض فضائل الإمام عليه السلام

قال الحديدي مفسراً لقوله عليه السلام: «نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبِيِّ وَ مَحِطُ الرَّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَ مَعَادِنُ الْعِلْمِ وَ يَنَابِيعُ الْحُكْمِ نَاصِرُنَا وَ مُجِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَ عَدُوُّنَا وَ مُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ» ما هذا كلامه:

قوله عليه السلام: نحن شجرة النبوه، كأنه جعل النبوه كثمره أخرجتها شجره بنى هاشم.

و محط الرساله: منزلها. و مختلف الملائكه: موضع اختلافها فى صعودها و نزولها. و إلى هذا المعنى نظر بعض الطالبين فقال: يفتخر على بنى عم له ليسوا بفاطميين:

ه-ل كان يقتعد البراق أبوكم ***أم كان جبريل ع-ليه يُن-زل

ص: ١٦٩

أم هل يقول له الإله مُشافهاً ***بال-وحي: قُم ي- أَيْهَا الْمَزْمَلُ

و قال آخر يمدح قوماً فاطميين:

و يطرقه الوحي وهناً و أن-تم***صَجِيعانِ بين يدي جبرئِلا

يعنى حسناً عليه السلام و حسيناً عليه السلام .

و اعلم أنه إن أراد بقوله: نحن مختلف الملائكة، جماعةً من جملتها

رسولُ الله ، فلا ريب في صحّته القضية و صدقها؛ و إن أراد بها نفسه و ابنه، فهي أيضاً صحيحة؛ و لكن مدلوله مستبطن. فقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه قال: «يا جبريل، إنّه منّي و أنا منه». فقال جبريل: و أنا منكما.

و روى أبو أيوب الأنصاري مرفوعاً: «لقد صلّت الملائكة عليّ و عليّ سبعم سنين، لم تصلّ عليّ ثالث لنا». و ذلك قبل أن يظهر أمر الإسلام و يتسامع الناس به.

و في خطبه الحسن بن علي عليه السلام لما قبض أبوه: «لقد فارقتكم في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون و لا يدركه الآخرون. كان يبعثه رسولُ الله للحرب و جبريل عن يمينه و ميكائيل عن يساره».

و جاء في الحديث: أنه سُمِعَ يوم أحد صوتٌ من الهواء من جهه السماء، يقول: لا- سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا عليّ. و أنّ رسول الله قال: «هذا صوت جبريل».

فأمّا قوله: و معادن العلم و ينابيع الحكم، يعنى الحكمه أو الحكم الشرعي؛ فإنّه و إن عنى بها نفسه و ذريته، فإن الأمر فيها ظاهرٌ جدّاً. قال رسول الله: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب». و قال: «أقضاكم عليّ». و القضاء أمر يستلزم علوماً كثيره.

ص: ١٧٠

و جاء فى الخبر: أنه بعثه إلى اليمن قاضياً، فقال: «يا رسول الله، إنهم كهولٌ و ذوو أسنان، و أنا فتى؛ و ربما لم أصب فيما أحكم به بينهم». فقال له: «اذهب، فإن الله سيثبت قلبك و يهدى لسانك».

و جاء فى تفسير قوله تعالى: «و تَعِيَهَا أذُنٌ وَاعِيَةٌ»^(١): «سألتُ الله أن يجعلها أذنك، ففعل».

و جاء فى تفسير قوله تعالى: «أُمُّ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»^(٢): أنها أنزلت فى على عليه السلام و ما خصَّ به من العلم.

و جاء فى تفسير قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ»^(٣): أن الشاهد على عليه السلام .

و روى المحدثون أنه قال لفاطمه: «زوّجتك أقدمهم سلماً و أعظمهم حِلماً و أعلمهم علماً».

و روى المحدثون أيضاً عنه عليه السلام أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى نوح فى عزمه و موسى فى علمه و عيسى فى ورعه، فلينظر إلى على بن أبى طالب».

و بالجملة فحالته فى العلم حال رفيه جداً، لم يلحقه أحدٌ فيها و لا -قاربه-؛ و حقُّ له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم و ينبوع الحكم. فلا أحدٌ أحقُّ بها منه بعد رسول الله .

فإن قلت: كيف قال: عدونا و مبغضنا ينتظر السطوة، و نحن نشاهد أعداءه و مبغضيه لا ينتظرونها؟

قلت: لما كانت منتظرة لهم و معلوماً بيقين حلولها بهم، صاروا كالمنتظرين

ص: ١٧١

١- . الحاقه، ١٢.

٢- . النساء، ٥٤.

٣- . هود، ١٧.

لها. و أيضاً فإنهم ينتظرون الموت لا محاله الذى كل إنسان ينتظره، و لما كان الموت مقدّمه العقاب و طريقاً إليه، جعل انتظاره

انتظار ما يكون بعده.(١)

٢٢- الأئمة من قريش

قال الحديدي فى شرح خطبه ١٤٤ عند قول الإمام عليه السلام: «إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصِلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَ لَا تَصِلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ» ما هذا لفظه:

قد اختلف الناس فى اشتراط النسب فى الإمامه، فقال قوم من قدماء أصحابنا: إن النسب ليس بشرط فيها أصلاً، و إنها تصلح فى القرشئ و غير القرشئ إذا كان فاضلاً مستجمعاً للشرائط المعتره و اجتمعت الكلمه عليه؛ و هو قول الخوارج.

و قال أكثر أصحابنا و أكثر الناس: إن النسب شرط فيها، و إنها لا تصلح إلّا فى العرب خاصّه، و من العرب فى قريش خاصّه.

و قال أكثر أصحابنا: معنى قول النبئ «الأئمة من قريش»، أن القرشئيه شرط إذا وُجد فى قريش من يصلح للإمامه، فإن لم يكن فيها من يصلح فليست القرشئيه شرطاً فيها.

و قال بعض أصحابنا: معنى الخبر أنه لا تخلو قريش أبداً ممن يصلح للإمامه. فأوجبوا بهذا الخبر وجود من يصلح من قريش لها فى كلّ ع-صر و زمان.

ص: ١٧٢

١- . شرح الحديدي، ج ٧، ص ٢١٨، (مصر) و ص ١٤٩، (الأعلمى).

وقال معظم الزيديه: إنها في الفاطميين خاصه من الطالبين، لا تصلح في غير البطين، ولا تصح إلا بشرط أن يقوم بها و يدعو إليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس.

و بعض الزيديه يجيز الإمامه في غير الفاطميين من ولد علي عليه السلام، و هو من أقوالهم الشاذة.

و أما الراونديّه فإنهم خصصوها بالعباس رحمه الله و ولده من بين بطون قريش كلها. و هذا القول هو الذي ظهر في أيام المنصور و المهديّ.

و أما الإماميه فإنهم جعلوها ساريه في ولد الحسين عليه السلام في أشخاص مخصوصين، و لا تصلح عندهم لغيرهم.

و جعلها الكيسانيه في محمد بن الحنفية و ولده. و منهم من نقلها منه إلى ولد غيره.

فإن قلت: إنك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزله و أصولهم، فما قولك في هذا الكلام و هو تصريح بأن الإمامه لا تصلح من قريش إلا في بني هاشم خاصه، و ليس ذلك بمذهب للمعتزله، لا متقدميهم و لا متأخريهم.

قلت: هذا الموضوع مشكل، و لى فيه نظر؛ و إن صح أنّ علياً عليه السلام قاله،^(١) قلت كما قال؛ لأنه ثبت عندي أنّ النبي قال: «إنه مع الحق و أنّ الحق يدور معه حيثما دار».

و يمكن أن يتأول و يطبق على مذهب المعتزله، فيحمل على أنّ المراد به كمال الإمامه كما حمل قول: «لا صلاح لجار المسجد إلا في المسجد»

على نفى الكمال لا على نفى الصّحه.^(٢)

ص: ١٧٣

١- انظر إلى الفصل الأول، رقم ٩ و ١٤ حيث استدل الشارح نفسه لصحة نهج البلاغه بتمامه.

٢- شرح الحديدى، ج ٩، ص ٨٧، (مصر) و ص ٦٢، (الأعلمى).

أقول: أورد الشارح الخوئي رحمه الله على الحديدى بنقود لطيفه، قال: «محصيل ما حكاه الشارح من الأقوال و أوردته في هذا المقام عن أصحابه المعتزله و غيرهم عشره.

أما القول الأوّل فيبطله قوله: «الأئمة من قريش»، لإفادته القصر، و اشتراطه النسب حسب ما عرفت سابقاً.

و أما القول الثاني فهو مسلّم، لكن لا على إطلاقه، بل بتقييد القرشى بالبطن المخصوص من هاشم أعني علياً و ولده؛ للأدلة الآتية الداله عليه، مضافه إلى ما تقدّم من تصريح علي عليه السلام به.

و أمّا القول الثالث ففيه إنا قدّمنا أنّ معنى النبوى أنّه لا بدّ أن يكون الإمام من قريش، و عليه فلا معنى لقولهم: فإن لم يكن فيها من يصلح فليست القرشيه شرطاً فيها؛ ضروره أنه إذا لم تكن شرطاً فيها على تقدير عدم وجود من يصلح، لجاز أن يكون من غيرها، لكنه باطل بمقتضى القصر؛ و لازمه أنه إذا فرض عدم وجود من يصلح من قريش لها أن لا يكون هناك إمام أصلاً؛ على ما هو قضيه الشرطيه المستفاده من القصر، لا وجوده من غير قريش على ما زعموا.

و أما القول الرابع ففيه أنّ مفاد الخبر أنّ الإمام لا بدّ أن يكون من قريش و أما أنّ قريشاً لا بدّ أن يكون منهم في كلّ عصر و زمان من يصلح للإمامه فلا دلالة للخبر عليه بإحدى

من الدلالات. نعم قد قامت الأدله العقلية و النقلية على ما تقدّمت في شرح الفصل الخامس عشر من الخطبه الأولى و في غيره أيضاً على أنّ الزمان لا يخلو من حجّه، فيضمّ قوله: إنّ الأئمة من قريش إلى تلك الأدله، يثبت أنّ قريشاً لا تخلو من أن يكون منهم في كلّ عصر إمام. نظير دلاله قوله سبحانه: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَيْنَ مِنْ أَوْلَادِهِنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» (١) بضميمه قوله: «وَحَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ

ص: ١٧٤

شَهْرًا» (١) على أن أقل مدّة الحمل ستة أشهر، إلّا أنه دلّاله تبعيّة غير مقصوده.

و أما القول الخامس فهو مسلّم، لكن لا فى مطلق الطالبى و الفاطمى، بل فى الأشخاص المنصوصه أعنى الأئمه الإثنى عشر. و ما ذكروه من الشروط أعنى القيام و الدّعوه و السياسه، لم يدلّ عليها دليل من الكتاب و السنه. و عمده شروطها العصمه و النص و الأفضليه؛ و لها شرايط آخر مذكوره فى الكتب الكلاميه لأصحابنا.

و أما القول السادس و السابع فشاذان ضعيفان، لا يعبأ بهما مع قيام الأدلّه القاطعه على خلافهما.

و أما القول الثامن فهو المذهب الحقّ الذى أحقّ أن يدان و يتّبع؛ و عليه دلّت النصوص المعتمده المتواتره.

و أما القول التاسع و العاشر فكالسادس و السابع ضعيفان أيضاً.

هذا، و بقى الكلام مع الشارح فيما ذكره جواباً عن الإعتراض الذى أورده على نفسه أعنى قوله: قلت: هذا الموضوع مشكل، و لى فيه نظر؛ إلى قوله: حيثما دار.

فأقول: هذا الجواب يستشّم منه ميل الشارح إلى مذهب الشيعه الإماميه، كما هو زعم بعض العامه بل أكثرهم حيث ينسبونّه إلى التشيع و يتبرّون منه؛ إلّا أنّ أكثر كلماته صريحه فى اختياره مذهب الاعتزال حسب ما عرفتها و ستعرفها إنشاء الله فى تضاعيف الشرح على ما جرى عليه ديدننا و التزمنا به من حكايه كلّما وقع فيه منه خطأ و زلّه من كلامه، و تعقيبه بالتنبيه على هفواته و آثامه.

ثمّ أقول: إنّ هذا الموضوع ليس محلّ اشكال و لا نظر، لأنّ صحّه الزوايه لا غبار عليها؛ فإنّها و إن رواها السيّد رحمه الله على نحو الإرسال، إلّا أنّ مضمونها معتضد و

ص: ١٧٥

موافق للأخبار النبويه و غير النبويه المعتبره العاميه و الخاصيه القطعيه السيد، حسب ما تعرف جملة منها عن قريب انشاء الله تعالى. و بالجملة فليس الدليل منحصرأ في المقام في هذه الروايه حتى يستشكل في صحتها؛ بل لنا على هذه الدعوى أدله قاطعه متظافره بل متواتره حسب ما تطلع عليها.

و أما قول الشارح: و يمكن أن يتأول و يطبق على مذهب المعتزله، ففيه:

أولاً: إن الإمامه منصب إلهي و ملك عظيم غير قابل للكمال و التقصان و الشده و الضعف، بل لها شروط و

خصال بها يتأهيل لها؛ فحيث ما وجدت تلك الشرائط وجدت، و حيث ما انتفت إنتفت. فلا معنى لحمل قوله عليه السلام: «الأئمه من قريش» على الإمامه الكامله، إذ ليس لنا إمامه ناقصه.

اللهم إلمأ أن يجعل المراد بالإمام معناه اللغوي، أعني مطلق المقتدى؛ فحينئذ يصح توصيفه بالكمال و التقصان، فيراد بالكمال الأئمه الذين يهدون بالحق و به يعدلون، و بالتأقص الأئمه الذين يدعون إلى النار و هم للحق جاهدون. و على ذلك فيكون معنى قوله: «الأئمه من قريش» المقتدين الكاملين، يعني أئمه الهدى من قريش غرسوا في البطن المخصوص من هاشم، فلا ينافي وجود المقتدين الناقصين أعني أئمه الضلال من غير ذلك البطن.

لكن هذا المعنى مضافاً إلى أنه مجاز ميملاً لا يلتزم به الشارح، لأن غرضه من حمل الحديث على كمال الإمامه، و من تمحل ذلك التأويل إنما هو تصحيح مذهب المعتزله و رفع تضادّ الحديث لذلك المذهب، فكيف يقرّ و يدعن بضلال أئمه، و له أن يجيب عن ذلك و يقول: إن المراد بالإمام الكامل الأفضل و الأجمع للخلال الحميده، و بالتأقص من دون ذلك؛ كما يؤمى إليه إعرافه وفاقاً لأصحابه المعتزلي بأنّ علياً أفضل من سائر الخلفاء، على ما تقدّم تفصيلاً حكاية عنه في المقدمه الثانيه من مقدمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه.

إِلَّا أَنَّهُ يَتَوَجَّهَ عَلَيْهِ مَا قَدَّمَاهُ فِي الْمَقْدَمَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي

المقصد الثاني منها من أنه بعد القول والإلتزام بأفضليته أمير المؤمنين عليه السلام، لا يبقى لغيره إمامه و خلفه أصلاً، لقبح ترجيح المرجوح على الراجح و غير الأفضل على الأفضل عقلاً و شرعاً. فيبقى إيراد الذي أوردناه، أعني عدم كون الإمامه قابله للتقصان على حالها.

و ثانياً: إِنَّ بَعْدَ الْغَضِّ عَمَّا قَلْنَا وَ الْمَمَاشَاهِ نَقُولُ: إِنَّ قَوْلَهُ: «الْأُئْمَةُ مِنْ قَرِيْشٍ»، جَمْعٌ مَحَلِّيٌّ بِاللَّامِ، وَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ: «لَا تَصْلِحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»؛ وَ الْجَمْعُ الْمَحَلِّيُّ مَفِيدٌ لِلْعُمُومِ وَ حَقِيقَةٌ فِي الْإِسْتِغْرَاقِ الْحَقِيقِيِّ عَلَى مَا قَرَّرَ فِي الْأَصُولِ؛ وَ حَمَلَهَا عَلَى الْأُئْمَةِ وَ الْوَلَاةِ الْكَامِلِينَ يُوْجِبُ صَرْفَ الْإِسْتِغْرَاقِ إِلَى الْمَجَازِ أَعْنَى الْإِسْتِغْرَاقِ الْعَرْفِيِّ، وَ الْأَصْلُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ الْحَقِيقَةِ.

لا يقال: لا نسلم كون اللام في لفظ الأئمة و الولاه للإستغراق، و إنما هي للجنس كما صرح به العلامة التفتازاني على ما حكىته عنه فيما تقدم، و عليه فلا ينافي كون بعض أفراد الأئمة أعني غير الكاملين من غير قريش.

لأنتى أقول: مراده من الجنس هو الإستغراق، لأنه صرح في باب تعريف المسند إليه بكون الإستغراق قسماً من الجنس، تبعاً لصاحب التلخيص. و يؤمى إلى ذلك أيضاً ما قال المحقق الشريف من أن معنى قولنا: التوكل على الله و الكرم في العرب، أن كل توكل على الله، و كل كرم في العرب. سلمنا و لكن نقول: إن كون بعض أفراد الأئمة من غير قريش

ينافي القصر المستفاد من الحديث على ما حققه المحققان المذكوران و قدما حكايته عنهما فيما تقدم.

هذا كله مضافاً إلى وقوع التصريف «يح ظ» في الأخبار النبويه الآتية بالإستغراق الحقيقي و عدم احتمالها للتأويل لكونها نصاً في العموم و هو مؤكّد لكون الإستغراق هنا أيضاً حقيقياً.

و ثالثاً: إن قياس الحديث على نحو «لا صلاة لجار المسجد» و التمثيل به

فاسد؛ ضروره أن لاء النافيه للجنس موضوعه لنفى الماهية و حقيقه فيه كما فى لا رجل فى الدار، و استعماله فى نفي صفة من صفات الجنس كالصيحة و الكمال و نحوهما مجاز لا يصار إليه إلا بدليل؛ و قد قام الدليل على إرادته المعنى المجازى نحو «لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد»، و «لا طلاق إلا بشهود»، و «لا نكاح إلا بولي»، و «لا عتق إلا فى ملك»، و ما ضاهاها، لعلمنا بأن الماهية موجوده فيها جزماً، و إنما المنفى صحتها أو كمالها. و أما فيما نحن فيه فأصالة الحقيقه مُحكّمه لم يقم دليل على خلافها؛ فلا وجه للتأويل بكمال الإمامه على ما زعمه» (١).

٢٣- أربعة و عشرون حديثاً فى فضائل على عليه السلام

نقل الحديدى فى ذيل قول الإمام عليه السلام : «نَحْنُ الشُّعْرَاءُ وَ الْأَصْحَابُ وَ الْخَزَنَةُ وَ الْأَبْوَابُ وَ لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً»، أربعة و عشرين حديثاً من كتب العامه فى فضائله، و أتى بمقدمه و مؤخره نافع، فإليك كلامه:

و اعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه و بالغ فى تعديد مناقبه و فضائله، بفصاحته التى آتاه الله تعالى إياها و اختصه بها و ساعده على ذلك فصحاء العرب كافة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق فى أمره. و لست أعنى بذلك الأخبار العامه الشائعه التى يحتج بها الإماميه على إمامته، كخبر الغدير و المنزله و قصه براءه و خبر المناجاه و قصه

ص: ١٧٨

خبير و خبر الدار بمكه فى ابتداء الدّعوة و نحو ذلك؛ بل الأخبار الخاصّه التى رواها فيه أئمه الحديث، التى لم يحصل أقلّ القليل منها لغيره. و أنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً ممّا رواه علماء الحديث، الذين لا يُتّهمون فيه و جلّهم قائلون بتفضيل غيره عليه. فروايتهم فضائله توجب من سكون النفس ما لا يوجبه روايه غيرهم.

الخبر الأول: «يا على، إنّ الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحبّ إليه منها، هى زينه الأبرار عند الله تعالى، الزّهد فى الدنيا. جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً^(١) و لا ترزأ الدنيا منك شيئاً. و وهب لك حبّ المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً و يرضون بك إماماً».

رواه أبو نعيم الحافظ فى كتابه المعروف بحليه الأولياء و زاد فيه أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى المسند: «فطوبى لمن أحبّك و صدق فيك، و

ويل لمن أبغضك و كذب فيك».

الخبر الثانى: قال لوفد ثقيف: «لَتَسْلِمَنَّ، أو لأبعثَنَّ إليكم رجلاً منى - أو قال: عديل نفسى - فليضربنّ أعناقكم، و ليسبينّ ذراريكم، و ليأخذنّ أموالكم».

قال عمر: فما تمنيت الإماره إلّا يومئذ، و جعلت أنصب له صدرى رجاء أن يقول: هو هذا. فالتفت، فأخذ بيد على و قال: «هو هذا» مرّتين.

رواه أحمد فى المسند، و رواه فى كتاب فضائل على عليه السلام أنّه قال: «لتنتهنّ يا بنى وليعه^(٢) أو لأبعثنّ إليكم رجلاً كن- فسى، يمّ-ضى فيكم أمرى، يقتل المقاتله، و يسبى الدّريّه». قال أبو ذرّ: فما راعنى إلّا برد كفّ عمر فى

ص: ١٧٩

١- . ترزأ: تأخذ.

٢- . بنو وليعه: حى فى كنده.

حُجرتي (١) من خلفي، يقول: مَنْ تراه يعني؟ فقلت: إنه لا يعينك، وإنما يعني خاصف النعل، وإنه قال: «هو هذا».

الخبر الثالث: «إن الله عهد إلى في عليّ عهداً، فقلت: يا ربّ، بينه لي. قال: اسمع، إنّ عليّاً رايه الهدى و إمام أوليائي و نور من أطاعني، و هو الكلمه التي ألزمتها المتقين. من أحبه فقد أحبني و من أطاعه فقد أطاعني. ف-بشره بذلك. فقلت: قد بشرته يا ربّ، فقال: أنا عبد الله و في قبضته، فإن يعدّ بني فبذنوبي لم يظلم شيئاً، و إن يتمّ لي ما وعدني فهو أولى (٢) و قد دعوت له فقلت: اللهمّ أجل قلبه، و اجعل ربيعه الإيمان بك. قال: قد فعلت ذلك، غير أنني مختصّه بشيء من البلاء لم أختصّ به أحداً من أوليائي. فقلت: ربّ، أخى و صاحبي. قال: إنه سبق في علمي: أنه

لمبتل و مبتلي».

ذكره أبو نعيم الحافظ في حليه الأولياء عن أبي برزه الأسلمي. ثم رواه بإسناد آخر بلفظ آخر عن أنس بن مالك: «إن ربّ العالمين عهد في عليّ إلى عهداً أنه رايه الهدى و منار الإيمان و إمام أوليائي و نور جميع من أطاعني. إنّ عليّاً أمني غداً في القيامة و صاحب رايتي. بيد عليّ مفاتيح خزائن رحمه ربّي».

الخبر الرابع: «من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، و إلى آدم في علمه، و إلى إبراهيم في حلمه، و إلى موسى في فطنته، و إلى عيسى في زهده، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب».

رواه أحمد بن حنبل في المسند، و رواه أحمد البيهقي في صحيحه.

ص: ١٨٠

١- . الحجزه: موضع الإزار.

٢- . إنتهى كلام الإمام عليه السلام .

الخبر الخامس: «مَنْ سَرَّهَ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي وَ يَمُوتَ مِيتَتِي وَ يَتَمَسَّكَ بِالْقَضِيبِ مِنَ الْيَاقُوتَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: كُونِي فَكَانَتْ، فَلِيَتَمَسَّكَ بَوْلَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ». ذَكَرَهُ أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ حَلِيهِ الْأَوْلِيَاءِ، وَ رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الْمَسْنَدِ فِي كِتَابِ فُضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. وَ حَكَاهُ لَفْظَ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْقَضِيبِ الْأَحْمَرِ الَّذِي غَرَسَهُ اللَّهُ فِي جَنَةِ عَدْنٍ يَمِينِهِ، فَلِيَتَمَسَّكَ بِحَبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

الخبر السادس: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَا أَنْ تَقُولُ طَوَائِفُ مِنْ أُمَّتِي فِيكَ مَا قَالَتْ النَّصَارَى فِي ابْنِ مَرْيَمَ، لَقُلْتُ الْيَوْمَ فِيكَ مَقَالًا، لَا تَمَرُّ بِمَلَأٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَخَذُوا التَّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ لِلْبُرْكَه».

ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الْمَسْنَدِ.

الخبر السابع: خَرَجَ عَلَيَّ الْحَجِيجُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ

بَاهَى بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ عَامَّهُ، وَ غَفَرَ لَكُمْ عَامَّهُ، وَ بَاهَى بَعَلِيَّ خَاصَّهُ، وَ غَفَرَ لَهُ خَاصَّهُ. إِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ قَوْلًا غَيْرَ مُحَابٍ فِيهِ لِقِرَابَتِي: إِنَّ الشَّعِيدَ كُلَّ الشَّعِيدِ حَقُّ الشَّعِيدِ مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فِي حَيَاتِهِ وَ بَعْدَ مَوْتِهِ».

رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِ فُضَائِلِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ فِي الْمَسْنَدِ أَيْضًا.

الخبر الثامن: رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الْكِتَابَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ فِي ظِلِّهِ، ث-م-أ-ك-س-ى-ح-ل-ه. ثُمَّ يُدْعَى بِالنَّبِيِّينَ، بَعْضُهُمْ عَلَى أَثَرِ بَعْضٍ، فَيَقُومُونَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ وَ يَكْسُونَ حُلًّا. ثُمَّ يُدْعَى بَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لِقِرَابَتِهِ مِنِّي وَ مَنْزِلَتِهِ عِنْدِي، وَ يَدْفَعُ إِلَيْهِ لَوَائِي لَوَاءَ الْحَمْدِ، آدَمَ وَ مَنْ دُونَهُ تَحْتَ ذَلِكَ اللَّوَاءِ».

ثُمَّ قَالَ لَعَلِّي: «فَتَسِيرُ بِهِ حَتَّى تَقِفَ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، ث-م-ت-ك-س-ى-ح-ل-ه، وَ يَنَادِي مَنَادٍ مِنَ الْعَرْشِ: نَعْمَ الْعَبْدُ أَبُوكَ إِبْرَاهِيمَ، وَ نَعْمَ الْأَخُ أَخُوكَ

عليّ، أبشر فإنّك تُدعى إذا دعيت و تُكسى إذا كسيت و تُحيا إذا حييت».

الخبر التاسع: «يا أنس، اسكب لى وضوءاً». ثم قام فصلّى ركعتين، ثم قال: «أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتّقين و سيد المسلمين و يعسوب الدين و خاتم الوصيّين و قائد الغرّ المحجّلين». قال أنس: فقلتُ: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار و كتبّت دعوتى، ف جاء عليّ؛ فقال: «من جاء يا أنس؟». فقلتُ: عليّ. فقام إليه مستبشراً، فاعتنقه، ثم جعل يمسح عرق وجهه. فقال عليّ: «يا رسول الله، صلى الله عليك و آلك، لقد رأيت منك اليوم تصنع بى شيئاً ما صنعته بى قبل». قال: «و ما يمنعنى و أنت تؤدّى عنّى، و تسمعهم صوتى، و تبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى».

رواه أبو نعيم الحافظ فى حليه الأولياء.

الخبر العاشر: «ادعوا لى سيد العرب عليّاً». فقالت عائشه: أ لست سيد العرب؟ فقال: «أنا سيّد ولد آدم، و عليّ سيد العرب». فلما جاء، أرسل إلى الأنصار فأتوه، فقال لهم: «يا مع-شر الأنصار، ألا أدلكم على ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هذا عليّ، فأحبّوه بحبّى، و أكرموه بكرامتى؛ فإنّ جبرائيل أمرنى بالذى قلتُ لكم عن الله عزّ و جلّ».

رواه الحافظ أبو نعيم فى حليه الأولياء.

الخبر الحادى عشر: «مرحباً بسيد المؤمنين و إمام المتّقين». فقيل لعلّى عليه السلام: كيف شكرك؟ فقال: «أحمد الله على ما آتانى، و أسأله الشكر على ما أولانى، و أن يزيدنى ممّا أعطانى».

ذكره صاحب الحليه أيضاً.

الخبر الثانى عشر: «من سرّه أن يحيا حياتى و يموت مماتى و يسكن جنه عدن التى غرسها ربّى، فليوال عليّاً من بعدى، و ليوال وليه، و ليقتد»

ص: ١٨٢

بالأئمة من بعدى، فإنهم عترتى، خلقوا من طينتى و رزقوا فهماً و علماً، فويل للمكذّبين من أمتى، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم الله شفاعتى». الله شفاعتى».

ذكره صاحب الحليه أيضاً.

الخبر الثالث ع-شر: بعث رسول الله خالد بن الوليد فى سرّيه، و بعث عليّاً عليه السلام فى سرّيه أخرى، و كلاهما إلى اليمن؛ و قال: «إن اجتمعتما فعلىّ على الناس، و إن افترقتما فكلّ واحد منكما على جنده». فاجتمعا و أغارا و سببا نساءً و أخذوا أموالاً و قتلا ناساً. و أخذ علىّ جاريه فاختصّ بها لنفسه. فقال خالد لأربعة من المسلمين منهم بريدته الأسمى: اسبقوا إلى رسول الله فذكروا له كذا و اذكروا له كذا؛ لأمر عددها علىّ.

فسبقوا إليه، فجاء واحد من جانبه فقال: إنّ عليّاً فعل كذا. فأعرض عنه. فجاء الآخر من الجانب الآخر فقال: إنّ عليّاً فعل كذا. فأعرض عنه. فجاء بريدته الأسمى فقال: يا رسول الله، إنّ عليّاً فعل ذلك، فأخذ جاريه لنفسه. فغضب حتى احمرّ وجهه و قال: «دعوا لى عليّاً، يكرّرها، إنّ عليّاً منى و أنا من علىّ، و إنّ حظّه فى الخمس أكثر ممّا أخذ، و هو ولّى كلّ مؤمن من بعدى».

رواه أبو عبد الله أحمد فى المسند غير مره، و رواه فى كتاب فضائل علىّ، و رواه أكثر المحدثين.

الخبر الرابع عشر: «كنت أنا و علىّ نوراً بين يدى الله عزّ و جلّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق آدم قسّم ذلك فيه و جعله جزءين، فجزء أنا و جزء علىّ».

رواه أحمد فى المسند و فى كتاب فضائل علىّ عليه السلام، و ذكره صاحب كتاب الفردوس و زاد فيه: «ثمّ انتقلنا حتى صرنا فى عبد المطلب، فكان لى النبوه و لعلّى الوصيه».

ص: ١٨٣

الخبر الخامس عشر: «النَّظَرُ إِلَى وَجْهِكَ يَا عَلِيُّ عِبَادِهِ، أَنْتَ سَيِّدٌ فِي الدُّنْيَا وَ سَيِّدٌ فِي الْآخِرَةِ، مَنْ أَحَبَّكَ أَحَبَّنِي وَ حَبَبِي حَبِيبُ اللَّهِ، وَ عَدُوُّكَ عَدُوِّي وَ عَدُوِّي عَدُوُّ اللَّهِ، الْوَيْلُ لِمَنْ أَبْغَضَكَ».

رواه أحمد في المسند قال: و كان ابن عباس يفسِّره و يقول: إِنَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعْلَمَ هَذَا الْفَتَى، سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشْجَعَ هَذَا الْفَتَى، سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَفْصَحَ هَذَا الْفَتَى.

الحديث السادس عشر: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ بَدْرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ يَسْتَقِي لَنَا مَاءً؟». فَأَحْجَمَ النَّاسُ، فَقَامَ عَلِيُّ فَاحْتَضَنَ قَرِيبَهُ، ثُمَّ أَتَى بَثْرًا بَعِيدَهُ

الْقَعْرَ مَظْلَمَهُ، فَانْحَدَرَ فِيهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى جَبْرِيلَ وَ مِيكَائِيلَ وَ إِسْرَافِيلَ: أَنْ تَأْهَبُوا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ وَ أَخِيهِ وَ حِزْبِهِ. فَهَبَطُوا مِنَ السَّمَاءِ، لَهُمْ لُغَطٌ يَذْعَرُ مَنْ يَسْمَعُهُ، فَلَمَّا حَاذُوا الْبَثْرَ، سَلَّمُوا عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ إِكْرَامًا لَهُ وَ إِجْلَالًا.

رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام و زاد فيه في طريق أخرى عن أنس بن مالك: «لَتُؤْتَيْنِي يَا عَلِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَاقِهِ مِنْ نَوْقِ الْجَنَّةِ، فَتَرْكَبُهَا وَ رَكْبَتُكَ مَعَ رَكْبَتِي وَ فَخِذُكَ مَعَ فَخِذِي، حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ».

الحديث السابع عشر: خَطَبَ يَوْمَ جَمْعِهِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدَّمُوا قَرِيشًا وَ لَا تَقْدِمُوا هَا، وَ تَعَلَّمُوا مِنْهَا وَ لَا تَعْلَمُوا هَا؛ قُوَّةَ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ قُوَّةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَ أَمَانَةَ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ تَعْدِلُ أَمَانَةَ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَوْصِيكُمْ بِحَبِّ ذِي قَرْبَاهَا أَخِي وَ ابْنِ عَمِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ لَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَ لَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ؛ مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَ مَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَ مَنْ أَبْغَضَنِي عَذَّبَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ».

رواه أحمد رضي الله عنه في كتاب فضائل علي عليه السلام .

الحديث الثامن ع-شر: «الصدّيقون ثلاثه: حبيب النجار الذي جاء من أقصى المدينه يسعى، و مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، و علي بن أبي طالب و هو أفضلهم».

رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام .

الحديث التاسع عشر: «أعطيت في علي خمساً هنّ أحبّ إليّ من الدنيا و ما فيها، أما واحده فهو كاب بين يدي الله عز و جل حتى يفرغ من حساب

الخلايق، و أما الثانيه فلواء الحمد بيده، آدم و من ولد تحته، و أما الثالثه فواقف علي عقر (1) حوضي يسقى من عرف من أمتي، و أما الرابعه فسائر عورتى و مسلمى إلى ربّى، و أما الخامسه فإنّي لست أخ--شى عليه أن يعود كافراً بعد إيمان و لا زانياً بعد إحصان».

رواه أحمد في كتاب الفضائل.

الحديث العشرون: كانت لجماعه من الصحابه أبواب شارع في مسجد الرسول ، فقال يوماً: «سدّوا كلّ باب في المسجد إلّا باب عليّ». فسدّت. فقال في ذلك قومٌ، حتى بلغ رسول الله . فقام فيهم فقال: «إنّ قوماً قالوا في سدّ الأبواب و تركى باب عليّ، إنّي ما سدّدت و لا فتحتُ، و لكنّي أمرتُ بأمرٍ فاتبعته».

رواه أحمد في المسند مراراً، و في كتاب الفضائل.

الحديث الحادى و العشرون: دعا علياً في غزاه الطائف، فانتجاه، و أطال نجواه حتى كره قومٌ من الصحابه ذلك. فقال قائل منهم: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمّه. فبلغه عليه السلام ذلك، فجمع منهم قوماً ثم قال: «إنّ قائلًا

ص: ١٨٥

١- . العقر: مؤخر الحوض حيث يقف الإبل.

قال: لقد أطلال اليوم نجوى ابن عمه، أما إننى ما انتجيتُهُ و لكنَّ الله انتجاه».

رواه أحمد رحمه الله فى المسند.

الحديث الثانى و الع-شرون: «أخصمك (1) يا علىّ بالنبوّه، فلا نبوّه بعدى، و تخصم الناس بسبع، لا يجاهد فيها أحدٌ من قريش: أنت أوّلهم إيماناً

بالله، و أوفاهم بعهد الله، و أقومهم بأمر الله، و أقسمهم بالسويّه، و أعدلهم فى الرعيّه، و أبصرهم بالقضيه، و أعظمهم عند الله مزيّه».

رواه أبو نعيم الحافظ فى حليه الأولياء.

الخبر الثالث و الع-شرون: قالت فاطمه: «إنك زوّجتنى فقيراً لا مال له». فقال: «زوّجتك أقدمهم سلماً و أعظمهم حلماً و أكثرهم علماً. أ لا تعلمين أنّ الله أطلع إلى الأرض اطلاعه، فاختار منها أباك، ثمّ أطلع إليها ثانيه فاختار منها بعلك».

رواه أحمد فى المسند.

الحديث الرابع و الع-شرون: لما أنزل «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ» بعد انصرافه عليه السلام من غزاه حنين، جعل يكثر من «سبحان الله» «أستغفر الله»؛ ثمّ قال: «يا علىّ، إنّه قد جاء ما وعدت به، جاء الفتح و دخل الناس فى دينِ الله أفواجا، و إنّه ليس أحدٌ أحقّ منك بمقامى، لقدّمك فى الإسلام و قربك منى و صهرك، و عندك سيده نساء العالمين، و قبل ذلك ما كان من بلاء أبى طالب عندى حين نزل القرآن، فأنا حريصٌ على أن أراعى ذلك لولده».

رواه أبو إسحاق الثعلبى فى تفسير القرآن.

ص: ١٨٦

١- . أخصمك: أغلبك.

و اعلم أنا إنّما ذكرنا هذه الأخبار هاهنا، لأنّ كثيراً من المنحرفين عنه عليه السلام ، إذا مرّوا على كلامه فى نهج البلاغه و غيره، المتضمّن التحدث بنعمه الله عليه من اختصاص الرسول له و تمييزه إياه عن غيره،^(١) ينسبونه إلى

التيه و الزهو و الفخر؛ و لقد سبقهم بذلك قومٌ من الصحابه. قيل لعمر: ولّ علينا أمر الجيش و الحرب. فقال: هو أتيه من ذلك. و قال زيد بن ثابت: ما رأينا أزهى من عليّ و أسامه.

فأردنا بإيراد هذه الأخبار هاهنا عند تفسير قوله: «نحن الشعار و الأصحاب و نحن الخزنه و الأبواب» أن ننبّه على عظم منزلته عند الرسول ، و أنّ من قيل فى حقه ما قيل لورقى إلى السماء، و عرج فى الهواء، و فخر على الملائكه و الأنبياء، تعظماً و تبجحاً لم يكن ملوماً؛ بل كان بذلك جديراً. فكيف و هو عليه السلام لم يسلك قطّ مسلك التعظم و التكبر فى شىء من أقواله و لا من أفعاله. و كان أطفّ البشر خلقاً و أكرمهم طبعاً و أشدهم تواضعاً و أكثرهم احتمالاً و أحسنهم بشراً و أطلقهم وجهاً، حتى نسبه من نسبه إلى الدعابه و المزاح، و هما خُلقتان يُنافيان التكبر و الاستطاله. و إنّما كان يذكر أحياناً ما يذكره من هذا النوع، نفثه مصدر و شكوى مكروب

ص: ١٨٧

١- . نظير ذلك ما روى الشيخ فى المصباح عن أبى محمد اليمنى، قال: أنّ الإمام العسكرى عليه السلام حين أملا على الصلوات الخاصه على كل من المعصومين^١ و وصل إلى الصلاه على نفسه عليه السلام ، أصابه الحياء و أمسك. فقلت له فى ذلك؛ فقال: لو لا أنه دينٌ أمرنا الله تعالى أن نفعله و نؤديه إلى أهله، لأحببت الإمساك؛ و لكنه الدين. اكتب: الصلاه على الحسن بن على بن محمد عليه السلام : اللهم صل على الحسن بن على بن محمد البرّ التقى الصادق الوفى النور المضىء خازن علمك و المذكر بتوحيدك و ولى أمرك و خلف أئمه الدين الهداه الراشدين و الحجه على أهل الدنيا فصل عليه يا رب أفضل ما صليت على أحد من أصفياك و حججك و أولاد رسلك يا إله العالمين. مصباح المتهدج، ج ١، ص ٤٠٥.

و تنفس مهموم. و لا يقصد به إذا ذكره إلا شكر النعمة و تنيبه الغافل

على ما خصه الله به من الفضيله؛ فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف، و

الحض على اعتقاد الحق و الصواب فى أمره، و النهى عن المنكر الذى هو تقديم غيره عليه فى الفضل. فقد نهى الله سبحانه عن ذلك، فقال: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».(١)

أقول: لا بأس بذكر ما قال الشارح الخوئى رحمه الله فى هذا المجال حيث قال: «و لقد أجاد الشارح فيما أفاد، و لا يخفى ما فى كلامه من وجوه التعريض إلى عمر، من حيث نسبه أمير المؤمنين عليه السلام تارة إلى التيه و التكبر، و أخرى إلى المزاح و الدعابه. و قد تبه الشارح على أن هذه النسبه افتراء منه عليه عليه السلام؛ لأن التكبر و الدعابه على طرفى الإفراط و التفريط و هما مع تضادهما و عدم إمكان اجتماعهما فى محل واحد، لا يجوز أن يوصف الإمام عليه السلام الذى هو على حد الاعتدال فى الأوصاف و الأخلاق بشىء منهما، فضلاً عن كليهما. و قد مرّ فساد نسبه الدعابه إليه فى شرح الكلام الثالث و الثمانين بما لا مزيد عليه.

ثم العجب من الشارح أنه مع نقله هذه الروايات كيف ضلّ عن الهدى و أعمى عن الحق و أنكر وجود النص على خلافه أمير المؤمنين عليه السلام، مع ظهور دلالتها على خلافته لو لم تكن نصاً فيها، لا سيما الروايه الأخيره أعنى الحديث الرابع و العشرين.

و أعجب من ذلك أنه قد صرح هنا بأن تقديم غيره عليه عليه السلام

من المنكر، و أن غرض أمير المؤمنين عليه السلام من تعديد مناقبه و فضايله كان النهى عن ذلك المنكر و

ص: ١٨٨

١- . يونس، ٣٥؛ شرح الحديدى، ج ٩، ص ١٦٦، (مصر) و ص ١١٣، (الأعلمى).

ردع النَّاس عن الإعتقاد الباطل إلى الحقِّ و الصَّواب، و هو مناف لمذهبه الذي اختاره وفاقاً لأصحابه المعتزله من أن تقديم غيره عليه إنما هو من فعل الله - سبحانه و تعالى عمّا يقول الجاهلون الضَّالُّون علوّاً كبيراً - كما هو صريح كلامه في خطبه الشَّرح حيث قال هناك: و قدّم المفضول على الأفضل لمصلحه اقتضاها التَّكليف. و إذا كان تقديم غيره عليه منكراً و قبيحاً، كيف نسهه إلى الله تعالى هنالك، و قد أجرى الله الحقَّ على لسانه هنا حتّى صرَّح بنفسه على فساد مذهبه، و الله الهادي إلى سواء السَّبيل» (١).

٢٤- مناظره مع النقيب

إنَّ خطبه ١٦٣ حاويه لجواب الإمام عليه السلام لرجل من بنى أسد حيث سأله عن عله إدبار الناس عنه، و نقل الشارح المعتزلى تبيناً لشرحها مناظرته مع أبي جعفر النقيب، فهذا أصلها:

و سألتُ أبا جعفر يحيى بن محمد العلويّ نقيب البصره، وقت قراءة تى عليه عن هذا الكلام - و كان رحمه الله على ما يذهب إليه من مذهب العلويّه منصفاً وافر العقل - فقلتُ له: مَنْ يعنى عليه السلام بقوله: «كَانَتْ أَثْرُهُ شَحَّتْ عَلَيَّهَا

نُفُوسُ قَوْمٍ وَ سَيَّخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخِرِينَ»؟ و مَنْ القوم الذين عناهم الأسدِيُّ بقوله: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحقَّ به»؟ هل المراد يوم السقيفه أو يوم الشورى؟

فقال: يوم السقيفه.

ص: ١٨٩

فقلتُ: إنَّ نفسى لا تسامحنى أن أنسبَ إلى الصحابه عصيانَ رسول الله و دفعَ النصّ.

فقال: و أنا فلا تسامحنى أيضاً نفسى أن أنسبَ الرّسول إلى إهمال أمر الإمامه، و أن يتركَ الناسَ فوضّى سُدى مهملين و قد كان لا- يغيب عن المدينه إلها و يؤمّر عليها أميراً و هو حىّ ليس بالبعيد عنها؛ فكيف لا يؤمّر و هو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث.

ثمّ قال: ليس يشكُّ أحدٌ من الناس أنّ رسول الله كان عاقلاً- كامل العقل. أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم، و أمّا اليهود و النصرارى و الفلاسفه فيزعمون أنّه حكيم تامّ الحكمه، سديد الرأى، أقام مله، و شرع شريعته، فاستجدّ مُلكاً عظيماً بعقله و تدبيره؛ و هذا الرّجل العاقل الكامل يعرف طباعَ العرب و غرائزهم، و طلبهم بالثارات و الدّحول و لو بعد الأزمان المتطاوله، و يقتل الرّجل من القبيله رجلاً من بيت آخر؛ فلا يزال أهل ذلك المقتول و أقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه، حتى يدركوا ثأرهم منه؛ فإن لم يظفروا به قتلوا بعضَ أقاربه و أهله؛ فإن لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعه من تلك القبيله به و إن لم يكونوا رهطه الأذنين. و الإسلام لم يُحلّ طبائعهم، و لا غيّر هذه السجّيه المركوزه فى أخلاقهم، و الغرائز بحالها. فكيف يتّوهم لبيب أنّ هذا العاقل الكامل و تر العرب و

على الخصوص قريشاً، و ساعدَه على سيفك الدماء و إزهاق الأنفس و تقلّد الضغائن ابنُ عمّه الأذنى و صهره، و هو يعلم أنّه سيموت كما يموت الناس؛ و يتركه بعده و عنده ابنته و له منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره، حنواً عليهما و محبّه لهما. و يعدل عنه فى الأمر بعده و لا ينصّ عليه

و لا يستخلفه؛ فيحقن دمه و دم بنيه و أهله باستخلافه. أ لا يعلم هذا العاقل الكامل أنه إذا تركه و ترك بنيه و أهله سوقه و رعيتَه فقد عرّض دماءهم للإِراقه بعده؛ بل يكون هو عليه السلام هو المذى قتله، و أشاط(1) بدمائهم؛ لأنهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم. و إنما يكونون مضغاً للأكل و فريسه للمفترس، يتخطفهم الناس و تبلى فيهم الأغراض. فأما إذا جعل السلطان فيهم و الأمر إليهم، فإنه يكون قد عصمهم و حقن دماءهم بالرئاسه التي يصلون بها، و يرتدع الناس عنهم لأجلها. و مثل هذا معلوم بالتجربه؛ أ لا ترى أن ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس و وترهم و أبقى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه، ثم أهمل أمر ولده و ذريته من بعده، و فسح للناس أن يقيموا ملكاً من عرضهم، و واحداً منهم، و جعل بنيه سوقه كبعض العامه، لكان بنوه بعده قليلاً بقاؤهم، سريعاً هلاكهم، و لو ثب عليهم الناس ذوو الأحقاد و الترات من كل جهه، يقتلونهم و يشردونهم كل مشرد. و لو أنه عين ولدأ من أولاده للملك و قام خواصه و خدمه و خوله بأمره بعده، لحقنت دماء أهل بيته؛ و لم تطل يد أحد من الناس إليهم، لنا موسى الملك و أبه السلطنه و قوه الرئاسه و حرمه الإماره.

أفترى ذهب عن رسول الله هذا المعنى، أم أحب أن يستأصل أهله و ذريته من بعده؟ و أين موضع الشفقه على فاطمه العزيزه عنده الحبيب إلى قلبه؟

أ تقول: إنه أحب أن يجعلها كواحد من فقراء المدينه تتكفف الناس، و أن

ص: ١٩١

١- . أشاط بدمائهم: أهدرها أو عمل على هلاكها.

يجعل علياً المكرّم المعظم عنده، الذي كانت حاله معه معلومه، كأبي هريره الدّوسيّ و أنس بن مالك الأنصاريّ، يُحكّم الأمراء في دمه و عرضه و نفسه و ولده، فلا يستطيع الإمتناع، و على رأسه مائه ألف سيف مسلول تتلظى أكباد أصحابها عليه، و يودّون أن يشربوا دمه بأفواههم، و يأكلوا لحمه بأسنانهم، قد قتل أبناءهم و إخوانهم و آباءهم و أعمامهم؛ و العهد لم يطل و القروح لم تتقرّف (١) و الجروح لم تندمل.

فقلتُ له: لقد أحسنتَ فيما قلتَ، إلّا أنّ لفظه عليه السلام يدلّ على أنّه لم يكن نصّ عليه. ألا تراه يقول: «و نحن الأعلون نسباً و الأشدّون بالرّسول نوطاً». فجعل الاحتجاج بالنّسب و شدّه القرب. فلو كان عليه نصّ، لقال عوض ذلك: و أنا المنصوص عليّ، المخطوب باسمي.

فقال رحمه الله: إنّما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل؛ ألا ترى أنّه سأله فقال: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به. فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه و هم أحقّ به من جهة اللّحمه و العتره. و لم يكن الأسدّي يتصوّر النّصّ، و لا يعتقده و لا يخطر بباله؛ لأنّه لو كان هذا في نفسه، لقال له: لم دفعك الناس عن هذا المقام و قد نصّ عليك رسولُ الله . و لم يقل له هذا، إنّما قال كلاماً عاماً لبني هاشم كافّه: كيف دفعكم قومكم

عن هذا و أنتم أحقّ به؛ أي باعتبار الهاشميّة و القربى. فأجابه بجوابٍ أعاد قبله المعنى الذي تعلّق به الأسدّي بعينه تمهيداً للجواب؛ فقال: إنّما فعلوا ذلك مع أنّا أقرب إلى رسول الله من غيرنا، لأنّهم استأثروا علينا. و لو قال له: أنا المنصوص عليّ و المخطوب باسمي في

ص: ١٩٢

حياه رسول الله ، لما كان قد أجابه؛ لأنه ما سأله: هل أنت منصوص عليك أم لا؟ ولا: هل نصّ رسولُ الله بالخلافه على أحدٍ أم لا؟ وإِنَّمَا قال: لِمَ دَفَعْتُمْ قَوْمَكُمْ عَنِ الْأَمْرِ وَأَنْتُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰ يَنْبُوعِهِ وَمَعْدَنِهِ مِنْهُمْ؟ فَأَجَابَهُ جَوَاباً يَنْطَبِقُ عَلَى السُّؤَالِ وَيَلَائِمُهُ أَيْضاً. فَلَوْ أَخَذَ يَصْرِّحُ لَهُ بِالنَّصِّ وَيَعْرِفُهُ تَفَاصِيلَ بَاطِنِ الْأَمْرِ، لَنَفَرَ عَنْهُ وَأَتَّهَمَهُ وَ لَمْ يَقْبَلِ قَوْلَهُ وَ لَمْ يَنْجَذِبْ إِلَىٰ تَصَدِيقِهِ. فَكَانَ أَوْلَى الْأُمُورِ فِي حُكْمِ السِّيَاسَةِ وَ تَدْبِيرِ النَّاسِ أَنْ يَجِيبَ بِمَا لَا تُفْرَهُ مِنْهُ وَ لَا مَطْعَنَ عَلَيْهِ فِيهِ. (١)

٢٥- يوم الغدير

قال الحديدي في شرح خطبه ١٧٣ بعد ذكر روايات في مظلوميه الإمام عليه السلام عن لسانه مثل قوله: «مَا زِلْتُ مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ مَدْفُوعًا عَمَّا اسْتَحَقُّهُ وَ اسْتَوْجِبُهُ» ما هذا كلامه:

و أصحابنا يحملون ذلك كله على ادّعاءه الأمر بالأفضليته و الأحقيته، و هو الحقّ و الصواب؛ فإنّ حملته على الإستحقاق بالنصّ تكفير أو تفسيق

لوجوه المهاجرين و الأنصار. (٢) و لكنّ الإماميه و الزيديه حملوا هذه الأقوال على ظواهرها، و ارتكبوا بها مركباً صعباً.

و لعمرى إنّ هذه الألفاظ موهمة مغلبه على الظنّ ما يقوله القوم، و لكن تصفّح الأحوال يُبطل ذلك الظنّ و يدرأ ذلك الوهم. فوجب أن يجرى مجرى

ص: ١٩٣

١- شرح الحديدي، ج ٩، ص ٢٤٨، (مصر) و ص ١٦٦، (الأعلمي).

٢- . يكفى في فساد قوله هذا، ما أجابه أستاذه النقيب المتقدم آنفاً حيث قال: «و أنا فلا تسامحني أيضاً نفسى أن أنسب الرسول إلى إهمال أمر الإمامه، و أن يترك الناس فوضي سُدّي مهمّلين».

الآيات المتشابهات الموهمة ما لا- يجوز على البارئ؛ فإنه لا- نعمل بها و لا نعول على ظواهرها؛ لأننا لما تصفحنا أدله العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ، و أن تحمل على التأويلات المذكوره فى الكتب.

و حدّثني يحيى بن سعيد بن على الحنبلى المعروف بابن عاليه من ساكنى قَطْفَتَا(١) بالجانب الغربى من بغداد و أحد الشهود المعدّلين(٢) بها، قال: كنتُ حاضراً مجلس الفخر إسماعيل بن على الحنبلى الفقيه المعروف بـغلام بن المنى، و كان الفخر إسماعيل بن على هذا مقدّم الحنابله ببغداد فى الفقه و الخلاف، و يشتغل بشىء فى علم المنطق، و كان حُلُو العبارة، و قد رأيتُه أنا و حضرتُ عنده و سمعت كلامه، و توفى سنة عشر و ستمائه.

قال ابن عاليه: و نحن عنده نتحدّث إذ دخل شخص من الحنابله، قد كان له دين على بعض أهل الكوفة، فانحدر إليه يطالبه به، و اتّفق أن

حضرت زياره يوم الغدير؛ و الحنبلى المذكور بالكوفة و هذه الزياره هى اليوم الثامن ع-شر من ذى الحجه؛ و يجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جموعٌ عظيمه تتجاوز حدّ الإحصاء.

قال ابن عاليه: فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشخص: ما فعلت؟ ما رأيت؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقى لك منه بقيه عند غريمك؟ و ذلك يجاوبه حتى قال له: يا سيدى، لو شاهدت يوم الزياره يوم الغدير، و ما يجرى عند قبر على بن أبى طالب من الفضائح و الأقوال الشنيعه و سبّ الصحابه جهاراً بأصواتٍ مرتفعه، من غير مراقبه و لا خيفه. فقال

ص: ١٩٤

١- . قطفتا، بالفتح ثم الضم و لفاء ساكنه و تاء مثناه و القصر: محله بالجانب الغربى من بغداد، بينها و بين دجله أقل من ميل. (مراصد الإطلاع).

٢- . المعدّل: العالم الذى يجرح و يعدّل الرواه.

إسماعيل: أى ذنب لهم؟ و الله ما جرّأهم على ذلك و لا فتح لهم هذا الباب إلّا صاحب ذلك القبر؟ فقال ذلك الشخص: و من صاحب القبر؟ قال: على بن أبى طالب. قال: يا سيدي، هو الذى سنّ لهم ذلك و علمهم إياه و طرّقهم إليه؟ قال: نعم و الله. قال: يا سيدي، فإن كان محققاً فما لنا أن نتولّى فلاناً و فلاناً؟ و إن كان مبطلاً فما لنا نتولّاه؟ ينبغي أن نبرأ إمّا منه أو منهما.

قال ابن عاليه: فقام إسماعيل مسرعاً فلبس نعليه و قال: لعن الله إسماعيل الفاعل بن الفاعل (1) إن كان يعرف جواب هذه المسأله، و دخل دار حرمه؛ و قمنا نحن و انصرفنا. (2)

أقول: اعترض الشارح الخوئي على الحديدى و قال راداً عليه: «و العجب من الشارح المعتزلى أنه بعد اعترافه بتواتر الأخبار

الظاهرة فى اغتصاب الخلافة و التظلم و الشكوى من أئمه الجور، كيف يصرفها عن ظواهرها من غير دليل؛ و أى داع له إلى الإنحراف عن قصد السبيل؟ و لو كان هناك أقل دليل لتمسك به مقدّم الحنابله إسماعيل، و لم يعى عن الجواب، و لم يقم من مجلسه مسرعاً إلى الذهاب. فحيث عجز عن جواب القائل ضاق به الخناق إلّا لعن نفسه بالفاعل ابن الفاعل.

ثم العجب من الشارح أنه يعلّل ذلك تارة بأنّ حملها على ظواهرها يوجب تكفير وجوه الصّحابه و تفسيقها و هو كما ترى مصادره على المدعى، و أخرى بأنّ تصفّح الأقوال يبطل الظنّ الحاصل منها. و ليت شعرى أى قول أوجب الخروج عن تلك الظواهر؟

ص: ١٩٥

١- ورد فى نسخه المتداول من الشرح: الفاعل؛ و لكن فى البحار و نسخه الميرزا الخوئي رحمه الله: «الفاعل بن الفاعل».

٢- شرح الحديدى، ج ٩، ص ٣٠٧، (مصر) و ص ٢٠١، (الأعلمى).

فإن أراد قول أهل السنّه فليس له إعتبار ولا وقع له عند أولى الأبصار؛

وإن أراد قول من يعول على قوله من النبى المختار وآله الأطهار فعليه البيان وعلينا التسليم والإذعان، مع أنا قد تصفحنا كتب التواريخ والسّير والأخبار والأثر فما ظفرنا بعد إلى الآن على خبر واحد معتبر ولا حديث صحيح يؤثر، بل الأحاديث الصحيحه النبويّه وغير النبويّه العاميّه والخاصيّه على بطلان دعويهم متظافره وإبطال خلافه الخلفاء متواتره متظافره.

و قياس ظواهر تلك الروايات على الآيات المتشابهات

قياس مع الفارق لا يقيسها إلّا كلّ بايّد ناهق^(١) لقيام الأدلّه القاطعه من العقل والنقل على وجوب تأويل هذه الآيات وقيامها على لزوم تعويل ظواهر تلك الروايات - وكفى بذلك شهيداً - فضلاً عن غيره ممّا تقدّم ويأتى، وحديث الثقلين وخبر الحقّ مع عليّ وعلّي مع الحقّ المعروف بين الفريقين وروايه ورود الأئمّه على النبى على خمس رايات وافتراق الأئمّه على ثلاث و سبعين فرقه كلّها فى النار غير واحده^(٢).

٢٦- مشتركات النبى وعلّي عليه السلام

نقل الحديدى عن أبى جعفر النقيب كلاماً فى ما هو المشترك بين النبى وأمير المؤمنين عليه السلام، قال ما هذا نصه:

وكان (النقيب) يقول: من تأمل حال الرّجلين (النبى وعلّي عليه السلام) وجدتهما متشابهتين فى جميع أمورهما أو فى أكثرها، وذلك لأنّ حرب رسول

ص: ١٩٦

١- . يرجع معنى كلاً اللفظين إلى مفهوم واحد وهو: الجاهل.

٢- . منهاج البراعه، ج ١٠، ص ١٤١.

الله مع المشركين كانت سبجلاً، انتصر يوم بدر و انتصر المشركون عليه يوم أحد، و كان يوم الخندق كفافاً خرج هو و هم سواء لا عليه و لا له، لأنهم قتلوا رئيس الأوس و هو سعد بن معاذ، و قُتل منهم فارس قريش و هو عمرو بن عبد ودّ، و انصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك الساعه التي كانت، ثم حارب بعدها قريشاً يوم الفتح، فكان الظفر له.

و هكذا كانت حروبُ عليّ عليه السلام ، انتصر يوم الجمل و خرج الأمر بينه و بين

معاويه على سواء، قُتل من أصحابه رؤساء و من أصحاب معاويه رؤساء، و انصرف كلُّ واحد من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب على مكانه، ثم حارب بعد صفين أهل النهروان، فكان الظفر له.

قال (النقيب): و من العجب أنّ أوّل حروب رسول الله كانت بدرًا، و كان هو المنصور فيها؛ و أوّل حروب عليّ عليه السلام الجمل، و كان هو المنصور فيها.

ثم كان من صحيفه الصلح و الحكومه يوم صفين نظير ما كان من صحيفه الصلح و الهدنه يوم الحديبيه.

ثم دعا معاويه في آخر أيام عليّ عليه السلام إلى نفسه و تسمى بالخلافه، كما أنّ مسيلمه و الأسود العنسيّ دعوا إلى أنفسهما في آخر أيام رسول الله و تسميا بالنبوه. و اشتدّ على عليّ عليه السلام ذلك كما اشتدّ على رسول الله أمرُ الأسود و مسيلمه؛ و أبطل الله أمرهما بعد وفاه النبيّ ، و كذلك أبطل أمر معاويه و بنى أميه بعد وفاه عليّ عليه السلام .

و لم يحارب رسول الله أحد من العرب إلا قريش ما عدا يوم حنين، و لم يحارب عليّاً عليه السلام من العرب أحدٌ إلا قريش ما عدا يوم النهروان.

و مات عليّ عليه السلام شهيداً بالتّيف، و مات رسول الله شهيداً بالسّم.

و هذا لم يتزوج عليّ خديجه أمّ أولاده حتى ماتت، و هذا لم يتزوج عليّ

فاطمه أم أشرف أولاده حتى ماتت.

و مات رسول الله عن ثلاث و ستين سنه و مات على عليه السلام عن مثلها.

و كان (النقيب) يقول: أنظروا إلى أخلاقهما و خصائصهما، هذا شجاع و هذا شجاع، و هذا فصيح و هذا فصيح، و هذا سخي جواد و هذا سخي جواد، و هذا عالم بالشرائع و الأمور الإلهيه و هذا عالم بالفقه و الشريعه

و الأمور الإلهيه الدقيقه الغامضه، و هذا زاهد في الدنيا غير نهم و لا مستكثر منها و هذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها، و هذا مذب نفسه في الصلاه و العباده و هذا مثله، و هذا غير محبب إليه شىء من الأمور العاجله إلا النساء و هذا مثله، و هذا ابن عبد المطلب بن هاشم و هذا في قعدده،^(١) و أبواهما أخوان لأب و أم دون غيرهما من بنى عبد المطلب، و ربى محمد في حجر والد هذا و هذا أبو طالب، فكان جارياً عنده مجرى أحد أولاده. ثم لما شب و كبر استخلصه من بنى أبي طالب و هو غلام، فرباه في حجره مكافأه لصنيع أبي طالب به، فامتزج الخلقان و تماثلت السجيتان. و إذا كان القرين مقتدياً بالقرين فما ظنك بالتربيه و التثقيف الدهر الطويل؟ فواجب أن تكون أخلاق محمد كأخلاق أبي طالب، و تكون أخلاق علي عليه السلام كأخلاق أبي طالب أبيه و محمد مربيه، و أن يكون الكل شيمه واحده و سوساً^(٢) واحداً و طينه مشتركه و نفساً غير منقسمه و لا متجزئه؛ و ألا يكون بين بعض هؤلاء و بعض فرق و لا فضل، لو لا أن الله تعالى اختص محمداً برسالته و اصطفاه لوحيه لما يعلمه من مصالح البريه في ذلك، و من أن اللطف به

ص: ١٩٨

١- . القعدد: القريب الآباء من الجد الأعلى.

٢- . أى أصلاً واحداً.

أكمل و النفع بمكانه أتم و أعم، فامتاز رسول الله بذلك عمّن سواه و بقى ما عدا الرسالة على أمر الإتحاد. و إلى هذا المعنى أشار بقوله: «أخصمك (١) بالنبوه فلا نبوه بعدى، و تخصم الناس بسبع».

و قال له أيضاً: «أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي

بعدى».

فأبان نفسه منه بالنبوه، و أثبت له ما عداها من جميع الفضائل و الخصائص مشتركاً بينهما. (٢).

٢٧- سبب عشق الناس لعلّي عليه السلام

قلتُ له (النقيب) مرّه: ما سبب حبّ الناس لعلّي بن أبى طالب عليه السلام و عشقهم له و تهالكهم فى هواه؟ و دعنى فى الجواب من حديث الشجاعه و العلم و الفصاحه، و غير ذلك من الخصائص التى رزقه الله سبحانه الكثير الطيب منها.

فضحك و قال لى: كم تجمع جراميزك علىّ. ثم قال:

هاهنا مقدّمه ينبغى أن تعلم و هى: أنّ أكثر الناس موتورون (٣) من الدنيا، أمّا المستحقون فلا ريب فى أن أكثرهم محرومون، نحو عالم يرى أنه لا حظّ له فى الدنيا، و يرى جاهلاً غيره مرزوقاً و موسياً عليه. و شجاع قد أبلى فى الحرب و انتفع بموضعه، ليس له عطاء يكفيه و يقوم بض-روراته، و يرى غيره و هو جبان فليل، يفرّق من ظلّه، مالكاً لقطر عظيم من الدنيا و قطعه

ص: ١٩٩

١- . أخصمك: أغلبك.

٢- . شرح الحديدى، ج ١٠، ص ٢٢٠، (مصر) و ص ٣٦٤، (الأعلمى).

٣- . أى الحاقدون على الدنيا.

وافره من المال و الرزق. و عاقلٌ سديد التدبير صحيح العقل، قد قُدر (١) عليه رزقه، و هو يرى غيره أحمق مائقاً تدرّ عليه الخيرات و تتحلّب عليه أخلاف الرزق. و ذى دين قويم، و عباده

حسنه و إخلاص و توحيد، و هو محروم ضيق الرزق و يرى غيره يهودياً أو نصرانياً أو زنديقاً كثير المال حسن الحال. حتى إنّ هذه الطبقات المستحقّه يحتاجون فى أكثر الوقت إلى الطبقات التى لا-استحقاق لها، و تدعوهم الضرورة إلى الذلّ لهم و الخضوع بين أيديهم؛ إما لدفع ضرر أو لاستجلاب نفع. و دون هذه الطبقات من ذوى الإستحقاق أيضاً ما نشاهده عياناً من نجار حاذق أو بناء عالم أو نقاش بارع أو مصوّر لطيف، على غاية ما يكون من ضيق رزقهم و قعود الوقت بهم و قله الحيله لهم، و يُرى غيرهم ممّن ليس يجرى مجراهم و لا-يلحق طبقتهم مرزوقاً مرغوباً فيه، كثير المكسب طيب العيش واسع الرّزق. فهذا حال ذوى الإستحقاق و الإستعداد.

و أما الذين ليسوا من أهل الفضائل، كحشو العامه، فإنّهم أيضاً لا يخلون من الحقد على الدنيا و الدّم لها، و الحنق و الغيظ منها، لما يلحقهم من حسد أمثالهم و جيرانهم. و لا يُرى أحدٌ منهم قانعاً بعيشه و لا راضياً بحاله، بل يستزيد و يطلب حالاً فوق حاله.

قال: فإذا عرفت هذه المقدّمه، فمعلوم أنّ عليّاً عليه السلام كان مستحقاً محروماً، بل هو أميرُ المستحقّين المحرومين و سيّدهم و كبيرهم. و معلوم أنّ الذين ينالهم الضيّم و تلحقهم المذلّه و الهضمه، يتعصّب بعضهم لبعض، و يكونون إلباً و يداً واحده على المرزوقين، الذين ظفروا بالدنيا و نالوا

ص: ٢٠٠

١- قدر عليه رزقه: ضيق.

مآربهم منها؛ لاشتراكهم فى الأمر الذى آلمهم و ساءهم و عضهم و مضهم؛ و اشتراكهم فى الأنفة و الحمية و الغضب و المنافسه لمن علا- عليهم و قهرهم و بلغ من الدنيا ما لم يبلغوه. فإذا كان هؤلاء - أعنى المحرومين - متساوين فى المنزله و المرتبه و تعصب بعضهم لبعض،

فما ظنك بما إذا كان منهم رجلٌ عظيم القدر، جليل الخطر، كامل الشرف، جامعٌ للفضائل، محتو على الخصائص و المناقب، و هو مع ذلك محروم محدود، و قد جرّعه الدنيا علاقمها، و علته عللاً- بعد نهلٍ من صابها و صبرها، و لقي منها برحاً بارحاً و جهداً جهيداً، و علا عليه من هو دونه، و حُكّم فيه و فى بنيه و أهله و رهطه من لم يكن ما ناله من الإمرة و السلطان فى حسابه، و لا دائراً فى خَلده، و لا خاطراً بباله، و لا كان أحدٌ من الناس يرتقب ذلك له و لا يراه له.

ثم كان فى آخر الأمر أن قُتل هذا الرجل الجليل فى محرابه، و قتل بنوه بعده، و سُبى حريمه و نساؤه، و تُبّع أهله و بنو عمه بالقتل و الطرد و التشريد و السجن، مع فضلهم و زهدهم و عبادتهم و سخائهم و انتفاع الخلق بهم.

فهل يمكن ألا يتعصب البشرُ كلهم مع هذا الشخص؟ و هل تستطيع القلوب ألا تحبّه و تهواه، و تذوب فيه و تفنى فى عشقه، انتصاراً له و حميةً من أجله و أنفه ممّا ناله و امتعاضاً ممّا جرى عليه؟

و هذا أمر مركوز فى الطبائع و مخلوق فى الغرائز؛ كما يشاهد الناس على الجُرْف إنساناً قد وقع فى الماء العميق و هو لا يحسن السباحه، فإنهم بالطبع البشرى يرقون عليه رقه شديده، و قد يلقى قومٌ منهم أنفسهم فى الماء نحوه، يطلبون تخليصه؛ لا يتوقعون على ذلك مجازاهً منه بمال أو شكر و لا ثواباً فى الآخرة. فقد يكون منهم من لا يعتقد أمر الآخرة، و لكنّها رقه ب-شريه. و

كأنَّ الواحد منهم يتخيَّل في نفسه أنَّه ذلك الغريق، فكما يطلب خلاص نفسه لو كان هذا الغريق، كذلك يطلب تخلص مَنْ هو في تلك الحال الصعبه، للمشاركة الجنسيه.

و كذلك لو أنَّ ملكاً ظلم أهل بلد من بلاده ظلماً عنيفاً، لكان أهل ذلك البلد يتعصَّب بعضهم لبعض في الانتصار من ذلك الملك، و الإستعداد عليه. فلو كان من جملتهم رجلٌ عظيم القدر، جليل الشأن، قد ظلمه الملك أكثر من ظلمه إياهم، و أخذ أمواله و ضياعه، و قتل أولاده و أهله، كان ليأذُّهم به و انضواؤهم إليه و اجتماعهم و التفافهم به أعظم و أعظم؛ لأنَّ الطبيعه البشريه تدعو إلى ذلك على سبيل الإيجاب الاضطراري، و لا يستطيع الإنسان منه امتناعاً.

و هذا محصول قول النقيب أبي جعفر رحمه الله، قد حكيتُه و الألفاظ لي و المعنى له؛ لأنني لا أحفظ الآن ألفاظه بعينها؛ إلَّا أنَّ هذا هو كان معنى قوله و فحواه رحمه الله .

و كان لا- يعتقد في الصحابه ما يعتقدُه أكثر الإماميه فيهم، و يسفُّه رأى مَنْ يذهب فيهم إلى التَّفاق و التَّكفير. و كان يقول: حكمهم حكمُ مسلم مؤمن، عصى في بعض الأفعال و خالف الأمر، فحكمه إلى الله، إن شاء آخذه و إن شاء غفر له.

قلتُ له مرّه: أفتقول إنهما من أهل الجنه؟

فقال: إي و الله، أعتقد ذلك؛ لأنهما إمّا أن يعفو الله تعالى عنهما ابتداءً أو بشفاعه الرسول أو بشفاعه عليّ عليه السلام، أو يؤاخذهما بعقاب أو عتاب ثمَّ ينقلهما إلى الجنه. لا- أستريب في ذلك أصلاً و لا- أشكُّ في إيمانهما برسول الله و صحه عقيدتهما.

ص: ٢٠٢

فقلتُ له: فعثمان؟

قال: و كذلك عثمان. ثم قال: رحم الله عثمان، و هل كان إلّا واحداً منّا و غصناً من شجره عبد مناف؛ و لكنّ أهله كدّروه علينا، و أوقعوا العداوة

و البغضاء بينه و بيننا.

قلتُ له: فيلزمك على ما تراه في أمر هؤلاء أن تجوّز دخول معاوية الجنه؛ لأنّه لم تكن منه إلّا المخالفه و ترك امتثال أمر النبويّ.

فقال: كلّا، إنّ معاوية من أهل النار، لا لمخالفته عليّاً، و لا بمحاربتة إيّاه؛ و لكنّ عقيدته لم تكن صحيحه، و لا إيمانه حقّاً. و كان من رؤوس المنافقين هو و أبوه، و لم يسلم قلبه قطّ؛ و إنّما أسلم لسانه.

و كان يذكر من حديث معاوية و من فلتات قوله، و ما حفظ عنه من كلام يقتضى فساد العقيدة شيئاً كثيراً ليس هذا موضعه فأذكره.

و قال لي مرّه: حاش لله أن يُثبت معاوية في جريده الشيخين الفاضلين أبي بكر و عمر. و الله ما هما إلّا كالذهب الإبريز، و لا معاوية إلّا كالدرهم الزائف - أو قال: كالدرهم القسيّ (1) - . ثمّ قال لي: فما يقول أصحابكم فيهما؟ قلتُ: أما الذي استقرّ عليه رأيّ المعتزله بعد اختلاف كثير بين قدمائهم في التفضيل و غيره: أنّ عليّاً عليه السلام أفضل الجماعه، و أنّهم تركوا الأفضل لمصلحه رأوها، و أنّه لم يكن هناك نصّ يقطع العذر، و إنّما كانت إشاره و إيماء لا يتضمّن شىء منها صريح النصّ، و أنّ عليّاً عليه السلام نازع ثمّ بايع، و جمّح ثمّ استجاب، و لو أقام على الإمتناع لم نقل بصحّه البيعه و لا بلزومها، و لو جرد السيف كما جرده في آخر الأمر لقلنا بفسق كلّ من خالفه على الإطلاق كائناً من كان؛ و لكنّه رضى بالبيعه أخيراً و دخل في الطاعه.

ص: ٢٠٣

١- . درهم قسي، و تخفف سينه، أى ردى ء.

و بالجمله أصحابنا يقولون: إنَّ الأمر كان له، و كان هو المستحقَّ و المتعين؛ فإن شاء أخذه لنفسه و إن شاء وَّلاه غيره. فلما رأيناه
قد وافق

على ولايه غيره، اتبعناه و رضينا بما رضى.

فقال: قد بقى بينى و بينكم قليل؛ أنا أذهب إلى النصِّ و أنتم لا تذهبون إليه.

فقلتُ له: إنَّه لم يثبت النصُّ عندنا بطريق يوجب العلم؛ و ما تذكرونه أنتم صريحاً فأنتم تنفردون بنقله؛ و ما عدا ذلك من الأخبار
التي نشاركم فيها، فلها تأويلات معلومه.

فقال لى و هو ضَجِر: يا فلان، لو فتحنا باب التأويلات، لجاز أن يتناول قولنا «لا إله إلا الله محمد رسول الله». دَعْنِي مِنَ التَّأْوِيلَاتِ
البارده التي تعلم القلوبُ و النَّفوسُ أنَّها غير مراده؛ و أنَّ المتكلمين تكلفوها و تعسفوها؛ فإنَّما أنا و أنت في الدار و لا ثالث لنا،
فيستحيى أحدنا من صاحبه أو يخافه.

فلما بلغنا إلى هذا الموضوع، دخل قوم ممن كان يخشاه؛ فتركنا ذلك الأسلوب من الحديث، و خضنا في غيره. (١)

أقول: قال الشارح الخوئي رحمه الله بعد نقل هذه المكالمة: «لله دَرُّ الشارح المعتزلى و النقيب أبى جعفر الحسنى، فلقد أجاد كلَّ
منهما فيما أفاد، و أسفرا الثَّقاب عن وجه المراد، و حَقَّقا ما هو الحقُّ الأحقُّ بالإتباع، و أفصحوا عن صريح مذهب الشَّيعه الإماميه
رضى الله عنهم، لو لا إنكار الأول للنصِّ الجلى و تعصُّب الثَّانى فى حقِّ الشَّيخين و قوله بأنَّهما من أهل الجَنَّة بشفاعه الرِّسول أو
بشفاعه عليِّ عليه السلام و

ص: ٢٠٤

١- . شرح الحديدى، ج ١٠، ص ٢٢٣، (مصر) و ص ٣٦٦، (الأعلمى).

بعبارة أخرى عدم تبرّيه من الشّيوخ مع تولّيه لأمر المؤمنين، فإن كان ما قالاه مقتضى التّقّيّه التي هي شعار الإماميّة أي يكون ما أضمره خلاف ما أظهره، فطوبى لهم و حسن ماب و جنّات خلد مفتّحه الأبواب.

و إن كان سريرتهما وفق علانيتهما فويل لهما من ديّان الدّين يوم حشر الأوّلين و الآخرين.

و ما أدري ما ذا يعتذران به إذا لاقيا أمير المؤمنين في موقف حساب ربّ العالمين، و كيف يمكن إنكار النّصّ مع وجود النّصوص القاطعه المتواتره العاميه و الخاصيه حسبما عرفت في تضاعيف الشرح و تعرف أيضاً في المواقع اللاديقه. أم كيف يمكن اجتماع ولايه أمير المؤمنين عليه السلام و محبّته في القلب مع محبّه الشيوخ و ما جعل الله لرجل في جوفه من قلبين. و لنعم ما قال مجنون العامريّ:

و لو كان لي قلب يذوب بحبّها و قلب ب-أخرى إنّه- لقل-وب

و قد تقدّم في شرح الخطبه المأه و السابعة و الأربعين أخبار كثيره في عدم اجتماع محبّته عليه السلام مع محبّه غيره، فليتذكّر.

هذا، مضافاً إلى النّصّ الذي هو مسلّم النقيب كما أنه مثبت لخلافه أمير المؤمنين ناف لخلافه المنتحلين المبطلين، و بالجمله لازمه الولايه الحقه الثبات في عداوه الثلاثة» (١).

٢٨- خطأ الشيعة

قال الحديدي عند شرح قول الإمام عليه السلام: «اللّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَ مَنْ

ص: ٢٠٥

أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَ أَكْفَنُوا إِنَائِي وَ أَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي...» ما هذا لفظه:

و كل هذا إذا تأمله المنصف علم أن الشيعة أصابت في أمر و أخطأت في أمر.

أمّا الأمر الذى أصابت فيه، فقولها: إنه امتنع و تلكأ، و أراد الأمر لنفسه؛ و أمّا الأمر الذى أخطأت فيه، فقولها: إنه كان منصوباً عليه نصّاً جليّاً بالخلافه، تعلمه الصحابه كُلهَا أو أكثرها؛ و أنّ ذلك النصّ خولف طلباً للرئاسه الدنيويّه و إثارةً للعاجله؛ و إنّ حال المخالفين للنصّ لا تعدو أحد أمرين: إمّا الكفر أو الفسق. فإنّ قرائن الأحوال و أماراتها لا تدلّ على ذلك، و إنّما تدلّ و تشهد بخلافه. و هذا يقتضى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان فى مبدأ الأمر يظنّ أنّ العقد لغيره كان عن غير نظر فى المصلحه؛ و أنّه لم يقصد به إلا- صرف الأمر عنه و الإستثناء عليه. فظهر منه ما ظهر من الإمتناع و القعود فى بيته، إلى أن صحّ عنده و ثبت فى نفسه أنّهم أصابوا فيما فعلوه، و أنهم لم يميلوا إلى هوى، و لا أرادوا الدنيا. و إنّما فعلوا الأصلح فى ظنونهم؛ لأنّه رأى من بغض الناس له و انحرفهم عنه و ميلهم عليه و ثوران الأحقاد التى كانت فى أنفسهم و احتدام النيران التى كانت فى قلوبهم، و تذكروا التّرات (١) التى وترهم فيما قبل

بها، و الدماء التى سفكها منهم و أراقها. (٢)

أقول: اعترض على الحديدى الشارح الخوئى رحمه الله مبسوطاً، منه: «فيه: أنّ إنكار النصّ كإنكار الأعمى للشمس فى رابعه النهار، و نعم ما قيل:

ص: ٢٠٦

١- . جمع تره: الظلم.

٢- . شرح الحديدى، ج ١١، ص ١١٢، (مصر) و ص ٧٨، (الأعلمى).

إذا لم ي-كن للمرء عين صحي-حه***فلا غرو أن يرتاب و الصبح مسفر

و قد قدّمنا في مقدّمات الخطبه الشقشقيه من النصوص المتواتره و الأدله العقليه و النقليه كتاباً و سنّه ما فيه كفايه لمن له إنصاف و درايه. و قد احتجّ عليه السلام و احتجّ أصحابه أيضاً بها على المتخلفين يوم السقيفه و الشورى، حسبما مرّ تفصيلاً في مقدّمات الخطبه المذكوره و غيرها من المواقع المناسبه في تضاعيف الشرح؛ فانظر ما ذا ترى. لكنهم خذلهم الله تعالى لم ينفعهم الذكري، لما غلب عليهم من حبّ الرياسه و اتباع الهوى». (١)

٢٩- من أسباب عدم قيام الإمام عليه السلام

و قد روى عنه (عليّ عليه السلام): أن فاطمه عليها السلام حرّضته يوماً على النهوض و الوثوب، فسمع صوت المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله؛ فقال لها: «أى-سرّك زوال هذا النداء من الأرض؟». قالت: «لا». قال: «فإنه ما أقول لك». (٢)

أقول: قال رئيس المحدثين رحمه الله في الفقيه: «و روى أنّه لما قبض النبي امتنع بلال من الأذان و قال: لا أؤذن لأخيد بعد رسول الله، و إنّ فاطمه عليها السلام قالت ذات يوم: إنني أشتهي أن أسمع صوت مؤذن أبي بالأذان. فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، ذكرت أباهاً و أيامه، فلم تتمالك من البكاء؛ فلما بلغ إلى قوله: أشهد أن محمداً رسول الله، شهقت فاطمه عليها السلام شهقة و سقطت لوجهها و غشى عليها».

ص: ٢٠٧

١- منهاج البراعه، ج ١٤، ص ١٧٩.

٢- شرح الحديدي، ج ١١، ص ١١٣، (مصر) و ص ٧٩، (الأعلمي).

فَقَالَ النَّاسُ لِبَلَالٍ: أُمْسِكْ يَا بَلَالُ، فَقَدْ فَارَقَتْ ابْنَهُ رَسُولَ اللَّهِ الدُّنْيَا. وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدْ مَاتَتْ. فَقَطَعَ أذَانَهُ وَ لَمْ يُيَمِّمْهُ. فَأَفَاقَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامَ وَ سَيَّأَلَتْهُ أَنْ يُيَمِّمَ الْأَذَانَ، فَلَمْ يَفْعَلْ وَ قَالَ لَهَا: يَا سَيِّدَةَ النَّسْوَانِ، إِنِّي أَخَشَى عَلَيْكَ مِمَّا تُنْزِلِينَهُ بِنَفْسِكَ إِذَا سَمِعْتَ صَوْتِي بِالْأَذَانِ. فَأَعَفْتَهُ عَنْ ذَلِكَ» (١).

و قال ابن الأثير فى ترجمه بلال بن رباح: (٢) «لَمَّا توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم أراد أن يخرج إلى الشام، فقال له أبو بكر: بل تكون عندى. فقال: إن كنت أعتقتنى لنفسك فاحبسنى، و إن كنت أعتقتنى لله، عز و جل، فذرنى أذهب إلى الله عز و جل. فقال: اذهب. فذهب إلى الشام، فكان به حتى مات.

ثم إنَّ بلالاً رأى النّبىّ صلّى الله عليه و سلم فى منامه و هو يقول: «ما هذه الجفوه يا بلال؟ ما آن لك أن تزورنا؟»

فانتبه حزينا، فركب إلى المدينة فأتى قبر النّبىّ صلّى الله عليه و سلم و جعل يبكى عنده و يتمرّع عليه، فأقبل الحسن و الحسين، فجعل يقبلهما و يضمهما، فقالا له: نشتهى أن تؤذن فى السحر، فعلا- سطح المسجد، فلما قال: «الله أكبر، الله أكبر» ارتجت المدينة، فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» زادت رجتها، فلما قال:

ص: ٢٠٨

١- من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٩٧.

٢- . يكنى: أبا عبد الكريم، و هو مولى أبى بكر الصديق، اشتراه بخمس أواقى، و أعتقه لله عز و جل. و كان مؤذناً لرسول الله صلى الله عليه و سلم و خازناً. شهد بدرأ و المشاهد كلها، و كان من السابقين إلى الإسلام، و ممن يعذب فى الله عز و جل فيصبر على العذاب، و كان أبو جهل يبطحه على وجهه فى الشمس، و يضع الرحا عليه حتى تصهره الشمس، و يقول: أكفر برّب محمد، فيقول: أحد، أحد، فاجتاز به ورقه بن نوفل، و هو يعذب و يقول: أحد، أحد، فقال: يا بلال، أحد أحد، و الله لئن مت على هذا لأتخذن قبرك حناناً. و أخى رسول الله صلى الله عليه و سلم بينه و بين أبى عبيده بن الجراح، و كان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه و سلم فى حياته سفراً و حضراً، و هو أول من أذن له فى الإسلام.

«أشهد أن محمداً رسول الله» خرج النساء من خدورهن، فما رُئي يومٌ أكثر باكياً و باكيةً من ذلك اليوم. (١)

٣٠- مناظره أخرى مع النقيب

روى أبو بكر الأنباري في أماليه: أنّ عليّاً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد، و عنده ناس، فلمّا قام عرض واحد بذكره و نسبه إلى التّيه و العُجب. فقال عمر: حقّ لمثله أن يتيه، و الله لو لا سيفه لما قام عمودُ الإسلام، و هو بعدُ أفضى الأئمّه و ذو سابقتها و ذو شرفها. فقال له ذلك القائل: فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه؟ قال: كرهناه على حدائثه السّن و حبه بني عبد المطلب.

قلتُ: سألتُ النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد - و قد قرأت عليه هذه الأخبار - فقلت له: ما أراها إلّا تكاد تكون دالّةً على النصّ، و لكنّي أستبعد أن يجتمع الصحابه على دفع نصّ رسول الله على شخص بعينه، كما استبعدنا من الصحابه على رد نصّه على الكعبه و شهر رمضان و غيرهما من معالم الدّين.

فقال لي رحمه الله: أبيت إلّا ميلاً إلى المعتزله. ثمّ قال: إنّ القوم لم يكونوا يذهبون في الخلافه إلى أنّها من معالم الدين، و أنّها جاريه مجرى العبادات الشرعيه كالصلاه و الصوم؛ و لكنّهم كانوا يُجرونها مجرى الأمور الدنيويّه و يذهبون لهذا، مثل تأمير الأمراء و تدبير الحروب و سياسه الرعيّه. و ما كانوا يبالون في أمثال هذا من مخالفه نصوصه إذا رأوا المصلحه في

ص: ٢٠٩

١- . أسد الغابه، ج ١، ص ٢٤٣.

غيرها؛ ألا- تراه كيف نصّ على إخراج أبي بكر و عمر في جيش أسامه، و لم يخرجوا لِمَا رأيا أنّ في مُقامهما مصلحةً للدّولة و للملّة، و حفظاً للبيضة و دفعاً للفتنة. و قد كان رسول الله يُخالف و هو حيّ في أمثال ذلك فلا ينكره، و لا يرى به بأساً. (1)

ص: ٢١٠

١- . إعلم أنّ هذا المدعى أعنى تقرير النبيّ مخالفه الأصحاب، لا يكاد يصح عندنا؛ و ذلك لمبنيّ كلامي في بحث عصمه الأنبياء؛ و محصّله: إنّ العامه لم يلزموا العصمه بجميع مراتبها في النبيّ، خلافاً لنا الإماميه حيث نلزمها كلّها؛ بشهاده إطلاق أمر الله تعالى في آيه الإطاعه و غيرها حيث أطلق فيها لزوم إطاعتنا للنبيّ بقوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ». قال العلامة الطباطبائي رحمه الله في تفسير الميزان: «..على الناس أن يطيعوا الرسول فيما بينه بالوحي، و فيما يراه من الرأى. و هذا المعنى (و الله أعلم) هو الموجب لتكرار الأمر بالطاعه في قوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ»، لا ما ذكره المفسرون: أن التكرار للتأكيد، فإن القصد لو كان متعلقاً بالتأكيد كان ترك التكرار كما لو قيل: و أطيعوا الله و الرسول أدل عليه و أقرب منه فإنه كان يفيد أن إطاعه الرسول عين إطاعه الله سبحانه و أن الإطاعتين واحده، و ما كل تكرار يفيد التأكيد». ثم قال: «و لا ينبغي أن يرتاب في أن هذه الإطاعه المأمور بها في قوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ»، إطاعه مطلقه غير مشروطه بشرط، و لا مقيده بقيد؛ و هو الدليل على أن الرسول لا- يأمر بشي ء، و لا ينهى عن شي ء يخالف حكم الله في الواقعه و إلا كان فرض طاعته تناقضاً منه تعالى و تقدس و لا يتم ذلك إلا- بعصمه فيه . و هذا الكلام بعينه جار في أولى الأمر...». و قال المحقق الإصفهاني رحمه الله في حاشيته على مكاسب الشيخ، ج ٢، ص ٢٧٩ في تبين المرتبتين الأصليتين من العصمه أعنى العصمه في تلقى و إبلاغ الوحي، و العصمه في الأمور العاديّه، بما هذا كلامه: «و أمّا المقام الثاني: و هو وجوب إطاعتهم^١ في أوامرهم الشرعيه، فكاد أن يكون من البديهيّات؛ إذ بعد فرض النبوه و الإمامه و القطع بصدقهم^٢ لعصمتهم من الكذب و الخطأ، لا يبقى مجال لعدم لزوم الإطاعه، فإنّها حقيقه إطاعه للأمر المحقق من قبله تعالى و لزومها عقلي، لا من حيث إنهم أولياء النعم، بل من حيث النبوه و الإمامه الملزومه لصدقهم و صوابهم^٣ حقيقه، فلا موجب لاطاله الكلام فيه. و أمّا المقام الثالث: فهو مشكل، من حيث إنّ إطاعه النبيّ و الإمام عليه السلام - بما هما نبيّ و إمام- إطاعتهمما فيما يبلغان عنه تعالى، فإذا فرض صدور أمر مولوى منهم^٤ لغرض راجع إليهم، لا لمصلحه راجعه إلى المكلف حتى يستكشف الأمر التشريعي فيدخل في المقام السابق، فلا بدّ من إقامه الدليل على لزوم إطاعتهم^٥ بلا لحاظ حيثيه النبوه و الإمامه حيثيه تقيديّه فيه. و يمكن أن يقال: إنّ إطاعتهم^٦ في أوامرهم الشرعيه إطاعه بالذات للأمر، و إطاعه بالعرض لمن جرى على لسانه أمره تعالى، و الإطاعه التي تكون إطاعه لهم بالذات و تكون إطاعه له تعالى بالعرض من حيث إنهم منسوبون إليه المدلول عليها بقوله عليه السلام (من أطاعكم فقد أطاع الله)، هي إطاعتهم في أوامرهم الشخصيه، فالنبوه و الإمامه حيثيه تعليليه لوجوب إطاعه أوامرهم الشخصيه، و ما ورد في باب إطاعتهم^٧ أولى بالشمول لمثل هذه الإطاعه من إطاعه أوامرهم الشرعيه، فإنّها إطاعه الأمر الإلهي بالحقيقه، و لزومها بديهي لا يحتاج إلى المبالغه في الإلزام بها كما لا يخفى». و للوقوف على بحث عصمه الأنبياء المستوفى، راجع: الإلهيات، ج ٣، ص ١٥٣.

أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ نَزَلَ فِي غَزَاهُ بَدْرٍ مَنزِلًا عَلَيَّ أَنْ يَحَارِبَ قَرِيشًا فِيهِ، فَخَالَفْتَهُ الْأَنْصَارُ وَقَالَتْ: لَهُ لَيْسَ الرَّأْيُ فِي نَزُولِكَ هَذَا الْمَنْزِلَ، فَاتْرَكْهُ وَانْزِلْ فِي مَنْزِلٍ كَذَا. فَرَجَعَ إِلَى آرَائِهِمْ. وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِلْأَنْصَارِ عَامَ قَدَمِ إِلَى الْمَدِينَةِ: «لَا تُؤَبِّرُوا النَّخْلَ»، (١) فَعَمَلُوا عَلَيَّ قَوْلَهُ، فَحَالَتْ نَخْلُهُمْ فِي تِلْكَ السَّنَةِ وَلَمْ تُثْمِرْ، حَتَّى قَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ أَعْرَفُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ، وَأَنَا أَعْرَفُ بِأَمْرِ دِينِكُمْ».

وَهُوَ الَّذِي أَخَذَ الْفِتْدَانَ مِنْ أُسَارَى بَدْرٍ فَخَالَفَهُ عَمْرٌ، فَرَجَعَ إِلَى تَصْوِيبِ رَأْيِهِ بَعْدَ أَنْ فَاتَ الْأَمْرَ وَخَلَصَ الْأَسْرَى وَرَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ.

وَهُوَ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَصَالِحَ الْأَحْزَابَ عَلَيَّ ثَلَاثَ تَمَرٍ الْمَدِينَةَ لِيَرْجِعُوا عَنْهُ، فَأَتَى سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ وَسَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ فَخَالَفَاهُ؛ فَرَجَعَ إِلَى قَوْلِهِمَا.

وَقَدْ كَانَ قَالَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: «أَخْرَجَ فَنَادَى فِي النَّاسِ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا بِهَا قَلْبَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». فَخَرَجَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَأَخْبَرَ عَمْرًا بِذَلِكَ فَدَفَعَهُ فِي

ص: ٢١١

١- . تأبير النخل: تلقيحه.

صدره حتى وقع على الأرض. فقال: لا- تفلها، فإنك إن تفلها يتكلوا عليها و يدعوا العمل. فأخبر أبو هريره رسول الله بذلك، فقال: «لا تفلها و خلهم يعملون». فرجع إلى قول عمر.

و قد أطبقت الصحابه إطباقاً واحداً على ترك كثيرٍ من النصوص لِمَا رأوا المصلحه فى ذلك، كإسقاطهم سهم ذوى القربى و إسقاط سهم المؤلفه قلوبهم؛ و هذان الأمران أدخل فى باب الدين منهما فى باب الدنيا. و قد عملوا بأرائهم أموراً لم يكن لها ذكرٌ فى الكتاب و السنه، كحدّ الخمر فإنهم عملوه اجتهاداً، و لم يحدّ رسول الله شاربى الخمر و قد شربها الجَمّ الغفير فى زمانه بعد نزول آيه التحريم.

و لقد كان أوصاهم فى مرضه أن أخرجوا نصارى نجران من جزيره العرب، فلم يخرجوهم حتى مضى صدرٌ من خلافه عمر، و عملوا فى أيام أبى بكر برأيهم فى ذلك باستصلاحهم.

و هم الذين هدموا المسجد بالمدينه، و حوّلوا المقام بمكه، و عملوا بمقتضى ما يغلب فى ظنونهم من المصلحه. و لم يقفوا مع موارد النصوص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد؛ فرجح كثيرٌ منهم القياس على النص، حتى استحالت الشريعه و صار أصحاب القياس أصحاب شريعه جديده.

قال النقيب: و أكثر ما يعملون بأرائهم، فيما يجرى مجرى الولايات و التأمير و التدبير و تقرير قواعد الدوله، و ما كانوا يقفون مع نصوص الرسول و تدبيراته إذا رأوا المصلحه فى خلافها؛ كأنهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقه بقيد غير مذكور لفظاً؛ و كأنهم كانوا يفهمونه من قرائن أحواله. و تقدير ذلك القيد: افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحه.

قال: و أما مخالفتهم له فيما هو محض الشرع و الدين و ليس بمتعلق بأموار

الدنيا و تدبيراتها، فإنه يقلّ جدّاً، نحو أن يقول: «الوضوء شرط في الصلاة»؛ فيجمعوا على ردّ ذلك و يجيزوا الصلاة من غير وضوء. أو يقول: «صوم شهر رمضان واجب»؛ فيطبقوا على مخالفه ذلك، و يجعلوا شوالاً عوضاً عنه؛ فإنه بعيد، إذ لا غرض لهم فيه، و لا يقدرّون على إظهار مصلحه عثروا عليها خفيت عنه .

و القوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أنّ العرب لا تطيع عليّاً عليه السلام ، فبعضها للحسد، و بعضها للوتر و التآر، و بعضها لاستحداثهم سنّه، و بعضها لاستطالته عليهم و رفعه عنهم، و بعضها كراهه اجتماع النبوه و الخلافه في بيت واحد، و بعضها للخوف من شدّه و طأته و شدّته في دين الله، و بعضها خوفاً لرجاء تداول قبائل العرب الخلافه إذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص عليه، فيكون رجاء كل حيّ لوصولهم إليها ثابتاً مستمراً، و بعضها ببغضه، لبغضهم من قرابته لرسول الله - و هم المنافقون من الناس و من في قلبه زيغ من أمر النبوه - فأصفق الكلّ إصفاً واحداً على صرف الأمر عنه لغيره، و قال رؤساؤهم: إنّنا خفنا الفتنة، و علمنا أنّ العرب لا تطيعه و لا تتركه. و تأوّلوا عند أنفسهم

النصّ، و لا- ينكر النصّ، و قالوا: إنّ النصّ، و لكنّ الحاضر يرى ما لا يرى الغائب، و الغائب قد يُترك لأجل المصلحه الكليه. و أعانهم على ذلك مسارعهُ الأنصار إلى ادّعائهم الأمر و إخراجهم سعد بن عباده من بيته و هو مريض لينصّبوه خليفه فيما زعموا. و اختلط الناس و كثر الخبطُ و كادت الفتنة أن تشتعل نازها. فوثب رؤساء المهاجرين، فبايعوا أبا بكر و كانت فلتته كما قال قائلهم؛ و زعموا أنّهم أطفئوا بها نائره(1) الأنصار.

ص: ٢١٣

١- . النائره: الفتنة.

فَمَنْ سَكَتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَغْضَىٰ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ فَقَدْ كَفَاهُمْ أَمَرَ نَفْسِهِ، وَمَنْ قَالَ سِرًّا أَوْ جَهْرًا: إِنَّ فُلَانًا قَدْ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرَهُ أَوْ نَصَّ عَلَيْهِ أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ، أَسَكَتُوهُ فِي الْجَوَابِ بَأْتْنَا بِادْرْنَا إِلَىٰ عَقْدِ الْبَيْعَةِ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ؛ وَاعْتَذَرُوا عِنْدَهُ بِبَعْضِ مَا تَقَدَّمَ: إِمَّا أَنَّهُ حَدِيثُ السَّنِّ، أَوْ تَبْغُضُهُ الْعَرَبُ لِأَنَّهُ وَتَرَهَا وَسَفَكَ دِمَاءَهَا، أَوْ لِأَنَّهُ صَاحِبُ زَهْوٍ وَتِيهِ، أَوْ كَيْفَ تَجْتَمِعُ النَّبِيُّ وَالْخِلَافَةُ فِي مَغْرَسٍ وَاحِدٍ، بَلْ قَدْ قَالُوا فِي الْعِذْرِ مَا هُوَ أَقْوَىٰ مِنْ هَذَا وَ أَوْ كَد، قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ أَقْوَىٰ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ، لَا سَيِّمًا وَ عَمْرٌ يُعْضِدُهُ وَ يَسَاعِدُهُ؛ وَ الْعَرَبُ تَحِبُّ أَبَا بَكْرٍ وَ يَعْجِبُهَا لِينُهُ وَ رَفْقُهُ، وَ هُوَ شَيْخٌ مَجْرَّبٌ لِلْأُمُورِ، لَا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ وَ لَا يَحْقُدُ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَ لَا يَبْغُضُهُ أَحَدٌ، وَ لَيْسَ بَدَىٰ شَرَفٌ فِي النَّسَبِ فَيَشْمَخُ عَلَى النَّاسِ بِشَرَفِهِ، وَ لَا بَدَىٰ قُرْبَىٰ مِنَ الرَّسُولِ فَيَدُلُّ بِقُرْبِهِ، وَ دَعَا ذَا كَلَّةٍ، فَإِنَّهُ فَضِّلَ مُسْتَغْنَىٰ عَنْهُ. قَالُوا: لَوْ نَصَبْنَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ارْتَدَّتْ النَّاسُ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَ عَادَتِ الْجَاهِلِيَّةُ كَمَا كَانَتْ. فَأَيُّمَا أَصْلَحَ فِي الدِّينِ: الْوُقُوفُ مَعَ النَّصِّ الْمَفِي-ضِي إِلَىٰ ارْتِدَادِ الْخَلْقِ وَ رَجُوعِهِمْ إِلَىٰ

الأصنام و الجاهلية، أم العمل بمقتضى الأصلاح و استبقاء الإسلام و استدامه العمل بالدين، و إن كان فيه مخالفه النص؟

قال رحمه الله : و سَكَتَ النَّاسُ عَنِ الْإِنْكَارِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مَبْغُضٌ شَانِيٌّ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَالَّذِي تَمَّ مِنْ صَرْفِ الْأَمْرِ عَنْهُ هُوَ قَرَّةٌ عَيْنِهِ وَ بَرْدٌ فُؤَادِهِ، وَ مِنْهُمْ ذُو الدِّينِ وَ صَحَّحَهُ الْيَقِينُ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا رَأَىٰ كِبْرَاءَ الصَّحَابَةِ قَدْ اتَّفَقُوا عَلَىٰ صَرْفِ الْأَمْرِ عَنْهُ، ظَنَّ أَنَّهُمْ إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِنَصِّ سَمْعُوهِ مِنَ رَسُولِ اللَّهِ يَنْسَخُ مَا قَدْ كَانَ سَمِعَهُ مِنَ النَّصِّ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَا- سَيِّمًا مَا رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ : «الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ»؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ تَوَهَّمُوا أَنَّهُ نَاسَخَ لِلنَّصِّ الْخَاصِفِ وَ أَنَّ مَعْنَى الْخَيْرِ: أَنْتُمْ

مباحون في نصب إمام من قريش، من أي بطون قريش كان، فإنه يكون إماماً.

و أكد أيضاً في نفوسهم رفض النصّ الخاص ما سمعوه من قول رسول الله: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»، وقوله عليه السلام: «سألت الله ألا يجمع أمتي على ضلال، فأعطانيها؛ فأحسنوا الظنّ بعاقدي البيعه».

وقالوا: هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله من كل أحد، فأمسكوا وكفوا عن الإنكار. ومنهم فرقة أخرى - وهم الأَكثرون - أعرابٌ و جُفاه و طغام، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ربح، فهؤلاء مقلدون لا يسألون ولا ينكرون ولا يبحثون، وهم مع أمرائهم وولاتهم؛ لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبه لتركوها. فلذلك أمحى النصّ و خفى و درس، و قويت كلمه العاقدين لبيعه أبي بكر. وقواها زياده على ذلك اشتغال عليّ و بنى هاشم برسول الله، و إغلاق بابهم عليهم، و تخليتهم الناس يعملون ما شاءوا و أحبوا من غير مشاركة لهم فيما هم فيه. لكنهم أرادوا استدراك

ذلك بعد ما فات، و هيهات الفائت لا رجعه له.

و أراد عليّ عليه السلام بعد ذلك نقض البيعه، فلم يتم له ذلك و كانت العرب لا ترى الغدر و لا تنقض البيعه، صواباً كانت أو خطأً. و قد قالت له الأنصار و غيرها: أيها الرجل، لو دعوتنا إلى نفسك قبل البيعه لما عدلنا بك أحداً، و لكننا قد بايعنا؛ فكيف السبيل إلى نقض البيعه بعد وقوعها.

قال النقيب: و ممّا جرّأ عمر على بيعه أبي بكر و العدول عن عليّ - مع ما كان يسمعه من الرسول في أمره - أنّه أنكر مراراً على الرسول أموراً اعتمدها فلم ينكر عليه رسول الله إنكاره، بل رجع في كثير منها إليه، و أشار عليه بأمر كثيره نزل القرآن فيها بموافقه؛ فأطمعه ذلك في

الإقدام على اعتماد كثير من الأمور التي كان يرى فيها المصلحه ممّا هي خلاف النصّ. و ذلك نحو إنكاره عليه فى الصلاه على عبد الله بن أبى المنافق، و إنكاره فداء أسارى بدر، و إنكاره عليه تبرّج نساءه للنّاس، و إنكاره قضيه الحديبيه، و إنكاره أمان العيّاس لأبى سفيان بن حرب، و إنكاره واقعه أبى حذيفه بن عتبّه، و إنكاره أمره بالنداء: مَنْ قال لا إله إلا الله دخل الجنة. و إنكاره أمره بذبح النواضح، و إنكاره على النساء بحضره رسول الله هَيِّتْهُنَّ له دون رسول الله ؛ إلى غير ذلك من أمور كثيره تشتمل عليها كتب الحديث.

و لو لم يكن إلّا إنكاره قولَ رسول الله فى مرضه: «أتتوني بدواه و كتف أكتب لكم ما لا تطلّون بعدى»، و قوله ما قال، و سكوتُ رسول الله عنه. و أعجب الأشياء أنّه قال ذلك اليوم: حسبنا كتاب الله. فافترق الحاضرون من المسلمين فى الدار؛ فبعضهم يقول: القول ما قال رسول الله، و بعضهم يقول: القول ما قال عمر. فقال رسول الله و قد كثر اللّغظ

و علت الأصوات: «قوموا عني، فما ينبغي لنبى أن يكون عنده هذا التنازع».

فهل بقى للنبوّه مزيه أو فضل إذا كان الإختلاف قد وقع بين القولين، و ميل المسلمون بينهما، فرجّح قومٌ هذا و قوم هذا؟ فليس ذلك دالّما على أنّ القوم سوّوا بينه و بين عمر، و جعلوا القولين مسأله خلاف؛ ذهب كلّ فريق إلى نصره واحدٍ منهما، كما يختلف اثنان من عرض المسلمين فى بعض الأحكام؛ فينصر قومٌ هذا و ين-صر ذاك آخرون. فمن بلغت قوّته و همّته إلى هذا، كيف ينكر منه أنّه يبايع أبا بكر لمصلحه رآها، و يعدل عن النصّ؟ و من الذى كان ينكر عليه ذلك، و هو فى القول الذى قاله

للرسول في وجهه غير خائف من الأنصار، ولا ينكر عليه أحد؛ لا رسول الله ولا غيره. وهو أشد من مخالفه النص في الخلافه و أفضع و أشنع.

قال النقيب: على أن الرجل ما أهمل أمر نفسه، بل أعد أعداراً و أجوبه. و ذلك لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النص: إن رسول الله رجع عن ذلك بإقامته أبا بكر في الصلاة مقامه؛ و أوهمهم أن ذلك جار مجرى النص عليه بالخلافه؛ و قال يوم السقيفه: أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله في الصلاة؟ ثم أكد ذلك بأن قال لأبي بكر - و قد عرض عليه البيعه - : أنت صاحب رسول الله في المواطن كلها، شدتها و رخائها، رضيك لدينا، أ فلا نرضاك لدينا؟

ثم عاب علياً بخطبته بنت أبي جهل، فأوهم أن رسول الله كرهه لذلك و وجد عليه و أرضاه عمرو بن العاص. فروى حديثاً افتعله و اختلقه على رسول الله؛ قال: سمعته يقول: «إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما

وَلِيِّ اللَّهِ وَ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ». فجعلوا ذلك كالنسخ لقوله: «من كنت مولاه فهذا مولاه».

قلت للنقيب: أ يصح التسخ في مثل هذا، أ ليس هذا نسخاً لل-شئ قبل تقضى وقت فعله؟

فقال: سبحان الله، من أين تعرف العرب هذا، و أنى لها أن تتصوره، فضلاً عن أن تحكم بعدم جوازه؟ فهل يفهم حُذاق الأصوليين هذه المسألة، فضلاً عن حمقى العرب؟ هؤلاء قوم يخذعون بأدنى شبهه، و يُستمالون بأضعف سبب، و تُبنى الأمور معهم على ظواهر النصوص و أوائل الأدله، و هم أصحاب جهل و تقليد، لا أصحاب تفضيل و نظر.

قال: ثم أكد حسنَ ظنِّ الناسِ بهم أنهم أطلقوا أنفسهم عن الأموال، وزهدوا في متاع الدنيا وزخرفها، و سلكوا مسلك الرِّفض لزيبتها، والرَّغبه عنها والقناعه بالطَّيف النَّزر منها، و أكلوا الخشِن و لبسوا الكرايس؛ و لما أَلقت إليهم الدنيا أفلاذ كبدِها، و فرَّقوا الأموال على الناس و قسَّموها بينهم، و لم يتدنَّسوا منها بقليل و لا كثير، فمالت إليهم القلوبُ و أحبَّتْهم النفوسُ و حَسَّنت فيهم الظُّنون. و قال مَنْ كان في نفسه شبهه منهم أو وقفه في أمرهم: لو كان هؤلاء قد خالفوا النَّصَّ لهوى أنفسهم، لكانوا أهلَ الدنيا و لَظهر عليهم الميلُ إليها و الرَّغبه فيها و الإستثثار بها؛ و كيف يجمعون على أنفسهم مخالفه النَّصِّ و تركَ لذات الدنيا و ما رَبتها، في -خسروا الدنيا و الآخره؛ و هذا لا يفعله عاقلٌ و القوم عقلاءٌ ذوو ألباب و آراء صحيحه.

فلم يبقَ عند أحدٍ شكٌّ في أمرهم و لا ارتياب لفعالهم، و ثبتت العقائد على ولايتهم و تصويب أفعالهم؛ و نسوا لذَّه الرئاسه. و إنَّ أصحاب الهمم

العاليه لا يلتفون إلى المأكَل و المشرب و المنكح، و إنَّما يريدون الرئاسه و نفوذ الأمر؛ كما قال الشاعر:

و قد رَغِبْتَ عن لذَّه المالِ أنْفُسُ و ما رَغِبْتَ عن لذَّه النَّهْيِ و الأمرِ

قال رحمه الله : و الفرق بين الرّجلين و بين الثالث، ما أصيب به الثالثُ و قُتِلَ تلك القتلَه و خلعه الناسُ و ح--صروه و ضيقوا عليه بعد أن توالى إنكارهم أفعاله، و جَبَّهوه في وجهه و فسقوه، و ذلك لأنَّه استأثر هو و أهله بالأموال، و انغمسوا فيها و استبدوا بها؛ فكانت طريقته و طريقَتُهُم مخالفهً لطريق الأولين؛ فلم تصبر العرب على ذلك.

و لو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد و جمع الناس، و ردع الأمراء و

الولاه عن الأموال، و تجنّب استعمال أهل بيته، و وفرّ أعراض الدنيا و ملاذها و شهواتها على الناس، زاهداً فيها تاركاً لها معرضاً عنها، لما ضرّه شىء قطّ، و لا أنكر عليه أحد قطّ، و لو حوّل الصلاه من الكعبه إلى بيت المقدس؛ بل لو أسقط عن الناس إحدى الصلوات الخمس و اقتنع منهم بأربع. و ذلك لأنّ همم الناس مصروفه إلى الدنيا و الأموال، فإذا وجدوها سكتوا، و إذا فقدوها هاجوا و اضطربوا. ألسنت ترى رسول الله كيف قسم غنائم هوازن على المنافقين، و على أعدائه الذين يتمنون قتله و موته و زوال دولته؛ فلياً أعطاهم أحبّوه؛ إمّا كلّهم أو أكثرهم. و من لم يحبّه منهم بقلبه جامله و داراه، و كفّ عن إظهار عداوته و الإجلاب عليه. و لو أنّ عليّاً صانع أصحابه بالمال و أعطاه الوجوه و الرؤساء، لكان أمره إلى الإنتظام و الإطراد أقرب؛ و لكنّه رفض جانب التدبير الديوى، و آثر لزوم الدين، و تمسك بأحكام الشريعة. و الملك أمر آخر غير الدين، فاضطرب عليه

أصحابه، و هرب كثيرٌ منهم إلى عدوّه.

و قد ذكرتُ في هذا الفصل خلاصه ما حفظته عن النقيب أبي جعفر، و لم يكن إمامي المذهب، و لا كان يبرأ من السلف، و لا يرتضى قول الم-سرفين من الشيعة؛ و لكنّه كلام أجراه على لسانه البحث و الجدل بينى و بينه، على أنّ العلوى لو كان كرامياً لا بدّ أن يكون عنده نوعٌ من تعصّب و ميل على الصحابه و إن قلّ (١).

أقول: قال الشارح الخوئي رحمه الله بعد نقل هذه المناظره: «الله درّ النقيب، فلقد أجاد فيما أفاد و جانب العصبية و العناد، و أبان عن مخّ ما يقوله الفرقة الحقّه الإماميه و تذهب إليه و تدين به بيانٍ ليس فوقه بيان. و قد اتضح بما ذكره كلّ الوضوح أنّ

ص: ٢١٩

١- شرح الحديدى، ج ١٢، ص ٨٢، (مصر) و ص ٢٤٧، (الأعلمى). و الكراميه قوم من المجسمه.

عمر كان دائماً في مقام المعارضه لرسول الله و الطعن و الإزراء عليه و الرّد لأقواله و أفعاله، في حياته و بعد موته. و أنه أنكر النّصّ على خلفه أمير المؤمنين عليه السلام ، و أوله بتأويلات سخيّفه بأحاديثه المختلقه المجهوله و معاذيره الباطله. كما اتضح أنّ نكته زهده في الدنيا إنما كانت حبّ الملك و الرياسه و نفوذ الأمر، لا الزهد الحقيقي الذي أوهمه للناس و ظنّه في حقه الهمجّ الرعاء. فويل له ثم ويل له من ديان يوم الدين. و لعنه الله على جميع الظالمين و الغاصبين لحق آل محمد سلام الله عليهم أجمعين» (١).

٣١- وقارُ عليّ عليه السلام

إنّ قاضى القضاة نقل عن عمر أنّه قال في عليّ عليه السلام : «أنّ فيه الدّعابه و الفكاهه»، و ردّ السيد المرتضى رحمه الله ذلك؛ ثم قال الحديدي قاضياً بين السيد و القاضى ما هذا كلامه:

فأمّا تنزيه المرتضى لعليّ عليه السلام عن الفكاهه و الدّعابه فحقّ. و لقد كان عليه السلام على قَدَمٍ عظيمه من الوقار و الجّد و السّمّت (٢) العظيم و الهدى الرصين، و لكنّه كان طلقَ الوجه، سمّحَ الأخلاق؛ و عمر كان يريد مثله من ذوى الفضاظه و الخشونه، لأنّ كلّ واحدٍ يستحسن طبعَ نفسه و لا يستحسن طبعَ مَنْ يُباينه في الخلق و الطبع. و أنا أعجب من لفظه عمر إن كان قالها: «إنّ فيه بطاله» (٣)؛ و حاش لله أن يُوصفَ عليّ عليه السلام بذلك، و إنّما يوصف به أهل

ص: ٢٢٠

١- . منهاج البراعه، ج ١٤، ص ٣٩٦.

٢- . السمت: هيئه أهل الخير.

٣- . البطاله (بفتح الباء): التعطل و التفرغ من العمل.

الدُّعَابَهُ وَاللَّهُو؛ وَ مَا أَظُنُّ عَمْر - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - قَالَهَا، وَأَظُنُّهَا زِيدَتْ فِي كَلَامِهِ، وَإِنَّ الْكَلِمَةَ هَاهُنَا لِدَالَّةٍ عَلَى انْحِرَافٍ شَدِيدٍ. (١)

٣٢- ولاية الأمر أو كيفية الدفن؟

روى عبد الله بن مسعود قال: نعى إلينا نبينا وحبينا نفسه قبل موته بشهر؛ جمعنا في بيت أمنا عائشه، فنظر إلينا وشدّد ودمعت عينه و

قال: «مرحباً بكم، حيّاكم الله، رحمكم الله، آواكم الله، حفظكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، وفقكم الله، رزقكم الله، هداكم الله، نصركم الله، سلّمكم الله، تقبلكم الله. أوصيكم بتقوى الله و أوصى الله بكم و استخلفه عليكم، إني لكم منه نذيرٌ و بشيرٌ ألاّ تعلوا على الله في عباده و بلائده، فإنه قال لي و لكم: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض و لا فساداً و العاقبة للمتقين» (٢)».

فقلنا: يا رسول الله، فمتى أجلك؟

قال: «قد دنا الفراق، و المنقلب إلى الله و إلى صدره المنتهى و الرفيق الأعلى و جنة المأوى و العيش المهنأ».

قلنا: فمن يغسلك يا رسول الله؟

قال: «أهلى الأذى فالأذى». قلنا: ففيم نُكفّنك؟ قال: «في ثيابي هذه إن شئتم، أو في بياض مصر، أو حلّه يمتيه». قلنا: فمن يصلى عليك؟

فقال: «إذا غسلتموني و كفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على

ص: ٢٢١

١- شرح الحديدي، ج ١٢، ص ٢٧٩، (مصر) و ص ٣٧٨، (الأعلمي).

٢- القصص، ٨٣.

شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعه؛ فإن أول من يصلني عليّ جلي-سى و حبيبي و خليلي جبرائيل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنوده من الملائكه؛ ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً، فصلّوا عليّ و سلّموا، و لا تؤذوني بتزكيه و لا ضجّه و لا رنّه؛ و ليبدأ بالصلاه عليّ رجال أهل بيتي، ثم نساؤهم، ثم أنتم بعد.

و أقرءوا أنفسكم منّي السلام، و من غاب من أهلي فأقرءوه منّي السلام. و من تابعكم بعدى على ديني، فأقرءوه منّي السلام، فإنّي أشهدكم أنّي قد سلّمْتُ على من بايعني على ديني من اليوم إلى يوم القيامة».

قلنا: فمن يدخلك قبرك يا رسول الله؟ قال: «أهلي مع ملائكه كثيره يرونكم و لا ترونهم».

قلتُ: العجب لهم كيف لم يقولوا له في تلك الساعه: فمن يلي أمورنا بعدك؟ لأنّ ولايه الأمر أهمّ من السؤال عن الدفن و عن كيفية الصلاه عليه؛ و ما أعلم ما أقول في هذا المقام. (1)

أقول: قال الشارح الخوئي رحمه الله في هذا المقام: «و إنني أعلم ما أقول بحق في هذا المقام، عائداً من الله تعالى عن الوسوس النفسائيه و التسويلات الشيطائيه و تنزّهاً عن التعصّب الذي هو ديدن العوام و دأب من يكون في طريق الحقّ الدّ الخصام، و السلام على من اتبع الهدى و نهى النفس عن الهوى؛ فنقول:

أولاً: من أين ثبت أنهم لم يقولوا ذلك و لم يسقطه الآخرون.

و ثانياً: كان في الخبر أنّهم سألوا عمن يغسله و يصلّيه، و كأنّهم سألوا عمن يليق بهذا الأمر العظيم، فأجاب: أهلي الأدنى فالأدنى، و قال: رجال أهل بيتي. فأين لم يصرح بعليّ عليه السلام فابدلوه بالأهل و بالرّجل من أهل البيت؟ كما دريت

ص: ٢٢٢

١- شرح الحديدي، ج ١٣، ص ٢٩، (مصر) و ص ٢١، (الأعلمي).

فى الخبر المروى آنفاً عن عائشه إنَّها لم تذكر علياً، و لا تقدر أن تذكره بخير و هى تستطيع.

فإن أبيت عن قولنا هذا، و قلت إنَّه أشبه بالخطابى و لم يكن برهائياً، فنقول:

لا شبهه إنَّ رسول الله بين أموراً ممَّا هو ليس بأهم من

أمر الولايه جداً، مثل آداب الأكل و المشى و الجلوس و الدخول فى الحمام و المبرز و أدب الثوره و الحلق و لبس الثياب و قصّ الأظفار و آداب المعاشره و فوائده بعض الفواكه و الأغذيه، و غيرها مما هى أكثر من أن تحصى و المذكوره فى كتب الفريقين؛ و من هذه حاله و سيرته، و يبين هذه الأمور التى بين شأنها و منزلتها كيف يهمل أمته بلا ولى معصوم منصوب من قبل الله تعالى؟» (١).

٣٣- سبب قعود على عليه السلام عن تجهيز النبي

سأل الشارح الشافعى - بعد الإعراف بعدم اشتغال الأصحاب بتجهيز النبي فى اليومين الأولين من ارتحاله - عن عله قعود على عليه السلام عن التجهيز، ثم أجاب بجواب؛ فإليك كلامه:

وبقى الإشكال فى قعود على عليه السلام عن تجهيزه، إذا كان أولئك مشغولين بالبيعه. فما الذى شغله هو؟

فأقول: يغلب على ظنى - إن صح ذلك - : أن يكون قد فعله شناعه على أبى بكر و أصحابه، حيث فاته الأمر و استؤثر عليه به؛ فأراد أن يتركه بحاله لا يحدث فى جهازه أمراً ليثبت عند الناس أن الدنيا شغلتهم عن نبئهم ثلاثه أيام؛ حتى آل أمره إلى ما ترون. و قد كان عليه السلام يتطلب الحيله فى

ص: ٢٢٣

تهجين أمر أبي بكر حيث وقع في السقيفه ما وقع بكلّ طريق، و يتعلّق بأدنى سبب من أمور كان يعتمدها و أقوال كان يقولها. فلعلّ هذا من

جملة ذلك؛ أو لعله - إن صحّ ذلك - فإنما تركه بوصيّه منه إليه و سرّاً كانا يعلمانه في ذلك.

فإن قلت: فلم لا يجوز أن يقال - إن صحّ ذلك - إنّه أُخِرَ جهازُهُ ليجتمع رأيه و رأى المهاجرين على كيفيه غسله و تكفينه و نحو ذلك من أموره؟

قلت: لأنّ الروايه الأولى تبطل هذا الإحتمال، و هي قوله لهم قبل موته: «يغسلني أهلى الأدنى منهم فالأدنى، و أكفن في ثيابي أو في بياض م-صر أو في حلّه يمتيه».(1)

أقول: ينبغى الإلتفات لتبيين عدم قيام أمير المؤمنين عليه السلام بتجهيز النبيّ إلى ما كتبه السيد ابن طاوس في ذلك، قال لابنه محمد: «ذكر إبراهيم الثقفي في كتاب (المعرفه) في الجزء الرابع تحقيقاً أنّ النبي بقي ثلاثه أيام حتى دفن، لاشتغالهم بولايه أبي بكر و المنازعات فيها.

و ما كان يقدر أبوك على عليه السلام أن يفارقه، و لا أن يدفنه قبل صلاتهم عليه، و لا كان يؤمن أن يقتلوه إن فعل ذلك، أو ينبشوا النبي و يخرجوه، و يذكروا أنه دفنه في غير وقت دفنه، أو في غير الموضع الذي يدفن فيه، فأبعد الله جل جلاله من رحمته و عنايته نفوساً تركته على فراش منيته، و اشتغلت بولايه كان هو أصلها بنبوته و رسالته لتخرجها من أهل بيته و عترته.

و الله يا ولدى، ما أدري كيف سمحت عقولهم و مروّتهم و

نفوسهم و صحبتهم مع شفقتهم عليهم و إحسانه إليهم بهذا التهوين، و لقد قال مولانا زين العابدين عليه السلام:

ص: ٢٢٤

١- . شرح الحديدى، ج ١٣، ص ٣٧، (مصر) و ص ٢٧، (الأعلمى).

«و الله لو تمكن القوم أن طلبوا الملك بغير التعلق باسم رسالته كانوا قد عدلوا عن نبوته». و بالله المستعان» (١).

و قال أيضاً العالم البارع المولى صالح المازندراني في ذلك: «قد صحَّ من طرق العامه و الخاصه أنهم لم يشتغلوا بعد رجوعه الى الحق بدفنه و اشتغلوا بنصب الخليفه و علَّلوا ذلك بأنه لا يجوز بقاء الأمه بعده بلا إمام طرفه عين، و لم يعلموا لجهلهم أنه يلزمهم ذلك لبقاء الأمه عندهم بلا إمام أكثر، و أنه يلزم أن يكونوا أعلم منه حيث لم يعلم أنه لا يجوز ذلك و مضى بلا نصب إمام. لا و الله علموا جميع ذلك، و لكن حب الدنيا و الرئاسة حملهم عليه. من أضله الله فلا هادي له» (٢).

٣٤- كرمُ عليّ عليه السلام

قال الطبري: و نزل في قبر رسول الله عليّ بن أبي طالب عليه السلام و الفضل بن عباس و قثم أخوه و سُقران مولا هم. و قال أوس بن خوليّ لعليّ عليه السلام: أنشدك الله يا عليّ و حَظُّنا من رسول الله . فقال له: «انزل». فنزل مع القوم.

و أخذ سُقران قטיפه (٣) كان رسول الله يلبسها، فقذفها معه في القبر و قال: لا يلبسها أحدٌ بعده. (٤).

قلت: من تأمّل هذه الأخبار عَلم أنّ عليّاً عليه السلام كان الأصل و الجملة و التفصيل في أمر رسول الله و جهازه. ألا ترى أنّ أوس بن خوليّ لا يخاطب أحداً من

ص: ٢٢٥

١- . كشف المحججه لثمره المهجه، ص ١٢٥.

٢- . شرح الكافي (الأصول و الروضه)، ج ١١، ص ٢٦٢.

٣- . ثوب من المخمل.

٤- . تاريخ الطبري ١: ١٨٣٣.

الجماعه غيره، و لا يسأل غيره في حضور الغسل و النزول في القبر.

ثم انظر إلى كرم علي عليه السلام و سجاحه أخلاقه و طهاره شيمته، كيف لم يضمن بمثل هذه المقامات الشريفه عن أوس، و هو رجل غريب من الأنصار، فعرف له حقه و أطلبه (١) بما طلبه. فكم بين هذه السجيه الشريفة و بين قول من قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل رسول الله إلا نساؤه. (٢)

و لو كان في ذلك المقام غيره من أولى الطباع الخشنه، و أرباب الفظاظه و الغلظه - و قد سأل أوس ذلك - لزجر و انتهر و رجع خائباً. (٣)

٣٥- من فضائل علي عليه السلام

روى الطبري في تاريخه أيضاً، قال: حدّثنا أحمد بن الحسين الترمذي قال: حدّثنا عبد الله بن موسى قال: أخبرنا العلاء عن المنهال بن عمر و عن

ص: ٢٢٦

١- . أطلبه: أجابه إلى ما طلب.

٢- . أقول: قال الحديدي: «قال أبو جعفر: و روت عائشه أنّهم اختلفوا في غسله هل يجرد أم لا، فألقى الله عليهم السنه حتى ما منهم رجل إلا و ذقته على صدره ثم كلمهم متكلم من ناحيه البيت لا يدري من هو غسلوا النبي و عليه ثيابه فقاموا إليه فغسلوه و عليه قميصه فكانت عائشه تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه. قلت: حضرت عند محمد بن معد العلوي في داره ببغداد و عنده حسن بن معالي الحلبي المعروف بابن الباقلابي و هما يقرآن هذا الخبر و هذه الأحاديث من تاريخ الطبري. فقال محمد بن معد لحسن بن معالي: ما تراها قصدت بهذا القول قال حسدت أباك علي ما كان يفتخر به من غسل رسول الله فضحك محمد، فقال: هبها استطاعت أن تزاحمه في الغسل، هل تستطيع أن تزاحمه في غيره من خصائصه؟». شرح الحديدي، ج ١٣، ص ٣٨، (مصر) و ص ٢٧، (الأعلمي).

٣- . شرح الحديدي، ج ١٣، ص ٤٠، (مصر) و ص ٢٩، (الأعلمي).

عبد الله بن عبد الله قال: سمعتُ عليّاً عليه السلام يقول: «أنا عبد الله و أخو رسوله، و أنا الصّدّيق الأكبر لا يقولها بعدى إلّا كاذبٌ مفترٌ، صلّيت قبل الناس بسبع سنين».(١)

و فى غير روايه الطبرى: «أنا الصديق الأكبر و أنا الفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبى بكر، و صلّيت قبل صلاته بسبع سنين».

كأنه عليه السلام لم يرتض أن يذكر عمر و لا رآه أهلاً للمقايسه بينه و بينه؛ و ذلك لأنّ إسلام عمر كان متأخراً.

و روى الفضل بن عيّاس رحمه الله قال: سألت أبى عن ولد رسول الله المذكور أيّهم كان رسول الله له أشدّ حبّاً؟ فقال: عليّ بن أبى طالب عليه السلام . فقلت له: سألتك عن بنيه . فقال: إنّه كان أحبّ إليه من بنيه جميعاً و أرأف، ما رأيناه زائله يوماً من الدهر منذ كان طفلاً، إلّا أن يكون فى سفر لخديجه؛ و ما رأينا أباً أبرّ بابن منه لعلى، و لا ابناً أطوع لأب من على له.

و روى الحسين بن زيد بن على بن الحسين عليه السلام قال: سمعت زيدا أبى يقول: كان رسول الله يمضغ اللحمه و التمره حتى تلين، و يجعلهما فى فم على عليه السلام و هو صغير فى حجره.(٢)

٣٦- بغض قريش لأمير المؤمنين عليه السلام

إنّ قريشاً كلّها كانت تبغضه(٣) أشدّ البغض، و لو عمّر عمر نوح و توصل إلى

ص: ٢٢٧

١- تاريخ الطبرى ٢: ٣١٠.

٢- شرح الحديدى، ج ١٣، ص ٢٠٠، (مصر) و ص ١٣٧، (الأعلمى).

٣- يعنى أمير المؤمنين عليه السلام .

الخلافة بجميع أنواع التوصل، كالزهد فيها تاره، و المناشده بفضائله تاره، و بما فعله فى ابتداء الأمر من إخراج زوجته و أطفاله ليلاً- إلى بيوت الأنصار، و بما اعتمده إذ ذاك من تخلفه فى بيته و إظهار أنه قد انعكف على جمع القرآن، و بسائر أنواع الحيل فيها، لم تحصل له إلّا بتجريد السيف كما فعل فى آخر الأمر.(١) و لست ألوّم العربَ لا سيّما قريشاً فى بغضها له و انحرافها عنه، فإنّه و ترها و سفك دماءها و كشف القناع فى منابذتها(٢) و نفوس العرب و أكبادهم كما تعلم.

و ليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد فى النفوس، كما نشاهده اليوم عياناً؛ و الناس كالناس الأول، و الطبائع واحده. فأحسب أنّك كنت من سنتين أو ثلاث جاهلياً أو من بعض الروم، و قد قتل واحداً من المسلمين ابنك أو أخاك، ثمّ أسلمت؛ أ كان إسلامك يُذهب عنك ما تجده من بغض

ذلك القاتل و شنآنه؟ كلا؛ إنّ ذلك لغير ذاهب. هذا إذا كان الإسلام صحيحاً و العقيدة محقّقه، لا كإسلام كثير من العرب؛ فبعضهم تقليداً و بعضهم للطمع و الكسب و بعضهم خوفاً من الشّيف و بعضهم على طريق الحميّة و الإنتصار أو لعداوه قوم آخرين من أضداد الإسلام و أعدائه.

و اعلم أنّ كلّ دم أراقه رسولُ الله بسيف عليّ عليه السلام و بسيف غيره، فإنّ العرب بعد وفاته عصبت تلك الدماء بعليّ بن أبى طالب عليه السلام وحده؛ لأنّه لم يكن فى رهطه من يستحق فى شرعهم و سنتهم و عادتهم أن يعصب به تلك الدماء إلّا بعليّ وحده. و هذه عادته العرب إذا قتل منها قتلى،

ص: ٢٢٨

١- . إشاره إلى قتل الخوارج.

٢- . المنابذه: تحيّر كلّ واحد من الفريقين فى الحرب.

طالبت بتلك الدماء القاتل؛ فإن مات أو تعذرت عليها مطالبته، طالبت بها أمثل الناس من أهله.

لَمَا قُتِلَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَخًا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ، قَالَ بَعْضُ أَعْدَائِهِ يَحْرُضُ عَمْرًا عَلَيْهِمُ: (١)

م-ن مبلِّغ-ع-م-رأب--أن***المرء لم يُخل-ق ص-ب-اره (٢)

و ح---و ادث الأي---ام لا***يبق-ي له-إلآ ال-حجاره

ه---إ إن ع-ج--زه أم--ه***بالسف-ح أسفل من أواره (٣)

ت-سف-ي الرى-ح خلال***كشحيه وقد سلبوا إزاره

فاق--ت--ل زراره لا أرى***فى القوم أمث-ل من زراره

فأمره أن يقتل زرارته بن عدس رئيس بنى تميم، ولم يكن قاتلاً أخا الملك ولا حاضراً قتله.

و من نظر فى أيام العرب و وقائعها و مقاتلها عرف ما ذكرناه.

سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبى زيد رحمه الله، فقلت له: إنى لأعجب من على عليه السلام كيف بقى تلك المدّة الطويله بعد رسول الله، و كيف ما اغتيل و فتك به فى جوف منزله، مع تلظى الأكباد عليه؟

فقال: لو لا أنه أرغم أنفه بالتراب، و وضع خده فى حضيض الأرض لقتل؛ و لكنّه أحمل نفسه و اشتغل بالعباده و الصلاه و النظر فى القرآن، و خرج عن ذلك الزى الأول و ذلك الشعار، و نسى السيف و صار كالفاتك يتوب

ص: ٢٢٩

١- . هو عمرو بن ملقط الطائى، و الأبيات فى تاريخ ابن الأثير ١: ٣٣٥، ضمن خبره عن يوم أواره الثانى، و هى أيضا فى اللسان ١١١: ٦.

٢- . الصباره: الحجار: الملس، كأنه يقول: ليس الإنسان بحجر فيصبر على مثل هذا.

٣- . أول ولد المرأة يقال له زكمه، و الآخر عجزه.

و يصير سائحاً في الأرض أو راهباً في الجبال. و لما أطاع القوم الذين ولّوا الأمر، و صار أذلّ لهم من الحذاء، تركوه و سكتوا عنه. و لم تكن العرب لتتقدم عليه إلّا بمواطاهٍ من متولّي الأمر، و باطنٍ في ال-سرّ منه. فلما لم يكن لؤلاه الأمر باعثاً و داعٍ إلى قتله وقع الإمساك عنه؛ و لو لا ذلك لقتل، ثمّ أُجل بعد معقل حصين.

فقلت له: أحقّ ما يُقال في حديث خالد؟

فقال: إنّ قوماً من العلويّه يذكرون ذلك.

ثمّ قال: و قد روى أنّ رجلاً جاء إلى زُفر بن الهذيل - صاحب أبي حنيفه - فسأله عمّا يقول أبو حنيفه في جواز الخروج من الصلاه بأمر غير التسليم، نحو الكلام و الفعل الكثير أو الحدّث؟

فقال: إنّّه جائز، قد قال أبو بكر في تشهده ما قال.

فقال الرجل: و ما الذي قاله أبو بكر؟

قال: لا عليك.

فأعاد عليه السؤال ثانيةً و ثالثه، فقال: أخرجوه أخرجوه، قد كنتُ أحدث أنّه من أصحاب أبي الخطاب. (١)

قلتُ له: فما الذي تقوله أنت.

قال: أنا أستبعد ذلك و إن روته الإماميه.

ثمّ قال: أمّا خالد فلا أستبعد منه الإقدام عليه بشجاعته في نفسه و لبغضه إيّاه، و لكنّي أستبعده من أبي بكر، فإنّه كان ذا ورع، و لم يكن ليجمع بين:

ص: ٢٣٠

١- . أبو الخطاب، محمد بن أبي زينب الأسدي الكوفي، من أصحاب الصادق عليه السلام، و إن انحرف أخيراً بفساد العقيدة. راجع: معجم رجال الحديث، ج ١٤، ص ٢٢٣.

أخذ الخلافه و منع فدك و إغصاب فاطمه،(١) و قتل علي عليه السلام ؛ حاش لله من ذلك.

فقلتُ له: أ كان خالدٌ يَقدر علي قتلَه؟

قال: نعم، و لِم لا يَقدر علي ذلك و السَّيف في عنقه، و عليٌّ أعزُّلٌ، غافلٌ عمَّا يُراد به؛ قد قتلَه ابن ملجم غيلةً، و خالدٌ أشجعٌ من ابن ملجم.(٢)

ص: ٢٣١

١- . يعنى النقيبُ هذه الثلاثه مسلّمه الوقوع من أبى بكر.

٢- . قال السَّمعانيّ (م ٥٥٦٢هـ) فى «الأنساب»، ج ٣، ص ٩٥، فى ترجمه الرّواجنى - و هو: أبو سعيد عبّاد بن يعقوب المتوفّى (٢٥٠) من مشايخ البخارىّ - : «روى عنه جماعه من مشاهير الأئمه مثل أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارىّ، لأنّه لم يكن داعيه إلى هواه، و روى عنه حديث أبى بكر رضى الله عنه أنه قال: لا- يفعل خالد ما أمر به. سألتُ الشريف عمر بن إبراهيم الحسينى بالكوفه عن معنى هذا الأثر، فقال: كان أمر خالد بن الوليد أن يقتل عليّاً، ثم ندم بعد ذلك فنهى عن ذلك». و أما تفصيل القصة على ما جاء فى تفسير القمى، ج ٢، ص ١٥٨: «فرجع أبو بكر إلى منزله و بعث إلى عمر فدعاه ثم قال: أ ما رأيت مجلس على منا اليوم، و الله لأن قعد مقعداً مثله ليفسدن أمرنا فما رأى قال عمر الرأى أن تأمر بقتله، قال: فمن يقتله؟ قال: خالد بن الوليد. فبعثنا إلى خالد، فأتاهما فقالا: نريد أن نحملك على أمر عظيم. قال: حملانى ما شئتما و لو قتل على بن أبى طالب. قالوا: فهو ذاك. فقال خالد: متى أقتله؟ قال أبو بكر: إذا حضر المسجد فقم بجنبه فى الصلاه، فإذا أنا سلمت فقم إليه فاضرب عنقه. قال: نعم. فسمعت أسماء بنت عميس ذلك و كانت تحت أبى بكر، فقالت لجاريتهما: إذهبى إلى منزل على و فاطمه فأقرئيهما السلام و قولى لعلى: «إن الملائم يأترون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين». فجاءت الجاريه إليهما فقالت لعلى عليه السلام: إن أسماء بنت عميس تقرأ عليكما السلام و تقول: «إن الملائم يأترون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين». فقال على عليه السلام: قولى لها: «إن الله يحيل [يحول] بينهم و بين ما يريدون». ثم قام و تهيأ للصلاه و حضر المسجد و وقف خلف أبى بكر و صلى لنفسه و خالد بن الوليد إلى جنبه و معه السيف. فلما جلس أبو بكر فى التشهد ندم على ما قال و خاف الفتنة و شدّه عليّ و بأسه، فلم يزل متفكراً لا يجسر أن يسلم حتى ظن الناس أنه قد سها، ثم التفت إلى خالد فقال: يا خالد، لا تفعل ما أمرتك به، السلام عليكم و رحمه الله و بركاته. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا خالد، ما الذى أمرك به؟ قال: أمرنى بضرب عنقك. قال: و كنت تفعل؟ قال: إى و الله، لو لا أنه قال لى لا تفعل لقتلتك بعد التسليم. قال: فأخذه عليّ عليه السلام فضرب به الأرض و اجتمع الناس عليه. فقال عمر: يقتله و رب الكعبه. فقال الناس: يا أبا الحسن، الله الله بحق صاحب هذا القبر. فخلى عنه. قال: فالتفت إلى عمر و أخذ بتلابيبه و قال: يا ابن الصهاك، لو لا عهد من رسول الله و كتاب من الله سبق، لعلمت أننا أضعف ناصرا و أقل عددا. ثم دخل منزله». راجع أيضاً: علل الشرائع، ج ١، ص ١٩١، باب العله التى من أجلها أمر خالد بن الوليد بقتل أمير المؤمنين؛ و إثبات الوصيه، ص ١٤٧.

فسألته عمّا ترويه الإماميه فى ذلك، كيف ألفاظه؟

فضحك و قال:

.... كم عالم بالشئ ء و هو يسائلُ

ثم قال: دعنا من هذا؛ ما الذى تحفظ فى هذا المعنى؟

قلتُ: قولُ أبى الطيب:

نحنُ أدرى و قد سألنا بنجدٍ ***أط-ويلُ طريقنا أم ي-ط-ولُ

و كثيرٌ من الس-وأل اشتياقٌ ***و كث--يرم-ن رده تعلی--لُ

فاستحسن ذلك و قال: لمن عجز البيت (١) الذى استشهدتُ به؟

قلتُ: لمحمد بن هانىء المغربى، و أوله:

فى كلِّ يوم أستريدُ تجارب-أ ***كم عالم بالشئ ء و هو يسائلُ

فبارك على مراراً، ثم قال: نترك الآن هذا و نتمم ما كنا فيه. و كنتُ أقرأ عليه فى ذلك الوقت «جمهره النسب» لابن الكلبي،

فعدنا إلى القراءه و عدلنا عن الخوض عمّا كان اعترض الحديث فيه. (٢)

ص: ٢٣٢

١- . أى المصراع الثانى من البيت.

٢- . شرح الحديدى، ج ١٣، ص ٢٩٧، (مصر) و ص ٢٠٤، (الأعلمى).

استعدى رجلٌ على علي بن أبي طالب عليه السلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه و عليّ جالس، فالتفت عمرٌ إليه، فقال: قم يا أبا الحسن، فاجلس مع خصمك. فقام فجلس معه و تناظرا؛ ثم انصرف الرجل و رجع عليّ عليه السلام إلى محلّه. فتبين عمر التغير في وجهه، فقال: يا أبا الحسن، ما لى أراك متغيراً؟ أكرهت ما كان؟ قال: «نعم». قال: و ما ذاك؟ قال: «كئيتني بحضره خصمى؛ هماً قلت: قم يا عليّ فاجلس مع خصمك». فاعتنق عمرٌ عليّاً، و جعل يقبل وجهه، و قال: بأبى أنتم، بكم هدانا الله و بكم أخرجنا من الظلمه إلى النور. (١)

٣٨- بحق علي اغفر لعلي

(قال عليّ عليه السلام): «أنا من رسول الله كالعُضد من المِنكب، و كالدُّراع من العُضد، و كالكفّ من الذراع. ربّانى صغيراً و آخانى كبيراً. و لقد علمتم أنّى كان لى منه مجلسٌ سرّاً يطلع عليه غيرى، و أنّه أوصى إليّ دون أصحابه و أهل بيته؛ و لأقولنّ ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم: سألته مرّة أن يدعو لى بالمغفرة، فقال: أفعل. ثمّ قام فصلّى، فلما رفع يده للدعاء استمعتُ عليه فإذا هو قائل: اللهم بحقّ عليّ عندك اغفر لعليّ. فقلتُ: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: أ واحدٌ أكرمُ منك عليه فأستشفع به إليه؟!». (٢)

ص: ٢٣٣

١- شرح الحديدي، ج ١٧، ص ٦٥، (مصر) و ص ٤٧، (الأعلمي).

٢- شرح الحديدي، ج ٢٠، ص ٣١٥، (مصر) و ص ٤٦٧، (الأعلمي).

الفصل الرابع: فيما يتعلق بـ«سَيِّدَةَ النِّسَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ»

اشاره

ص: ٢٣٥

قال الرّضى رحمه الله قبل نقل كلام أمير المؤمنين عليه السلام عند دفن فاطمه عليها السلام: «روى عنه عليه السلام: أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ دَفْنِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ كَالْمُنَاجِي بِهِ رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِهِ...» (١). ثم قال الحديدي تأييداً للرّضى رحمه الله:

أمّا قول الرضى رحمه الله: «عند دفن سيده النساء» فلأنّه قد تواتر الخبر عنه أنّه قال: «فاطمه سيده نساء العالمين»، إمّا هذا اللفظ بعينه، أو لفظ يُؤدّي هذا المعنى. روى أنه قال وقد رآها تبكى عند موته: «ألا ترضين أن تكوني سيده نساء هذه الأمه»؛ و روى أنه قال: «سادات نساء العالمين أربع: خديجه بنت خويلد و فاطمه بنت محمد و آسيه بنت مزاحم و مريم بنت عمران» (٢).

أقول: بل ورد في أكثر الروايات بدل سيده نساء الأمه: «سيده النساء من الأولين و الآخرين»؛ راجع: أسد الغابه (٣) و

بحار الأنوار (٤) و سيقول الشارح بذلك

ص: ٢٣٧

١- . رقم ١٩٥ من القسم الأول من النهج.

٢- . شرح الحديدي، ج ١٠، ص ٢٦٥، (مصر) و ص ٣٩٤، (الأعلمي).

٣- . ج ٦، ص ٢٢٣.

٤- . ج ٤٣، ص ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٣٧، ٤٩ و....

عند البحث عن أفضليته على عليه السلام و فاطمه عليها السلام .

٢- فاطمه سلام الله عليها حبيبه رسول الله

روى الحديدي عن إبراهيم بن ديزيل الهمداني في كتاب صفتين، عن يحيى بن يعلى بن عبید الحنفي عن إسماعيل الشدي عن زيد بن أرقم، قال:

كنا مع رسول الله و هو في الحجرة يُوحى إليه و نحن ننتظره حتى اشتد الحرّ، فجاء على بن أبي طالب و معه فاطمه و حسن و حسين^١، فقعدوا في ظل حائط ينتظرونه، فلما خرج رسول الله رآهم فأتاهم و وقفنا نحن مكاننا، ثم جاء إلينا و هو يظلمهم بثوبه ممسكاً بطرف الثوب، و على ممسكاً بطرفه الآخر و هو يقول: «اللهم إنني أحبهم فأحبهم، اللهم إنني سلم لمن سالمهم، و حرب لمن حاربهم». قال: فقال ذلك ثلاث مرات. (١)

٣- فاطمه عليها السلام في القيامة

روى أبو جعفر الإسكافي: أن النبي دخل على فاطمه عليها السلام ، فوجد علياً نائماً، فذهبت تتبّه، فقال: «دعيه، فرب سهر له بعدى طويل، و رب جفوه

لأهل بيتي من أجله شديده». فبكت؛ فقال: «لا تبكي، فإنكما معي، و في موقف الكرامه عندي». (٢)

ص: ٢٣٨

١- شرح الحديدي، ج ٣، ص ٢٠٧، (مصر) و ص ١٤٣، (الأعلمي).

٢- شرح الحديدي، ج ٤، ص ١٠٧، (مصر) و ص ٣١٣، (الأعلمي).

٤- عليّ عليه السلام أفضل أم فاطمه عليها السلام

نقل الحديدي في ضمن شرح رساله أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن عليه السلام قصه في فضل عليّ و فاطمه، فأليك نصّها:

قلت: جرى في مجلس بعض الأكابر - و أنا حاضر - القول في أنّ عليّاً عليه السلام شرف بفاطمه عليها السلام .

فقال إنسان كان حاضر المجلس: بل فاطمه عليها السلام شرفت به. و خاض الحاضرون في ذلك بعد إنكارهم تلك اللفظه، و سألتني صاحب المجلس أن أذكر ما عندي في المعنى، و أن أوضح أيّما أفضل عليّ أم فاطمه؟

فقلت: أمّا أيّهما أفضل، فإن أريد بالأفضل: «الأجمع للمناقب التي تتفاضل بها الناس نحو العلم و الشجاعه و نحو ذلك» فعليّ أفضل.

و إن أريد بالأفضل: «الأرفع منزله عند الله» فالذي استقر عليه رأي المتأخرين من أصحابنا أنّ عليّاً أرفع المسلمين كافه عند الله تعالى بعد رسول الله من الذكور و الإناث؛ و فاطمه امرأه من المسلمين، و إن كانت سيده نساء العالمين. و يدل على ذلك: أنّه قد ثبت أنّه «أحب الخلق إلى الله تعالى» بحديث الطائر، و فاطمه من الخلق؛ و أحب الخلق إليه سبحانه أعظمهم ثواباً يوم القيامة، على ما فسره المحققون من

أهل الكلام.

و إن أريد بالأفضل: «الأشرف نسباً» ففاطمه أفضل، لأنّ أباه سيّد ولد آدم من الأولين و الآخرين، فليس في آباء عليّ عليه السلام مثله و لا مقارنه.

و إن أريد بالأفضل: «من كان رسول الله أشدّ عليه حنوّاً و أمس به

رحماً» ففاطمه أفضل، لأنها ابنته، و كان شديد الحب لها و الحنو عليها جداً، و هي أقرب إليه نسباً من ابن العم، لا شبهه في ذلك.

فأما القول في أنّ عليّاً شرف بها أو شرفت به، فإنّ عليّاً عليه السلام كانت أسباب شرفه و تميزه على الناس متنوعه: فمنها ما هو متعلق بفاطمه عليها السلام ، و منها ما هو متعلق بأبيها ، و منها ما هو مستقلٌ بنفسه.

فأما الذى هو مستقلٌ بنفسه: فنحو شجاعته و عفته و حلمه و قناعته و سجاحه أخلاقه و سماحه نفسه.

و أما الذى هو متعلق برسول الله : فنحو علمه و دينه و زهده و عبادته و سبقه إلى الإسلام و إخباره بالغيوب.

و أما الذى يتعلق بفاطمه عليها السلام : فنكاحه لها، حتى صار بينه و بين رسول الله الصهر المضاف إلى النسب و السبب، و حتى إنّ ذريته منها صارت ذريةً لرسول الله و أجزاء من ذاته؛ و ذلك لأنّ الولد إنّما يكون من مَنى الرجل و دم المرأة، و هما جزءان من ذاتى الأب و الأم، ثم هكذا أبداً فى ولد الولد و من بعده من البطون دائماً. فهذا هو القول فى شرف على عليه السلام بفاطمه.

فأما شرفها به، فإنّها و إن كانت ابنه سيّد العالمين، إلّا أنّ كونها زوجة على أفادها نوعاً من شرفٍ آخر زائداً على ذلك الشرف الأول؛ ألا ترى أنّ أباهما لو زوجها أباً هريره أو أنس بن مالك لم يكن حالها فى العظمه و

الجلاله كحالها الآن؛ و كذلك لو كان بنوها و ذريتها من أبى هريره و أنس بن مالك لم يكن حالهم فى أنفسهم كحالهم الآن. (١)

ص: ٢٤٠

١- . شرح الحديدى، ج ١٦، ص ١٩، (مصر) و ص ٢١٧، (الأعلمى).

٥- خطبه الشيخين فاطمه عليها السلام

روى عثمان بن سعيد عن الحكم بن ظهير عن السدي: أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمه عليها السلام، فردّهما رسول الله و قال: «لم أؤمر بذلك». فخطبها على عليه السلام، فزوجه إياها و قال لها: «زوّجتك أقدّم الأّمه إسلاماً». (١)

٦- قصه الهجوم

عقد الحديدى فى شرح خطبه ٢٦ فصلاً فى الحديث عن «قصه السقيفه» و استبعد الهجوم على بيت فاطمه عليها السلام و ما جرى بعده، قال:

فأما حديث التّحريق و ما جرى مجراه من الأمور الفظيعة، و قول من قال: «إنهم أخذوا عليا عليه السلام يُقاد بعمامته و الناس حوله» فأمرٌ بعيد، و الشيعة تنفرد به، على أن جماعه من أهل الحديث قد رووا نحوه و سندك ذلك. (٢)

و قال أيضاً:

... فأما الأمور الشيعية المستهجنه التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ

إلى بيت فاطمه عليها السلام و أنه ضربها بالسوط فصار فى عَضِّها كالدملج و بقى أثره إلى أن ماتت؛ و أنّ عمر أضغطها بين الباب و الجدار فصاحت: «يا أبتاه يا رسول الله» و ألقت جيناً ميتاً، و جعل فى عنق على عليه السلام حبلاً يقاد به و هو يُعتل، و فاطمه عليها السلام خلفه تصرخ و تنادى بالويل و الثبور، و ابناه حسن و

ص: ٢٤١

١- شرح الحديدى، ج ١٣، ص ٢٢٨، (مصر) و ١٥٧، (الأعلمى). و انظر ما قبله.

٢- شرح الحديدى، ج ٢، ص ٢١، (مصر) و ص ٢٧٢، (الأعلمى).

حسين معهما بيكيان، و أنّ عليّاً لما أح--ضّر سألوه البيعة فامتنع، فتهدّد بالقتل فقال: «إذن تقتلون عبد الله و أخا رسول الله»، فقالوا: «أما عبد الله فنعم، و أما أخو رسول الله فلا»؛ و أنّه طعن فيهم في أوجههم بالنفاق، و سطر صحيفه الغدر التي اجتمعوا عليها، و بأنهم أرادوا أن يُنْفَرُوا ناقة رسول الله ليله العقبة، فكلّه لا- أصل له عند أصحابنا و لا- يُثبته أحد منهم و لا- رواه أهل الحديث و لا يعرفونه و إنما هو شيءٌ تَنَفَرِدُ الشيعةُ بنقله. (١)

أقول: هذه الدعوى من الحديدى أعى «إنفراد الشيعة بما روى في الهجوم على بيت فاطمه عليها السلام» مردوده:

أولاً: بكلامه فيما بعد حيث قال:

... و أما حديث الهجوم على بيت فاطمه عليها السلام فقد تقدم الكلام فيه و الظاهرُ عندى صحّه ما يرويه المرتضى و الشيعة، و لكن لا كلّ ما يزعمونه، بل كان بعض ذلك؛ و حقُّ لأبى بكر أن يندم و يتأسف على ذلك... (٢)

و ثانياً: بنقله عن أبى بكر حديث ندامته على الهجوم، منه:

... فأما الثلاث التي فعلتها و وددت أنى لم أكن فعلتها فوددت أنى لم أكن

كشفت عن بيت فاطمه و تركته و لو أغلق على حرب... (٣)

و ثالثاً: بروايه هذه الدعوى عدّة من المخالفين، منهم: إبراهيم بن يسار بن هانئ النّظام (٤) على ما نقل الشهرستاني في الملل عنه، قال: «إن عمر ضرب بطن فاطمه

ص: ٢٤٢

١- شرح الحديدى، ج ٢، ص ٦٠، (مصر) و ص ٢٩٩، (الأعلمى).

٢- شرح الحديدى، ج ١٧، ص ١٦٨، (مصر) و ص ١١٨، (الأعلمى).

٣- شرح الحديدى، ج ٢، ص ٤٦، و ج ٦، ص ٥١.

٤- النّظام (المتوفى سنة ٢٣١هـ) إبراهيم بن يسار بن هانئ البصرى، أبو إسحاق النّظام: من أئمة المعتزلة، قال الجاحظ: «الأوائل يقولون في كل ألف سنه رجل لا نظير له فان صح ذلك فأبو إسحاق من أولئك». تبحر في علوم الفلسفه و اطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين و إلهيين، و انفرد بآراء خاصه تابعته فيها فرقه من المعتزله سميت «النظاميه» نسبة إليه. و بين هذه الفرقة و غيرها مناقشات طويله. أما شهرته بالنظام فأشيعه يقولون إنها من إجادته نظم الكلام، و خصومه يقولون انه كان ينظم الخرز في سوق البصره. و ذكروا أن له كتباً كثيره في الفلسفه و الاعتزال. الأعلام، ج ١، ص ٤٣.

يوم البيعه حتى أَلقت الجنين من بطنها. و كان يصيح: «احرقوا دارها بمن فيها»، و ما كان فى الدار غير عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين». (١)

و المناسب أن ننقل هنا ما ذكره الشارح الخوئى رحمه الله راداً على الحديدى فى هذا الباب، قال:

«لا أدرى أنه كيف ينكر حديث التّحريق و يزعم أنه ممّا انفردت به الشيعة مع روايه الجوهرى له (٢) و كونه من الثّقات

المأمونين عنده. (٣) و قد رواه غير واحد من روايتهم أيضاً مطابقاً لما روته الشيعة، منهم إبراهيم ابن سعيد الثقفى، قال: حدّثنا أحمد بن عمرو البجلي قال: حدّثنا أحمد بن حبيب العاملى عن أبى عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «و الله ما بايع عليّ عليه السلام حتّى رأى الدّخان قد دخل على بيته»، رواه المرتضى فى الشّافى. و فيه أيضاً عن البلاذرى عن مسلم بن محارب عن سليمان التّميمى عن أبى عون أن أبا بكر أرسل إلى عليّ فلم يبايع، فجاء عمر و معه قيس، فتلقاه فاطمه على الباب فقال: يا بن الخطاب أتراك محرّقاً؟ قال: نعم،

ص: ٢٤٣

-
- ١- الملل و النحل، ج ١، ص ٧١.
 - ٢- أقول: نقل الحديدى عدّه روايات عن الجوهرى، دلّت على خلاف ما ادّعاه من إنفراد الشيعة قصّة الهجوم؛ أنظر: ج ٢، ص ٥٠ و ص ٥٦؛ ج ٦، ص ٤٧؛ و
 - ٣- أقول: قال الحديدى بشأن الجوهرى ما لفظه: «عالم محدث كثير الأدب ثقه ورع، أثنى عليه المحدثون و رووا عنه مصنفاته». شرح الحديدى، ج ١٦، ص ٢١٠، (مصر) و ص ٣٤٤، (الأعلمى).

و ذلك أقوى فيما جاء به أبو ك. و جاء علي عليه السلام فبايع. قال السيد رحمه الله عقيب هذا الحديث: و هذا الخبر قد روته الشيعة من طرق كثيرة، و إنما الطريق أن يرويه شيوخ محدثي العامه، لكنهم كانوا يروون ما سمعوا بالسلامه، و ربما تنبهوا على ما يروونه عليهم فكفوا عنه، و أي اختيار لمن يحرق عليه بابه حتى يبايع» (١).

٧- قيام فاطمه عليها السلام دفاعاً عن الولاية

و قال أحمد بن عبد العزيز الجوهري أيضاً: حدثنا أحمد و قال: حدثنا ابن عفير قال: حدثنا أبو عوف عبد الله بن عبد الرحمن عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما:

أن علياً حمل فاطمه على حمار، و سار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصره و تسألهم فاطمه الانتصار له. فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به.

فقال علي: «أ كنت أترك رسول الله ميتاً في بيته لا أجهزه، و أخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟».

و قالت فاطمه: «ما صنع أبو حسن إلّا ما كان ينبغي له، و صنعوا هم ما الله حسبهم عليه» (٢).

أقول: روايه الخبر في الاختصاص، صفحه ١٨٤ هكذا: «...حملها علي علي أتان، عليه كساء، له حمل، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين و الأنصار و الحسن و الحسين معها و هي تقول: «يا معشر المهاجرين و الأنصار، انصروا الله، فإني ابنه

ص: ٢٤٤

١- منهاج البراعه، ج ٣، ص ٣٧٣.

٢- شرح الحديدي، ج ٦، ص ١٣، (مصر) و ص ١٨٠، (الأعلمي).

نبيكم وقد بايعتم رسول الله يوم بايعتموه أن تمنعوه و ذريته مما تمنعون منه أنفسكم و ذراريكم، ففوا لرسول الله ببيعتكم». قال: فما أعانها أحد و لا أجابها و لا نصرها. قال:

فانتهت إلى معاذ بن جبل فقالت: «يا معاذ بن جبل، إني قد جئتكم مستنصره و قد بايعت رسول الله على أن تنصره و ذريته و تمنعه مما تمنع منه نفسك و ذريتك، و إن أبا بكر قد غضبني على فذك و أخرج و كيلى منها». قال: فمعى غيرى؟ قالت: «لا، ما أجابنى أحد». قال: فأين أبلغ أنا من نصرتك؟ قال: فخرجت من عنده، و دخل ابنه (١) فقال: ما جاء بابنه محمد إليك؟ قال: جاءت تطلب نصرتى على أبى بكر، فإنه أخذ منها فذكا. قال: فما أحببها به؟ قال: قلت: و ما يبلغ من نصرتى أنا وحدى؟ قال: فأبيت أن تنصرها؟ قال: نعم. قال: فأى شىء قالت لك؟ قال: قالت لى: و الله لأنازعنك الفصيح من رأسى حتى أرد على رسول الله؟ (٢) قال: فقال: أنا و الله لأنازعنك الفصيح من رأسى حتى أرد على رسول الله إذ لم تجب ابنه محمد. قال: و خرجت فاطمه عليها السلام من عنده و هى تقول: «و الله لا أكلمك كلمه حتى اجتمع أنا و أنت عند رسول الله»، ثم انصرفت...».

٨- فاطمه عليها السلام و فذك

عقد الحديدى فى شرح رساله الإمام عليه السلام إلى عثمان بن حنيف بحثاً مستوفاً حول فذك فى ثلاثه فصول، قال:

و اعلم أنا نتكلم فى شرح هذه الكلمات بثلاثه فصول: الفصل الأول فيما

ص: ٢٤٥

١- . يعنى ابن معاذ و هو غير سعد لانه توفى فى حياه النبى .

٢- . قال العلامة المجلسى رحمه الله: أى لأنازعنك بما يفصح عن المراد أى بكلمه من رأسى فان محل الكلام فى الرأس، أو المراد بالفصيح اللسان.

ورد في الحديث و السير من أمر فذك، و الفصل الثانی فی هل النبی یورث أم لا، و الفصل الثالث فی أن فذك هل صحّ كونها نحلہ من رسول الله لفاطمه أم لا. (١)

و نقل فيه: - مضافاً إلى الخطبه الأولى و الثانيه - ما لا يوجد في غير هذا الكتاب:

١. قال أبو بكر (الجوهري): و حدثني محمد بن زكريا قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عماره بالإسناد الأول قال:

فلما سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقالتها، فصعد المنبر و قال: أيها الناس، ما هذه الرّعه إلى كلّ قاله؟ أين كانت هذه الأمانتي في عهد رسول الله؟ ألا- من سمع فليقل، و من شهد فليتكلم؛ إنّما هو ثعاله شهيدُه ذنبُه، مُربُّ لكلّ فتنه، (٢) هو الذي يقول: كزوها جذعه (٣) بعد ما هربت، يستعينون بالضعفه و يستنصرون بالنساء، كأّم طحال أحبّ أهلها إليها البغي. ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت و لو قلت لبحث، إني ساكت ما تركت.

ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقاله سفهائكم، و أحق من لزم عهد رسول الله أنتم؛ فقد جاءكم فأويتم و نصرتم؛ ألا إني لستُ باسطاً يداً و لا لساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا.

ثم نزل، فانصرفت فاطمه عليها السلام إلى منزلها.

قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد

البصرى و قلت له: بمن يعرض؟

فقال: بل يصرح.

ص: ٢٤٦

١- شرح الحديدى، ج ١٦، ص ٢٠٩، (مصر) و ص ٣٤٤، (الأعلمى).

٢- مرب أى ملازم.

٣- الجذعه بمعنى الصغير من الغنم، و هنا كناية عن الفتنة.

قلت: لو صرّح لم أسألك.

فضحك وقال: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام .

قلت: هذا الكلام كلّه لعليّ يقوله؟

قال: نعم، إنّه المُلك يا بنيّ.

قلت: فما مقاله الأنصار؟

قال: هتفوا بذكر عليّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم، فنهاهم.

فسألته عن غريبه، فقال: أمّا الرعه بالتخفيف أى الاستماع والإصغاء، والقالة: القول، و تُعاله: اسم الثعلب علم غير مصروف، و مثل ذوّاله للذئب و شهيدته ذنبه أى لا شاهد له على ما يدعى إلّا بعضه و جزء منه، و أصله مَثَلٌ، قالوا: إنّ الثعلب أراد أن يُغري الأسد بالذئب فقال: إنه قد أكل الشاه التى كنت قد أعددتها لنفسك و كنت حاضراً، قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه و عليه دمٌ، و كان الأسد قد افتقد الشاه فقبل شهادته و قتل الذئب، و مُربّ: ملازم، أربّ بالمكان، و كزوها جَدَعه: أعيدوها إلى الحال الأولى، يعنى الفتنة و الهرج، و أمّ طحال: امرأه بغىّ فى الجاهليه، و يضرب بها المثل فيقال: أزنى من أمّ طحال.

و اعلم أنّ الناس يظنون أنّ نزاع فاطمه أبا بكر كان فى أمرين: فى الميراث و النّحله؛ و قد وجدتُ فى الحديث: أنّها نازعت فى أمر ثالث و منعها أبو بكر إياه أيضاً و هو سهم ذوى القربى.

٢. قال أبو بكر (الجوهري): و حدثنى المؤمل بن جعفر قال: حدثنى محمد بن ميمون عن داود بن المبارك قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن الحسن و نحن راجعون من الحج فى جماعه، فسألناه

عن مسائل، و كنتُ أحد من سأله، فسألته عن أبى بكر و عمر، فقال: سئلت جدى عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسأله فقال:

كانت أمي صديقه، بنت نبي مرسل، فماتت وهي غضبي على إنسان، فحن غضاباً لغضبها وإذا رضيت رضينا.

٣. قال لي علوي في الحله (١) يُعرف بعلي بن مهنا، ذكّي ذو فضائل: ما تظن قصد أبي بكر و عمر بمنع فاطمه فدك؟

قلت: ما قصدا؟

قال: أرادا ألا يُظهرا لعلي - وقد اغتصباه الخلفه - رقه ولينا و خذلاناً، و لا يرى عندهما خوراً، فأتبعا القرع بالقرح.

٤. و قلت لمتكلم من متكلمي الإماميه يُعرف بعلي بن تقي من بلده النيل: (٢) و هل كانت فدك إلا نخلاً يسيراً و عقاراً ليس بذلك الخطير؟

فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليله جداً، و كان فيها من النخل نحو ما بالكوفه الآن من النخل، و ما قصد أبو بكر و عمر بمنع فاطمه عنها إلا ألا يتقوى علي بحاصلها و غلتها على المنازعه في الخلفه، و لهذا أتبعنا ذلك بمنع فاطمه و علي و سائر بني هاشم و بني المطلب حقهم في الخمس، فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همته و يتصاغر عند نفسه، و يكون مشغولاً بالاحتراف و الإكتساب عن طلب الملك و الرئاسة؛ فانظر إلى ما قد وقر في صدور هؤلاء، و هو داء لا دواء له، و ما أكثر ما تزول الأخلاق و الشيم، فأما العقائد الراسخه فلا سبيل إلى

زوالها.

٥. سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسه الغريه ببغداد فقلت له: أ كانت فاطمه صادقته؟

قال: نعم.

ص: ٢٤٨

١- . الحله: تطلق على عدّه مواضع؛ منها موضع بين الكوفه و البصره؛ و هي حله بني مزيد.

٢- . النيل هنا: بليده في سواد الكوفه؛ قرب حله بني مزيد.

قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك و هي عنده صادقه؟

فتبسّم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه و حرمة و قلّه دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعاها لجاءت إليه غدًا و ادعت لزوجها الخلافه، و زحزحته عن مقامه و لم يكن يمكنه الاعتذار و الموافقه بشىء، لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقه فيها تدعى كائناً ما كان، من غير حاجه إلى بينه و لا شهود.

و هذا كلام صحيح و إن كان أخرجه مخرج الدعابه و الهزل.

٦. (ومنها قاضياً بين السيد المرتضى و قاضى القضاة:) و أما إخفاء القبر و كتمان الموت و عدم الصلاه و كل ما ذكره المرتضى فيه فهو الذى يظهر و يقوى عندى، لأن الروايات به أكثر و أصحّ من غيرها، و كذلك القول فى موجدتها و غضبها.

و عقد أيضاً بحثاً فى ضمن شرح خطبه ٦٦ فى ذكر أمر فاطمه مع أبى بكر و عمر. (١)

٩- قصاص قاتل محسن بن فاطمه

قال الحديدى بعد نقل قصه زينب و هبار بن الأسود و أنّ

رسول الله أباح دمه، ما هذا لفظه:

قلت: و هذا الخبر أيضاً قرأته على النقيب أبى جعفر رحمه الله فقال: إذا كان رسول الله أباح دم هبار بن الأسود لأنه رُوّع زينب فألقت ذا بطنها، فظهر الحال أنه لو كان حياً لأباح دم من رُوّع فاطمه حتى ألقت ذا بطنها.

ص: ٢٤٩

١- شرح الحديدى، ج ٦، ص ٤٦، (مصر) و ص ٢٠٤، (الأعلمى).

فقلت: أروى عنك ما يقوله قوم: إن فاطمه رُوِّعت فألقت المحسن؟

فقال: لا تروه عني ولا تروه عني بطلانه، فإني متوقف في هذا الموضوع لتعارض الأخبار عندي فيه. (١)

١٠- غضب فاطمه عليها السلام على الشيخين

و الصَّحيح عندي: أنَّها ماتت و هي واجده على أبي بكر و عمر، و أنَّها أوصت أبا يُصَلِّيَ عليها. و ذلك عند أصحابنا من الأمور المغفوره لهما، و كان الأولى بهما إكرامها و احترام منزلها، لكنَّهما خافا الفرقة و أشفقا من الفتنه، ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنَّهما. و كانا من الدِّين و قوه اليقين بمكان مكين لا شكَّ في ذلك؛ و الأمور الماضيه يتعدَّر الوقوف على عللها و أسبابها و لا يعلم حقائقها إلا من قد شاهدتها و لابسها؛ بل لعلَّ الحاضرين المشاهدين لها يعلمون باطن الأمر، فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرى؛ و الله وليُّ المغفره و العفو؛ فإنَّ هذا لو ثبت أنه خطأ، لم يكن كبيره، بل كان من باب الصغائر التي لا تق-تضي التبرُّؤ و لا توجب

زوال التولَّى. (٢)

أقول: دعوى الحديدى أعنى قوله: «فإنَّ هذا لو ثبت أنه خطأ، لم يكن كبيره بل كان من باب الصغائر»، مردوده صغروياً و كبروياً:

أما الصغرى: فلروايه نقلها الشيخان فى صحيحيهما من أنَّ النبى قال: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِنِي مَا آذَاهَا». (٣)

ص: ٢٥٠

١- شرح الحديدى، ج ١٤، ص ١٩٣، (مصر) و ص ٣٥٢، (الأعلمى).

٢- شرح الحديدى، ج ٦، ص ٥٠، (مصر) و ص ٢٠٧، (الأعلمى).

٣- انظر: نهج الحق و كشف الصدق، ص ٣٦٢.

و أما الكبرى: فلقوله عز و جل: «و مِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلٌّ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (١) و أيضاً قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً* وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَ إِثْمًا مُبِيناً» (٢)

١١- تاريخ شهادة فاطمه عليها السلام

نقل الحديدى عن الجوهري عن هشام بن محمد أنه قال:

... كان بين وفاتها و وفاه أبيها اثنتان و سبعون ليلة (٣)

ثم حكى فى موضع آخر عن الصحيحين هكذا:

و فى صحيحى مسلم و البخارى: كانت وجوه الناس إليه و فاطمه باقيه

بعد، فلما ماتت فاطمه عليها السلام انصرفت وجوه الناس عنه، و خرج من بيته فبايع أبا بكر. و كانت مده بقائها بعد أبيها عليه الصلاة و السلام ستة أشهر (٤)

و فى موضع ثالث قال:

قال أبو بكر (الجوهري): أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال: حدثنا سويد بن سعيد و الحسن بن عثمان قالا: حدثنا الوليد بن محمد عن الزهرى عن عروه عن عائشه:

ص: ٢٥١

١- . التوبه، ٦١.

٢- . الأحزاب، ٥٧ و ٥٨.

٣- . شرح الحديدى، ج ١٦، ص ٢١٤، (مصر) و ص ٣٤٧، (الأعلمى).

٤- . صحيح البخارى بسنده عن عائشه فى كتاب المغازى، و صحيح مسلم بسنده أيضاً عن عائشه، فى كتاب الجهاد و السير. شرح الحديدى، ج ٢، ص ٢٢، (مصر) و ص ٢٧٣، (الأعلمى).

أن فاطمه عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ، و هي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله بالمدينه و فدك و ما بقى من خمس خبير.

فقال أبو بكر: إن رسول الله قال: «لا نورث، ما تركناه صدقه»؛ إنما يأكل آل محمد من هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله . فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمه منها شيئاً، فوجدت من ذلك على أبي بكر و هجرته، فلم تكلمه حتى توفيت. و عاشت بعد أبيها ستة أشهر، فلما توفيت دفنها على عليه السلام ليلاً و لم يؤذن بها أبا بكر.(١)

١٢- الحزن الدائم على فراق فاطمه عليها السلام

قال الحديدى فى شرح قول على عليه السلام عند قبر فاطمه عليها السلام : «أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ وَأَمَّا لَيْلِي فَمَسْهَدٌ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ» ما هذا لفظه:

هذا من باب المبالغه، كما يبالى الخطباء و الكتاب و الشعراء فى المعانى؛ لأنه عليه السلام ما سهر منذ ماتت فاطمه، و دام سهره إلى أن قُتل عليه السلام و إنما سهر ليله أو شهراً أو سنه ثم استمرّ مريزه و ارعوى رسنه.

فأما الحزن فإنه لم يزل حزينا إذا ذكرت فاطمه، هكذا وردت الروايه عنه.(٢)

ثم نقل ثلاثه أبيات أنشأها أمير المؤمنين عليه السلام عند قبر فاطمه عليها السلام :

ذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد فى كتابه الكامل أنه عليه السلام تمثل عند قبر فاطمه:

ص: ٢٥٢

١- . شرح الحديدى، ج ١٦، ص ٢١٧، (مصر) و ص ٣٤٩، (الأعلمى).

٢- . شرح الحديدى، ج ١٠، ص ٢٦٩، (مصر) و ٣٩٧، (الأعلمى).

ذكرت أب-أرؤى فبت كأن-ن-ى***ب-ردّ الهم-وم-اض-يات وكي-ل (١)

لكل اجتم-اع من خليلين فرقه***و ك-ل ال-ذى دون الفراق قليل

و إن افتقادی واحداً بعد واحد***دل-ى-ل على ألا-ى-دوم خ-ل-ى-ل

و الناس يرونه:

و إن افتقادی فاطما بعد أحمد (٢)

أقول: و المناسب هنا أن ننقل إقرافات من عالمين من العامه فى اقتداء الشيعة و محبى آل البيت ^ بمولاهم أمير المؤمنين عليه السلام فى التأسف و البكاء على الصديقه الطاهره المظلومه عليها السلام ، فأليك أصلها:

١. تشبث الفقيه الشافعى القاضى عبد الجبار الهمدانى (م ٤١٥ ق) بمطالب سخيغه لإثبات مُحَدَّثات حَدَّثها الشيعة - بزعمه - كعيد الغدير و البكاء على فاطمه عليها السلام . قال - فى مقام الرّد على الشيعة حيث تقول بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام تمسّك على استحقاقه الخلافه بالنصّ عن الرسول - بما هذا لفظه: «كَمَنْ ادّعى أنّه (علياً عليه السلام) كان يعيد فى آخر ذى الحجه و يقول: «هذا اليوم الذى نصّ علىّ فيه رسول الله صلّى الله عليه و سلم و استخلفنى»، كما يفعل الإماميه ذلك فى زماننا ببغداد؛ و أنّه (علياً عليه السلام) كان يُقيم المناحات بالشعر على فاطمه و ابنها

ص: ٢٥٣

١- . الكامل فى اللغة و الأدب: ٤: ٣٠، (طبعه نهضة مصر)، و لم يذكر هناك البيت الأول.

٢- . شرح الحديدى، ج ١٠، ص ٢٨٨، (مصر) و ص ٤٠٩، (الأعلمى)؛ و فى البدايه و النهايه، ج ٨، ص ١١ عن عمرو بن العلاء عن أبيه قال: وقف علىّ على قبر فاطمه و أنشأ يقول: ذك-رت أب-أرؤى ف-ب-ت كأن-ن-ى***ب-ردّ الهم-وم-الماض--
ى-ات وكي--ل لكل اج-ت-ماع م-ن خل-يل-ين فرقه***و كل ال-ذى قب-ل الم-مات قل-ى--ل و إن اف-ت-قادى
واح-دا ب-ع-د واحد***دل-ى-ل على أن لاى-دوم خ-ل-ى-ل سيعرض عن ذكرى و تنسى مودتى ***و يح-دث بع-
دى لل-خلى-ل خلى--ل إذا انقطعت يوماً من العيش مدت--ى***ف--ان غ-ن-اء الب-اك-ى-ات ق-ل-ى--ل

الحسن (١) الذي زعم الإماميه أن عمر قتله، كما يفعل الإماميه

ذلك ببغداد و الكوفه. (٢)

٢. قال أيضاً القاضي المذكور بعد ذكر عدّه من مشاهير الشيعة: «...فهؤلاء بمصر و بالرملة و بصور، و بعكا و بعسقلان و بدمشق و ببغداد و بجبل البسماق. و كل هؤلاء بهذه النواحي يدعون التشيع و محبه رسول الله صلّى الله عليه و سلم و أهل بيته، فيكون على فاطمه و على ابنها المحسن الذي زعموا أن عمر قتله». (٣)

٣. قال ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢ ق) في ترجمه محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الحسن الفارس أبو الحياه الواعظ البلخي (م ٥٩٦ ق):

استوطن بغداد إلى أن مات، و كان يعظ بالنظاميه.

قال ابن النجار: كان مليح اللفظ صبيح الوجه، و كان يميل إلى الرفض و يظهر به.

أخبرني على بن محمود، قال: كان البلخي الواعظ كثيراً ما يدمن في مجالسه سب الصحابه؛ فحضرت مره مجلسه فقال: بكت فاطمه يوماً من الأيام، فقال لها عليّ: يا فاطمه، لم تبكين عليّ؟ أ أخذت منك فيئك؟ أ غصبتك حقك؟ أ فعلت أ فعلت؟ و عدّ أشياء ممّا يزعم الروافض أنّ الشيخين فعلاها في حق فاطمه. قال: فضجّ المجلس بالبكاء من

الرافضه الحاضرين. (٤)

ص: ٢٥٤

١- . كذا في المطبوع، و هو سهو قطعاً، وستأتي لفظه المحسن في العبارة التاليه.

٢- . تثبيت دلائل النبوه، ج ١، ص ٢٧٦.

٣- . تثبيت دلائل النبوه، ج ٢، ص ٥٩٥.

٤- . لسان الميزان، ج ٥، ص ٢١٨.

الفصل الخامس: فيما يتعلق بـ «الصحابه»

اشاره

ص: ٢٥٥

١- التفضيل بين الصحابه

بحث الحديدى ذيل قول الإمام عليه السلام فى حكمه ٤٧٨: «يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ مُحِبُّ مُفْرِطٌ وَ يَاهِتُّ مُفْتَرٌ» عن التفضيل بين الصحابه، فإليك لفظه:

القول بالتفضيل قولٌ قديم، قد قال به كثيرٌ من الصحابه و التابعين، فمن الصحابه عمار و المقداد و أبو ذرّ و سلمان و جابر بن عبد الله و أبى بن كعب و حذيفه و بريده و أبو أيوب و سهل بن حنيف و عثمان بن حنيف و أبو الهيثم بن التيهان و خزيمه بن ثابت و أبو الطفيل عامر بن واثله و العباس بن عبد المطلب و بنوه و بنو هاشم كافهً و بنو المطلب كافهً.

و كان الزبير من القائلين به فى بدء الأمر ثم رجع. و كان من بنى أميه قومٌ يقولون بذلك، منهم: خالد بن سعيد بن العاص، و منهم: عمر بن عبد العزيز.

و أنا أذكر هاهنا الخبر المروى المشهور عن عمر، و هو من رواه ابن الكلبي، قال:

بينما عمر بن عبد العزيز جالساً فى مجلسه دخل حاجبه و معه امرأه أدماء طويله، حسنه الجسم و القامه، و رجلان متعلقان بها، و معهم

كتابٌ من «ميمون بن مهران» إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب ففضّه، فإذا فيه:

ص: ٢٥٧

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ مَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ سَلَامًا عَلَيْكَ وَرَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ وَرَدَ عَلَيْنَا أَمْرٌ ضَاقَتْ بِهِ الصُّدُورُ وَعَجَزَتْ عَنْهُ الْأَوْسَاعُ (١) وَهَرَبْنَا بِأَنْفُسِنَا عَنْهُ وَوَكَلْنَاهُ إِلَى عَالَمِهِ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَوْ رُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ»، (٢) وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ وَالرَّجُلَانِ أَحَدُهُمَا زَوْجُهَا وَالْآخَرُ أَبُوهَا، (٣) وَإِنَّ أَبَاهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَعَمَ أَنَّ زَوْجَهَا حَلَفَ بِطُلَاقِهَا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَوْلَاهَا بِرَسُولِ اللَّهِ؛ (٤) وَأَنَّهُ يَزْعَمُ (٥) أَنَّ ابْنَتَهُ طَلَّقَتْ مِنْهُ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ فِي دِينِهِ (٦) أَنْ يَتَّخِذَهَا صَهْرًا، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا حَرَامٌ عَلَيْهِ كَأُمَّةٍ؛ وَإِنَّ الزَّوْجَ يَقُولُ لَهُ: كَذَبْتَ وَأَثِمْتَ، لَقَدْ بَرَّ قَسِيْمِي وَصَدَقْتَ مَقَالَتِي (٧) وَإِنَّهَا امْرَأَتِي عَلِيٌّ رَغِمَ أَنْفُكَ وَغِيظَ قَلْبُكَ. فَاجْتَمَعُوا إِلَيَّ يَخْتَصِمُونَ فِي ذَلِكَ، فَسَأَلْتُ الرَّجُلَ عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ: نَعَمْ، قَدْ كَانَ ذَلِكَ وَقَدْ حَلَفْتُ بِطُلَاقِهَا أَنَّ عَلِيًّا خَيْرٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَوْلَاهَا بِرَسُولِ اللَّهِ، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ وَأَنْكَرَهُ مَنْ أَنْكَرَهُ،

فَلْيَغْضَبْ مَنْ غَضِبَ وَلْيَرْضَ مَنْ رَضِيَ. وَتَسَامَعُ النَّاسُ بِذَلِكَ فَاجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَلْسُنُ مَجْتَمِعَةً فَالْقُلُوبُ شَتَّى، وَقَدْ عَلِمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اخْتِلَافَ النَّاسِ فِي أَهْوَائِهِمْ وَتَسْرِعِهِمْ إِلَى مَا

ص: ٢٥٨

- ١- . الأوساع: جمع وسع؛ وهو الطاقه.
- ٢- . النساء، ٨٣.
- ٣- . الزوج شيعي و أبو المرأة من أهل التسنن.
- ٤- . أى حلف الزوج بطلاق زوجته إن لم يكن عليّ خيراً هذه الأمة؛ وحيث إنّه عليه السلام خير الأمة فالطلاق غير واقع على مذهب الزوج الحالف.
- ٥- . أى يعتقد.
- ٦- . أى فى مذهبه.
- ٧- . أى مقالته بأنها باقيه على زوجيته و لم ينعقد الطلاق.

فيه الفتنه، فأحجنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله. وإنهما تعلقا بها، وأقسم أبوها ألا يدعها معه، وأقسم زوجها ألا يفارقها و لو ضربت عنقها إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والإمتناع منه. فرغناهم إليك يا أمير المؤمنين، أحسن الله توفيقك و أرشدك».

و كتب في أسفل الكتاب:

إذا ما المشكلات ورددت ي-وما***فحارت في تأم-لها ال-عى-ون

و ضاق القوم ذرعاً عن نباها***فأنت لها أب-ح--ف-ص-أم-ين

لأن-ك قد ح-ويت العلم ط-رأ***وأحكمك التجارب و الشئون

و خل-ف-ك الإله على الرعاى-ا***فحظك فيهم الح-ظ-ثم-ى-ن

قال: فجمع عمر بن عبد العزيز بنى هاشم و بنى أميه و أفخاذ قريش، ثم قال لأبى المرأه: ما تقول أيها الشيخ؟ قال: يا أمير المؤمنين، هذا الرجل زوجته ابنتى و جهزتها إليه بأحسن ما يجهز به مثلها، حتى إذا أملت خيره و رجوت صلاحه حلف بطلاقها كاذباً. ثم أراد الإقامه معها، فقال له عمر: يا شيخ، لعله لم يطلق امرأته فكيف حلف؟ قال الشيخ: سبحان الله، الذى حلف عليه لأبى حنثاً و أوضح كذباً من أن يختلاج فى صدرى منه شك مع سبى و علمى، لأنه زعم أن علينا خير هذه الأمه، و إلا فامرأته طالق ثلاثاً. فقال للزوج: ما تقول، أ هكذا حلفت؟ قال: نعم. فقيل: إنه لما قال نعم، كاد المجلس يرتج بأهله، و بنو أميه ينظرون إليه شزراً؛ إلا أنهم لم ينطقوا بشىء، كل ينظر إلى وجه عمر.

فأكب عمر ملياً ينكت الأرض بيده، و القوم صامتون ينظرون ما يقوله، ثم رفع رأسه و قال:

إذا ولت الح-كومه بى-ن-ق-وم***أصاب الحق و التمس السدادا

ص: ٢٥٩

وم-أ-خى-رُ الإمام إذا تعدى***خلافَ الحقِّ واجتنَبَ الرِّشادا

ثم قال للقوم: ما تقولون فى يمين هذا الرجل؟ فسكتوا. فقال: سبحان الله، قولوا. فقال رجلٌ من بنى أمية: هذا حكمٌ فى فرج، ولسنا نَجْتَرى على القول فيه، و أنت عالمٌ بالقول، مؤتمنٌ لهم و عليهم، قُل ما عندك، فإنَّ القول ما لم يكن يُحَقُّ باطلاً و يُبطلُ حقاً جائزاً على فى مجلسى.

قال: لا- أقول شيئاً. فالتفت إلى رجلٍ من بنى هاشم من ولد عقيل بن أبى طالب فقال له: ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلى؟ فاغتنمها فقال: يا أمير المؤمنين إن جعلت قولى حُكماً أو حُكماً جائزاً قلتُ، و إن لم يكن ذلك فالتسيكوت أوسع لى و أبقى للمودّه. قال: قُل و قولك حُكماً و حكمك ماضٍ.

فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا: ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين، إذ جعلت الحكم إلى غيرنا و نحن من لحميتك و أولى رحمتك. فقال عمر: أسكتوا، أَعْجَزا و لؤماً عرضتُ ذلك عليكم آنفاً، فما انتدبتم له.

قالوا: لأنك لم تُعطينا ما أعطيت العقيلى، و لا حكمتنا كما حكمته.

فقال عمر: إن كان أصاب و أخطأتم، و حزم و عجزتم، و أب-صر و عميتم، فما ذنبُ عمر، لا أباً لكم، أ تَدرون ما مثلكم؟

قالوا: لا ندرى.

قال: لكنَّ العقيلى يدرى. ثم قال: ما تقول يا رجل؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، كما قال الأول:

دُع-يتم إلى أم-ر فل-م-أ-عج-زتم***ت-ناول-ه-من لاى-داخل-ه-ع-ج-ز

فلما رأى-تم ذاك أبدت نفوسك-م***نداماً و هل يُغنى من القدر الحذر

فقال عمر: أحسنت و أصبت، فقل ما سألتك عنه.

ص: ٢٦٠

قال: يا أمير المؤمنين، بَرَّ قَسْمُهُ و لم تُطَلِّقِ امْرَأَتَهُ.

قال: و أُنِي عَلِمْتَ ذَاكَ؟

قال: نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَ هُوَ عِنْدَهَا فِي بَيْتِهَا عَائِدٌ لَهَا: يَا بُنِيهِ مَا عِلَّتْكَ؟ قالت: الْوَعَكُ يَا أَبَتَاهُ. وَ كَانَ عَلِيٌّ غَائِبًا فِي بَعْضِ حَوَائِجِ النَّبِيِّ . فَقَالَ لَهَا: أ تَشْتَهِينَ شَيْئًا؟ قالت: نَعَمْ، أَشْتَهِي عِنَبًا وَ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ عَزِيزٌ وَ لَيْسَ وَقْتٌ عِنَبٍ. فقال: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَيَّ أَنْ يُجِيبَنِي بِهِ. ثم قال: اللَّهُمَّ اثْبِتْنَا بِهِ مَعَ أَفْضَلِ أُمَّتِي عِنْدَكَ مَنْزِلَةً. فَطَرَقَ عَلَيَّ الْبَابَ وَ دَخَلَ وَ مَعَهُ مِكَتَلٌ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ طَرَفَ رِدَائِهِ. فقال له النبي: مَا هَذَا يَا عَلِيُّ؟ قال: عِنَبٌ التَّمَسْتُهُ لِفَاطِمَةَ. فقال: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ كَمَا سَرَرْتَنِي بِأَنْ خَصَيْتَ عَلِيًّا بِدَعْوَتِي، فَاجْعَلْ فِيهِ شِفَاءً بُنِيَّتِي. ثم قال: كُلِّي عَلَيَّ اسْمَ اللَّهِ يَا بُنِيهِ. فَأَكَلَتْ وَ مَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ وَ بَرَّات.

فقال عمر: صدقت و بررت، أشهد لقد سمعته و وعيته؛ يا رجل خذ بيد امرأتك، فإن عرض لك أبوها فاهشيم أنفه.

ثم قال: يا بني عبد مناف، و الله ما نجهل ما يعلم غيرنا، و لا بنا عمي في ديننا، و لكننا كما قال الأول:

ت-صِي-دت-ال-دنيا رج--الأ-بفخ-ها***فلم-يُدر-كوا-خيرًا-بل-استقبحوا-الشرا

و أعماهم حُبُّ الغنى و أص-م-ه-م***ف-لم-ي-در-كوا-إلا-الخسارة-و-ال--وزرا

قيل: فكأنما ألقم بني أمية حَجْرًا، و مضى الرجلُ بامرأته.

و كتب عُمرُ إلى ميمون بن مهران: «عليك سلامٌ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ فَهَمْتُ كِتَابَكَ، وَ وَرَدَ الرِّجْلَانِ وَ الْمَرَأَةَ، وَ قَدْ صَدَّقَ اللَّهُ يَمِينَ الزَّوْجِ، وَ أَبْرَّ قَسْمَهُ، وَ أَثْبَتَهُ عَلَيَّ نِكَاحَهُ، فَاسْتَيْقَنَ ذَلِكَ وَ

اعمل عليه، و السلام عليك و رحمه الله و بركاته».

فَأَمَّا مَنْ قَالَ بِتَفْضِيلِهِ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً مِنَ التَّابِعِينَ فَخَلَقَ كَثِيرٌ كَأُورِيسَ الْقُرْنِيِّ وَ زَيْدَ بْنَ صَوْحَانَ وَ صَعَصَعَةَ أَخِيهِ وَ جُنْدُبَ الْخَيْرِ وَ عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ وَ غَيْرَهُمْ مِمَّنْ لَا يُحْصَى كَثْرَتُهُ.

و لم تكن لفظه الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله؛ و لم تكن مقالهُ الإماميه و مَنْ نَحَا نَحْوَهَا مِنَ الطَّاعِنِينَ فِي إِمَامَةِ السَّيْلِفِ مَشْهُورَةٌ حِينَئِذٍ عَلَى هَذَا النِّحْوِ مِنَ الْإِشْتِهَارِ؛ فَكَانَ الْقَائِلُونَ بِالتَّفْضِيلِ هُمُ الْمَسْمُومُونَ الشَّيْعَةَ؛ وَ جَمِيعُ مَا وَرَدَ مِنَ الْآثَارِ وَ الْأَخْبَارِ فِي فَضْلِ الشَّيْعَةِ وَ أَنَّهْمُ مَوْعُودُونَ بِالْجَنَّةِ فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمَعْتَبَرُونَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ؛ وَ لِذَلِكَ قَالَ أَصْحَابُنَا الْمَعْتَزِلَةُ فِي كِتَابِهِمْ وَ تَصَانِيفِهِمْ: نَحْنُ الشَّيْعَةُ حَقًّا؛ فَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ أَقْرَبُ إِلَى السَّيْلَامِ، وَ أَشْبَهُ بِالْحَقِّ مِنَ الْقَوْلِينَ الْمُقْتَسِمِينَ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَ التَّفْرِيطِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (١)

أقول: عدُّ الحديدى المعتزلة من الشيعة الموعود لها بالنجاه و الجنة في غير محله؛ إذ ثبت في كتب أصحابنا الإماميه مفضيلاً أن الشيعة من اعتقد بخلافه أمير المؤمنين عليه السلام بلا

فصل، و إمامه وُلده المعصومين عليهم السلام.

٢- لعن الصحابه و البراءه منهم

نقل الحديدى في ترجمه المغيره بن شعبه مذاكرته مع أستاذه النقيب العلوى البصرى ما هذا نصها:

ص: ٢٦٢

١- . شرح الحديدى، ج ٢٠، ص ٢٢١، (مصر) و ص ٤٠٢، (الأعلمى).

و حضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي البصري في سنة إحدى عشرة و ستمائة ببغداد و عنده جماعه، و أحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج، فمرّ ذكر المغيرة بن شعبه و خاض القوم، فذمه بعضهم و أثنى عليه بعضهم و أمسك عنه آخرون. فقال بعض فقهاء الشيعة (1) ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأى الأشعرى: الواجب الكف و الإمساك عن الصحابه و عمّا شجر بينهم، فقد قال أبو المعالي الجوينى: إنّ رسول الله نهى عن ذلك و قال: إياكم و ما شجر بين صحابتي.

و قال: دعوا لى أصحابى، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لما بلغ مدّ أحدهم و لا نصيفه.

و قال: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

و قال: خيركم القرن الذى أنا فيه، ثم الذى يليه ثم الذى يليه ثم الذى يليه.

و قد ورد فى القرآن الثناء على الصحابه و على التابعين.

و قال رسول الله: و ما يدريك، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

و قد روى عن الحسن البصرى أنه ذكر عنده الجمل و صفين فقال: تلك دماء طهر الله منها أسيافنا فلا نلّخ بها ألسنتنا.

ثم إنّ تلك الأحوال قد غابت عنّا و بعدت أخبارها على حقائقها، فلا يليق بنا أن نخوض فيها و لو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب أن يُحفظ رسول الله فى عائشه زوجته و فى الزبير ابن عمته و فى طلحه الذى وقاه بيده؛ ثم ما الذى ألزمتنا و أوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين أو نبراً

ص: ٢٦٣

١- . لعل المراد من الشيعة هنا ما فسره آنفا من الذى قال بتفضيل أمير المؤمنين عليه السلام .

منه؟ و أَىِ ثوابٍ فى اللعنه و البراءه؟ إِنَّ الله تعالى لا- يقول يوم القيامه للمكلف: لَمْ لَمْ تَلْعَن؟ بل قد يقول له: لِمَ لَعَنْتَ؟ و لو أَنَّ إنساناً عاش عمره كلّه لم يَلْعَن إبليس لم يكن عاصياً و لا- آثماً؛ و إذا جعل الإنسان عوض اللعنه: أستغفر الله، كان خيراً له. ثم كيف يجوز للعامه أن تدخل أنفُسِها فى أمور الخاصه؟ و أولئك قومٌ كانوا أمراء هذه الأمه و قادتها، و نحن اليوم فى طبقه سافله جداً عنهم، فكيف يَحْسُن بنا التّعرض لذكّهم؟ أ ليس يقبح من الرّعيه أن تخوض فى دقائق أمور المَلِك و أحواله و شئونه التى تجرى بينه و بين أهله و بنى عمّه و نساءه و سراريّه؟ و قد كان رسول الله صَبراً لمعاويه و أختّه أمّ حبيبه تحتها، فالأدبُ أن تُحفظ أمّ حبيبه - و هى أم المؤمنين - فى أخيها.

و كيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه و بين رسوله مودّه؟ أ ليس المفسرون كلُّهم قالوا: هذه الآيه أنزلت فى أبى سفيان و آله، و هى قوله

تعالى: «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً»، (١) فكان ذلك مُصاهره رسول الله أبى سفيان و تزويجه ابنته.

على أن جميع ما تنقله الشيعة من الإختلاف بينهم و المشاجره لم يثبت، و ما كان القوم إلّا كبنى أمّ واحده، و لم يتكدر باطنُ أحدٍ منهم على صاحبه قطّ، و لا وقع بينهم اختلاف و لا نزاع.

فقال أبو جعفر رحمه الله :

قد كنتُ منذ أيام علقتُ بخطى كلاماً وجدته لبعض الزيديّه فى هذا المعنى نقضاً و ردّاً على أبى المعالى الجوينى فيما اختاره لنفسه من هذا الرأى، و أنا

ص: ٢٦٤

١- . الممتحنه، ٧.

أُخرج إليكم لأستغنى بتأمله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه، فإنني أجد أَلماً يمنعني من الإطاله في الحديث، لا سيما إذا خرج مخرج الجدل و مقاومه الخصوم.

ثم أخرج من بين كتبه كُزاساً قرأناه في ذلك المجلس و استحسنة الحاضرون، و أنا أذكر هاهنا خلاصته:

قال: لو لا أن الله تعالى أوجب معاداه أعدائه كما أوجب موالاه أوليائه و ضيق على المسلمين تركها، إذا دلّ العقل عليها أو صحّ الخبر عنها بقوله سبحانه: «لا- تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» (١) و بقوله تعالى: «وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ» (٢)

و بقوله سبحانه: «لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»، (٣) و لإجماع المسلمين على أن الله تعالى فرض عداوه أعدائه و ولايه أوليائه، و على أن البغض في الله واجب و الحب في الله واجب لما تعرّضنا لمعاداه أحدٍ من الناس في الدين و لا- البراءه منه و لكانت عداوتنا للقوم تكلفاً. و لو ظننا أن الله عز و جل يعذرنا إذا قلنا: «يا رب، غاب أمرهم عنا» فلم يكن لخوضنا في أمر قد غاب عنا معنى لاعتمدنا على هذا العذر و واليناهم، و لكننا نخاف أن يقول سبحانه لنا: إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم فلم يغب عن قلوبكم و أسماعكم، قد أتتكم به الأخبارُ الصحيحه التي بمثلها ألزمت أنفسكم الإقرار بالنبى و موالاه من صدقه و معاداه من عصاه و جحده و أمرتم بتدبر

ص: ٢٦٥

١- . المجادله، ٢٢.

٢- . المائده، ٨١ .

٣- . الممتحنه، ١٣ .

القرآن و ما جاء به الرسول، فهلما حذرتهم من أن تكونوا من أهل هذه الآيه غداً: «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا» (١).

فأمّا لفظه اللعن فقد أمر الله تعالى بها و أوجبها، ألا ترى إلى قوله: «أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» (٢) فهو إخبارٌ معناه الأمر كقوله: «وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» (٣) و قد لعن الله تعالى العصيين بقوله: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ» (٤) و قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

مُهِينًا» (٥) و قوله: «مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِلُوا تَقْتِيلًا» (٦) و قال الله تعالى لإبليس: «وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» (٧) و قال: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» (٨).

فأمّا قول من يقول: «أى ثواب فى اللعن، و إن الله تعالى لا يقول للمكلف: لِمَ لم تلعن، بل قد يقول له: لِمَ لعنت، و أنه لو جعل مكان لعن الله فلاناً اللهم اغفر لى لكان خيراً له و لو أن إنساناً عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك»، فكلامٌ جاهلٌ لا يدرى ما يقول. اللعن طاعة، و يستحق عليها الثواب إذا فعلت على وجهها و هو أن يلعن مُستحقُّ اللعن لله و فى الله لا فى العصبية و الهوى، ألا ترى أن الشرع قد ورد بها فى نفي الولد و

ص: ٢٦٦

١- . الأحزاب، ٦٧.

٢- . البقره، ١٥٩.

٣- . البقره، ٢٢٨.

٤- . المائده، ٧٨.

٥- . الأحزاب، ٥٧.

٦- . الأحزاب، ٦١.

٧- . ص، ٧٨.

٨- . الأحزاب، ٦٤.

نطق بها القرآن و هو أن يقول الزوج فى الخامسة: «أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» (١). فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظه و أنه قد تعبدهم بها لما جعلها من معالم الشرع و لما كثرها فى كثير من كتابه العزيز و لما قال فى حق القاتل: «و غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ» (٢). و ليس المراد من قوله: «وَ لَعَنَهُ» إلما الأمر لنا بأن نلعنه، و لو لم يكن المرادُ بها ذلك لكان لنا أن نلعنه، لأن الله تعالى قد لعنه. أفيلعن الله تعالى إنساناً و لا يكون لنا أن نلعنه؟ هذا ما لا يسوغ فى العقل، كما

لا يجوز أن يمدح الله إنساناً إلا و لنا أن نمدحه، و لا يذمه إلا و لنا أن نذمه و قال تعالى: «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مُتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنِ لَعَنَهُ اللَّهُ» (٣) و قال: «رَبَّنَا آتِنَاهُمْ صِغْفِيرًا مِنَ الْعِذَابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» (٤) و قال عز و جل: «وَ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا» (٥) و كيف يقول القائل: إن الله تعالى لا يقول للمكلف لم لم تلعن، ألا يعلم هذا القائل أن الله تعالى أمر بولايه أوليائه و أمر بعداوه أعدائه، فكما يسأل عن التولى يسأل عن التبرى. ألا ترى أن اليهودى إذا أسلم يُطالب بأن يقال له: تلفظ بكلمه الشهادتين ثم قل: برئت من كل دين يخالف دين الإسلام، فلا بد من البراءه، لأن بها يتم العمل. ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر:

تَوَدُّع-دَوَى ث--م ت-زَعْمُ أَنْ سَنِي**صَدِيقُكَ، إِنَّ الرِّأى عَنْكَ لَعَارِبُ

ص: ٢٦٧

١- . النور، ٧.

٢- . النساء، ٩٣.

٣- . المائدة، ٦٠.

٤- . الأحزاب، ٦٨.

٥- . المائدة، ٦٤.

فموذَّه العِدوّ خروُجٌ عن ولايـه الوليّ، و إذا بطلت الموده لم يبق إلا البراءه، لأنّه لا يجوز أن يكون الإنسانُ في درجه متوسطه مع أعداء الله تعالى و عُصاته، بألّا يودّهم و لا يبرأ منهم، ياجماع المسلمين على نفى هذه الواسطه.

و أما قولُه: «لو جعل عوض اللعنه أستغفر الله لكان خيراً له»، فإنه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن، لَمَا نفعه استغفاره و لا قُبل منه، لأنه يكون عاصياً لله تعالى، مخالفاً أمره في إمساكه عمّن أوجب الله تعالى عليه البراءه منه و إظهار البراءه؛ و المُصرّ على بعض المعاصي لا تُقبل توبته و استغفاره عن البعض الآخر.

و أما من يعيش عمره و لا- يلعن إبليس فإن كان لا- يعتقد وجوب لعنه فهو كافرٌ، و إن كان يعتقد وجوب لعنه و لا يلعنه فهو مُخطئٌ، على أنّ الفرق بينه و بين ترك لعنه رءوس الضلال في هذه الأمه كعواويه و المغيره و أمثالهما، أنّ أحداً من المسلمين لا يُورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبيهه في أمر إبليس، و الإمساك عن لعن هؤلاء و أضرابهم يثير، و تجنّب ما يورث الشبهه في الدين واجبٌ، فلهذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيراً للإمساك عن أمر هؤلاء.

قال: ثم يقال للمخالفين: أ رأيتم لو قال قائل: «قد غاب عنّا أمر يزيد بن معاويه و الحجاج بن يوسف، فليس ينبغي أن نخوض في قصّيهما، و لا- أن نلعنهما و نعاديهما و نبرأ منهما»، هل كان هذا إلا- كقولكم: قد غاب عنّا أمر معاويه و المغيره بن شعبه و أضرابهما فليس لخوضنا في قصّتهم معنّى.

و بعد، فكيف أدخلتم - أيها العامّه و الحشويه و أهل الحديث - أنفسكم في أمر عثمان، و خُضتم فيه، و قد غاب عنكم؟ و برئتم من قتلته، و لعنتموهم. و كيف لم تحفظوا أبا بكر الصديق في محمّد ابنه، فإنكم

لعنتموه و فسّـيتموه. و لا حَفِظتم عائشه أم المؤمنين في أخيها محمد المذكور، و منعتمونا أن نخوض و ندخل أنفسنا في أمر عليّ و الحسن و الحسين و معاوية الظالم له و لهما، المتغلب على حقه و حقوقهما، و كيف صار لعن ظالم عثمان من السنّه عندكم، و لعن ظالم عليّ و الحسن و الحسين تكلفاً؟ و كيف أدخلت العامه أنفسها في أمر عائشه، و برئت ممن نظر إليها و من القائل لها يا حميراء أو إنما هي حميراء، و لعنته بكشفه سترها، و منعنا نحن عن الحديث في أمر فاطمه و ما جرى لها

بعد وفاه أبيها.

فإن قلتم: إن بيت فاطمه إنما دخل و سترها إنما كشف حفظاً لنظام الإسلام، و كيلاً ينتشر الأمر و يُخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ريقه (١) الطاعة و لزوم الجماعة.

قيل لكم: و كذلك ستر عائشه إنما كشف و هودجها إنما هتك، لأنها نشرت (٢) جبل الطاعة و شقت عصا المسلمين و أراقت دماء المسلمين من قبل وصول عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى البصره؛ و جرى لها مع عثمان بن حنيف و حكيم بن جبلة و من كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل و سفك الدماء، ما تنطق به كتب التواريخ و السير. فإذا جاز دخول بيت فاطمه لأمر لم يقع بعد، جاز كشف ستر عائشه على ما قد وقع و تحقق؛ فكيف صار هتك ستر عائشه من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار، و البراءة من فاعله من أوكد عرى الإيمان، و صار كشف بيت فاطمه و الدخول عليها منزلها و جمع خطب بابها و تهددّها بالتحريق من أوكد عرى الدين و أثبت دعائم الإسلام و ممّا أعز الله به المسلمين و أطفالاً

ص: ٢٦٩

١- . ريقه الطاعة: عروتها.

٢- . نشرت جبل الطاعة: أي قطعته.

به نار الفتنة؟ و الحرمتان واحدة و الستران واحد. و ما نحب أن نقول لكم: أن حرمة فاطمه أعظم و مكانها أرفع و صيانتها لأجل رسول الله أولى؛ فإنها بضعة منه و جزء من لحمه و دمه، و ليست كالزوجه الأجنبيه التي لا-نسب بينها و بين الزوج، و إنما هي وُصلة مُستعاره و عقدٌ يجرى مجرى إجاره المنفعه، و كما يملك رقّ الأمه بالبيع و ال-شراء، و لهذا قال الفرضيون: أسباب التوارث ثلاثة: سبب و نسب و

ولاء، فالنسب القرابه و السبب النكاح و الولاء ولاء العتق؛ فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب، و لو كانت الزوجه ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسامين.

و كيف تكون عائشه أو غيرها في منزله فاطمه و قد أجمع المسلمون كلهم: من يحبها و من لا-يحبها منهم أنها سيده نساء العالمين.

قال: و كيف يلزمننا اليوم حفظ رسول الله في زوجته، و حفظ أم حبيبه في أخيها، و لم تلزم الصحابه أنفسها حفظ رسول الله في أهل بيته، و لا ألزمت الصحابه أنفسها حفظ رسول الله في صهره و ابن عمه ابن عفان، و قد قتلوهم و لعنواهم، و لقد كان كثير من الصحابه يلعن عثمان و هو خليفه، منهم: عائشه، كانت تقول: أقتلوا نعثلاً، لعن الله نعثلاً؛ و منهم: عبد الله بن مسعود؛ و قد لعن معاويه عليّ بن أبي طالب و ابنه حسناً و حسيناً و هم أحياء يرزقون بالعراق، و هو يلعنهم بالشام على المنابر، و يقنت عليهم في الصيلمات؛ و قد لعن أبو بكر و عمر سعد بن عباده و هو حي، و براء منه، و أخرجاه من المدينه إلى الشام؛ و لعن عمر خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة؛ و ما زال اللعن فاشياً في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضى اللعن و البراءه.

قال: و لو كان هذا أمراً معتبراً - و هو أن يحفظ زيد لأجل عمرو فلا يلعن -

لوجب أن تحفظ الصحابة في أولادهم، فلا يُلعنوا لأجل آبائهم، فكان يجب أن يحفظ سعد بن أبي وقاص، فلا يُلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين؛ و أن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وقعه الحرة و قاتل الحسين و مُخيف المسجد الحرام بمكة؛ و أن يحفظ عمر بن الخطاب في عبيد الله ابنه قاتل الهرمزان و المحارب علياً عليه السلام في صفين.

قال: على أنه لو كان الإمساك عن عداوه من عادي الله من أصحاب رسول الله من حفظ رسول الله في أصحابه و رعايه عهده و عقده، لم تُعادهم و لو ضربت رقابنا بالسيوف، و لكن محبة رسول الله لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يصنع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية، و إنما أوجب رسول الله محبة أصحابه لطاعتهم لله، فإذا عصوا الله و تركوا ما أوجب محبتهم، فليس عند رسول الله محاباه في ترك لزوم ما كان عليه من محبتهم، و لا تغطس في العدول عن التمسك بمولاتهم، فلقد كان يحب أن يُعادى أعداء الله و لو كانوا عترته، كما يحب أن يُوالى أولياء الله و لو كانوا أبعد الخلق نسباً منه، و الشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قد أوجب عداوه من ارتد بعد الإسلام، و عداوه من نافق و إن كان من أصحاب رسول الله . و أن رسول الله هو الذي أمر بذلك و دعا إليه، و ذلك أنه قد أوجب قطع السارق و ضرب القاذف و جلد البكر إذا زنى، و إن كان من المهاجرين أو الأنصار. ألا ترى أنه قال: «لو سرقت فاطمة لقطعناها».

فهذه ابنته، الجارية مجرى نفسه، لم يُحابها في دين الله، و لا راقبها في حدود الله، و قد جلد أصحاب الإفك و منهم «مسطح بن أثاثه» و كان من أهل بدر.

قال: و بعد، فلو كان محلّ أصحاب رسول الله محلّ من لا يُعادى إذا عصى الله سبحانه، ولا يُذكر بالقيح، بل يجب أن يُراقب لأجل اسم الصُّحبه، و يُغضى عن عيوبه و ذنوبه، لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناؤه فى القرآن لَمَّا اتبع هواه فانسلخ مما أوتى من الآيات و غوى، قال سبحانه: «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ

الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ» (١) و لكان ينبغي أن يكون محلّ عبيده العجل من أصحاب موسى هذا المحل لأن هؤلاء كلهم قد صحبوا رسولاً جليلاً من رسل الله سبحانه.

قال: و لو كانت الصحابه عند أنفسها بهذه المنزله لعلمت ذلك من حال أنفسها لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا، و إذا قدّرت أفعال بعضهم ببعض دلّتك على أن القصه كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم، هذا على و عمّار و أبو الهيثم بن التيهان و خزيمه بن ثابت و جميع من كان مع على عليه السلام من المهاجرين و الأنصار، لم يروا أن يتغافلوا عن طلحه و الزبير حتى فعلوا بهما و بمن معهما ما يُفعل بالشُّراه فى ع-صرنا. و هذا طلحه و الزبير و عائشه و من كان معهم و فى جانبهم لم يروا أن يُمسكوا عن على، حتى قصدوا له كما يُقصد للمتغلبين فى زماننا. و هذا معاويه و عمرو لم يريا عليّاً بالعين التى يرى بها العامى صديقّه أو جاره، و لم يقصرا دون ضرب وجهه بالسيف، و لعنه و لعن أولاده و كل من كان حياً من أهله، و قتل أصحابه، و قد لعنهما هو أيضاً فى الصلوات المفروضات و لعن معهما أبا الأعور السُّلمى و أبا موسى الأشعري و كلاهما من الصحابه.

ص: ٢٧٢

١- الأعراف، ١٧٥.

و هذا سعد بن أبي وقاص و محمد بن مسلمة و أسامه بن زيد و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل و عبد الله بن عمر و حسان بن ثابت و أنس بن مالك لم يروا أن يُقْلَدوا علياً في حرب طلحه، و لا- طلحه في حرب علي، و الزبير ياجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين لأنهم زعموا أنهم

قد خافوا أن يكون علي قد غلط و زل في حربهما، و خافوا أن يكونا قد غلطا و زلأ في حرب علي. و هذا عثمان قد نفى أبا ذر إلى الزبده كما يفعل بأهل الخنا و الزيب. و هذا عمار و ابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقياه به لما ظهر لهما بزعمهما منه ما وعظاه لأجله؛ ثم فعل بهما عثمان ما تنهى إليكم؛ ثم فعل القوم بعثمان ما قد علمتم و علم الناس كلهم.

و هذا عمر يقول في قصه الزبير بن العوام لَمَّا استأذنه في الغزو: ها إنني ممسك بباب هذا الشعب أن يتفرق أصحاب محمد في الناس فيضلوهم، و زعم أنه و أبو بكر كانا يقولان: إن علياً و العباس في قصه الميراث زعماهما كاذبين ظالمين فاجرين؛ و ما رأينا علياً و العباس اعتذرا و لا تنصلا و لا نقل أحد من أصحاب الحديث ذلك؛ و لا رأينا أصحاب رسول الله أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما و نسبه إليهما، و لا أنكروا أيضاً على عمر قوله في أصحاب رسول الله: إنهم يريدون إضلال الناس و يهمون به؛ و لا أنكروا على عثمان دوس بن عمار، و لا كسر ضلع ابن مسعود؛ و لا على عمار و ابن مسعود ما تلقيا به عثمان، كإنكار العامه اليوم الخوض في حديث الصحابه؛ و لا اعتقدت الصحابه في أنفسها ما يعتقدده العامه فيها. اللهم إلا أن يزعموا أنهم أعرف بحق القوم منهم. و هذا علي و فاطمه و العباس ما زالوا على كلمه واحده يكذبون الروايه: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، و يقولون: إنها مختلقه؛ قالوا: و كيف كان

النَّبِيُّ يُعَرِّفُ هَذَا الْحَكْمَ غَيْرَنَا، وَ يَكْتُمُهُ عَنَّا وَ نَحْنُ الْوَرِثَةُ، وَ نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِأَنْ يُؤَدَّى هَذَا الْحَكْمُ إِلَيْهِ.

و هذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم النفر الذين توفى رسول الله و هو عنهم راض، ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخرجوا فصل حال

الإمامه؛ هذا بعد أن ثلبهم و قال فى حقهم ما لو سمعته العامه اليوم من قائل لو وضعت ثوبه فى عنقه سحباً إلى السلطان، ثم شهدت عليه بالرفض، و استحلّت دمّه. فإن كان الطعن على بعض الصحابه رفضاً فعمر بن الخطاب أرفض الناس و إمام الزوافض كلهم. ثم ما شاع و اشتهر من قول عمر: «كانت بيعه أبى بكر فلتة و قى الله شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه»؛ و هذا طعن فى العقد و قدح فى البيعه الأصلية.

ثم ما نقل عنه من ذكر أبى بكر فى صلاته، و قوله عن عبد الرحمن ابنه: دُويبه سوء و لهو خير من أبيه. ثم عمر القائل فى سعد بن عباده و هو رئيس الأنصار و سيدها: أقتلوا سيّداً، قتل الله سعداً، اقتلوه فإنه منافق. و قد شتم أباه هريره و طعن فى روايته و شتم خالد بن الوليد و طعن فى دينه و حكم بفسقه و بوجوب قتله و خون عمرو بن العاص و معاويه بن أبى سفيان و نسبهما إلى سرقه مال الفىء و اقتطاعه، و كان سريعاً إلى المساءه، كثير الجبه و الشتم، و السب لكل أحد، و قل أن يكون فى الصحابه من سيلم من معرّه لسانه أو يده؛ و لذلك أبغضوه و ملّوا أيامه مع كثره الفتوح فيها؛ فهلاً احترّم عمر الصّحابه كما تحترّمهم العامه؟ إمّا أن يكون عمر مُخطئاً و إمّا أن تكون العامه على الخطأ.

فإن قالوا: عمر ما شتم و لا ضرب و لا أساء إلّا إلى عاصٍ مُستحقّ لذلك، قيل لهم: فكأنّا نحن نقول: إنا نريد أن نبرأ و نُعادى من لا يستحق البراءه و

المعاداه، كلاً ما قلنا هذا، ولا يقول هذا مسلمٌ ولا عاقلٌ.

وإنما غرضنا الذي إليه نجرى بكلامنا هذا أن نُوضِّح أنّ الصحابه قومٌ من الناس، لهم ما للناس و عليهم ما عليهم، من أساء منهم ذمّناه و من أحسن منهم حمّدناه، و ليس لهم على غيرهم من المسلمين كبيرٌ فضلٍ إلّا

بمشاهده الرسول و معاصرته لا غير؛ بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام و المعجزات فقربت اعتقاداتهم من الضروره، و نحن لم نشاهد ذلك فكانت عقائدنا محض النظر و الفكر و بعرضيه الشبه و الشكوك، فمعاصينا أخفّ لأننا أعذر.

ثم نعود إلى ما كنّا فيه فنقول: و هذه عائشه أم المؤمنين، خرجت بقميص رسول الله فقالت للناس: «هذا قميص رسول الله لم يبل و عثمان قد أبلى سنته». ثم تقول: «أقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً». ثم لم ترض بذلك حتى قالت: «أشهد أن عثمان جيفه على الصراط غداً». فمن الناس من يقول: روت في ذلك خبراً، و من الناس من يقول: هو موقوف عليها. و بدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامه زنديقاً. ثم قد ح--صر عثمان، حصرته أعيان الصحابه، فما كان أحدٌ يُنكر ذلك و لا يُعظمه و لا يسعى في إزالته، و إنما أنكروا على من أنكروا على المحاصرين له و هو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله، ثم من أشرافهم ثم هو أقرب إليه من أبي بكر و عمر، و هو مع ذلك إمام المسلمين و المختار منهم للخلافه، و للإمام حقّ على رعيته عظيم، فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابه في الموضع الذي وضعتها به العامه و إن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول من أنّ الخطأ جائزٌ على آحاد الصحابه كما يجوز على آحادنا اليوم. و لسنا نقدح في الإجماع، و لا ندعى إجماعاً حقيقياً على قتل عثمان،

و إنما نقول: إن كثيراً من المسلمين فعلوا ذلك، و الخصم يسلم أن ذلك كان خطأ و معصية، فقد سلم أن الصحابي يجوز أن يُخطئ و يع-صى، و هو المطلوب.

و هذا المغيرة بن شعبه و هو من الصحابة أُدعى عليه الزنا و شهد عليه

قوم بذلك، فلم يُنكر ذلك عمر، و لا قال هذا محالٌ و باطل لأن هذا صحابيٌّ من صحابه رسول الله لا يجوز عليه الزنا؛ و هُما أنكر عمرُ على الشهود و قال لهم: و يحكم، هُما تغافلتم عنه لئلا رأيتموه يفعل ذلك، فإن الله تعالى قد أوجب الإمساك عن مساوئ أصحاب رسول الله و أوجب الستر عليهم، و هُما تركتموه لرسول الله في قوله: «دعوا لى أصحابى».

ما رأينا عمرَ إلّا قد انتصب لسماح الدعوى و إقامة الشهادة و أقبل يقول للمغيرة: «يا مغيرة ذهب رُبْعك، يا مغيرة ذهب نصفك، يا مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك»، حتى اضطرب الرابع فجلد الثلاثة. و هُما قال المغيرة لعمر: كيف تسمع فى قول هؤلاء و ليسوا من الصحابة و أنا من الصحابة، و رسول الله قد قال: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». ما رأيناها قال ذلك، بل استسلم لحكم الله تعالى.

و هاهنا من هو أمثل من المغيرة و أفضل «قدامه بن مظعون» لما شرب الخمر فى أيام عمر، فأقام عليه الحد، و هو رجل من عليه الصحابة و من أهل بدر و المشهود لهم بالجنة، فلم يردَّ عمرُ الشهادة، و لا درأ عنه الحد، لعلَّه أنه بدرى، و لا قال: قد نهى رسولُ الله عن ذكر مساوئ الصحابة؛ و قد ضرب عمر أيضاً ابنه حداً فمات، و كان ممن عاصر رسولَ الله، و لم تمنع معاصرتُهُ له من إقامة الحد عليه.

و هذا على عليه السلام يقول: «ما حدّثنى أحدٌ بحديث عن رسول الله إلّا

استحلفته عليه». أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب؟ وما استثنى أحداً من المسلمين إلّا

أبا بكر على ما ورد في الخبر (١) وقد صرح غير مروه بتكذيب أبي هريره و قال: «لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله

و قال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه: «وإدت أنى لم أكشف بيت فاطمه و لو كان أغلق على حرب»؛ فنديم، و الندم لا يكون إلّا عن ذنب.

ثم ينبغى للعاقل أن يفكر في تأخر علي عليه السلام عن بيعه أبي بكر سته أشهر إلى أن ماتت فاطمه؛ فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة، و إن كان أبو بكر مصيباً فعلي على الخطأ في تأخره عن البيعه و حضور المسجد.

ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضاً للصحابه: «فلما استخلفت عليكم خيركم في نفسى - يعنى عمر - فكلكم ورم لذلك أنه يريد أن يكون الأمر له، لما رأيت الدنيا قد جاءت، أما و الله لتتخذن سائر الدياج و نضائد الحرير». (٢) أليس هذا طعناً في الصحابه و تصريحاً بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر لما نص عليه بالعهد؟

و لقد قال له طلحه لما ذكر عمر للأمر: ما ذا تقول لريك إذا سألك عن عبادته و قد وليت عليهم فظاً غليظاً؟ فقال أبو بكر: أجلسونى أجلسونى، بالله تخوفنى؟ إذا سألتى قلت: «وليت عليهم خير أهللك». ثم شتمه بكلام كثير منقول. فهل قول طلحه إلا طعن في عمر؟ و هل قول أبي بكر إلا طعن في طلحه؟

ص: ٢٧٧

١- . ولا يخفى ما في هذه الدعوى، حيث لم يثبت قبول أمير المؤمنين الخبر المدعى صدوره عن النبي بعدم توريثه، بل ثبت إنكاره عليه السلام عليه بما ورد عنه في مواضع شتى لا يخفى على الشارح و غيره.

٢- . الكامل للمبرد ١: ٧.

ثم الذى كان بين أبى بن كعب و عبد الله بن مسعود من السباب حتى نفى كل واحد منهما الآخر عن أبيه؛ و كلمه أبى بن كعب مشهوره منقوله: «ما زالت هذه الأمه مكبوبه على وجهها منذ فقدوا نبيهم و قوله: «ألا هلك أهل العقيده، و الله ما آسى عليهم، إنما آسى على من يضلون من الناس»».

ثم قول عبد الرحمن بن عوف: «ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لى عثمان: يا منافق»، و قوله: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما وليت عثمان شسع نعلى»، (١) و قوله: «اللهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعل به و افعل».

و قال عثمان لعلى عليه السلام فى كلام دار بينهما: «أبو بكر و عمر خير منك»، فقال على: «كذبت، أنا خير منك و منهما، عبت الله قبلهما و عبتاه بعدهما».

و روى سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار قال: كنت عند عروه بن الزبير فتذاكرنا كم أقام النبي بمكة بعد الوحي؟ فقال عروه: أقام ع-شراً، فقلت: كان ابن عباس يقول: ثلاث عشره، فقال: كذب ابن عباس. و قال ابن عباس: المتعه حلال، فقال له جبير بن مطعم: كان عمر ينهى عنها، فقال: يا عدى نفسه، من هاهنا ضللتهم، أحدثكم عن رسول الله و تحدثنى عن عمر.

و جاء فى الخبر عن على عليه السلام: «لو لا- ما فعل عمر بن الخطاب فى المتعه ما زنى إلا شقى»، و قيل: ما زنى إلا شقى، أى قليلاً.

فأما سب بعضهم بعضاً و قدح بعضهم فى بعض فى المسائل الفقهيه فأكثر

ص: ٢٧٨

١- . الشسع: قبال النعل.

من أن يُحصى؛ مثل قول ابن عباس و هو يرد على زيد مذهبه القول في الفرائض: إن شاء - أو قال من شاء - باهلتة، (١) إن الذي أحصى رمل عالج (٢) عدداً أعدل من أن يجعل في مال نصفاً و نصفاً و ثلثاً، هذان النصفان قد ذهبا بالمال، فأين موضع الثلث.

و مثل قول أبي بن كعب في القرآن: «لقد قرأت القرآن و زيد هذا غلامٌ ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب».

و قال علي عليه السلام في أمهات الأولاد و هو على المنبر: «كان رأيي و رأى عمر ألما يُعِن، و أنا أرى الآن بيعهن»؛ فقام إليه عبيده السلماني فقال: رأيك في الجماعه أحب إلينا من رأيك في الفرقة.

و كان أبو بكر يرى التسويه في قسم الغنائم و خالفه عمر و أنكر فعله.

و أنكرت عائشه على أبي سلمه بن عبد الرحمن خلفه على ابن عباس في عدّه المتوفّي عنها زوجها و هي حامل، و قالت: فزوج يصقع (٣) مع الديك.

و أنكرت الصحابه على ابن عباس قوله في ال-صرف، و سفهوا رأيه حتى قيل: إنه تاب من ذلك عند موته.

و اختلفوا في حدّ شارب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضاً.

و روى بعض الصحابه عن النبي أنه قال: «الشؤم في ثلاثه: المرأه و الدار و الفرس». فأنكرت عائشه ذلك، و كذبت الراوى و قالت: إنه إنما

قال ذلك حكاية عن غيره.

و روى بعض الصحابه عنه عليه السلام أنه قال: «التاجر فاجر». فأنكرت عائشه

ص: ٢٧٩

١- . باهل القوم بعضهم بعضا و ابتهلوا: تلاعنوا.

٢- . عالج: موضع به رمل معروف..

٣- . صقع الديك صقعا: صاح.

ذلك، و كذبت الراوى و قالت: إنما قاله عليه السلام فى تاجر دلس.

و أنكر قوم من الأنصار روايه أبى بكر: «الأئمه من قريش»، و نسبوه إلى افتعال هذه الكلمه.

و كان أبو بكر يقضى بالقضاء، فينقضه عليه أصاغر الصحابه كبلال و صُهب و نحوهما؛ قد روى ذلك فى عدّه قضايا.

و قيل لابن عباس: إن عبد الله بن الزبير يزعم أنّ موسى صاحب الخ-ضّر ليس موسى بنى إسرائيل؛ فقال: كذب عدو الله، أخبرنى أبى بن كعب قال: خطبنا رسول الله و ذكر كذا بكلام يدلّ على أن موسى صاحب الخضر هو موسى بنى إسرائيل.

و باع معاويه أوانى ذهب و فضّه بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ينهى عن ذلك؛ فقال معاويه: أمّا أنا فلا أرى به بأساً؛ فقال أبو الدرداء: من عذيرى من معاويه؟ أخبره عن الرسول و هو يُخبرنى عن رأيه، و الله لا أساكنك بأرض أبداً.

و طعن ابن عباس فى أبى هريره عن رسول الله: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يُدخلن يده فى الإناء حتى يتوضأ»، و قال: فما نصنع بالمهراس. (1)

و قال على عليه السلام لعمر و قد أفتاه الصحابه فى مسأله و أجمعوا عليها: «إن كانوا راقبوك فقد غشوك، و إن كان هذا جهداً رأيتهم فقد أخطوا».

و قال ابن عباس: أ لا يتقى الله زيد بن ثابت يجعل ابن الابن ابناً و لا يجعل أب الأب أباً؟

ص: ٢٨٠

١- . المهراس: إناء مستطيل منقور يتوضأ فيه.

وقالت عائشه: أخبروا زيد بن أرقم أنه قد أحبط جهاده مع رسول الله .

و أنكرت الصحابه على ابي موسى قوله: إن النوم لا ينقض الوضوء؛ و نسبته إلى الغفله و قلبه التحصيل. و كذلك أنكرت على ابي طلحه الأنصاري قوله: إن أكل البرد لا يفطر الصائم؛ و هزئت به و نسبته إلى الجهل.

و سمع عمرُ عبدَ الله بن مسعود و أبي بن كعب يختلفان في صلاه الرجل في الثوب الواحد، فصعد المنبر و قال: إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله فعن أي فتياكم يصدر المسلمون؟ لا أسمع رجلين يختلفان بعد مُقامي هذا إلا فعلتُ و صنعتُ.

و قال جرير بن كليب: رأيتُ عمرَ ينهى عن المتعه و عليٌّ عليه السلام يأمر بها؛ فقلتُ: إنَّ بينكما لشرًّا؛ فقال عليٌّ عليه السلام: «ليس بيننا إلا الخير، و لكن خيرنا أتبعنا لهذا الدين».

قال هذا المتكلم: و كيف يصح أن يقول رسول الله : أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم؟ لا شبهه أن هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدي و أن يكون أهل العراق أيضاً على هدي و أن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتدياً و قد صح الخبر الصحيح أنه قال له: «تقتلك الفئة الباغية». و قال في القرآن: «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ»، (١) فدل على أنها ما دامت موصوفه بالمقام على البغي، مفارقه لأمر

الله، و من يفارق أمر الله لا يكون مهتدياً.

و كان يجب أن يكون بُسْرُ بنُ أبي أرطاه الذي ذبح ولدى عبيد الله بن

ص: ٢٨١

١- . الحجرات، ٩.

عباس الصغيرين مهتدياً، لأنَّ بسراً من الصحابه أيضاً.

و كان يجب أن يكون عمرو بنُ العاص و معاويه اللذان كانا يلعان علياً أذبارَ الصلاه و ولديه مهتديين.

و قد كان في الصيحه من يزننى و من يشرب الخمر كأبى محجن الثقفى، و من يرتد عن الإسلام كطليحه بن خويلد، فيجب أن يكون كلُّ من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتدياً.

قال: و إنما هذا من موضوعات متعصبه الأمويه، فإنَّ لهم من ين-صرهم بلسانه و بوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف.

و كذا القولُ في الحديث الآخر و هو قوله: «القرنُ الذى أنا فيه...»، و ممَّا يدلُّ على بطلانه أنَّ القرن الذى جاء بعده بخمسين سنه شُرُّ قرونِ الدنيا، و هو أحدُ القرون التى ذكرها فى النص، و كان ذلك القرن هو القرن الذى قُتل فيه الحسينُ و أُوقِع بالمدينه و حوصرت مكه و نُقضت الكعبه و شربت خلفاؤه و القائمون مقامه و المنتصبون فى منصب النبوه الخمورَ و ارتكبوا الفجور، كما جرى ليزيد بن معاويه و ليزيد بن عاتكه و للوليد بن يزيد؛ و أريقَت الدماءُ الحرامُ و قُتل المسلمون و سُبى الحریم و استُعبد أبناءُ المهاجرين و الأنصار و نُقش على أيديهم كما يُنقش على أيدي الروم و ذلك فى خلافه عبد الملك و إمره الحجاج. و إذا تأملت كتب التواريخ و جدت الخمسين الثانية شراً كلها لا خير فيها و لا فى رؤسائها و أمرائها، و الناس برؤسائهم و أمرائهم؛ و القرنُ خمسون سنه فكيف يصحَّ هذا الخبر.

قال: فأما ما ورد فى القرآن من قوله تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ»، (١) و

ص: ٢٨٢

١- .الفتح، ١٨.

قوله: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ» (١) و قول النبي : إِنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ...؛ إِنْ كَانَ الْخَبْرُ صَحِيحاً فَكَلَّهَ مَشْرُوطٌ بِسَلَامِهِ الْعَاقِبَةِ، وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْبَرَ الْحَكِيمَ مَكْلَافاً غَيْرَ مَعْصُومٍ بِأَنَّهُ لَا عِقَابَ عَلَيْهِ فَلَيفْعَلْ مَا شَاءَ.

قال هذا المتكلم: و مَنْ أَنْصَفَ وَ تَأَمَّلَ أحوالَ الصَّحَابَةِ وَ جَدَّهَمِ مِثْلَنَا، يَجُوزُ عَلَيْهِمَ مَا يَجُوزُ عَلَيْنَا، وَ لَا فَرْقَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ إِلَّا بِالصَّحْبَةِ لَا غَيْرَ، فَإِنَّ لَهَا مَنْزِلَةً وَ شَرَفاً وَ لَكِنْ لَا إِلَى حَدٍّ يَمْتَنِعُ عَلَى كُلِّ مَنْ رَأَى الرَّسُولَ أَوْ صَحْبَهُ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَخْطِئَ وَ يَزِلَّ؛ وَ لَوْ كَانَ هَذَا صَحِيحاً مَا احتاجت عَائِشَةُ إِلَى نَزُولِ بَرَاءَتِهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ، بَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ يَعْلَمُ كَذِبَ أَهْلِ الْإِفْكِ، لِأَنَّهَا زَوْجَتُهُ، وَ صَحْبَتُهَا لَهُ آكَدُ مِنْ صَحْبِهِ غَيْرِهَا.

وَ صَيْفَوَانِ بْنِ الْمَعْطَلِ أَيْضاً كَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَلَّا يَضِيقَ صَدْرُ رَسُولِ اللَّهِ وَ لَا يَحْمِلُ ذَلِكَ الْهَمَّ وَ الْغَمَّ الشَّدِيدَيْنِ اللَّذَيْنِ حَمَلَهُمَا وَ يَقُولُ: صَفْوَانِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَ عَائِشَةُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَ الْمَعْصِيَةُ عَلَيْهِمَا مَمْتَنَعَةٌ.

وَ أمثالُ هَذَا كَثِيرٌ وَ أَكْثَرُ مِنَ الْكَثِيرِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقْرَى أحوالَ الْقَوْمِ. وَ قَدْ كَانَ التَّابِعُونَ يَسْلُكُونَ بِالصَّحَابَةِ هَذَا الْمَسْلُوكَ، وَ يَقُولُونَ فِي الْعَصَاهِ مِنْهُمْ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ، وَ إِنَّمَا اتَّخَذَهُمُ الْعَامَّةُ أَرْبَاباً بَعْدَ ذَلِكَ.

قال: وَ مَنْ الَّذِي يَجْتَرِئُ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ لَا تَجُوزُ الْبَرَاءَةُ

مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ إِنْ أَسَاءَ وَ عَصَى، بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِلَّذِي شَرَّفُوا بِرُؤْيَيْتِهِ: «لَيْسَ أَشْرَكَكَ لِيَجْبَطَنَّ عَمَّا كَفَرَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (٢) بَعْدَ قَوْلِهِ: «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ

ص: ٢٨٣

١- . الفتح، ٢٩.

٢- . الزمر، ٦٥.

عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (١) و بعد قوله: «فَأَحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» (٢) إِلَّا مَنْ لَا فَهْمَ لَهُ وَ لَا نَظَرَ مَعَهُ وَ لَا تَمَيَّزَ عِنْدَهُ.

قال: و مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ وَ طَعَنَ بَعْضَهُمْ فِي بَعْضٍ وَ رَدَّ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ مَا رَدَّ بِهِ التَّابِعُونَ عَلَيْهِمْ وَ اعْتَرَضُوا بِهِ أَقْوَالَهُمْ وَ اخْتِلَافِ التَّابِعِينَ أَيْضاً فِيمَا بَيْنَهُمْ وَ قَدَحَ بَعْضَهُمْ فِي بَعْضٍ، فَلْيَنْظُرْ فِي كِتَابِ النَّظَامِ، قَالَ الْجَا حِظُّ: كَانَ النَّظَامُ أَشَدَّ النَّاسِ إِنْكَاراً عَلَى الرَّافِضَةِ لَطَعْنَهُمْ عَلَى الصَّحَابَةِ، حَتَّى إِذَا ذَكَرَ الْفُتَيَا وَ تَنَقَّلَ الصَّحَابَةَ فِيهَا، وَ قَضَايَاهُمْ بِالْأُمُورِ الْمُخْتَلَفَةِ وَ قَوْلٍ مِنْ اسْتَعْمَلَ الرَّأْيَ فِي دِينِ اللَّهِ، انْتَضَمَ مَطَاعِنَ الرَّافِضَةِ وَ غَيْرَهَا وَ زَادَ عَلَيْهَا، وَ قَالَ فِي الصَّحَابَةِ أَوْعَافَ قَوْلِهَا.

قال: و قَالَ بَعْضُ رُؤَسَاءِ الْمُعْتَزَلَةِ: غَلَطُ أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْأَحْكَامِ عَظِيمٌ، لِأَنَّهُ أَضَلَّ خَلْقاً؛ وَ غَلَطُ حَمَّادٍ (٣) أَعْظَمُ مِنْ غَلَطِ أَبِي حَنِيفَةَ، لِأَنَّ حَمَّاداً أَضَلُّ أَبِي حَنِيفَةَ الَّذِي مِنْهُ تَفَرَّعَ؛ وَ غَلَطُ إِبْرَاهِيمِ أَغْلَظُ وَ أَعْظَمُ مِنْ غَلَطِ

حماد، لأنه أصل حماد؛ و غلط علقمه (٤) و الأسود (٥) أعظم من غلط إبراهيم، لأنهما أصله الذي عليه اعتمد؛ و غلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعاً، لأنه أول من بدّر إلى وضع الأديان برأيه، و هو الذي قال: أقول فيها برأى، فإن يكن صواباً فمن الله، و إن يكن خطأً فمَنى.

ص: ٢٨٤

١- . الزمر، ٦٥.

٢- . ص، ٢٦.

٣- . حماد هو حماد بن أبي سليمان.

٤- . علقمه بن قيس.

٥- . الأسود بن يزيد.

قال: واستأذن أصحاب الحديث على ثمامه (١) بخراسان، حيث كان مع الرّشيد بن المهديّ، فسأله كتابه الذي صنّفه على أبي حنيفة في اجتهاد الرأى، فقال: لست على أبي حنيفة، كتبت ذلك الكتاب، وإنّما كتبتّه على علقمه والأسود و عبد الله بن مسعود، لأنهم الذين قالوا بالرأى قبل أبي حنيفة.

قال: و كان بعض المعتزله أيضاً إذا ذكر ابن عباس استصغره و قال: صاحبُ الذؤابه يقول في دين الله برأيه.

و ذكر الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب التوحيد: أنّ أبا هريره ليس بثقه في الروايه عن رسول الله ، قال: و لم يكن على عليه السلام يوثقه في الرّوايه، بل يتهمه و يقدح فيه، و كذلك عمر و عائشه.

و كان الجاحظ يفسق عمر بن عبد العزيز و يستهزئ به و يكفره، و عمر بن العزيز و إن لم يكن من الصحابه فأكثر العامه يرى له من الفضل ما يراه لواحد من الصّحابه.

و كيف يجوز أن نحكم حكماً جزماً أنّ كلّ واحد من الصحابه عدلٌ، و من جمله الصحابه الحكم بن أبي العاص، و كفاك به عدواً مبغضاً لرسول الله . و من الصحابه الوليد بن عقبه، الفاسق بنص الكتاب. و منهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دوله معاويه؛ و بس - بن أبي أرطاه عدو الله و عدو رسوله. و في الصحابه كثيرٌ من المنافقين لا يعرفهم الناس. و قال كثيرٌ من المسلمين: مات رسول الله و لم يعرفه الله سبحانه كلّ المنافقين بأعيانهم، و إنّما كان يعرف قوماً منهم، و لم يعلم بهم أحداً، إلّا حذيفه فيما زعموا؛ فكيف يجوز أن نحكم حكماً جزماً أنّ

ص: ٢٨٥

١- . ثمامه بن أشرس.

كُلِّ واحدٍ مِّمَّنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ أَوْ رَأَاهُ أَوْ عَاصَرَهُ عَدْلٌ مَأْمُونٌ، لَا يَقَعُ مِنْهُ خَطَأٌ وَلَا مَعْصِيَةٌ، وَمَنْ الَّذِي يُمَكِّنُهُ أَنْ يَتَحَجَّرَ وَاسِعاً كَهَذَا التَّحَجَّرِ، أَوْ يَحْكُمَ هَذَا الْحَكْمَ.

قال: و العجب من الحشويّه و أصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء و يثبتون أنهم عصوا الله تعالى، و يُنكرون على مَنْ ينكر ذلك و يطعنون فيه و يقولون: قَدَرِيّ معتزليّ، و ربما قالوا: ملحدٌ مخالفٌ لنصّ الكتاب؛ و قد رأينا منهم الواحد و المائه و الألف يُجادل في هذا الباب، فتارةً يقولون: إنّ يوسف قعد من امرأه العزيز مقعد الرجل من المرأه، و تارةً يقولون: إنّ داود قتل أوريا لينكح امرأته، و تارةً يقولون: إنّ رسول الله كان كافراً ضالّاً قبل النبوه، و ربما ذكروا زينب بنت جحش و قصه الفداء يوم بدر.

فأما قدحهم في آدم عليه السلام و إثباتهم معصيته، و مناظرتهم مَنْ يذكر ذلك، فهو دأبهم و ديدنهم، فإذا تكلم واحد في عمرو بن العاص أو في معاويه و أمثالهما و نسبهم إلى المعصيه و فعل القبيح احمزت وجوههم و طالت

أعناقهم و تخازرت أعينهم و قالوا: مبتدع رافضي يسب الصحابه و يشتم السلف. فإن قالوا: إنّما اتبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب، قيل لهم: فاتبعوا في البراءه من جميع العصاه نصوص الكتاب، فإنه تعالى قال: «لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» (١) و قال: «فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» (٢) و قال:

ص: ٢٨٦

١- . المجادله، ٥.

٢- . الحجرات، ٩.

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ».(١)

ثم يسألون عن بيعه على عليه السلام : هل هي صحيحة لازمه لكل الناس؟ فلا بد من بلى . فيقال لهم: فإذا خرج على الإمام الحق خارجاً أليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة؟ فهل يكون هذا القتال إلا البراءة التي نذكرها؟ لأنه لا فرق بين الأمرين، وإنما برئنا منهم لأننا لسنا في زمانهم فيمكننا أن نقاتل بأيدينا، فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم و نلعنهم، و ليكون ذلك عوضاً عن القتال الذى لا سبيل لنا إليه.

قال هذا المتكلم: على أن النظام و أصحابه ذهبوا إلى أنه لا حجة فى الإجماع، و أنه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ و المعصية و على الفسق بل على الردء، و له كتاب موضوع فى الإجماع يطعن فيه فى أدله الفقهاء و يقول: إنها ألفاظ غير صريحة فى كون الإجماع حجة، نحو

قوله: «جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا»،(٢) و قوله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ»،(٣) و قوله: «وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ».(٤)

و أما الخبر الذى صورته: «لا- تجتمع أمتى على الخطأ»، فخبير واحد، و أمثل دليل للفقهاء قولهم: إن الهمم المختلفه و الآراء المتباينه إذا كان أربابها كثيره عظيمه، فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطأ؛ و هذا باطل باليهود و النصارى و غيرهم من فرق الضلال.

هذه خلاصه ما كان النقيب أبو جعفر علقه بخطه من الجزء الذى أقرناه.

و نحن نقول:

ص: ٢٨٧

١- . النساء، ٥٩.

٢- . البقره، ١٤٣.

٣- . آل عمران، ١١٠.

٤- . النساء، ١١٥.

أمّا إجماع المسلمين فحجّه، ولسنا نرتضى ما ذكره عنّا من أنّه أمثل دليل لنا: أنّ الهمم المختلفه والآراء المتباينه يستحيل أن تتفق على غير الصواب؛ و من نظر في كُتُبنا الأصوليه علم وثاقه أدلّتنا على صحّه الإجماع و كونه صواباً، و حجه تحريم مخالفته؛ و قد تكلمت في «اعتبار الذريعه للمرتضى» على ما طعن به المرتضى في أدله الإجماع.

و أمّا ما ذكره من الهجوم على دار فاطمه و جمع الحُطب لتحريقها، فهو خبرٌ واحدٍ غير موثوق به و لا- معول عليه في حقّ الصحابه، بل و لا في حقّ أحدٍ من المسلمين ممّن ظهرت عدالتّه.

و أمّا عائشه و الزبير و طلحه فمذهبنّا أنّهم أخطئوا ثمّ تابوا، و أنّهم من أهل الجنه، و أنّ عليّاً عليه السلام شهد لهم بالجنه بعد حرب الجمل.

و أمّا طعنُ الصحابه بعضهم في بعض، فإنّ الخلاف الذي كان بينهم في

مسائل الإجتهد لا يوجب إثماً؛ لأنّ كلّ مجتهدٍ مصيبٌ، و هذا أمرٌ مذكور في كتب أصول الفقه. و ما كان من الخلاف خارجاً عن ذلك فالكثير من الأخبار الوارده فيه غيرٌ موثوق بها، و ما جاء من جهه صحيحه نظر فيه و رجح جانب أحد الصحابيين على قدر منزلته في الإسلام كما يُروى عن عمر و أبي هريره.

فأمّا على عليه السلام فإنّه عندنا بمنزله الرسول في تصويب قوله و الاحتجاج بفعله و وجوب طاعته، و متى صح عنه أنه قد برئ من أحدٍ من الناس برئنا منه كائنا من كان، و لكنّ الشأن في تصحيح ما يُروى عنه عليه السلام فقد أكثر الكذب عليه، و ولدت العصبية أحاديثاً لا أصل لها.

فأمّا براءته عليه السلام من المغيره و عمرو بن العاص و معاويه فهو عندنا معلومٌ جارٍ مجرى الأخبار المتواتره، فلذلك لا يتولّاهم أصحابنا، و لا يُثنون عليهم،

و هم عند المعتزله فى مقام غير محمود، و حاش لله أن يكون عليه السلام ذكر من سلف من شيوخ المهاجرين إلاً بالجميل و الذكر الحسن بموجب ما تقتضيه رئاسته فى الدين و إخلاصه فى طاعه رب العالمين. و من أحب تشع ما روى عنه ممّا يوهم فى الظاهر خلاف ذلك فليراجع هذا الكتاب أعنى شرح نهج البلاغه، فإننا لم نترك موضعاً يوهم خلاف مذهبنا إلاً و أوضحناه و فسّرناه على وجه يوافق الحق و بالله التوفيق. (١)

أقول: و فى كلام الحديدى مواقع للنظر، تقدم بعض منها فى الفصل الرابع حول الهجوم على بيت فاطمه عليها السلام و إقراره بوقوع قصه الهجوم إجمالاً، و سيذكر إن شاء الله فى هذا

الفصل بعض آخر حول توبه عائشه و أعوانها؛ و نقول فى هذا المجال:

أمّا حجيه الإجماع فيها - بعد الغض عما ذكر - فى ردّ أصله - أنه مختص بالأحكام الشرعيه الفرعيه دون الأصول و ما نُصّ على عدم دخل المكلفين فى ردّه أو قبوله كمسأله الإمامه، و ذلك مقتضى قوله تعالى: «و ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاًّ مُّبِيناً». (٢) و نقل هنا كلاماً من ابن حجر دالماً على تصريح النبى بعدم مشروعيه دخاله غير الله فى الإمامه حتى هو بنفسه مع علوّ مرتبته، قال ابن حجر: «و مما يذكر بالإعجاب و الفخر لبنى الإسلام أنه صلّى الله عليه و سلم عرض الإسلام على بنى عامر بن صعصعه، و ذلك قبل الهجره، و قبل أن تقوم للدين شوكة، فقال كبيرهم: أ رأيت إن نحن تابعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أ يكون لنا الأمر من بعدك، فأجابه صلّى الله عليه و سلم بتلك الكلمه الحكيمه الخالده: «الأمر لله يضعه حيث يشاء». فقال له كبيرهم: أفتهدف نحورنا

ص: ٢٨٩

١- شرح الحديدى، ج ٢٠، ص ١٠، (مصر) و ص ٢٦٧، (الأعلمى).

٢- الأحزاب، ٣٦.

للرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا لا حاجه لنا بأمرك».(١)

على أنه بعد التنزل عن هذا الكبرى المسلم أعنى عدم مشروعيه دخاله الناس فى تعيين الإمام، فأين الإجماع بمعناه

الواقعى فى تعيين أبى بكر؟! هذا على عليه السلام بايع كرهاً بعد مده، و هكذا جمع من الصحابه ممن يعتنى بأرائهم.

و أما عدُّ الحديدى طعنَ الصحابه بعضهم فى بعض من جمله المسائل الإجتهايه، فهو كما ترى، إذ الإجتهد المعذور مخالفته مختص بالأحكام الشرعيه الفرعيه لا الموضوعات الخارجيه الجوارحيه كالسبّ و الفحش؛ فلو كان التكلمات اليوميه من المسائل الإجتهاديه فلا- يُعص الله بالكذب غالباً، حيث يرى كلُّ من الكاذبين و السابين أنه على حقّ، و حقيق له أن يتكلم على صاحبه هكذا؛ و لذا تتبّه القرآن الحكيم غير مرّه على أنّ الشيطان زين الذنوب ليرتكبها الناس و لا سيّما المؤمنين بسهولة، قال جل إسمه: «و زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».(٢)

٣- قصة وضع الحديث

قسّم الإمام عليه السلام فى خطبه ٢٠٣ الأحاديث المنسوبه إلى النبى إلى الصحيح و السقيم و قال: «إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَ بَاطِلًا وَ صِدْقًا وَ كَذِبًا وَ نَاسِخًا وَ مُنْشُوخًا وَ عَامًّا وَ خَاصًّا وَ مُحْكَمًا وَ مُتَشَابِهًا وَ حِفْظًا وَ وَهْمًا». و لذا تصدى الحديدى للبحث عن قصه وضع الأحاديث حول فضائل الصحابه، فإليك نصّ كلامه المفصّل:

و اعلم أنّ هذا التقسيم صحيح، و قد كان فى أيام الرّسول منافقون و بقوا

بعده، و ليس يمكن أن يقال: إنّ النفاق مات بموته.

ص: ٢٩٠

١- .الإصابة، ج ١، ص ٥٢.

٢- . الأنعام، ٤٣.

و السبب فى استتار حالهم بعده أنه كان لا يزال يذكرهم بما ينزل عليه من القرآن، فإنه مشحون بذكرهم؛ ألا ترى أن أكثر ما نزل بالمدينه من القرآن مملوءٌ بذكر المنافقين، فكان السبب فى انتشار ذكرهم و أحوالهم و حركاتهم هو القرآن، فلما انقطع الوحى بموته لم يبق من يعنى عليهم سقطاتهم و يوبخهم على أعمالهم، و يأمر بالحدز منهم و يجاهرهم تارةً و يجاملهم تارةً، و صار المتولى للأمر بعده يحمل الناس كلهم على كاهل المجامله و يعاملهم بالظاهر، و هو الواجب فى حكم ال-شرع و السياسه الدنيويه بخلاف حال الرسول، فإنه كان تكليفه معهم غير هذا التكليف. ألا ترى أنه قيل له: «و لا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا»؛ (١) فهذا يدل على أنه كان يعرفهم بأعيانهم، و إنما كان النهى له عن الصلاه عليهم تكليف ما لا يُطاق؛ و الوالى بعده لا يعرفهم بأعيانهم، فليس مخاطباً بما خوطب به فى أمرهم؛ و لسكوت الخلفاء عنهم بعده خمل ذكرهم. فكان قصارى أمر المنافق أن يس-ر ما فى قلبه، و يعامل المسلمين بظاهره و يعاملونه بحسب ذلك.

ثم فُتحت عليهم البلاد و كثرت الغنائم، فاشتغلوا بها عن الحركات التى كانوا يعتمدونها أيام رسول الله، و بعثهم الخلفاء مع الأمراء إلى بلاد فارس و الروم، فألهتهم الدنيا عن الأمور التى كانت تُنقم منهم فى حياه رسول الله، و منهم من استقام اعتقاده و خلصت نيته، لما رأوا الفتوح و إلقاء الدنيا أفلاذ كبدها من الأموال العظيمة و الكنوز الجليله إليهم، فقالوا: لو لم يكن هذا الدين حقاً لَمَا وصلنا إلى ما وصلنا إليه.

و بالجمله لَمَا تَرَكَوا تُرِكَوا، و حيث سُكِّت عنهم سَكَّتوا عن الإسلام و

ص: ٢٩١

أهله، إلا في دسيسه خفيته يعملونها، نحو الكذب الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فإنه خالط الحديث كذباً كثيراً صدر عن قوم غير صحيحي العقيدة، قصدوا به الإضلالَ و تخييطَ القلوب و العقائد، و قصد به بعضهم التَّنويه بذكر قوم كان لهم في التَّنويه بذكرهم غرض دنيوي. و قد قيل: إنه أفتعل في أيام معاوية خاصه حديث كثير على هذا الوجه، و لم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث عن هذا، بل ذكروا كثيراً من هذه الأحاديث الموضوعه، و بينوا وضعها و أن رواها غير موثوق بهم؛ إلا أن المحدثين إنما يطعنون فيما دون طبقه الصحابه، و لا يتجاسرون في الطعن على أحد من الصحابه؛ لأن عليه لفظ «الصحبه». على أنهم قد طعنوا في قوم لهم صحبه كبسر بن أرطاه و غيره.

فإن قلت: من هم أئمة الضلاله الذين يتقرب إليهم المنافقون، الذين رأوا رسول الله، و صحبه للزور و البهتان. و هل هذا إلا تصريح بما تذكره الإماميه و تعتقده؟

قلت: ليس الأمر كما ظننت و ظنوا، و إنما يعنى معاويه و عمرو بن العاص و من شايعهما على الضلال.

كالخبر الذي رواه من رواه في حق معاويه: «اللهم قه العذاب و الحساب و علمه الكتاب». و كروايه عمرو بن العاص تقرباً إلى قلب معاويه: «إن آل أبي طالب ليسوا لى بأولياء، إنما «وَلِيِّيَ اللَّهُ .. وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»». و كروايه قوم في أيام معاويه أخباراً كثيره من فضائل عثمان تقرباً إلى معاويه بها. و لسنا نجحد فضل عثمان و سابقته، و لكننا نعلم أن بعض الأخبار الوارده فيه موضوع؛ كخبر عمرو بن مره فيه و

هو مشهور و عمرو بن مره ممن له صحبه و هو شامي.

و ليس يجب من قولنا: «إنَّ بعض الأخبار الواردة في حق شخص فاضل مفتعله» أن تكون قاده في فضل ذلك الفاضل؛ فإننا مع اعتقادنا أنَّ علياً أفضل الناس، نعتقد أنَّ بعض الأخبار الواردة في فضائله مفتعل و مختلق.

و قد روى: أنَّ أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: «يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا، و تظاهرهم علينا، و ما لقي شيعتنا و محبوبنا من الناس، إنَّ رسول الله قبض و قد أخبر: أننا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، و احتجَّت على الأنصار بحقنا و حجتنا؛ ثم تداولتها قريش واحداً بعد واحد، حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا و نصبت الحرب لنا؛ و لم يزل صاحب الأمر في صعود كئود، حتى قُتل، فبويع الحسن ابنه و عوهد ثم غدر به، و أسلم، و وثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، و نهبت عسكره، و عولجت خلاليل أمهات أولاده، فوادع معاويه و حقن دمه و دماء أهل بيته، و هم قليل حق قليل. ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق ع-شرون ألفاً، ثم غدروا به و خرجوا عليه و بيعته في أعناقهم، و قتلوه. ثم لم نزل - أهل البيت - نُستدلُّ و نُستضام، و نقصى و نمتهن و نحرمت و نقتل و نخاف و لا نأمن على دماننا و دمنا أوليائنا؛ و وجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم و جحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، و قضاه السوء و عمال السوء في كلِّ بلده، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعه المكذوبه و رووا عننا ما لم نقله و ما لم نفعله، لئيبغضونا إلى الناس؛ و كان عظيم ذلك و كبره زمن معاويه بعد موت الحسن عليه السلام؛ فقتلت شيعتنا بكلِّ

بلده، و قطعت الأيدي و الأرجل على الظنّه، و كان من يذكر بحبنا و الإنقطاع إلينا سيجن أو نهب ماله أو هدمت داره؛ ثم لم يزل البلاء يشتدُّ و يزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد

قاتل الحسين عليه السلام . ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلته، و أخذهم بكل ظنه و تهمه، حتى أن الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحب إليه من أن يقال: شيعه عليّ. و حتى صار الرجل الذي يذكر بالخير - و لعله يكون ورعاً صدوقاً - يحدث بأحاديث عظيمه عجيبه من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، و لم يخلق الله تعالى شيئاً منها، و لا كانت و لا وقعت و هو يحسب أنها حق أكثره من قد رواها ممن لم يعرف بكذب و لا بقله ورع.

و روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب «الأحداث» قال:

كتب معاويه نسخه واحده إلى عماله بعد عام الجماعة: (١) أن برئت الذمه ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب و أهل بيته.

فقامت الخطباء في كل كوره و على كل منبر يلعنون علياً و يبرءون منه و يقعون فيه و في أهل بيته. و كان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفه، لكثرة من بها من شيعه علي عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سميه، و ضم إليه البصره، فكان يتبع الشيعه و هو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام ؛ فقتلهم تحت كل حجر و مدر، و أخافهم و قطع الأيدي و الأرجل، و سمل العيون و صلبهم علي جذوع النخل، و طردهم و شردهم عن العراق،

فلم يبق بها معروف منهم.

و كتب معاويه إلى عماله في جميع الآفاق: «ألما يجيزوا لأحد من شيعه علي و أهل بيته شهادة». و كتب إليهم: «أن انظروا من قبلكم من شيعه عثمان و محبيه و أهل ولايته و الذين يروون فضائله و مناقبه، فادنوا مجالسهم و

ص: ٢٩٤

١- . عام الجماعة: هو العام الذي استلم فيه معاويه مقاليد الحكم، و كان ذلك إبان صلح الحسن عليه السلام .

قربوهم و أكرمهم و اكتبوا لى بكل ما يروى كل رجل منهم و اسمه و اسم أبيه و عشيرته».

ففعّلوا ذلك، حتى أكثروا فى فضائل عثمان و مناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاويه من الصّلات و الكساء و الحباء و القطائع، و يفيضه فى العرب منهم و الموالى؛ فكثر ذلك فى كل مصر، و تنافسوا فى المنازل و الدنيا، فليس يجىء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاويه، فيروى فى عثمان فضيلته أو منقبه إلا كتب اسمه و قربه و شفّعه؛ فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله: «أنّ الحديث فى عثمان قد كثر و فشا فى كل م-صر و فى كل وجه و ناحيه، فإذا جاءكم كتابى هذا فادعوا الناس إلى الزوايه فى فضائل الصّحابه و الخلفاء الأوّلين، و لا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب إلّا و تأتوني بمناقض له فى الصّحابه، فإنّ هذا أحبّ إلىّ و أفزّ لعينى، و أدحضّ لحجّج أبى تراب و شيعته، و أشدّ عليهم من مناقب عثمان و فضله».

فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيره فى مناقب الصّحابه مفتعله لا- حقيقه لها؛ و جدّ الناس فى روايه ما يجرى هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، و ألقى إلى معلّمى الكتاتيب، فعلموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه و تعلّموه كما يتعلّمون القرآن، و حتى علّموه بناتهم و نساءهم و خدمهم و حشمهم، فلبثوا بذلك

ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخه واحده إلى جميع البلدان: «انظروا من قامت عليه اليئنه أنّه يحبّ عليّاً و أهل بيته، فامحوه من الديوان، و أسقطوا عطاءه و رزقه». و شفّع ذلك بنسخه أخرى: «من اتهمتموه بموالاه هؤلاء القوم، فنكّلوا به و أهدموا داره». فلم يكن البلاء أشدّ و لا أكثر منه بالعراق و لا

ص: ٢٩٥

سيما بالكوفه حتى أن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته فيلقى إليه سره، و يخاف من خادمه و مملوكه، و لا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظه ليكتمن عليه. فظهر حديث كثيرٌ موضوع و بهتان منتشر، و مضى على ذلك الفقهاء و القضاة و الولاة، و كان أعظم الناس في ذلك بليته القراء المراءون، و المستضعفون، الذين يُظهرون الخشوع و التُّسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولايتهم و يقربوا مجالسهم و يصيبوا به الأموال و الضياع و المنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار و الأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب و البهتان، فقبلوها و رووها و هم يظنون أنها حق؛ و لو علموا أنها باطله لما رووها و لا تدنوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي، فزاد البلاء و الفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا و هو خائف على دمه أو طريد في الأرض.

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، و ولى عبد الملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، و ولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل التُّسك و الصلاح و الدين ببغض علي و موالاته أعدائه و موالاته من يدعى من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الروايه في فضلهم و سوابقهم و

مناقبهم، و أكثروا من الغص من علي عليه السلام و عيبه و الطعن فيه و الشنآن له، حتى إن إنساناً وقف للحجاج - و يقال: إنه جد الأصمعي عبد الملك بن قُريب - فصاح به: أيها الأمير، إن أهلي عقوني فسموني علياً، و إنني فقيرٌ بائس، و أنا إلى صله الأمير محتاج. فتضحك له الحجاج و قال: للطف ما توصلت به قد وليتكم موضع كذا.

و قد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه - و هو من أكابر المحدثين و

أعلامهم - فى تاريخه ما يناسب هذا الخبر و قال: إن أكثر الأحاديث الموضوعه فى فضائل الصحابه أفتعلت فى أيام بنى أميه تقرّباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم.

قلت: و لا يلزم من هذا أن يكون على عليه السلام يسوءه أن يذكر الصحابه و المتقدمون عليه بالخير و الفضل، إلا أن معاويه و بنى أميه كانوا يبنون الأمر من هذا على ما يظنونه فى على عليه السلام من أنه عدو من تقدم عليه. و لم يكن الأمر فى الحقيقه كما يظنونه، و لكنّه كان يرى أنه أفضل منهم، و أنهم استأثروا عليه بالخلافه، من غير تفسيق منه لهم و لا براءه منهم.

فأما قوله عليه السلام: «و رجل سمع من رسول الله شيئاً و لم يحفظه على وجهه فوهم فيه» فقد وقع ذلك.

و قال أصحابنا فى الخبر الذى رواه عبد الله بن عمر: «أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»: إن ابن عباس لما روى له هذا الخبر قال: ذهل ابن عمر، إنما مرّ رسول الله على قبر يهودى فقال: إن أهله ليكون عليه و إنه ليعذب.

و قالوا أيضاً: إن عائشه أنكرت ذلك و قالت: ذهل أبو عبد الرحمن كما

ذهل فى خبر قليب بدر، (1) إنما قال عليه السلام: إنهم ليكون عليه و إنه ليعذب بجرمه.

قالوا: و موضع غلظه فى خبر القليب أنه روى أن النبى وقف على قليب بدر فقال: «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟». ثم قال: «إنهم يسمعون ما أقول لهم». فأنكرت عائشه ذلك و قالت: إنما قال إنهم يعلمون أن الذى

ص: ٢٩٧

١- . القليب: البئر؛ و قليب بدر هو الذى قُذف فيه من قُتل من قريش.

كُنْتُ أَقُولُهُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ وَاسْتَشْهَدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى» (١).

فَأَمَّا الرَّجُلُ الثَّلَاثُ وَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْمَنْسُوخَ وَ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسِخَ، فَقَدْ وَقَعَ كَثِيرًا؛ وَ كُتِبَ الْحَدِيثُ وَ الْفَقْهُ مَشْحُونَةً بِذَلِكَ، كَالَّذِينَ أَبَاحُوا لِحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ لِخَبْرِ رِوَايِهِ فِي ذَلِكَ وَ لَمْ يَرَوْا الْخَبَرَ النَّاسِخَ.

وَ أَمَّا الرَّجُلُ الرَّابِعُ فَهَمَّ الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

وَ أَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَ قَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الْكَلَامُ لَهُ وَجِهَانٌ» فَهَذَا دَاخِلٌ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي وَ غَيْرُ خَارِجٍ عَنْهُ، وَ لَكِنَّهُ كَالنَّوْعِ مِنَ الْجِنْسِ، لِأَنَّ الْوَهْمَ وَ الْغَلْطَ جِنْسٌ تَحْتَهُ أَنْوَاعٌ.

وَ اعْلَمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَخْصُوصًا مِنْ دُونَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِخُلُوتِ كَانِ يَخْلُو بِهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى مَا يَدُورُ بَيْنَهُمَا، وَ كَانَ كَثِيرَ السُّؤَالِ لِلنَّبِيِّ عَنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَ عَنْ مَعَانِي كَلَامِهِ، وَ إِذَا لَمْ يَسْأَلْ ابْتِدَاءً النَّبِيَّ بِالْتَّعْلِيمِ وَ التَّثْقِيفِ؛ وَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ كَذَلِكَ؛ بَلْ كَانُوا أَقْسَامًا: فَمِنْهُمْ مَنْ يَهَابُهُ أَنْ يَسْأَلَهُ، وَ هُمُ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ الطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ وَ هُمُ يَسْمَعُونَ؛

وَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ بَلِيدًا بَعِيدَ الْفَهْمِ قَلِيلَ الْهَمِّ فِي النَّظَرِ وَ الْبَحْثِ؛ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَشْغُولًا عَنِ طَلْبِ الْعِلْمِ وَ فَهْمِ الْمَعَانِي، إِمَّا بِعِبَادَةِ أَوْ دُنْيَا؛ وَ مِنْهُمْ الْمُقْلِدُ يَرَى أَنَّ فَرَضَهُ السُّكُوتَ وَ تَرْكُ السُّؤَالِ؛ وَ مِنْهُمْ الْمُبْغِضُ الشَّانِي الَّذِي لَيْسَ لِلدَّيْنِ عِنْدَهُ مِنَ الْمَوْقِعِ مَا يَضِيعُ وَقْتَهُ وَ زَمَانَهُ بِالسُّؤَالِ عَنِ دِقَائِقِهِ وَ غَوَامِضِهِ. وَ انْضَافَ إِلَى الْأَمْرِ الْخَاصِّ بَعْلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذِكَاؤُهُ وَ فِطْنَتُهُ وَ طَهَارَةُ طِينَتِهِ وَ إِشْرَاقُ نَفْسِهِ وَ ضَوْءُهَا؛ وَ إِذَا كَانَ الْمَحَلُّ قَابِلًا

ص: ٢٩٨

متتهيئاً كان الفاعل المؤثر موجوداً، و الموانع مرتفعه، حصل الأثر على أتم ما يُمكن. فلذلك كان عليّ عليه السلام كما قال الحسن البصرى: ربانيّ هذه الأمه و ذا فضلها. و لذا تسمّيه الفلاسفه: إمام الأئمه و حكيم العرب.

[فصل فيما وضع الشيعة و البكرية من الأحاديث]

و اعلم أنّ أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهه الشّيعه، فإنّهم وضعوا فى مبدأ الأمر أحاديث مختلفه فى صاحبهم. حملهم على وضعها عداوة خصومهم؛ نحو: حديث السطل و حديث الزّمانه و حديث غزوه البئر التى كان فيها الشياطين، و تعرف كما زعموا بذات العَلَم و حديث غَسَل سلمان الفارسى و طىّ الأرض و حديث الجمجمه و نحو ذلك.

فلما رأت البكريّة ما صنعت الشيعة، وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابله هذه الأحاديث، نحو: لو كنت متخذاً خليلاً، فإنّهم وضعوه فى مقابله حديث الإخاء؛ و نحو: سد الأبواب، فإنّه كان لعليّ عليه السلام فقلبته البكريّة إلى أبى بكر. و نحو: ايتونى بدواه و بياض أكتب فيه لأبى بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان، ثم قال: يابى الله تعالى و المسلمون إلّا أبابكر، فإنّهم وضعوه فى مقابله الحديث المروى عنه فى مرضه: ايتونى بدواه و

بياض أكتب لكم ما لا تضلون بعده أبداً، فاختلفوا عنده و قال قوم منهم: لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله. و نحو حديث: أنا راض عنك فهل أنت عنى راض؟ و نحو ذلك.

فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكريّة أوسعوا فى وضع الأحاديث، فوضعوا حديث الطوق الحديد الذى زعموا أنّه فتله فى عُتق خالد؛ و حديث اللّوح الذى زعموا أنّه كان فى غدائر الحنفيّه أمّ محمد؛ و حديث لا يفعلن خالد ما أمر به؛ و حديث الصحيفه التى علّقت عام الفتح بالكعبه؛ و

حديث الشيخ الذي سعد المنبر يوم بويج أبو بكر فسبق الناس إلى بيعته؛ و أحاديث مكذوبه كثيره تقتضى نفاق قوم من أكابر الصحابه و التابعين الأولين و كفرهم؛ و عليّ أدون الطبقات فيهم. فقابلتهم البكريه بمطاعن كثيره فى عليّ و فى ولديه، و نسبوه تارة إلى ضعف العقل و تارة إلى ضعف السياسه و تارة إلى حب الدنيا و الحرص عليها.

و لقد كان الفريقان فى غُنيه عمّا اكتسباه و اجترحاه. و لقد كان فى فضائل على عليه السلام الثابته الصحيحه، و فضائل أبى بكر المحققه المعلومه ما يغنى عن تكلف العصبية لهما؛ فإنّ العصبية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل، و من تعديد المحاسن إلى تعديد المساوى و المقابح. و نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الميل إلى الهوى و حب العصبية؛ و أن يجرينا على ما عودنا من حب الحق أين وجد و حيث كان؛ سخط ذلك من سخط، و رضى به من رضى، بمنه و لطفه. (١)

أقول: إن أكثر مقاله الحديدى فى هذا المقام صحيح و متين

إلّا مواضع من كلامه، و لنكتفى فى ردّها بما حققه المحقق البارع الميرزا الخوئى رحمه الله حيث قال: «و لقد أجاد الشارح فيما نقل و أفاد، إلّا أنّ ما قاله أخيراً فى ذيل قوله: و اعلم أنّ أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل إلى آخر كلامه غير خالٍ من الوهم و الخبط، و ذلك: أنا لا ننكر صدور بعض المفتريات و الأحاديث الموضوعه من غلاه الشيعة و جهّالهم و ممّا لا مبالاه له فى الدّين، كما صدر أكثر كثير من هذه من علماء العامه و جهّالهم و أكابرهم و أصاغرهم حسبما تعرفه فى التّنبيه الآتى إنشاء الله تعالى.

ص: ٣٠٠

١- . شرح الحديدى، ج ١١، ص ٤١، (مصر) و ص ٢٩، (الأعلمى).

لكن الأحاديث الخاصية التي أشار إليها بخصوصها من حديث السطل و الزمانه و غزوه الجنّ و غسل سلمان و الجمجمه و حديث الطوق و اللوح و الصحيفه الملعونه و الشيخ الّذى سبق إلى بيعه أبى بكر، لا دليل على وضع شىء منها، بل قد روى بعضها المخالف و الموافق جميعاً كحديث السطل.

فقد رواه السيد المحدّث الناقد البصير السيّد هاشم البحرانى فى كتاب غايه المرام فى الباب السابع و التسعين منه بأربعة طرق من طرق العامه، و فى الباب الثامن و التسعين منه بأربعة طرق من طرق الخاصه.

و قد روى حديث الزمانه أيضاً فى الباب السابع عشر و مائة منه بطريق واحد من طرق العامه، و فى الباب الذى يتلوه بطريق واحد أيضاً من طرق الخاصه.

و أمّا حديث غزوه الجنّ فقد مضى روايته فى شرح الفصل الثامن من الخطبه المأه و الإحدى و التسعين، و قد رواه الشيخ المفيد فى الإرشاد بنحو آخر. و لعلّ زعم الشارح وضعه مبنى على أصول المعتزله، و لقد أبطله المفيد فى الإرشاد؛ فإنّه بعد ما قال فى عداد ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام - و من ذلك ما تظاهر به الخبر من بعثه رسول الله إلى وادى الجنّ و قد أخبره جبرئيل عليه السلام أنّ طوايف منهم قد اجتمعوا لكيدته، فأغنى عن رسول الله و كفى الله المؤمنين به كيدهم و دفعهم عن المسلمين بقوته التى بان بها عن جماعتهم؛ ثم روى الحديث عن محمّد بن أبى السرى التميمى عن أحمد بن الفرج عن الحسن بن موسى النهدي عن أبيه عن ويره بن الحرث عن ابن عباس و ساق الحديث إلى آخره - قال ما هذا لفظه: (١)

و هذا الحديث قد روته العامه كما روته الخاصه، و لم يتناكروا شيئاً منه، و المعتزله لميلها إلى مذهب البراهمه تدفعه، و لبعدها عن معرفه الأخبار تنكره، و

ص: ٣٠١

١- . الإرشاد فى معرفه حجج الله على العباد، ج ١، ص ٣٣٩.

هى سالكه فى ذلك طريق الزنادقه فىما طعت به فى القرآن و ما تضمنه من أخبار الجنّ و إيمانهم بالله و رسوله و ما قصّ الله من نياهم فى القرآن فى سورة الجنّ و قولهم: «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ» إلى آخر ما تضمنه الخبر عنهم فى هذه

السوره. و إذا بطل اعتراض الزنادقه فى ذلك بتجويز العقول وجود الجنّ و إمكان تكليفهم و ثبوت ذلك مع إعجاز القرآن و الأعجوبه الباهره فيه كان مثل ذلك ظهور بطلان طعون المعتزله فى الخبر الذى رويناه، لعدم استحاله مضمونه فى العقول و فى مجيئه من طريقين مختلفين و بروايه فريقين فى دلالاته متباينين برهان صحته و ليس إنكار من عدل عن الإنصاف فى النظر من المعتزله و المجبّره قدح فىما ذكرناه من وجوب العمل عليه.

كما أنّه ليس فى جحد الملاحده و أصناف الزنادقه و اليهود و النصارى و المجوس و الصابئين ما جاء صحته من الأخبار بمعجزات النبى ، كانشقاق القمر و حنين الجذع و تسييح الحصى فى كفه و شكوى البعير و كلام الذراع و مجيئ الشجره و خروج الماء من بين أصابعه فى الميضاه و إطعام الخلق الكثير من الطعام القليل قدح فى صحته و صدق روايتها و ثبوت الحجّه بها.

بل الشبهه لهم فى دفع ذلك و إن ضعفت أقوى من شبهه منكرى معجزات أمير المؤمنين عليه السلام و براهينه، لما لا خفاء عليها و على أهل الإعتبار به مما لا حاجه إلى شرح وجوهه فى هذا المكان. ثمّ قال قدّس الله روحه بعد جملة من الكلام:

و لا زال أجد الجاهل من الناصبه و المعاند يظهر التعجّب من الخبر بملاقات أمير المؤمنين عليه السلام الجنّ و كفه شرهم عن النبى و أصحابه و يتضحك لذلك و ينسب الروايه له إلى

الخرافات الباطله، و يضع مثل ذلك فى الأخبار الوارده بسوى ذلك من معجزاته عليه السلام و يقول: إنه من موضوعات الشيعة و تحرّص من افتراه منهم للتكسب بذلك أو التعصّب.

و هذا بعينه مقال الزنادقة كآفه و أعداء الإسلام فيما نطق به القرآن من خبر الجنّ و إسلامهم فى قوله تعالى: «إِنَّا سَجِغْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ» (١) و فيما ثبت به الخبر عن ابن مسعود فى قصّه ليله الجنّ و مشاهدته لهم كالزّط، و فى غير ذلك من معجزات الرّسول ، و أنّهم يظهرون التعجّب من جميع ذلك و يتضحكون عند سماع الخبر به و الإحتجاج بصحّته و يستهزؤون و يلغظون (٢) فيما يسرفون به من سبّ الإسلام و أهله و استحماق معتقديه و الناصرين له و نسبتهم إياهم إلى العجز و الجهل و وضع الأباطيل.

فلينظر القوم ما جنوه على الإسلام بعداوتهم لأمر المؤمنين عليه السلام و اعتمادهم فى دفع فضائله و مناقبه و آياته على ما ضاهوا به أصناف الزنادقة و الكفّار ممّا يخرج عن طريق الحجاج إلى أبواب الشغب و المسافهات، إنتهى كلامه رفع مقامه.

و بذلك كلّ ظهر أيضاً فساد زعم و وضع حديث بيعه الشيطان لأبى بكر و ظهوره بصوره شيخ و صعوده المنبر و

سبّته إلى البيعه حسبما عرفت روايته تفصيلاً فى المقدّمه الثانيه من مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشّقشقيّه.

إذ الظاهر أنّ زعم و وضعه أيضاً مبنى على استبعاد ظهوره بصوره إنسان، و يدفع ذلك ما اجتمع عليه أهل القبله من ظهوره لأهل دار التّيدوه بصوره شيخ من أهل نجد و اجتماعه معهم فى الرّأى على المكر برسول الله و ظهوره يوم بدر للمشركين فى صورته سراقه بن جعثم «جعشم» المدلجى و قوله «لا- غالب لكم اليوم من الناس و إننى جار لكم» قال الله عزّ و جلّ: «فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَ قَالَ إِنِّى بَرىءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أرى ما لا ترونَ إِنِّى أَخافُ اللهَ وَ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (٣).

ص: ٣٠٣

١- . الجن، ١ و ٢.

٢- . لغط فى الكلام: قال ما لا يفهم معناه.

٣- . الأنفال، ٤٨.

و أما ساير الأحاديث فلا استبعاد بشىء منها حتى يزعم وضعها، و قد أتى آصف بن برخيا الذى عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس بطى الأرض من مكان بعيد فى طرفه عين، فكيف يستبعد فى حق أمير المؤمنين عليه السلام الذى عنده علم الكتاب كله حسبما عرفت فى غير موضع من تضاعيف الشرح حضوره عليه السلام بطى الأرض عند جنازه سلمان مع اختصاصه الخاص به عليه السلام و فوزه درجه السلطان من أهل البيت. و قد قال عليه السلام و هو أصدق القائلين فى حال حياته ما رواه عنه المخالف و المؤلف:

يا حار همدان من يمى يرنى من مؤم-ن أو من --افق

قُب--لا

و بالجمله، فالأخبار المذكوره ليس على وضعها دليل من جهه العقل و لا من جهه النقل، فدعواه مكابره محضه. فبالله التوفيق و عليه التكلان».(1)

٤- دور الصحابه فى تجهيز النبى

أورد الحديدى فى ذيل خطبه ١٩٠ ما جرى بعد ارتحال النبى و دور الصحابه فى تغسيله و تدفينه، قال:

قد اختلفت الروايه فى موته. فأنكر عمر ذلك و قال: إنه لم يمى و إنه غاب و سيعود. فثناه أبو بكر عن هذا القول و تلا عليه الآيات المتضمنه أنه سيموت، فرجع إلى قوله.

ثم اختلفوا فى موضع دفنه، فرأى قوم أن يدفنوه بمكه لأنها مسقط رأسه. و قال من قال: بل بالمدينه، ندفنه بالبقيع عند شهداء أحد. ثم اتفقوا على

ص: ٣٠٤

دفنه في البيت الذي قبض فيه، و صلوا عليه إرسالاً، لا يؤمهم أحد.

وقيل: إنَّ علياً عليه السلام أشار بذلك، فقبلوه.

و أنا أعجب من ذلك، لأنَّ الصلاة عليه كانت بعد بيعه أبي بكر، فما الذي منع من أن يتقدم أبو بكر فيصلى عليه إماماً؟

و تنازعوا في تلحيده و تضريحه، فأرسل العباس عمّه إلى أبي عبيده بن

الجراح - و كان يحفر لأهل مكة وى-ضرح(1) على عاداتهم - رجلاً و أرسل عليّ رجلاً إلى أبي طلحة الأنصاري - و كان يلحد لأهل المدينة على عاداتهم - و قال: «اللهم اختر لنبيك». فجاء أبو طلحة، فلحد له و أدخل في اللحد.

و تنازعوا فيمن ينزل معه القبر، فمَنع عليّ عليه السلام الناس أن ينزلوا معه و قال: «لا ينزل قبره غيري و غير العباس». ثم أذن في نزول الفضل و أسامه بن زيد مولاهم. ثم ضجّت الأنصار و سألت أن ينزل منها رجلٌ في قبره. فأنزلوا أوس بن خولي و كان بدرياً.

فأما الغسل فإنَّ عليّاً عليه السلام تولاه بيده، و كان الفضل بن العباس يصبّ عليه الماء.

و روى المحدّثون عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «ما قلبتُ منه عضواً إلّا و انقلب، لا أجد له ثقلاً، كأنّ معي من يُساعدني عليه، و ما ذلك إلّا الملائكة».

و أمّا حديث الهينمه(2) و سماع الصوت، فقد رواه خلقٌ كثير من المحدّثين عن عليّ عليه السلام، و تروى الشيعة: أنّ عليّاً عليه السلام عصب عيني الفضل بن العباس

ص: ٣٠٥

١- . يضح: أى يشق و يحفر له ضريحاً.

٢- . الصوت الخفى.

حين صبَّ عليه الماء، و أن رسول الله أوصاه بذلك و قال: «إنه لا يبصر عورتى أحدٌ غيرك إلا عمى» (١).

٥- عصيانُ الصحابه رسول الله

و كان أبو جعفر بن أبي زيد الحسنى نقيب الب-صره رحمه الله إذا حدّثناه فى هذا (يعنى: تدبير النبى و علىّ عليه السلام فى السياسة) يقول: إنه لا فرق عند من قرأ السيرتين: سيره النبى و سياسه أصحابه أيام حياته، و بين سيره أمير المؤمنين عليه السلام و سياسه أصحابه أيام حياته. فكما أن علياً عليه السلام لم يزل أمره مضطرباً معهم بالمخالفه و العصيان و الهرب إلى أعدائه و كثره الفتن و الحروب، فكذلك كان النبى لم يزل ممنواً بنفاق المنافقين و أذاهم و خلاف أصحابه عليه و هرب بعضهم إلى أعدائه و كثره الحروب و الفتن.

و كان يقول: أ لست ترى القرآن العزيز مملوءاً بذكر المنافقين و الشكوى منهم و التآلم من أذاهم له، كما أن كلام علىّ عليه السلام مملوءٌ بالشكوى من منافقى أصحابه و التآلم من أذاهم له و التوائهم عليه، و ذلك نحو قوله تعالى: «أ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعْوَدُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ يَتَنَاجَوْنَ بِاللِّئَمِ وَ الْعِيدُونَ وَ مَعْصِيَةَ يِهِ الرَّسُولِ وَ إِذَا جَاؤَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَ يَقُولُونَ فى أَنفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ» (٢).

و قوله: «إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا» (٣) الآيه.

ص: ٣٠٦

١- شرح الحديدى، ج ١٠، ص ١٨٤، (مصر) و ص ٣٤٠، (الأعلمى).

٢- المجادله، ٨.

٣- المجادله، ١٠.

وقوله تعالى: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» السورة بأجمعها. (١)

وقوله تعالى: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ». (٢)

وقوله تعالى: «رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ طَاعَهُ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ». (٣)

وقوله تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ». (٤)

وقوله تعالى: «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا». (٥)

وقوله تعالى: «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا

ص: ٣٠٧

١- . المنافقين.

٢- . محمد، ١٦.

٣- . محمد، ٢٠.

٤- . محمد، ٢٩، ٣٠.

٥- . الفتح، ١١، ١٢.

نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسِبُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا». (١)

و قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ». (٢)

قال: و أصحابه هم الَّذِينَ نازعوا في الأنفال و طلبوها لأنفسهم، حتى أنزل الله تعالى: «قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فَآتَقُوا اللَّهَ وَ اصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ». (٣)

و هم الَّذِينَ التَّوَّأوا عليه في الحرب يوم بدر، و كرهوا لقاء العدو حتى خيف خذلانهم، و ذلك قبل أن تتراءى الفئتان، و أنزل فيهم: «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يُنظَرُونَ». (٤)

و هم الَّذِينَ كانوا يتمنون لقاء العير دون لقاء العدو، حتى إنهم ظفروا برجلين في الطريق، فسألوهما عن العير، فقالا: لا علم لنا بها و إنما رأينا جيش قريش من وراء ذلك الكتيب؛ ف-ضربوهما و رسول الله قائم يصلي، فلما ذاقا مسَّ الضرب قالوا: بل العير أمامكم فاطلبوها؛ فلما رفعوا الضرب عنهما قالوا: و الله ما رأينا العير و لا رأينا إلَّا الخيل و السلاح و الجيش، فأعادوا الضرب عليهما مره ثانية، فقالوا: و هما يُضرب-ان: العيرُ أمامكم فحاصوا عننا. ف-انصرف رسول الله من الصلاة و قال: إذا صدقاكم ضربتموهما، و إذا كذباكم خليتكم عنهما، دعوهما، فما

رأيا إلَّا

ص: ٣٠٨

١- .الفتح، ١٥.

٢- .الحجرات، ٤، ٥.

٣- .الأنفال، ١.

٤- .الأنفال، ٦.

جيش أهل مكة. و أنزل قوله تعالى: «وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ يَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ» (١). قال المف-سرون: الطائفتان: العير ذات اللطيمه الواصله إلى مكة من الشام صحبه أبى سفيان بن حرب، و إليها كان خروج المسلمين؛ و الأخرى الجيش ذو الشوكه، و كان عليه السلام قد وعدهم بإحدى الطائفتين، فكرهوا الحرب و أحبوا الغنيمه.

قال: و هم الذين فرّوا عنه يوم أحد، و أسلموه و أصدعوا فى الجبل، و تركوه حتى شجّ الأعداء وجهه، و كسروا ثيابه، و ضربوه على بيضته حتى دخل جماجمه، و وقع من فرسه إلى الأرض بين القتلى، و هو يستصرخ بهم و يدعوهم فلا يجيبه أحد منهم إلّا من كان جارياً مجرى نفسه و شديد الإختصاص به، و ذلك قوله تعالى: «إِذْ تُصْعِقُونَ وَ لَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ» (٢). أى ينادى فيسمع نداءه آخر الهاربين لا أولهم، لأنّ أولهما أوغلوا فى الفرار و بعدوا عن أن يسمعوا صوته، و كان قصارى الأمر أن يبلغ صوته و استصراخه من كان على ساقه الهاربين منهم.

قال: و منهم الذين عصوا أمره فى ذلك اليوم حيث أقامهم على الشعب فى الجبل، و هو الموضع الذى خاف أن تكثر عليه منه خيل العدو من ورائه، و هم أصحاب عبد الله بن جبير، فإنهم خالفوا أمره و عصوه فيما تقدم به إليهم و رغبوا فى الغنيمه، ففارقوا مركزهم، حتى دخل الوهن

على الإسلام بطريقهم، لأنّ خالد بن الوليد كثر فى عصابه من الخيل فدخل من الشعب

ص: ٣٠٩

١- . الأنفال، ٧.

٢- . آل عمران، ١٥٣.

الذى كانوا يحرسونه، فما أحس المسلمون بهم إلا وقد غشوهم بالسيوف من خلفهم، فكانت الهزيمة، وذلك قوله تعالى: «حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» (١).

قال: و هم الذين عصوا أمره فى غزاه تبوك، بعد أن أكد عليهم الأوامر، و خذلوه و تركوه و لم يشخصوا معه فأنزل فيهم: «يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرصيتم بالحياه الدنيا من الآخرة فما متاع الحياه الدنيا فى الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً و يسئبدل قوماً غيركم و لا تضرؤه شيئاً و الله على كل شىء قدير» (٢). و هذه الآيه خطاب مع المؤمنين لا مع المنافقين. و فيها أوضح دليل على أن أصحابه و أولياءه المصدقين لدعوته كانوا يعصونه و يخالفون أمره، و أكد عتابهم و تفرعهم و توبيخهم بقوله تعالى: «لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَرًا قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّجَّةُ وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» (٣).

ثم عاتب رسول الله على كونه أذن لهم فى التخلف، و إنما أذن لهم لعلمه أنهم لا- يجيبونه فى الخروج، فرأى أن يجعل المنه له عليهم فى الإذن لهم، و إلا قعدوا عنه و لم تصل له المنه، فقال له: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ

لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ» (٤). أى: هلا أمسكت عن الإذن

ص: ٣١٠

١- . آل عمران، ١٥٢.

٢- . التوبه، ٣٨، ٣٩.

٣- . التوبه، ٤٢.

٤- . التوبه، ٤٣.

لهم حتى يتبين لك قعود من يقعد، و خروج من يخرج صادقهم من كاذبهم، لأنهم كانوا قد وعدوه بالخروج معه كلهم، و كان بعضهم ينوى الغدر و بعضهم يعزم على أن يخيس (١) بذلك الوعد، فلو لم يأذن لهم لعلم من يتخلف و من لا يتخلف، فعرف الصادق منهم و الكاذب.

ثم بين سبحانه و تعالى أن الذين يستأذنونهم في التخلف خارجون من الإيمان، فقال له: «لا يسئلتأذنتك الذين يؤمنون بالله و اليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم و الله عليهم بالمتقين إنما يسئلتأذنتك الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الآخر و ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون» (٢).

و لا- حوجه إلى التطويل بذكر الآيات المفصلة فيما يناسب هذا المعنى. فمن تأمل الكتاب العزيز علم حاله مع أصحابه كيف كانت؛ و لم ينقله الله تعالى إلى جواره إلا و هو مع المنافقين له و المظهرين خلاف ما يضمرون من تصديقه في جهاد شديد، حتى لقد كاشفوه مراراً. فقال لهم يوم الحديبيه: «احلقوا و انحروا» مراراً، فلم يحلقوا و لم ينحروا و لم يتحرك أحد منهم عند قوله.

و قال له بعضهم و هو يقسم الغنائم: اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل.

و قالت الأنصار له مواجهه يوم حنين: أ تأخذ ما أفاء الله علينا بسيوفنا فتدفعه إلى أقاربك من أهل مكة؟

حتى أفضى الأمر إلى أن قال لهم في مرض موته: «اتنوني بدواه و

كتف أكتب لكم ما لا تضلون بعده»، فعصوه و لم يأتوه بذلك.

ص: ٣١١

١- . يخيس: يغدر.

٢- . التوبه، ٤٤ - ٤٥.

و لَيْتَهُمْ اِقْتَصَرُوا عَلٰى عَصِيَانِهِ و لَمْ يَقُولُوا لَهُ مَا قَالُوا و هُوَ يَسْمَعُ. (١)

أقول: نقل البخارى فى صحيحه فى سبعة مواضع حديث القلم و الدواه، و هى: كتاب العلم، باب كتابه العلم، ح ١١٤؛ كتاب الجهاد، ح ٣٠٥٣؛ كتاب الجزية، ح ٣١٦٨؛ كتاب المغازى، ح ٤٤٣١ و ح ٤٤٣٢؛ كتاب المرضى، باب قول المريض: قوموا عنى، ح ٥٦٦٩؛ و كتاب الإعتصام بالكتاب و السنه، باب كراهية الخلاف، ح ٧٣٦٦. و صرّح فى ثلاثه مواضع منها أن القائل هو عمر.

و أورد ابن سعد بدل ما فى البخارى من «قد غلب عليه الوجع»: «إنّ نبي الله ليهجر». (٢)

٦- ردّ أدله إمامه أبى بكر

و اعلم أنّ أصحابنا قد استدلّوا على صحّحه إمامه أبى بكر بقوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقِسْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ». (٣)

ثم قال قاضى القضاة فى المعنى: و هذا خبرٌ من الله تعالى و لا بدّ أن

يكون كائناً على ما أخبر به، و الذين قاتلوا المرتدّين هم أبو بكر و أصحابه، فوجب أن يكونوا هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله: «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ»، و ذلك يوجب أن يكونوا على صواب.

ص: ٣١٢

١- شرح الحديدى، ج ١٠، ص ٢١٤، (مصر) و ص ٣٥٩، (الأعلمى).

٢- الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٧٨.

٣- المائدة، ٥٤.

و اعترض المرتضى رحمه الله على هذا الاحتجاج فى الشافى فقال: من أين قلت إن الآيه نزلت فى أبى بكر و أصحابه؟

فإن قال: لأنهم الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله ، و لا أحد قاتلهم سواهم.

قيل له: و من الذى سلم لك ذلك؟ أ و ليس أمير المؤمنين عليه السلام قد قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين بعد الرسول ، و هؤلاء عندنا مرتدون عن الدين؟ و يشهد بصحة التأويل - زائداً على احتمال القول له - ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله يوم البصره: «و الله ما قوتل أهل الآيه حتى اليوم» و تلاها. و قد روى عن عمار و حذيفه و غيرهما مثل ذلك.

فإن قال: دليلى على أنها فى أبى بكر و أصحابه قول أهل التفسير، قيل له: أ و كلُّ أهل التفسير قال ذلك؟ فإن قال نعم، كابر؛ لأنه قد روى عن جماعه التأويل الذى ذكرناه؛ و لو لم يكن إلّا ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام و وجوه أصحابه الذين ذكرناهم لكفى.

و إن قال: حجتى قول بعض المفسرين، قلنا: و أى حجه فى قول البعض؟ و لم صار البعض الذى قال ما ذكرت أولى بالحق من البعض الذى قال ما ذكرنا؟

ثم يقال له: قد وجدنا الله تعالى قد نعت المذكورين فى الآيه بنعوتٍ يجب أن نراعيها، لنعلم أ فى صاحبنا هى أم فى صاحبك؛ و قد جعله الرسول

فى خيبر حين فرّ من فرّ من القوم عن العدو صاحب هذه الأوصاف، فقال: «لأعطين الرّايه غداً رجلاً يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله، كزاراً غير فرّار»؛ فدفعها إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

ثم قوله تعالى: «أَذِلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ» (١) يقتضى ما ذكرنا، لأنه من المعلوم بلا خلافٍ حالُ أمير المؤمنين عليه السلام فى التّخاشع والتواضع و ذمّ نفسه و قمع غضبه، و أنّه ما رُئى قطّ طائشاً و لا متطيّراً فى حالٍ من الأحوال؛ و معلومٌ حالُ صاحبَيْكم فى هذا الباب: أمّا أحدهما فإنّه اعترف طوعاً بأنّ له شيطاناً يعترّيه عند غضبه؛ و أمّا الآخر فكان معروفاً بالجدّ و العجله، مشهوراً بالفضاذه و الغلظه. و أمّا العزّه على الكافرين فإنّما تكون بقتالهم و جهادهم و الإنتقام منهم، و هذه حالٌ لم يسبق أمير المؤمنين عليه السلام إليها سابق و لا لحقه فيها لاحق.

ثم قال تعالى: «يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» (٢) و هذا وصف أمير المؤمنين المستحق له بالإجماع، و هو منتف عن أبى بكر و صاحبه إجماعاً، لأنّه لا قتل لهما فى الإسلام، و لا جهاد بين يدى الرسول؛ و إذا كانت الأوصاف المراعاة فى الآيه حاصله لأمر المؤمنين عليه السلام، و غير حاصله لمن ادّعىتم، لأنها فيهم على ضربين: ضرب معلوم انتفاؤه كالجهاد، و ضرب مختلف فيه كالأوصاف التى هى غير الجهاد، و على من أثبتها لهم الدلاله على حصولها، و لا بدّ من أن يرجع فى ذلك إلى غير ظاهر الآيه، لم يبق فى يده من الآيه دليلٌ.

هذه جمله ما ذكره المرتضى رحمه الله، و لقد كان يمكنه التخلص من الاحتجاج

بالآيه على وجه اللطف و أحسن و أصحّ ممّا ذكره، فيقول:

المراد بها من ارتد على عهد رسول الله فى واقعه الأسود العنسى باليمن، فإنّ كثيراً من المسلمين ضلّوا به و ارتدوا عن الإسلام، و ادّعوا له النبوه، و

ص: ٣١٤

١- . المائده، ٥٤.

٢- . المائده، ٥٤.

اعتقدوا صدقته. والقوم الذين يحبهم الله ويحيونه القوم الذين كاتبهم رسول الله و أغراهم بقتله، و الفتك به، و هم فيروز الديلمى و أصحابه، و القصة مشهورة.

و قد كان له أيضاً أن يقول: لم قلت: إن الذين قاتلهم أبو بكر و أصحابه كانوا مرتدين؛ فإن المرتد من ينكر دين الإسلام بعد أن كان قد تدين به؛ و الذين منعوا الزكاه لم ينكروا أصل دين الإسلام، و إنما تأولوا فأخطوا، لأنهم تأولوا قول الله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صِدْقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِدْقَكَ سِوَى لَهْمٍ»، (١) فقالوا: إنما ندفع زكاه أموالنا إلى من صلاته سكن لنا، و لم يبق بعد وفاه النبي من هو بهذه الصفة، فسقط عنا وجوب الزكاه. ليس هذا من «الردة» فى شىء. و إنما سماهم الصحابة أهل الردة على سبيل المجاز، إعظاماً لما قالوه و تأولوه.

فإن قيل: إنما الإعتقاد على قتال أبى بكر و أصحابه لمسيلمه و طليحه اللذين ادعى النبوة و ارتد بطريقتهم كثير من العرب، لا على قتال مانعى الزكاه.

قيل: إن مسيلمه و طليحه جاهدهما رسول الله قبل موته بالكتب و الرسل، و أنفذ لقتلهما جماعة من المسلمين و أمرهم أن يفتكوا بهما غيلة إن أمكنهم ذلك، و استنفر عليهما قبائل من العرب، و كل ذلك مفضل مذکور فى كتب السير و التواريخ؛ فلم لا يجوز أن يكون أولئك نفر

الذين بعثهم رسول الله للفتك بهما هم المعنيون بقوله: «يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ إِلَى آخِرِ آيَةٍ»؟ و لم يقل فى الآية: يجاهدون فيقتلون؛ و إنما ذكر الجهاد فقط، و قد كان الجهاد من أولئك نفر حاصلاً و إن لم يبلغوا الغرض؛ كما

ص: ٣١٥

كان الجهاد حاصلًا عند حصار الطائف و إن لم يبلغ فيه الغرض.

و قد كان له أيضاً أن يقول: سياق الآية لا يدل على ما ظنه المستدل بها من أنه من يرتدد عن الدين، فإن الله يأتي بقوم يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ يحاربونه لأجل ردّته؛ و إنّما الذى يدل عليه سياق الآية أنه مَنْ يَزْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ بترك الجهاد مع رسول الله و سَمَاه ارتداداً على سبيل المجاز فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ معه عوضاً عنكم؛ و كذلك كان كلُّ مَنْ خذل النبيّ و قعد عن النهوض معه فى حروبه، أغناه الله تعالى عنه بطائفه أخرى من المسلمين جاهدوا بين يديه.

و أما قول المرتضى رحمه الله : إنّها أنزلت فى الناكثين و القاسطين و المارقين الذين حاربهم أمير المؤمنين عليه السلام ، فبعيدٌ؛ لأنّهم لا- يطلق عليهم لفظُ «الرّذّة» عندنا، و لا عند المرتضى و أصحابه. أما اللفظ فبالإتفاق، و إن سمّوهم كفّاراً؛ و أما المعنى فلا أنّ فى مذهبهم أنّ مَنْ ارتدّ - و كان قد وُلد على فطره الإسلام - بانّت امرأته منه، و قسّم ماله بين ورثته، و كان على زوجته عدة المتوفى عنها زوجها. و معلومٌ أنّ أكثر محاربي أمير المؤمنين عليه السلام كانوا قد وُلدوا فى الإسلام و لم يحكم فيهم بهذه الأحكام.

و قوله: إنّ الصّيفات غير متحقّقه فى صاحبكم، فلعمري إنّ حظ أمير المؤمنين عليه السلام منها هو الحظُّ الأوفى؛ و لكن الآية ما خصّت الرئيس بالصفات المذكوره؛ و إنّما أطلقها على المجاهدين، و هم الذين يباشرون الحرب؛ فهب أنّ أبا بكر و عمر ما كانا بهذه الصفات، لم لا يجوز أن

يكون مدحاً لمن جاهد بين أيديهما من المسلمين و باشر الحرب، و هم شجعان المهاجرين و الأنصار، الذين فتحوا الفتوح و ن-شروا الدعوه و ملكوا الأقاليم.

و قد استدل قاضى القضاء أيضاً عن صحه إمامه أبى بكر - و أسند هذا الاستدلال إلى شيخنا أبى على - بقوله تعالى:

«سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» (١).

و قال تعالى: «فَإِنْ رَجَعِيكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ» (٢).

و قال تعالى: «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ» (٣). يعنى قوله تعالى: «لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا» ثم قال سبحانه: «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَبِلُونَهُمْ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (٤) فبيّن أن الذى يدعو هؤلاء المخلفين من الأعراب إلى قتال قوم أولى بأس شديد غير النبى ، لأنه تعالى قد بيّن أنهم لا يخرجون معه و لا يقاتلون معه عدوًّا، بآيه متقدمه، و لم يدعهم

بعد النبى إلى قتال الكفار إلا أبو بكر و عمر و عثمان؛ لأن أهل التأويل لم يقولوا فى هذه الآيه غير وجهين من التأويل:

فقال بعضهم: عنى بقوله: «سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ» بنى حنيفه؛

ص: ٣١٧

- ١- .الفتح، ١١.
- ٢- .التوبه، ٨٣.
- ٣- .الفتح، ١٥.
- ٤- .الفتح، ١٦.

و قال بعضهم: عنى فارس و الروم.

و أبو بكر هو الذى دعا إلى قتال بنى حنيفه و قتال آل فارس و الروم. و دعاهم بعده إلى قتال فارس و الروم عمر. فإذا كان الله تعالى قد بين أنهم بطاعتهم لهما يؤتهم أجراً حسناً. و إن تولوا عن طاعتهم يعذبهم عذاباً أليماً صحَّ أنهما على حق، و أن طاعتهم طاعة لله تعالى؛ و هذا يوجب صحه إمامتهما.

فإن قيل: إنما أراد الله بذلك أهل الجمل و صفين.

قيل: هذا فاسد من وجهين:

أحدهما: قوله تعالى: «تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ»، و الذين حاربوا أمير المؤمنين كانوا على الإسلام، و لم يقاتلوا على الكفر.

و الوجه الثانى: أنا لا نعرف من الذين عناهم الله تعالى بهذا من بقى إلى أيام أمير المؤمنين عليه السلام، كما علمنا أنهم كانوا باقين فى أيام أبى بكر.

اعترض المرتضى رحمه الله على هذا الكلام من وجهين:

أحدهما: أنه نازع فى اقتضاء الآية داعياً يدعو هؤلاء المخلفين غير النبى، و ذلك لأن قوله تعالى: «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَ زُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَّتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا» (١). إنما أراد به سبحانه الذين تخلفوا عن الحديبيه بشهاده جميع أهل النقل و إطباق المفسرين.

ص: ٣١٨

ثم قال تعالى: «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا»، (١) و إنما التمس هؤلاء المخلفون أن يخرجوا إلى غنيمه خبير، فمنعهم الله تعالى من ذلك، و أمر نبيه أن يقول لهم: «لن تتبعونا إلى هذه الغزاه»؛ لأن الله تعالى كان حكّم من قبل بأن غنيمه خبير لمن شهد الحديبيه، و أنه لا حظ لمن لم يشهدا؛ و هذا هو معنى قوله تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» و قوله: «كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ».

ثم قال تعالى: «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسِيلُكُمْ»، (٢) و إنما أراد أن الرسول سيدعوكم فيما بعد إلى قتال قوم أولى بأس شديد. و قد دعاهم النبي بعد ذلك إلى غزوات كثيره إلى قوم أولى بأس شديد، كمؤته و حنين و تبوك و غيرهما. فمن أين يجب أن يكون الداعى لهؤلاء غير النبي ، مع ما ذكرناه من الحروب التي كانت بعد خبير.

و قوله: إن معنى قوله تعالى: «كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ»، إنما أراد به ما

بينه في قوله: «فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَيَّدًا و لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عِدُوًّا» بتبوك سنه تسع، و آية الفتح نزلت في سنه ست، فكيف يكون قبلها.

و ليس يجب أن يقال في القرآن بالإرادته؛ و بما يحتمل من الوجوه في كل

ص: ٣١٩

١- .الفتح، ١٥.

٢- .الفتح، ١٦.

موضع دون الرجوع إلى تاريخ نزول الآي، و الأسباب التي وردت عليها و تعلقت بها.

و مما يبين لك أنّ هؤلاء المخلفين غير أولئك لو لم نرجع في ذلك إلى نقل و تاريخ قوله تعالى في هؤلاء: «فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسيناً و إن تتولوا كما توليتم من قبل يُعذبكم عذاباً أليماً»، (١) فلم يقطع منهم على طاعه و لا معصيه؛ بل ذكر الوعد و الوعيد على ما يفعلونه من طاعه أو معصيه، و حكم المذكورين في آيه سورة التوبه بخلاف هذه، لأنه تعالى بعد قوله: «إنكم رضى يتم بالقعود أول مره فاقعدوا مع الخالفين و لا تصل على أحد منهم مات أبداً و لا تقم على قبره إنهم كفروا بالله و رسوله و ماتوا و هم فاسقون و لا تعجبك أموالهم و أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا و تزهد أنفسهم و هم كافرون». (٢) و اختلاف أحكامهم و صفاتهم يدل على اختلافهم، و أنّ المذكورين في آيه سورة الفتح غير المذكورين في آيه سورة التوبه.

و أما قوله: لأنّ أهل التأويل لم يقولوا في هذه الآيه غير وجهين من التأويل فذكرهما باطل، لأنّ أهل التأويل قد ذكروا شيئاً آخر لم يذكره،

لأنّ المسيب روى عن أبي روق عن الضحاک في قوله تعالى: «ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد»، (٣) قال: هم ثقيف. و روى هشيم عن أبي يسر عن سعيد بن جبیر قال: هم هوازن يوم حنين. و روى الواقدي عن معمر عن قتاده قال: هم هوازن و ثقيف.

فكيف ذكر من أقوال المفسرين ما يوافقه مع اختلاف الروايه عنهم؟

ص: ٣٢٠

١- . الفتح، ١٦.

٢- . التوبه، ٨٣-٨٥.

٣- . الفتح، ١٦.

على أننا لا نرجع في كل ما يحتمله تأويل القرآن إلى أقوال المف-سرين؛ فإنهم ربما تركوا مما يحتمله القول وجهاً صحيحاً؛ وكم استخرج جماعته من أهل العدل في متشابه القرآن من الوجوه الصحيحة التي ظاهر التنزيل بها أشبه و لها أشد احتمالاً، مما لم يسبق إليه المف-سرون، ولا دخل في جملة تفسيرهم و تأويلهم.

و الوجه الثاني سلم فيه أنّ الداعى هؤلاء المخلفين غير النبى ، وقال: لا يمتنع أن يعنى بهذا الداعى أمير المؤمنين عليه السلام ، لأنه قاتل بعده الناكثين و القاسطين و المارقين؛ و بشره النبىُّ بأنه يقاتلهم، و قد كانوا أولى بأس شديد بلا شبهه.

قال: فأما تعلق صاحب الكتاب بقوله: «أَوْ يُسَلِّمُونَ»، و أنّ الذين حاربهم أمير المؤمنين عليه السلام كانوا مسلمين، فأول ما فيه أنّهم غير مسلمين عنده و عند أصحابه؛ لأنّ الكباثر تخرج من الإسلام عندهم كما تخرج عن الإيمان إذ كان الإيمان هو الإسلام على مذهبهم.

ثم إنّ مذهبنا فى محاربي أمير المؤمنين عليه السلام معروف، لأنهم عندنا كانوا كفّاراً بمحاربتهم، لوجوه:

الأول منها: أنّ من حاربه كان مستحلاً لقتاله، مظهرًا أنه فى ارتكابه على حق؛ و نحن نعلم أن من أظهر استحلال شرب جرعه خمر هو كافر بالإجماع؛ و استحلال دماء المؤمنين فضلاً عن أفاضلهم و أكابره من شرب الخمر و استحلاله؛ فيجب أن يكونوا من هذا الوجه كفّاراً.

الثانى: أنه قال له - بلا- خلافٍ بين أهل النقل - : «حربك يا علىّ حربى و سلمك سلمى». و نحن نعلم أنه لم يرد إلّا التشبيه بينهما فى الأحكام؛ و من أحكام محاربي النبى الكفر بلا خلاف.

الثالث: أنّ النبي قال له - بلا خلاف أيضاً - : «اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله». و قد ثبت عندنا أن العداوة من الله لا تكون إلّا للكفار الذين يعادونه دون فساق أهل الملّة.

الرابع: قوله: إنّنا لا نعلم بقاء هؤلاء المخلفين إلى أيام أمير المؤمنين عليه السلام، فليس بشيء؛ لأنّه إذا لم يكن ذلك معلوماً و مقطوعاً عليه، فهو مجوز و غير معلوم خلافه، و الجواز كافٍ لنا في هذا الموضوع.

و لو قيل له: من أين علمت بقاء المخلفين المذكورين في الآيه على سبيل القطع إلى أيام أبي بكر؟ لكان يفرع إلى أن يقول: حكم الآيه يق-تضى بقاءهم حتى يتمّ كونهم مدعوّين إلى قتال أولى البأس الشديد على وجه يلزمهم فيه الطاعة؛ و هذا بعينه يمكن أن يقال له، و يعتمد في بقائهم إلى أيام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يوجبه حكم الآيه.

فإن قيل: كيف يكون أهل الجمل و صفين كفاراً و لم يس-ر أمير المؤمنين عليه السلام فيهم بسيره الكفار؛ لأنّه ما سباهم و لا غنم أموالهم و لا تبع مولّيتهم؟

قلنا: أحكام الكفر تختلف، و إن شملهم اسم الكفر؛ لأنّ في الكفار من يقتل و لا يستبقى، و فيهم من يؤخذ منه الجزية و لا يحل قتله إلّا بسبب طارئ غير الكفر، و منهم من لا يجوز نكاحه على مذهب أكثر المسلمين. فعلى هذا يجوز أن يكون أكثر هؤلاء القوم كفاراً و إن لم ي-سر فيهم بجميع سيره أهل الكفر؛ لأنّنا قد بيّنا اختلاف أحكام الكفار، و يرجع في أنّ حكمهم مخالف لأحكام الكفار إلى فعله عليه السلام و سيرته فيهم. على أنّنا لا نجد في الفساق من حكمه أن يقتل مقبلاً، و لا يقتل مولياً، و لا يجهز على جريحه، إلى غير ذلك من الأحكام التي سيرها في أهل البصره و صفين.

فإذا قيل في جواب ذلك: أحكام الفسق مختلفه، وفعلُ أمير المؤمنين هو الحجج في أن حكم أهل البصره و صفين ما فعله.

قلنا مثل ذلك حرفاً بحرف. و يمكن مع تسليم أن الداعي لهؤلاء المخلفين أبو بكر، أن يقال: ليس في الآية دلالة على مدح الداعي و لا على إمامته؛ لأنه قد يجوز أن يدعو إلى الحق و الصواب من ليس عليهما؛ فيلزم ذلك الفعل من حيث كان واجباً في نفسه، لا لدعاء الداعي إليه، و أبو بكر إنما دعا إلى دفع أهل الردة عن الإسلام، و هذا يجب على المسلمين بلا دعاء داع، و الطاعة فيه طاعة لله تعالى. فمن أين له أن الداعي كان على حق و صواب، و ليس في كون ما دعا إليه طاعة ما يدل على ذلك؟

و يمكن أيضاً أن يكون قوله تعالى: «سَيُتَدَعُونَ»، إنما أراد به دعاء الله تعالى لهم بإيجاب القتال عليهم؛ لأنه إذا دلهم على وجوب قتال المرتدين، و رفعهم عن بيضه الإسلام، فقد دعاهم إلى القتال، و وجبت عليهم الطاعة، و وجب لهم الثواب إن أطاعوا، و هذا أيضاً تحتمله الآية.

فهذه جملة ما ذكره المرتضى رحمه الله في هذا الموضع؛ و أكثره جيد لا

اعتراض عليه.

و قد كان يمكنه أن يقول: لو سلمنا بكل هذا لكان ليس في قوله: «لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَيِّدًا» ما يدل على أن النبي لا يكون هو الداعي لهم إلى القوم أولى البأس الشديد؛ لأنه ليس فيها إلّا محض الإخبار عنهم بأنهم لا يخرجون معه، و لا يقاتلون العدو معه، و ليس في هذا ما ينفي كونه داعياً لهم، كما أنه عليه السلام قال: «أبو لهب لا يؤمن بي» لم يكن هذا القول نافياً لكونه يدعوه إلى الإسلام.

و قوله: «فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ» ليس بأمر على الحقيقة؛ و إنما هو تهديد

ص: ٣٢٣

كقوله: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ» (١) ولا بدّ للمرتضى و لقاضى القضاء جميعاً من أن يحملا صيغه افعال على هذا المحمل؛ لأنه ليس لأحدهما بمسوّغ أن يحمل الأمر على حقيقته؛ لأنّ الشارع لا يأمر بالقعود و تركّ الجهاد مع القدره عليه، و كونه قد تعيّن وجوبه.

فإن قلت: لو قدرنا أنّ هذه الآية - و هى قوله تعالى: «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَيْدُ عَوْزٍ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولَىٰ بِأُسِّ شَدِيدٍ» - أنزلت بعد غزوه تبوك و بعد نزول سورة براهه، التى تتضمن قوله تعالى: «لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا» ليس إخباراً محضاً كما تأولته أنت، و حملت الآية عليه؛ بل معناه: لا أخرجكم معى و لا أشهدكم حرب العدو؛ هل كان يتم الإستدلال؟

قلت: لا، لأنّ للإماميه أن تقول: يجوز أن يكون الدّاعى إلى حرب القوم أولى البأس الشديد مع تسليم هذه المقدمات كلّها هو رسول الله؛ لأنّه دعاهم إلى حرب الرّوم فى سريّه أسامه بن زيد فى صفر من سنه إحدى

عشره، لما سيّره إلى البلقاء (٢) و قال له: «سِرْ إِلَى الرّومِ مَقْتَلِ أَبِيكَ»، فأوطئهم الخيول و حشد معه أكثر المسلمين. فهذا الجيش قد دُعِيَ فيه المخلّفون من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد فى غزاه تبوك إلى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأُسِّ شَدِيدٍ، و لم يخرجوا مع رسول الله و لا حاربوا معه عدوّاً.

فإن قلت: إذا خرجوا مع أسامه، فكأنّما خرجوا مع رسول الله؛ و إذا حاربوا مع أسامه العدو، فكأنّما حاربوا مع رسول الله؛ و قد كان سبق أنّهم لا يخرجون مع رسول الله و لا يحاربون معه عدوّاً.

ص: ٣٢٤

١- . فصلت، ٤٠.

٢- . كوره من أعمال دمشق بين الشام و وادى القرى.

قلت: و إذا خرجوا مع خالد بن الوليد و غيره فى أيام أبى بكر، و مع أبى عبيده و سعد فى أيام عمر، فكأنما خرجوا مع رسول الله ، و حاربوا العدو معه أيضاً.

فإن اعتذرت بأنه و إن شابه الخروج معه و الحرب معه إلا أنه على الحقيقة ليس معه، و إنما هو مع امرئ من قبل خلفائه.

قيل لك: و كذلك خروجهم مع أسامه و محاربه العدو معه، و إن شابه الخروج مع النبى و محاربه العدو معه، إلا أنه على الحقيقة ليس معه، و إنما هو مع بعض أمرائه.

و يمكن أن يعترض الاستدلال بالآيه فيقال: لا يجوز حملها على بنى حنيفه، لأنهم كانوا مسلمين؛ و إنما منعوا الزكاه مع قولهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ و منع الزكاه لا يخرج به الإنسان عن الإسلام عند المرجئه؛ و الإماميه مرجئه. و لا يجوز حملها على فارس و الروم، لأنه تعالى أخبر أنه لا واسطه بين قتالهم و إسلامهم، كما تقول: إما كذا

و إما كذا؛ فيقتضى ذلك نفي الواسطه، و قتال فارس و الروم بينه و بين إسلامهم واسطه، و هو دفع الجزيه. و إنما تنتفى هذه الواسطه فى قتال العرب، لأن مشركى العرب لا تؤخذ منهم الجزيه. فالآيه إذن دالة على أن المخلفين سيدعون إلى قوم أولى بيأس شديد، الحكم فيهم إماميا قتالهم و إما إسلامهم. و هؤلاء هم مشركو العرب؛ و لم يحارب م-شركى العرب إلا رسول الله؛ فالداعى لهم إذا هو رسول الله. و بطل الاستدلال بالآيه. (1)

ص: ٣٢٥

١- شرح الحديدى، ج ١٣، ص ١٨٤، (مصر) و ص ١٢٧، (الأعلمى).

٧- أبوبكر و أبوه

١. قيل لأبي قحافه يوم ولى الأمر ابنه: قد ولى ابنك الخلافه.

فقرأ: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ»، (١) ثم قال: لِمَ وَلَّوهُ؟

قالوا: لِسَنِّهِ.

قال: أنا أَسُنُّ مِنْهُ. (٢)

٢. و ولى ابنه الخلافه و هو حَيٌّ منقطع فى بيته، مكفوف عاجز عن الحركه، فسمع ضوضاء الناس فقال: ما الخبر؟ فقالوا: ولى ابنك الخلافه.

فقال: رضيت بنو عبد مناف بذلك؟

قالوا: نعم.

قال: اللهم لا مانع لما أعطيت، و لا معطى لما منعت.

و لم يَلِ الخلافه من أبوه حَيٌّ إلّا أبو بكر و أبو بكر عبد الكريم (٣) الطائع لله، ولى الأمر و أبوه المطيع حَيٌّ، خلع نفسه من الخلافه و عهد بها إلى ابنه. و كان المنصورُ يسمّى عبد الله بن الحسن بن الحسن (٤) أبا قحافه تهكُّماً به،

ص: ٣٢٦

١- آل عمران، ٢٦.

٢- شرح الحديدى، ج ١، ص ٢٢٢، (مصر) و ص ١٧٠، (الأعلمى).

٣- أصيب المطيع لله بالفالج، و لما قوى عليه و ثقل لسانه، خلع نفسه. و بويع لولده الطائع؛ و كان ذلك فى سنه ٣٦٤. الفخرى: ٢٥٣.

٤- كان عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، شيخ بنى هاشم فى وقته، و المقدم فيهم. و انظر أخباره فى مقاتل الطالبين ص ١٧٩-١٨٥.

لأن ابنه (١) محمداً ادعى الخلافة و أبوه حيّ.

و مات أبو بكر و أبو قحافه حيّ، فسمع الأصوات، فسأل، فقيل: مات ابنك. فقال: رزء جليل.

و توفّي أبو قحافه فى أيام عمر فى سنه أربع عشره للهجره، و عمره سبع و تسعون سنه، و هى السنه التى توفّي فيها نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم. (٢) و (٣)

٨- رشوه أبى بكر لعمر و النساء

قال الحديدي عند شرح قول الإمام عليه السلام فى الخطبه الشقشقيه: «حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ» ما هذا لفظه:

و قوله: فأدلى بها، من قوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَ تَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ» (٤) أى تدفعوها إليهم رشوه.

و أصله من «أدليتُ الدلو فى البئر» أرسلتها.

فإن قلت: فإنّ أبا بكر إنّما دفعها إلى عمر حين مات، و لا معنى للرشوه عند الموت.

ص: ٣٢٧

١- . كان علماء آل أبى طالب يرون فى محمّد بن عبد الله بن الحسن أنّه النفس الزكية؛ و كان أفضل أهل بيته فى علمه بكتاب الله و حفظه له، مع فقهه فى الدين و شجاعته و جوده و بأسه و كل أمر يجمل بمثله. و انظر ترجمته و أخباره فى مقاتل الطالبين: ٢٣٢- ٢٩٩.

٢- . هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم؛ له صحبه؛ و كان أسن من أسلم من بنى هاشم؛ حتى من عميه حمزه و العباس. الإصابه ٦: ٢٥٨.

٣- . شرح الحديدي، ج ١، ص ١٥٦، (مصر) و ص ١٢٢، (الأعلمى).

٤- . البقره، ١٨٨.

قلت: لَمَّا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرَى أَنَّ الْعَدُولَ بِهَا عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ إِخْرَاجَ لَهَا إِلَى غَيْرِ جِهَةِ الْإِسْتِحْقَاقِ، شَبَّهَ ذَلِكَ بِإِدْلَاءِ الْإِنْسَانِ بِمَالِهِ إِلَى الْحَاكِمِ، فَإِنَّهُ إِخْرَاجٌ لِلْمَالِ إِلَى غَيْرِ وَجْهِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ. (١)

رَوَى أَبُو بَكْرٍ (الْجَوْهَرِيُّ) قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ:

لَمَّا تَوَفَّى النَّبِيَّ اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌو وَأَبُو عُبَيْدَةَ. فَقَالَ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَنْفِسُ (٢) هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الرُّهْطُ، وَ لَكِنَّا نَخَافُ أَنْ يَلِيَهُ بَعْدَكُمْ مَنْ قَتَلْنَا أَبْنَاءَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ.

فَقَالَ عَمْرٌو بْنُ الْخَطَّابِ: إِذَا كَانَ ذَلِكَ قَمْتًا إِنْ اسْتَطَعْتَ.

فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، وَالْأَمْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كَشَقِّ الْأَبْلَمَةِ. (٣) فَبَوَّعَ؛ وَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ بِشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَالِدِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ.

فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، قَسَمَ قَسَمًا (٤) بَيْنَ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. فَبَعَثَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَارِ قَسَمَهَا مَعَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، فَقَالَتْ: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَسَمْتُ قَسَمَهُ أَبُو بَكْرٍ لِلنِّسَاءِ. قَالَتْ: أَ تَرَاشُونِي عَنْ دِينِي؟ وَاللَّهِ لَا أَقْبِلُ مِنْهُ شَيْئًا. فَرَدَّتهُ عَلَيْهِ.

ص: ٣٢٨

١- شرح الحديدى، ج ١، ص ١٦٣، (مصر) و ص ١٢٧، (الأعلمى).

٢- نفس: نحسد.

٣- فى اللسان: (١٤: ٣٢٠) و فى حديث السقيفه: «الأمر بيننا و بينكم كقعد الأبلمه»، و الأبلمه، بضم الهمزه و اللام و فتحهما و كسرهما: خوصه المقل، و همزتها زائده، يقول: نحن و إيتاكم فى الحكم سواء، لا فضل لأمير على مأمور، كالخوصه إذا شقت اثنتين متساويتين.

٤- القسم هنا: العطاء.

قلت: قرأت هذا الخبر على أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي الحسيني المعروف بابن أبي زيد نقيب البصره رحمه الله تعالى في سنة عشر و ستمائه من كتاب «السقيفه» لأحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: لقد صدقت فراسه الحباب، فإن الذي خافه وقع يوم الحزه، و أخذ من الأنصار ثأر المشركين يوم بدر.

ثم قال لي رحمه الله تعالى: و من هذا خاف أيضاً رسول الله على ذريته و أهله؛ فإنه كان قد وتر الناس و علم أنه إن مات و ترك ابنته و ولدها سوقه و رعيه تحت أيدي الولاه، كانوا بعرض خطر عظيم. فما زال يقرر لابن عمه قاعدة الأمر بعده، حفظاً لدمه و دماء أهل بيته؛ فإنهم إذا كانوا و لاه الأمر كانت دماؤهم أقرب إلى الصيانه و العصمه مما إذا

كانوا سوقه تحت يد و ال من غيرهم؛ فلم يساعده القضاء و القدر، و كان من الأمر ما كان. ثم أفضى أمر ذريته فيما بعد إلى ما قد علمت. (١)

أقول: إحاله الشارح الشافعي تقديم المفضول و تأخير الأفضل إلى القضاء و القدر، مما لا يساعده العقل و لا النقل؛ و لا يلزم الإطناب و التكرار في رده.

و أما حمل كلام الإمام عليه السلام الدال على رشوه أبي بكر لعمر على الإستعاره ففي غير محله، بل كلامه عليه السلام يحمل على الحقيقه؛ و يؤيدنا أولاً: قوله عليه السلام لعمر:

اَحْلِبْ حَلْبًا لَكَ شَطْرُهُ اشْدُدْهُ لَهُ الْيَوْمَ يَزِدُّهُ عَلَيْكَ غَدًا، ثُمَّ قَالَ: وَ اللَّهُ يَا عَمْرُ لَا أَقْبَلُ قَوْلَكَ، وَ لَا أَبَايَعُهُ. (٢)

و ثانياً: قضيتان نقلهما هو (٣) عن السيد المرتضى رحمه الله بما هذا لفظ السيد:

ص: ٣٢٩

١- شرح الحديدي، ج ٢، ص ٥٣، (مصر) و ص ٢٩٤، (الأعلمي).

٢- شرح الحديدي، ج ٦، ص ١١.

٣- شرح الحديدي، ج ٢، ص ٢٧. نقلهما أيضاً في البحار، ج ٣٠، ص ٤٤٦.

أما ما ادعى من العلم ال- ضرورى برضا عمر ببيعه أبى بكر و إمامته، فالمعلوم ضروره بلا شبهه أنه كان راضياً بإمامته. و ليس كل من رضى شيئاً كان متديناً به معتقداً لصوابه، فإن كثيراً من الناس يرضون بأشياء من حيث كانت دافعه لما هو أضرّ منها و إن كانوا لا يرونها صواباً و لو ملكوا الإختيار لاخثاروا غيرها. و قد علمنا أن معاويه كان راضياً ببيعه يزيد و ولايه العهد له من بعده و لم يكن متديناً بذلك و معتقداً صحته. و إنما رضى عمر ببيعه أبى بكر من حيث كانت حاجزه

عن بيعه أمير المؤمنين عليه السلام، و لو ملك الإختيار لكان مصير الأمر إليه أسرّ فى نفسه و أقرّ لعينه. و إن ادعى أن المعلوم ضروره تدوين عمر بإمامه أبى بكر و أنه أولى بالإمامه منه، فهذا مدفوع أشدّ دفع، مع أنه قد كان يبدر من عمر فى وقت بعد آخر ما يدل على ما أوردناه.

(القضيه الأولى): عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: ذُكِرَ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ: كَأَنَّا وَ اللَّهُ شَمْسِي هَذِهِ الْأُمَمِ وَ نُورَيْهَا. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: وَ مَا يُدْرِيكَ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَوْ لَيْسَ قَدْ ائْتَلَفَا؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: بَلِ اخْتَلَفَا لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَ أَشْهَدُ أَنِّي كُنْتُ عِنْدَ أَبِي يَوْمًا وَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَحْبَسَ النَّاسَ عَنْهُ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ عُمَرُ: دُوَيْبُهُ سَوِيٌّ وَ لَهُوَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ، فَأَوْجَسَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: يَا أَيَّتُهَا الْعَبْدُ الرَّحْمَنُ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ؟ فَقَالَ: وَ مَنْ لَيْسَ خَيْرًا مِنْ أَبِيهِ لِمَا أَمَرَ لِمَكَ، انْثَدَنُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَكَلَّمَهُ فِي الْخَطِيئَةِ الشَّاعِرِ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ - وَ كَانَ عُمَرُ قَدْ حَبَسَهُ فِي شِعْرِ قَالَهُ - (١).

ص: ٣٣٠

١- . قال فى البدايه و النهايه، ج ٨، ص ٩٧: الخطيئه الشاعر و اسمه جرول بن مالك، الشاعر الملقب بالخطيئه لقصره، أدرك الجاهليه و أسلم فى زمن الصديق، و كان كثير الهجاء حتى يقال إنه هجا أباه و أمه، و خاله و عمه، و نفسه و عرسه. و قد شكاه الناس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأحضره و حبسه، و كان سبب ذلك أن الزبيرقان ابن بدر شكاه لعمر أنه قال له يهجو: دَعِ الْمَكَّ - اِرْمَ لَاتَ - رَحِلْ لَبَّ - غَيْتَهَا وَ أَقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا أَرَاهُ هَجَاكَ، أَمَا نَرْضَى أَنْ تَكُونَ طَاعِمًا كَاسِيًا؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَا يَكُونُ هَجَاءً أَشَدَّ مِنْ هَذَا. فَبَعَثَ عُمَرُ إِلَى حَسَانَ بْنِ ثَابِتٍ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هَجَاهُ وَ لَكِنْ سَلِحَ عَلَيْهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ حَبَسَهُ عُمَرُ قَالَ: يَا خَبِيثَ لِأَسْغَلَنَّكَ عَنْ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ شَفَعَ فِيهِ عُمَرُ وَ بَنُ الْعَاصِ فَأَخْرَجَهُ وَ أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ أَنْ لَا يَهْجُو النَّاسَ وَ اسْتَتَابَهُ. وَ يُقَالُ: إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ لِسَانَهُ، فَشَفَعُوا فِيهِ حَتَّى أَطْلَقَهُ. قَالُوا: وَ لِمَا احْتَضَرَ الْخَطِيئَةَ قِيلَ لَهُ: أَوْصِ، قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِالشَّعْرِ، ثُمَّ قَالَ: الشَّعْرُ صَعْبٌ وَ طَوِيلٌ سَلْمَةٌ *** إِذَا ارْتَقَى فِي - الذى لا يَعْلَمُهُ زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَ - ضِيضٍ قَ - دَمُهُ *** وَ الشَّعْرُ - رُ لَا يَسْطِيعُهُ مَنْ يَطْلُمُهُ أَرَادَ أَنْ يُ - عَ - رَبَّ - هَ - فَ - عَ - جِمَّهُ.

فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ الْمُحْطِئَةَ لِيَدِي، فَدَعْنِي أَقَوْمَهُ بِطُولِ الْحَبْسِ، فَالْحَّ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَ أَبِي عُمَرُ، وَ خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَقْبَلَ عَلِيَّ أَبِي، فَقَالَ: أ فِي غَفْلَةٍ أَنْتِ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا عَمَّا كَانَ مِنْ تَقَادُمِ أُحَيْمِقِ بِنِي تَيْمِ عَلِيٍّ وَ ظُلْمِهِ لِي؟! فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ! لَا عِلْمَ لِي بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ! وَ مَا عَسَيْتِ أَنْ تَعْلَمِ؟. فَقُلْتُ: وَ اللَّهُ لَهُو أَحَبُّ إِلَيَّ النَّاسِ مِنْ ضِيَاءِ أَبْصَارِهِمْ. قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ عَلِيٍّ زَعَمَ أَبِيكَ وَ سَخَطِهِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ! أَ فَلَا تَحْكِي عَنْ فِعْلِهِ بِمَوْقِفٍ فِي النَّاسِ تُبَيِّنُ ذَلِكَ لَهُمْ. قَالَ: وَ كَيْفَ لِي بِمَذَلِكَ مَعَ مَا ذَكَرْتَ أَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ النَّاسِ مِنْ ضِيَاءِ أَبْصَارِهِمْ؟ إِذْ يُرْضَخُ رَأْسُ أَبِيكَ بِالْجَنْدَلِ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: ثُمَّ تَجَاسَرَ وَ اللَّهُ فَجَسَرَ فَمَا دَارَتْ الْجُمُعَةُ حَتَّى قَامَ حَطِيبًا فِي النَّاسِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً وَ قَى اللَّهُ شَرَّهَا فَمَنْ دَعَاكُمْ إِلَى مِثْلِهَا فَاقْتُلُوهُ.

(القضية الثانية): عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: حَجَّجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا وَعَظَّمَ النَّاسُ، خَرَجْتُ مِنْ رَحْلِ أَرِيدُ عُمَرَ فَلَقَيْنِي

مُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ فَرَأَفَقَنِي، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ، فَهَلْ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا تُرِيدُ رَحْلَ عُمَرَ، فَإِنَّا لَفِي طَرِيقِنَا إِذْ ذَكَرْنَا تَوَلَّى عُمَرَ، وَقِيَامَهُ بِمَا هُوَ فِيهِ، وَحِيَاطَتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَنُهُوضَهُ بِمَا قَبْلَهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى ذِكْرِ أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لِلْمُغِيرَةِ: يَا لَكَ الْخَيْرُ! لَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ مُسَدِّدًا فِي عُمَرَ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى قِيَامِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَجِدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ وَعَنَائِهِ فِي الْإِسْلَامِ. فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ كَرِهُوا وَلِيَّاهُ عُمَرَ لِيَزُووْهَا عَنْهُ، وَمَا كَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ حَظٍّ. فَقُلْتُ لَهُ: لَا أَبَا لَكَ! وَمَنْ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَرِهُوا ذَلِكَ مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ لِي الْمُغِيرَةُ: لِلَّهِ أَنْتَ كَأَنَّكَ فِي غَفْلَةٍ لَا تَعْرِفُ هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَا قَدْ خُصُّوا بِهِ مِنَ الْحَسَنِ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ هَذَا الْحَسِيدُ يُدْرِكُ بِحَسَابٍ لَكَانَ لِقُرَيْشٍ تَسْبِيحُهُ أَغْشَارِ الْحَسِيدِ وَاللَّيْسَ كُلُّهُمْ عُشْرٌ. فَقُلْتُ: مَهْ يَا مُغِيرَةُ! فَإِنَّ قُرَيْشًا بَأَنَّتْ بِفَضْلِهَا عَلَى النَّاسِ.

وَلَمْ نَزَلْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَحْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلَمْ نَجِدْهُ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ، فَقِيلَ: خَرَجَ آتِنَا، فَمَضَّيْنَا نَقْفُوا [نَقْفُوا] أَثَرَهُ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسِيدَ جِدًّا، فَإِذَا عُمَرُ يَطُوفُ بِبَابِئِيتٍ، فَطُفْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ دَخَلَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُغِيرَةِ فَتَوَكَّأَ عَلَى الْمُغِيرَةِ، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جِئْتِ؟ فَقُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! خَرَجْنَا تُرِيدُكَ فَأَتَيْنَا رَحْلَكَ فَقِيلَ لَنَا خَرَجَ يُرِيدُ الْمَسِيدَ جِدًّا فَاتَّبَعْنَاكَ. قَالَ: تَبَعَكُمَا الْخَيْرُ، ثُمَّ إِنَّ الْمُغِيرَةَ نَظَرَ إِلَيَّ وَتَبَسَّمَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَقَالَ: مِمَّ تَبَسَّمْتَ أَيُّهَا الْعَبِيدُ؟ فَقَالَ: مِنْ حَدِيثٍ كُنْتُ أَنَا وَ أَبُو مُوسَى فِيهِ آتِنَا فِي طَرِيقِنَا إِلَيْكَ. فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ الْحَدِيثُ؟

فَقَصَصْنَا عَلَيْهِ الْخَبَرَ حَتَّى بَلَغْنَا ذِكْرَ حَسَدِ قُرَيْشٍ وَ ذِكْرَ مَنْ أَرَادَ صِرْفَ أَبِي بَكْرٍ عَنِ اسْتِخْلَافِهِ، فَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ، ثُمَّ قَالَ: تَكَلِّثْكَ
أُمُّكَ يَا مُغِيرَةَ، وَ

مَا تَسِيَعُهُ أَعْشَارِ الْحَسَدِ؟! إِنَّ فِيهَا لَسِيَعَهُ أَعْشَارِ الْحَسَدِ كَمَا ذَكَرْتَ وَ تَسِيَعُهُ أَعْشَارِ الْعُشْرِ، وَ فِي النَّاسِ عَشْرُ الْعُشْرِ، وَ قُرَيْشُ
شُرَكَاءُ هُمْ فِي ع-شْرِ الْعُشْرِ أَيْضًا، ثُمَّ سَدَّكَ مَلِينًا وَ هُوَ يَتَهَادَى بَيْنَنَا، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِأَحْسَدِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا؟! قُلْنَا: بَلَى يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: أَوْ عَلَيْكُمْ أَيُّابُكُمْ؟! قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: وَ كَيْفَ بِذَلِكَ وَ أَنْتُمْ مَلْبَسِينَ أَيُّابَكُمْ؟! قُلْنَا لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! وَ مَا بَالُ
الْأَيُّابِ؟ قَالَ: خَوْفُ الْإِذَاعَةِ مِنَ الْبُيُوتِ. فَقُلْتُ لَهُ: أَ تَخَافُ الْإِذَاعَةَ مِنَ الْبُيُوتِ، فَأَنْتَ وَ اللَّهُ مِنْ مُلْبَسِ سِي الْبُيُوتِ أَخَوْفُ، وَ مَا الْبُيُوتُ
أَرَدْتَ! قَالَ: هُوَ ذَلِكَ، فَانْطَلَقَ وَ انْطَلَقْنَا مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَحْلِهِ فَخَلَّى أَيْدِينَا مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَأُتْرِي مَا (١) ثُمَّ دَخَلَ.

فَقُلْتُ لِلْمُغِيرَةِ: لَأَبَا لَكَ لَقَدْ عَزَوْنَا بِكَلَامِنَا مَعَهُ وَ مَا كُنَّا فِيهِ وَ مَا رَأَاهُ [نَرَاهُ] حَبَسْنَا إِلَّا لِيُذَاكِرَنَا إِيَّاهَا. قَالَ: فَإِنَّا لَكَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا
أَذْنُهُ، فَقَالَ: ادْخُلَا، فَدَخَلْنَا، فَإِذَا عَمْرٌ مُسْتَلْقٍ عَلَى بَرْدَعِهِ (٢) الرَّحْلِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا أَنْشَأَ يَتَمَثَّلُ بِنَيْتِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ:

لَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا ع-نْدَ ذِي ثِقَةٍ *** أَوْلَى وَ أَفْضَلَمَا اسْتَوَدَعْتَ أَسْرَارًا

صَدْرًا رَحِيبًا وَ قَلْبًا وَاس-عًا صَمِينًا *** لَا تَخْشَ مِنْهُ إِذَا أَوْدَعْتَ إِظ-هَارًا

فَعَلِمْنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ نَضْمَنَ لَهُ كِتْمَانَ حَدِيثِهِ، فَقُلْتُ أَنَا لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَكْرَمْنَا وَ خُصَّنَا وَ صَدَّقْنَا. فَقَالَ: بِمَاذَا يَا أَخَا الْأَشْعَرِيِّينَ؟
قُلْتُ: بِإِفْشَاءِ سِرِّكَ إِلَيْنَا وَ إِشْرَاقِنَا فِي هَمِّكَ، فَنِعْمَ الْمُسْتَسْرَانِ نَحْنُ لَكَ. فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَكَذَلِكَ،

ص: ٣٣٣

١- . أى لا تبرحا.

٢- . البردعه: كساء يُلقى على ظهر الدابة.

فَاسْأَلْنَا عَمَّا يَدَا لَكَ؟ ثُمَّ قَالَ: فَهَاتِي إِلَيَّ الْبَابَ لِيُغْلِقَهُ، فَإِذَا آذَنَهُ الَّذِي أَدْنَى لَنَا عَلَيْهِ فِي الْحُجْرَةِ، فَقَالَ: امْضِ عَنَّا - لَا أَمَّ لَكَ - ، فَخَرَجَ وَاعْتَلَقَ الْبَابَ خَلْفَهُ ثُمَّ جَلَسَ وَاقْبَلَ عَلَيْنَا، وَقَالَ: سَلَا تُخْبِرًا.

قُلْنَا: نُرِيدُ أَنْ تُخْبِرَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَحْسَدِ قُرَيْشِ الَّذِي لَمْ تَأْمَنْ ثِيَابَنَا عَلَى ذِكْرِهِ لَنَا. فَقَالَ: سَأَلْتُمَا عَنْ مُعْضَلِهِ وَ سَأَخْبِرُكُمَا، فَلْيَكُنْ عِنْدَكُمَا فِي ذِمَّةِ مَنِيعِهِ وَ حِرْزِ مَا بَقِيَتْ، فَإِذَا مِتُّ فَشَأْنُكُمْ مَا أَحْبَبْتُمَا مِنْ إِظْهَارٍ أَوْ كِتْمَانٍ. قُلْنَا: فَإِنَّ لَكَ عِنْدَنَا ذَلِكَ. قَالَ أَبُو مُوسَى: وَ أَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي مَا أَظُنُّهُ يُرِيدُ إِلَّا الَّذِينَ كَرِهُوا اسْتِخْلَافَ أَبِي بَكْرٍ لَهُ كَطَلْحَةَ وَ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: لَا يَسِيءُ تَخْلِيفُ عَلَيْنَا فَظًّا غَلِيظًا، وَ إِذَا هُوَ يَذْهَبُ إِلَى غَيْرِ مَا فِي نَفْسِي. فَعَادَ إِلَى التَّنْفُسِ، فَقَالَ: مَنْ تَرِيَانِهِ؟ قُلْنَا: وَ اللَّهُ مَا نَدْرِي إِلَّا ظَنًّا. قَالَ: وَ مَنْ تَظُنَّانِ؟ قُلْنَا: عَسَاكَ تُرِيدُ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَرَادُوا أَبَا بَكْرٍ عَلَى صِرْفِ هَذَا الْأَمْرِ عَنكَ. قَالَ: كَلَّا وَ اللَّهُ، بَلْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعَقَّ وَ أَظْلَمَ، هُوَ الَّذِي سَأَلْتُمَا عَنْهُ، كَانَ وَ اللَّهُ أَحْسَدَ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، ثُمَّ أَطْرَقَ طَوِيلًا فَنَظَرَ إِلَى الْمُغِيرَةَ وَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ، وَ أَطْرَقْنَا مَلِيًّا لِإِطْرَاقِهِ، وَ طَالَ الشُّكُوتُ مِنَّا وَ مِنْهُ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا بَدَأَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: وَآ لَهْفَاهُ! عَلَى ضَيْبِ بَنِي تَمِيمِ بْنِ مُرَّةٍ، لَقَدْ تَقَدَّمَنِي ظَالِمًا وَ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْهَا آثِمًا. فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ: أَمَا تَقَدَّمَهُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَالِمًا فَقَدْ عَرَفْنَا، فَكَيْفَ خَرَجَ إِلَيْكَ مِنْهَا آثِمًا؟

قَالَ: ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيَّ مِنْهَا إِلَّا بَعِيدَ يَأْسٍ مِنْهَا، أَمَا وَ اللَّهُ لَوْ كُنْتُ أَطَعْتُ زَيْدَ بْنَ الْخَطَّابِ وَ اضْيَعَابَهُ لَمْ يَتَلَمَّظْ مِنْ حَلَاوَتِهَا بِشَيْءٍ أَيْدِيًا، وَ لَكِنِّي قَدَّمْتُ وَ أَحْزْتُ، وَ صَبَدْتُ وَ صَوَّبْتُ، وَ نَقَضْتُ وَ أَبْرَمْتُ، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الْإِعْصَاءَ عَلَى مَا نَشِبَ بِهِ مِنْهَا وَ التَّلَهُّفَ عَلَى نَفْسِي، وَ أَمَلْتُ إِنْ أَبَتَهُ

وَ رُجُوعَهُ، فَوَ اللَّهُ مَا فَعَلَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا بِشِيمًا.

قَالَ الْمُغِيرَةُ: فَمَا مَنَعَكَ مِنْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! وَقَدْ عَرَضَهَا عَلَيْكَ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِدَعَائِكَ إِلَيْهَا؟! ثُمَّ أَنْتَ الْآنَ تَنْقِمُ وَتَتَأَسَّفُ. فَقَالَ: تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ يَا مُغِيرَةُ! إِنِّي كُنْتُ لَأُعِدُّكَ مِنْ دُهَاةِ الْعَرَبِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ غَائِبًا عَمَّا هُنَاكَ، إِنَّ الرَّجُلَ كَادَنِي فَكَدَّتُهُ، وَ مَا كَرِنِي فَمَا كَرَنْتُهُ، وَالْفَانِي أَحَدَرُ مِنْ قَطَاهِ، إِنَّهُ لَمَّا رَأَى شَغَفَ النَّاسِ بِهِ وَ إِقْبَالَهُمْ بِوُجُوهِهِمْ عَلَيْهِ، أَيَقِنُ أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ بِهِ بَدَلًا، فَأَحَبَّ لَمَّا رَأَى مَتْنِ حِرْصِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَ شَغَفِهِمْ بِهِ أَنْ يَعْلَمَ مَا عِنْدِي، وَ هِيلَ تَنَازَعِي نَفْسِي إِلَيْهَا، وَ أَحَبَّ أَنْ يَبْلُغَنِي بِإِطْمَاعِي فِيهَا وَ التَّعْرِيفِ لِي بِهَا، وَقَدْ عَلِمَ وَ عَلِمْتُ لَوْ قَبِلْتُ مَا عَرَضَهُ عَلَيَّ لَمْ يُجِبِ النَّاسُ إِلَيَّ ذَلِكَ، فَالْفَانِي قَائِمًا عَلَيَّ أُخْمِصَتِي مُسْتَوْفِرًا حَذِرًا وَ لَوْ أُجِبْتُهُ إِلَيَّ قَبُولَهَا لَمْ يُسَلِّمِ النَّاسُ إِلَيَّ ذَلِكَ، وَ اخْتَبَأَهَا ضَغْنًا عَلَيَّ فِي قَلْبِهِ، وَ لَمْ آمَنْ غَائِلَتُهُ وَ لَوْ بَعِيدَ حِينٍ، مَعَ مَا يَدَا لِي مِنْ كَرَاهَةِ النَّاسِ لِي، أَمَا سَمِعْتَ نِدَاءَهُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ عِنْدَ عَرَضِهَا عَلَيَّ: لَا نُرِيدُ سِوَاكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَنْتَ لَهَا، فَردَّدْتُهَا إِلَيْهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُهُ وَ قَدِ التَّمَعَّ وَجْهُهُ لِذَلِكَ سُرُورًا، وَ لَقَدْ عَاتَبَنِي مَرَّةً عَلَيَّ كَلَامَ بَلَّغَهُ عَنِّي، وَ ذَلِكَ لَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِ بِالْأَشْعَثِ أَسِيرًا فَمَنْ عَلَيْهِ وَ أَطْلَقَهُ وَ زَوْجَهُ أُخْتَهُ أُمَّ فَرْوَةَ بِنْتَ أَبِي قُحَيْفَةَ، فَقُلْتُ لِلْأَشْعَثِ - وَ هُوَ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ - : يَا عِمْدُؤَ اللَّهِ! أَ كَفَرْتَ بَعِيدَ إِسْلَامِكَ، وَ ارْتَدَدْتَ نَاكِصًا عَلَيَّ عَقِيْبِيكَ، فَنَظَرْتُ إِلَيَّ الْأَشْعَثُ نَظْرًا شَرًّا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُكَلِّمَنِي بِكَلَامٍ فِي نَفْسِي، ثُمَّ لَقِيْنِي بَعْدَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ سَكَكِ الْمَدِينَةِ فَرَأَيْتَنِي، ثُمَّ قَالَ لِي: أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلَامِ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا عِمْدُؤَ اللَّهِ، وَ لَكَ عِنْدِي شَرٌّ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: بِئْسَ الْجَزَاءُ هَذَا لِي مِنْكَ. فَقُلْتُ: عَلَامَ تُرِيدُ مِنِّي حُسْنَ الْجَزَاءِ؟ قَالَ: لِأَنْفَتِي لَكَ مِنْ اتِّبَاعِ هَذَا الرَّجُلِ - يُرِيدُ أَبَا بَكْرٍ - ، وَ اللَّهُ مَا جَزَأَنِي عَلَى الْخِلَافِ عَلَيْهِ إِلَّا تَقَدُّمُهُ عَلَيْكَ، وَ لَوْ كُنْتُ صَاحِبَهَا لَمَّا رَأَيْتَ مِنِّي خِلَافًا

عَلَيْكَ. قُلْتُ: وَ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فَمَا تَأْمُرُ الْآنَ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِوَقْتِ أَمْرٍ، بَلْ وَقْتُ صَبْرٍ، وَ مَضَى وَ مَضَيْتُ، وَ لَقِيَ الْأَشْعَثُ الزُّبْرِقَانَ
 بِنَ يَدْرِ السَّعْدِيَّ فَذَكَرَ لَهُ مَا جَرَى بَيْنِي وَ بَيْنَهُ، فَنَقَلَ الزُّبْرِقَانُ ذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِي، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ
 لَتَشَوِّقُ إِلَيْهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ. فَقُلْتُ: وَ مَا يَمْنَعُنِي الشَّوْقُ إِلَيَّ مَا كُنْتُ أَحَقُّ بِهِ مِمَّنْ غَلَبَنِي عَلَيْهِ؟ أَمَا وَ اللَّهُ لَتَكْفَنَّ أَوْ لَأُكَلِّمَنَّ كَلِمَةً
 بِإِلَاحَةِ بِي وَ بِعَيْكَ فِي النَّاسِ تَحْمِلُهَا الرُّكْبَانُ حَيْثُ سَارُوا، وَ إِنْ شِئْتُمْ اسْتَدْمَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ عَفْوًا. فَقَالَ: بَلْ تَسْتَدِيمُهُ وَ إِنَّهَا لَصَائِرَةٌ
 إِلَيْكَ بَعِيدَ أَيَّامٍ، فَمَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَأْتِي عَلَيْهِ جُمُعُهُ حَتَّى يَرُدَّهَا عَلَيَّ، فَتَعَاوَلَ وَ اللَّهُ، فَمَا ذَكَرَنِي بَعِيدَ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حَزَفًا حَتَّى هَلَكَ،
 وَ لَقَدْ مَدَّ فِي أَمْدِهَا عَاضًا عَلَيَّ نَوَاجِدِهِ حَتَّى حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَأَيْسَ مِنْهَا فَكَانَ مِنْهُ مَا رَأَيْتُمَا، فَاكْتُمَّا مَا قُلْتُ لَكُمْ عَنِ النَّاسِ كَافَهُ وَ
 عَنِ بَنِي هَاشِمٍ خَاصَّةً، وَ لِيَكُنْ مِنْكُمْ بِحَيْثُ أَمَرْتُمَا إِذَا شِئْتُمَا عَلَيَّ بَرَكَهَ اللَّهُ، فَمَضَى بَيْنَا وَ نَحْنُ نَعْجَبُ مِنْ قَوْلِهِ، فَوَ اللَّهُ مَا أَفْشَيْنَا
 سِرَّهُ حَتَّى هَلَكَ. (١)

٩- أبو بكر عند نفسه

روى الشارح المدائني كلاماً مشهوراً عن أبي بكر، و ذكر وجوهاً في توجيهه، قال:

و قد اختلف الرواه في هذه اللفظه، فكثير من الناس رواها: «أقيلوني فلست بخيركم». و من الناس من أنكر هذه اللفظه و لم
 يروها، و إنما

روى قوله: «وليتكم و لست بخيركم».

و احتج بذلك من لم يشترط الأفضليته في الإمامه. و من رواها اعتذر لأبي

ص: ٣٣٦

١- . و انظر أيضاً رقم ١١ من هذا الفصل.

بكر فقال: إنما قال: أقبولوني، ليثور (١). ما في نفوس الناس من بيعته، و يخبر ما عندهم من ولايته، فيعلم مريدهم و كارهم و محبهم و مبغضهم. فلما رأى النفوس إليه ساكنه، و القلوب لبيعته مدعنه، استمر على إمارته، و حكم حكم الخلفاء في رعيته، و لم يكن منكرًا منه أن يعهد إلى من استصلحه لخلافته.

قالوا: و قد جرى مثل ذلك لعلي عليه السلام، فإنه قال للناس بعد قتل عثمان: «دعوني و التمسوا غيري، فأنا لكم وزيراً خير مني لكم أميراً». و قال لهم: «اتركوني فأنا كأحدكم، بل أنا أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم». فأبوا عليه و بايعوه فكرها أولاً، ثم عهد بها إلى الحسن عليه السلام عند موته.

قالت الإمامية: هذا غير لازم، و الفرق بين الموضوعين ظاهر، لأن علياً عليه السلام لم يقل إنني لا أصلح، و لكنّه كره الفتنة؛ و أبو بكر قال كلاماً معناه: إنني لا أصلح لها، لقوله: لست بخيركم. و من نفى عن نفسه صلاحيته للإمامه لا يجوز أن يعهد بها إلى غيره.

و اعلم أن الكلام في هذا الموضوع مبني على أن الأفضليه هل هي شرط في الإمامه أم لا. و قد تكلمنا في «شرح الغر» لشيخنا أبي الحسين (٢).

رحمه الله تعالى في هذا البحث بما لا يحتمله هذا الكتاب. (٣)

ص: ٣٣٧

١- . يثور: يبحث.

٢- . محمد بن علي بن الطيب، أبو الحسين، البصري: أحد أئمة المعتزلة. ولد في البصره و سكن بغداد و توفي بها. قال الخطيب البغدادي: «له تصانيف و شهره بالذكاء و الديانه على بدعته». من كتبه «المعتمد في أصول الفقه» جزآن، و «تصفح الأدله» و «غرر الأدله» و «شرح الأصول الخمسه» كلها في الأصول، و كتاب في «الإمامه» و «شرح أسماء الطبيعي». توفي سنة ٤٣٦، و كتابه «غرر الأدله». الأعلام، ج ٦، ص ٢٧٥.

٣- . شرح الحديدي، ج ١، ص ١٦٩، (مصر) و ص ١٣١، (الأعلمي).

أقول: ينبغي التوجه إلى ما قاله الشارح الخوئي رحمه الله في الاستدلال بأفضليه الإمام عليه السلام على خلافته، قال: «و منها (الأدلة العقلية الدالة على إمامه على عليه السلام): أن الإمام لا بد أن يكون أفضل من رعيته، و غير علي عليه السلام من الثلاثة لم يكن أفضل، فتعين عليه السلام .

أمّا أنّ الإمام لا بدّ أن يكون أفضل، فلائنه لو لم يكن أفضل لا- يخلو إمّا أن يكون مساوياً أو مفضولاً؛ أما المساوى فيستحيل تقديمه لأنه يفضى إلى الترجيح بلا مرجح، و أمّا المفضول فترجيحه على الفاضل يبطله العقل، لحكمه بقبح تعظيم المفضول و إهانته الفاضل و رفع مرتبه المفضول و خفض مرتبه الفاضل؛ و هو بديهي عند العوام فضلاً عن الخواص. فانظر إلى عقلك هل يحكم بتقديم المبتدى في الفقه على مثل ابن عباس؟ و قد نصّ على إنكاره القرآن أيضاً، فقال تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (١). و قال: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» (٢).

و أمّا أنّ غير علي عليه السلام لم يكن أفضل منه، فبتسليم الخصم أعنى الشارح المعتزلي الذي عمدته مقصودنا من تمهيد هذه المقدمه إبطال مذهبه الذي أشرنا إليه في صدر المقدمه، حيث ذهب إلى كونه أفضل منهم، و قد قال في أوائل شرحه بعد ذكر اختلاف العامه في تفضيل الأربعة ما هذا لفظه: و أمّا نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله عليه السلام ، و قد ذكرنا في كتبنا الكلاميه ما معنى الأفضل، و هل المراد به أكثر ثواباً أم الأجمع لمزايا الفضل و الخلال الحميده، و بينا أنه عليه السلام أفضل على التفسيرين معاً، و ليس هذا الكتاب موضوعاً لذكر الحجاج في ذلك أو

ص: ٣٣٨

١- . بونس، ٣٥.

٢- . الزمر، ٩.

فى غيرہ من المباحث الكلاميہ لنذكرہ، و لهذا موضع هو أليق به. إنتهى» (١).

١٠- مَن خَيْرُ النَّاسِ؟

عقد الحديدى فى شرح رسالہ ٦٢ فصلاً فى ذكر مطاعن أبى بكر و البحث حولها، قال فى ذيل الطعن الأول:

قلت: أما قول أبى بكر: «وليتكم و لست بخيركم»، فقد صدق عند كثير من أصحابنا؛ لأن خيرهم على بن أبى طالب عليه السلام .
و من لا يقول بذلك يقول

بما قاله الحسن البصرى: «و الله إنه ليعلم أنه خيرهم، و لكن المؤمن يهضم نفسه» (٢).

أقول: يرد على البصرى أنه لا- يجوز رفع اليد عن الظاهر إلا بدليل خاص يقينى، و هو المفقود فى المقام؛ و هذا من بديهيات القواعد الأصولية؛ خصوصاً بضميمه قول أبى بكر بعد هذا: «إن لى شيطاناً يعترينى» (٣). على أن تأسفه عند احتضاره على ما فعله من السيئات، (٤) يدل على المعنى الحقيقى المستفاد من كلامه.

١١- لولا عمر

ذكر الشارح فى ذيل الخطبه الشقشقيه نبذاً من أخبار عمر بن الخطاب، منها:

ص: ٣٣٩

١- . منهاج البراعه، ج ٢، ص ٣٩٢.

٢- . شرح الحديدى، ج ١٧، ص ١٥٨، (مصر) و ص ١١٢، (الأعلمى).

٣- . شرح الحديدى، ج ١٧، ص ١٥٩.

٤- . شرح الحديدى، ج ٢، ص ٤٦ و ج ٦، ص ٥١.

و عمر هو الذى شيد بيعه أبى بكر، و وقم (١) المخالفين فيها، فك-سر سيف الزبير لما جرده، و دفع فى صدر المقداد، و وطئ فى السقيفه سعد بن عباده و قال: أقتلوا سعداً، قتل الله سعداً؛ و حطم أنف الحباب بن المنذر الذى قال يوم السقيفه: أنا جدي لها (٢) المحكك و عذيقها المرجب. و توعد

من لجأ إلى دار فاطمه عليها السلام من الهاشمين، و أخرجهم منها. و لولاه لم يثبت لأبى بكر أمر، و لا قامت له قائمه (٣).

١٢- من سيره عمر

١. أول من ضرب عمر بالدرة (٤) أم فروه بنت أبى قحافه. مات أبو بكر فراح النساء عليه و فيهن أخته أم فروه، فنهاهن عمر مراراً، و هن يعاودن، فأخرج أم فروه من بينهن، و علاها بالدرة، فهربن و تفرقن.

٢. كان يقال: درة عمر أهيب من سيف الحجاج.

٣. و فى الصحيح: أن نسوة كن عند رسول الله قد كثر لعهن، فجاء عمر فهربن هيبه له، فقال لهن: يا عدييات أنفسهن، أتهبننى و لا تهبن

ص: ٣٤٠

١- . و قم أى أذل.

٢- . الفائق ١: ١٨٠، و بقيه الخبر فيه: «منا أمير و منكم أمير». الجذيل: تصغير الجذل، بالكسر، و هو فى الأصل عود ينصب للجربى تحتك به فتستشفى. و المحكك: الذى كثر به الاحتكاك حتى صار مملسا. و المرجب: المدعوم بالرجبه، و هى خشبه ذات شعبتين؛ قال الزمخشري فى تفسيره: «إنى ذو رأى يشفى بالاستضاءه به كثيرا فى مثل هذه الحادئه، و أنا فى كثره التجارب و العلم بموارد الأحوال فيها و فى أمثالها و مصادرها كالتخله الكثيره الحمل».

٣- . شرح الحديدى، ج ١، ص ١٧٤، (مصر) و ص ١٣٥، (الأعلمى).

٤- . السوط.

رسول الله؟ قلن: نعم، أنت أغلظ وأفظ.

٤. و كان عمر يُفتى كثيراً بالحكم ثم ينقضه و يفتى بضده و خلافه. ق-ضى فى الجدّ مع الإخوه قضايًا كثيره مختلفه، ثم خاف من الحكم فى هذه المسأله، فقال: من أراد أن يتقحم جرائم جهنم فليقل فى الجدّ برأيه.

٥. و قال مرّه: لا يبلغنى أنّ امرأه تجاوز صدّقها صدق نساء النبىّ إلا ارتجعت ذلك منها. فقالت له امرأه: ما جعل الله لك ذلك، إنّه تعالى قال: «وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا». (١) فقال: كلّ الناس أفقه من عمر حتى ربّات الحجال، ألا تعجبون من إمامٍ أخطأ و امرأه أصابت، فاضلت إمامكم ففضلته.

٦. و مرّ يوماً بشابٍّ من فتیان الأنصار و هو ظمآن فاستسقاها، فجدح (٢) له ماء بعسل فلم يشرب-ه و قال: إن الله تعالى يقول: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا». فقال له الفتى: يا أمير المؤمنين، إنّها ليست لك و لا لأحدٍ من هذه القبيله، اقرأ ما قبلها: «وَّ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا». (٣) فقال عمر: كلّ الناس أفقه من عمر.

٧. و قيل: إنّ عمر كان يعسّ بالليل، فسمع صوت رجل و امرأه فى بيت، فارتاب فتسوّر الحائض، فوجد امرأه و رجلاً و عندهما زقّ خمر، فقال: يا عدوّ الله، أ كنت ترى أنّ الله يتركك و أنت على معصيته؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كنت أخطأت فى واحده فقد أخطأت فى ثلاث: قال الله تعالى:

ص: ٣٤١

١- . النساء، ٢٠.

٢- . جدح: خلط.

٣- . الأحقاف، ٢٠.

«وَلَا تَجَسَّسُوا»^(١) و قد تجسست، و قال: «وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ

أَبْوَابِهَا»^(٢) و قد تسوّرت، و قال: «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا»^(٣) و ما سلّمت.

٨. و قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله و أنا محرّمهما و معاقبٌ عليهما: متعه النساء و متعه الحج.

٩. و كان فى أخلاق عمر و ألفاظه جفاء و عنجهيه ظاهره، يحسبه السامع لها أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد، و يتوهم من تحكى له أنه قصد بها ظاهراً ما لم يقصده؛ فمنها الكلمه التى قالها فى مرض رسول الله و معاذ الله أن يقصد بها ظاهرها، و لكنّه أرسلها على مقتضى خشونه غريزته، و لم يتحفظ منها. و كان الأحسن أن يقول «مغمور» أو «مغلوب بالمرض»، و حاشاه أن يعنى بها غير ذلك.

و على نحو هذا يُحتمل كلامه فى صلح الحديبيه لما قال للنبيّ: «ألم تقل لنا ستدخلونها» فى ألفاظ نكره حكايتها، حتى شكاه النبيّ إلى أبى بكر، و حتى قال له أبو بكر: الزم بغرزه،^(٤) فو الله إنّه لرسول الله.

١٠. و عمر هو الذى أغلظ على جبّله بن الأيهم حتى اضطره إلى مفارقه دار الهجره، بل مفارقه دار الإسلام كلّها، و عاد مرتداً داخلًا فى دين النصرانيه، لأجل لطمه لطمها. و قال جبّله بعد ارتداده متندما على ما فعل:

ص: ٣٤٢

١- . الحجرات، ١٢.

٢- . البقره، ١٨٩.

٣- . النور، ٦١.

٤- . الغرز فى الأصل: ركاب الرحل، و فى الكلام استعاره، و المراد هنا: اتبع قوله. و فى اللسان و النهايه: «استمسك بغرزه»، و روايه ابن هشام: «الزم غرزه».

تَنَصَّرَتِ الْأَشْرَافُ مِنْ أَجْلِ لَطْمِهِ *** وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَّرَتْ لَهَا ضَرَرٌ

فِي-- لِي تَأْمِي ل-م تِل-دَنِي وَلِيَتْنِي *** رَجَعْتُ إِلَى الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ عَمْرُ (١)

١٣- نبذه أخرى من سيره عمر

وعقد الشارح أيضاً في ذيل خطبه ٢٢٣ فصلاً مبسوطاً في ترجمه عمر، منها ما يلي:

١. أَلَا وَإِنِّي دَاعٍ فَأَمْنُوا. اللَّهُمَّ إِنِّي شَاحِحٌ فَسَخِّنِي، اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَلَيِّنِي.

٢. خَرَجَ عَمْرٌ يَوْمًا إِلَى الْمَسْجِدِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ فِي ظَهْرِهِ أَرْبَعُ رِقَاعٍ، فَقَرَأَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: «وَفَاكِهَةٌ وَ أَبًا» (٢) فَقَالَ: مَا الْأَبُ؟
ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكْلُفُ، وَمَا عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ أَلَّا تَدْرِي مَا الْأَبُ.

٣. وَجَاءَ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَى حَفْصَةَ فَقَالُوا: لَوْ كَلَّمْتَ أَبَاكَ فِي أَنْ يَلِينَ مِنْ عَيْشِهِ لَعَلَّهُ أَقْوَى لَهُ عَلَى النَّظَرِ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ.
فَجَاءَتْهُ فَقَالَتْ: إِنَّ نَاسًا مِنْ قَوْمِكَ كَلَّمُونِي فِي أَنْ أَكَلِمَكَ فِي أَنْ تَلِينَ مِنْ عَيْشِكَ. فَقَالَ: يَا بَنِيهِ، غَشَشْتَ أَبَاكَ وَ نَصَحْتَ
لِقَوْمِكَ.

٤. وَرَوَى أَنَسٌ قَالَ: كَانَ يَطْرَحُ لِعَمْرٍ كُلِّ يَوْمٍ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَيَأْكُلُهُ حَتَّى حَشَفَهُ.

٥. سَمِعَ عَمْرٌ صَوْتَ بَكَاءٍ فِي بَيْتٍ، فَدَخَلَ وَ بِيَدِهِ الدَّرَّةُ، فَمَالَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا

ص: ٣٤٣

١- . شرح الحديدي، ج ١، ص ١٨١، (مصر) و ص ١٤١، (الأعلمي).

٢- . عبس، ٣١. و في الكشاف ٤: ٥٦٣ «الأب: المرعى، لأنه يؤب، أي يؤم و ينتجع. و روى عن أبي بكر أنه سئل عن الأب، فقال: أي سماء تظلني، و أي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به!»

حتى بلغ النائح، فضربها حتى سقط خمارها، ثم قال لغلامه: اضرب النائح ويلك اضربها فإنها نائحة لا حرمه لها، لأنها لا تبكى بشجوكم، إنها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم، إنها تؤذى أمواتكم في قبورهم و أحياءكم في دورهم، إنها تنهى عن الصبر و قد أمر الله به، و تأمر بالجزع و قد نهى الله عنه.

٦. و غضب عمر على بعض عمّاله، فكلم امرأه من نساء عمر في أن تسترضيه له، فكلمته فيه، فغضب و قال: «و فيم أنتِ من هذا يا عدوه الله؟ إنما أنتِ لعه نلعب بكِ و تُفركين».(١)

١٤- طينه عمر

قال الحديدي توجيهاً لقول عمر: «إن بيعه أبي بكر كانت فلتته، وقي الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه» ما هذا كلامه:

و اعلم أنّ هذه اللفظه من عمر مناسبة للفظات كثيره كان يقولها بمقتضى ما جبهه الله تعالى عليه من غلظ الطينه و جفاء الطبعه، و لا- حيله له فيها، لأنه مجبولٌ عليها لا يستطيع تغييرها. و لا ريب عندنا أنه كان يتعاطى أن يتلطف، و أن يُخرج ألفاظه مخارج حسنه لطيفه، فينزع به الطبع الجاسى و الغريزه الغليظه إلى أمثال هذه اللفظات، و لا يقصد

بها سوءاً و لا يريد بها ذمّاً و لا تخطئه، كما قدّمنا من قبل في اللفظه التي قالها في مرض رسول الله ، و كاللفظات التي قالها عام الحديبيه و غير ذلك. و

ص: ٣٤٤

١- . شرح الحديدي، ج ١٢، صفحات مختلفه. تفركين: تكرهين.

الله تعالى لا يجازى المكلف إلّا بما نواه؛ ولقد كانت نيّته من أظهر التّيات و أخلصها لله سبحانه و للمسلمين. (١)

أقول: و لقائلٍ أن يقول للحديدي - مضافاً إلى إفضاء توجيهه إلى الجبر الذي لا يقول بها المعتزله و منهم الحديدي - : أنّ النّيه ميزانٌ إذا لم تقترن بالعمل، كقاصد المعروف و هو لا- يقدر عليه؛ أو عاملٍ عمل سهواً و خطأً، لا إذا أتى بعملٍ مذموم عقلاً و شرعاً بدفعات متواليات. و لا أظنّ أنّ هذا غيرٌ معلوم للحديدي.

١٥- عمر و المرأة الحامله

و استدعى عمر امرأه ليسألها عن أم-ر- و كان-ت-حام-لاً- فل-شدّه هيبتّه ألقت ما فى بطنها، فأجهضت به جنيناً ميتاً. فاستفتى عمر أكابر الصحابه فى ذلك فقالوا: لا شىء عليك، إنّما أنت مؤدّب. فقال له علىّ عليه السلام: إن كانوا راقبوك فقد غشوك، و إن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطئوا، عليك غ-رّه. - يعنى عتق رقبه - . فرجع عمر و الصّحابه إلى قوله. (٢)

١٦- عمر و طلحه

نقل الحديدي فى قصه الشورى مكالمه عمر مع طلحه، قال:

ثم أقبل (عمر) على طلحه - و كان له مبغضاً منذ قال لأبى بكر يوم وفاته ما قال فى عمر - فقال له: أقول أم أسكت؟

ص: ٣٤٥

١- . شرح الحديدي، ج ٢، ص ٢٧، (مصر) و ص ٢٧٦، (الأعلمى).

٢- . شرح الحديدي، ج ١، ص ١٧٤، (مصر) و ص ١٣٥، (الأعلمى).

قال: قل، فإنك لا تقول من الخير شيئاً.

قال: أما إنى أعرفك منذ أصيبت إصبعك يوم أحد و البأو(١) الذى حدث لك، و لقد مات رسول الله ساخطاً عليك بالكلمه التى قُلْتها يوم أنزلت آية الحجاب.

قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رحمه الله تعالى: الكلمه المذكوره أن طلحه لما أنزلت آية الحجاب قال بمحضرٍ ممن نقل عنه إلى رسول الله: ما الذى يغنيه حجابهنّ اليوم، و سيموت غداً فَنَنْكِحُهُنَّ.

قال أبو عثمان أيضاً: لو قال لعمر قائل: أنت قلت إن رسول الله مات و هو راض عن الستة، فكيف تقول الآن لطلحه: إنه مات عليه السلام ساخطاً عليك للكلمه التى قُلْتها؟ لكان قد رماه بمشاقصه،(٢) و لكن من الذى كان يجـسر على عمر أن يقول له ما دون هذا، فكيف هذا.(٣)

١٧- عمر فى بيت العباس

نقل الشارح المدائنى فى شرح خطبه ٥ طرفاً من قصه السقيفه و اجتماع أصحابها فى بيت العباس، ثم قال بعد ذكر خطبه أبى بكر ما هذا كلامه:

فاعترض كلامه عمرٌ و خرج إلى مذهبه فى الخشونه و الوعيد و إتيان الأمر من أصعب جهاته، فقال: إى و الله. و أخرى: إننا لم نأتكم حاجه

ص: ٣٤٦

١- البأو: الكبر و الفخر.

٢- المشاقص: جمع مشقص؛ و هو نصل السهم إذا كان طويلاً.

٣- شرح الحديدى، ج ١، ص ١٨٥، (مصر) و ص ١٤٤، (الأعلمى).

إليكم، و لكن كرهنا أن يكون الطعنُ فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم و بهم؛ فانظروا لأنفسكم و لعامتهم. ثم سكت. (١).

١٨- خوف أبي سفيان من عمر

روى أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس: أن عمر بعث زياداً في إصلاح فسادٍ واقع باليمن، فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبةً لم يُسمع مثلها - و أبو سفيان حاضر و عليّ عليه السلام و عمرو بن العاص - فقال عمرو بن العاص: لله أبو هذا الغلام لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه. فقال أبو سفيان: إنّه لقرشي، و إنّي لأعرف الذي وضعه في رحم أمّه. فقال عليّ عليه السلام: و من هو؟ قال: أنا. فقال: مهلا يا أبا سفيان. فقال أبو سفيان:

أما و الله لو لا خوف شخصٍ *** يراني يا عل -ي من الأعدى

لأظهر أم-زه صخر بن حرب *** و لم يخف المقالة في زى-اد

و قد طالت مجاملتي ثقيف-أ *** و تركي في-ه-م ثمر الف-ؤاد

عني (٢) بقوله: لو لا خوف شخص: عمر بن الخطاب. (٣).

ص: ٣٤٧

١- شرح الحديدي، ج ١، ص ٢٢٠، (مصر) و ص ١٦٩، (الأعلمي).

٢- كلام الحديدي.

٣- شرح الحديدي، ج ١٦، ص ١٨٠، (مصر) و ص ٣٢٣، (الأعلمي). راجع أيضاً: منهاج البراعه، ج ٢٠، ص ٨٦.

١٩- عمر و آيه الكلاله

قد كان في الصّحابه من يسأل الرسول عن كلمه في القرآن يُفسرها له تفسيراً موجزاً، فلا يحصل له كلّ الفهم. لَمَّا أنزلت آيه الكلاله و قال في آخرها: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَلُّوا»، (١) سأله عمرُ عن الكلاله ما هو؟

فقال له: يكفيك آيه الصيف. لم يزد على ذلك. فلم يراجعه عمرُ و انصرف عنه، فلم يفهم مراده؛ و بقي عمر على ذلك إلى أن مات؛ و كان يقول بعد ذلك: اللهم مهما بَيَّنْتَ، فإنَّ عمر لم يتبين. يشير إلى قوله: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَلُّوا». (٢)

٢٠- بين على عليه السلام و عمر في السياسه

و اعلم أن قوماً ممن لم يعرف حقيقه فضل أمير المؤمنين عليه السلام ، زعموا أن عمر كان أسوسَ منه، و إن كان هو أعلم من عمر. و صرّح الرئيس أبو على بن سينا بذلك في الشفاء في الحكمه؛ و كان شيخنا أبو الحسين يميل إلى هذا، و قد عرّض به في كتاب الغرر. (٣)

ثمّ زعم أعداؤه و مباغضوه أن معاويه كان أسوسَ منه و أصحّ تدبيراً.

و قد سبق لنا بحثٌ قديم في هذا الكتاب في بيان حسن سياسه أمير المؤمنين عليه السلام

ص: ٣٤٨

١- النساء، ١٢.

٢- شرح الحديدى، ج ١٨، ص ٧٢، (مصر) و ص ٢٤٥، (الأعلمى).

٣- هو كتاب الغرر لأبى الحسين البصرى، فى أصول الكلام، شرحه المؤلف، و سماه: «شرح مشكلات الغرر»، ذكره صاحب روضات الجنّات.

و صحه تدبيره، و نحن نذكر هاهنا ما لم نذكره هناك، ممّا يليق بهذا الفصل الذى نحن فى شرحه.

اعلم أنّ السائس لا يتمكّن من السياسه البالغه إلّا إذا كان يعمل برأيه و بما يرى فيه صلاح ملكه و تمهيد أمره و توطيد قاعدته، سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها؛ و متى لم يعمل فى السياسه و التدبير بموجب ما قلناه فبعيداً أن ينتظم أمره أو يستوثق حاله. و أمير المؤمنين كان مقيداً بقيود الشريعة، مدفوعاً إلى أتباعها و رفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب و الكيد و التدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً؛ فلم تكن قاعدته فى خلافته قاعده غيره ممّن لم يلتزم بذلك. و لسنا بهذا القول زارين على عمر بن الخطاب و لا ناسبين إليه ما هو منزّه عنه؛ و لكنّه كان مُجتهداً يعمل بالقياس و الإستحسان و المصالح المرسيه، و يرى تخصيص عمومات النص بالآراء و بالإستنباط من اصولٍ تقتضى خلاف ما يقتضيه عموم النصوص؛ و يكيد خصمه و يأمر أمراءه بالكيد و الحيله؛

و يؤدّب بالدّره و السوط من يتغلّب على ظنّه أنّه يستوجب ذلك؛ و يصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون به التأديب. كلُّ ذلك بقوّه اجتهاده و ما يؤديه إليه نظره. و لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يرى ذلك و كان يقف مع النصوص و الظواهر و لا يتعدّها إلى الإجتهد و الأقيسه، و يطبق أمور الدنيا على أمور الدين، و يسوق الكلّ مساقاً واحداً، و لا يضع و لا يرفع إلّا بالكتاب و النصّ. فاختلفت طريقتاهما فى الخلافه و السياسه. و كان عمر مع ذلك شديد الغلظه و السياسه، و كان علىّ عليه السلام كثير الحلم و الصفح و التجاوز. فزادته خلافه ذاك قوّه، و خلافه هذا ليناً. و لم يُمنّ عمر بما مُنى به علىّ عليه السلام من فتنه عثمان، التى أحوجته إلى مداراه أصحابه و جنده و مقاربتهم

للإضطراب الواقع بطريق تلك الفتنه؛ ثم تلا- ذلك فتنه الجمل، و فتنه صفين، ثم فتنه النهروان؛ و كل هذه الأمور مؤثره فى اضطراب أمر الوالى و انحلال معاهد ملكه. و لم يتفق لعمر شىء من ذلك. فشتان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكه و صحه تدبير الخلافه.

فإن قلت: فما قولك فى سياسه رسول الله و تدبيره؟ أليس كان منتظماً سديداً؟ مع أنه كان لا يعمل إلا بالتصوص و التوقيف من الوحي؛ فهلاً كان تدبير على عليه السلام و سياسته كذلك؟ إذا قلت إنّه كان لا يعمل إلا بالنصّ.

قلت: أمّا سياسه رسول الله و تدبيره فخارج عما نحن فيه، لأنّه معصومٌ لا تتطرق الغفله إلى أفعاله، و لا واحدٌ من هذين الرجلين بواجب العصمه عندنا.

و أيضاً فإن كثيراً من الناس ذهبوا إلى أنّ الله تعالى أذن لرسول الله أن يحكم فى الشرعيات و غيرها برأيه، و قال له: «أحكم بما تراه، فإنك لا

تحكم إلّا بالحق»، و هذا مذهب يونس بن عمران. و على هذا فقد سقط السؤال، لأنّه يعمل بما يراه من المصلحه و لا ينتظر الوحي.

و أيضاً فبتقدير فساد هذا المذهب أليس قد ذهب خلقٌ كثير من علماء أصول الفقه إلى أنّ رسول الله كان يجوز له أن يجتهد فى الأحكام و التدبير، كما يجتهد الواحد من العلماء؟ و إليه ذهب القاضى أبو يوسف رحمه الله و احتج بقوله تعالى: «لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ». (١)

و السؤال أيضاً ساقطٌ على هذا المذهب، لأنّ اجتهاد على عليه السلام لا- يساوى اجتهاد النبى، و بين الإجتهادين كما بين المنزلتين. (٢)

ص: ٣٥٠

١- النساء، ١٠٥.

٢- شرح الحديدي، ج ١٠، ص ٢١٢، (مصر) و ص ٣٥٨، (الأعلمى).

أقول: يرد على ما قاله الشارح من عدم عصمه عليّ عليه السلام بأنّ الإماميه ليسوا بشاكرين في عصمته عليه السلام؛ وذلك لآيه التطهير و قول النبي: «عليّ مع الحق و الحق مع عليّ» الذي أورده نفسه في ج ٢، ص ٢٩٧ و حكم بصحته؛ فيتّم المطلوب بتماميه السند و الدلاله. و كيف لا- يكون الحديث ظاهراً في العصمه و هو وضع ميزاناً لحقّ-يّه شيء أو بطلانه، و لا يكاد يمكن أن يكون الميزان غير معصوم. و بما قلناه يُردّ ما قاله الشارح أخيراً من

الإختلاف بين إجتهد النبي و عليّ عليه السلام، مضافاً إلى آيه المباهله التي تعبّر عن عليّ عليه السلام بنفس النبي. و نذكر الشارح الشافعيّ ما قاله فيما بعد

أعنى ج ٢٠، ص ٢٢١ حيث قال: «أنا لم نجعل بينه و بين النبيّ إلّا رتبة النبوه».

٢١- صحيفه عمر

و قد جاء في روايه: أنّ عليّاً عليه السلام جاء حتى وقف عليه فقال: «ما أحدٌ أحبُّ إليّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المُسجّي».(١)

أقول: و في تفسير قول الإمام عليه السلام هذا، ورد ما رواه الصدوق رحمه الله بإسناده عن مفضّل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام

- لَمَا نظر إلى ابن الخطاب و هو مسجّي بث-وبه - : «ما أحدٌ أحبُّ إليّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجّي»، فقال: «عنى بها الصحيفه التي كتبت في الكعبه».(٢)

ص: ٣٥١

١- شرح الحديدى، ج ١٢، ص ١٩٣، (مصر) و ص ٣١٨، (الأعلمى).

٢- معانى الأخبار، ص ٤١٢.

و للوقوف على قصة الصحفيه المكتوبه فى الكعبه راجع بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٨٥.

٢٢- قول عمر فى النساء

عقد الحديدى فى ترجمه عمر فصلاً فى أقواله، منها:

لا- تُسكِنُوا نساءكم الغُرف، و لا تَعْلَمُوهُنَّ الكُتابه، و استعِينُوا عليهنَّ بالْعُرى،(١) و عَوِّدُوهُنَّ قَوْلَ «لا»، فإنَّ «نعم» تجرّئهنَّ على المسأله.(٢)

٢٣- عثمان و مطاعنه

بحث الشارح الشافعى فى شرح الخطبه الشقشقيه عن ترجمه عثمان و مطاعنه موجزاً، ثم قال:

و قد أجاب أصحابنا عن المطاعن فى عثمان بأجوبه مشهوره مذكوره فى كتبهم. و الذى نقول نحن: إنّها و إن كانت أحداثاً، إلّا أنّها لم تبلغ المبلغ الذى يستباح به دمه. و قد كان الواجب عليهم أن يخلعوه من الخلافه حيث لم يستصلحوه لها؛ و لا يعجلوا بقتله. و أمير المؤمنين عليه السلام أبرأ الناس من دمه؛ و قد صرّح بذلك فى كثير من كلامه؛ من ذلك قوله عليه السلام: «و الله ما قتلت عثمان و لا مالات على قتله». و صدق عليه السلام.(٣)

ص: ٣٥٢

١- جمع عروه و هى الجبل.

٢- شرح الحديدى، ج ١٢، ص ١١٦، (مصر) و ص ٢٧١، (الأعلمى).

٣- شرح الحديدى، ج ١، ص ١٩٩، (مصر) و ص ١٥٤، (الأعلمى).

ذكر الشارح في شرح خطبه ١٣٥ مذاكره واقعه بين جعفر بن مكي الحاجب (١) و محمد بن سليمان الحاجب في أسباب المنافسه بين علي عليه السلام و عثمان، فهذا لفظها:

قلت: حدثني جعفر بن مكي الحاجب رحمه الله قال: سألت محمد بن سليمان حاجب الحُجَّاب - وقد رأيتُ أنا محمداً هذا و كانت لي به معرفه غير مستحكمه، و كان ظريفاً أديباً، و قد اشتغل بالرياضيات من الفلسفه، و لم يكن يتعصّب لمذهب بعينه - قال جعفر: سألتُ عمّا عنده في أمر عليّ و عثمان، فقال:

هذه عداوه قديمه النسب بين عبد شمس و بين بني هاشم. و قد كان حرب بن أميه نافر (٢) عبد المطلب بن هاشم، و كان أبو سفيان يحسّد محمداً و حاربه. و لم تزل الثنتان متباغضتين و إن جمعتهما المنافيه. ثم إن رسول الله زوج علياً بابنته و زوج عثمان بابنته الأخرى، و كان اختصاص رسول الله لفاطمه أكثر من اختصاصه للبت الأخرى، و للثانيه التي تزوجها عثمان بعد وفاه الأولى، و اختصاصه أيضاً لعليّ، و زياده قربه منه و امتزاجه به و استخلاصه إياه لنفسه أكثر و أعظم من اختصاصه لعثمان. فنفس عثمان ذلك عليه، فتباعد ما بين قلبيهما، و زاد في التباعد ما عساه يكون بين الأختين من مُباغضه أو مشاجره أو كلام يُنقل من إحداهما

ص: ٣٥٣

-
- ١- . جعفر بن مكي بن جعفر، أبو موسى محب الدين الموصلی: عالم بالقراءات، من أهل الموصل. توفي بشيراز سنه ٥٧١٣هـ. له «الكامل الفريد في التجويد و التفريد». الأعلام، ج ٢، ص ١٣٠.
- ٢- . المنافره: المفاخره في الحسب و النسب.

إلى الأخرى، فيتكدر قلبها على أختها، ويكون ذلك التكدير سبباً لتكدير ما بين البعلين أيضاً، كما نشاهده في عصرنا وفي غيره من الأعصار. وقد قيل: ما قطع من الأخوين كالزوجتين. ثم اتفق أن علياً عليه السلام قتل جماعه كثيره من بنى عبد شمس في حروب رسول الله، فتأكد الشئان، وإذا استوحش الإنسان من صاحبه استوحش صاحبه منه.

ثم مات رسول الله فصبأ(1) إلى عليّ جماعةً يسيره لم يكن عثمان منهم، ولا حضر في دار فاطمه مع من حضر من المخلفين عن البيعه. وكانت في نفس عليّ عليه السلام أمورٌ من الخلافه لم يمكنه إظهارها في أيام أبي بكر و عمر؛ لقوّه عمر و شدّته و انبساط يده و لسانه. فلما قُتل عمر و جعل الأمر شورى بين السّته، و عدل عبد الرحمن بها عن عليّ إلى عثمان، لم يملك عليّ نفسه، فأظهر ما كان كامناً و أبدى ما كان مستوراً.

و لم يزل الأمر يتزايد بينهما حتى شرف و تفاقم؛ و مع ذلك فلم يكن عليّ عليه السلام لينكر من أمره إلا منكراً، و لا ينهيه إلا كما تقتضى الشريعة - نهيه عنه. و كان عثمان مستضعفاً في نفسه، رخواً قليل الحزم، واهى العقده، و سلّم عنائه إلى مروان يصرّفه كيف شاء، الخلافه له في المعنى و لعثمان في الاسم. فلما انتفضّ على عثمان أمره استصرخ عليّاً و لاذ به و ألقى زمام أمره إليه؛ فدافع عنه حيث لا ينفع الدفاع، و ذبّ عنه حين لا يغنى الذّبّ، فقد كان الأمرُ فسداً لا يُرجى صلاحه.

قال جعفر: فقلتُ له: أ تقول إنّ عليّاً وجد من خلافه عثمان أعظم ممّا وجدّه من خلافه أبي بكر و عمر؟

ص: ٣٥٤

١- . صبا إليه: مال إليه.

فقال: كيف يكون ذلك و هو فرع لهما، و لولاهما لم يصل إلى الخلافة، و لا كان عثمان ممّن يطمع فيها من قبل و لا يخطر له ببال، و لكن هاهنا أمر يقتضى فى عثمان زياده المنافسه، و هو اجتماعهما فى النسب و كونهما من بنى عبد مناف، و الإنسان ينافس ابن عمه الأدنى أكثر من منافسه الأبعد، و يهون عليه من الأبعد ما لا يهون عليه من الأقرب.

قال جعفر: فقلت له: أفتقول لو أنّ عثمان خلع و لم يُقتل، أكان الأمر يستقيم لعلّى عليه السلام إذا بويع بعد خلعه؟

فقال: لا، و كيف يُتوهم ذلك، بل يكون انتقاض الأمور عليه و عثمان حثّى مخلوع أكثر من انتقاضها عليه بعد قتله، لأنّه موجودٌ يُرجى و يُتوقع عودُه؛ فإن كان محبوباً عظماً البلاء و الخطب، و هتف الناس باسمه فى كلّ يوم، بل فى كلّ ساعه، و إن كان مُخلّى سِرْبُه (١) و ممكناً من نفسه و غير محولٍ بينه و بين اختياره، لجأ إلى بعض الأطراف و ذكر أنّه مظلومٌ غصّبت خلافته و قهر على خلع نفسه، فكان اجتماع الناس عليه أعظم، و الفتنة به أشدّ و أغلظ.

قال جعفر: فقلت له: فما تقول فى هذا الإختلاف الواقع فى أمر الإمامه من مبدأ الحال، و ما الذى تظنّه أصله و متبّعه؟

فقال: لا أعلم لهذا أصلاً إلّا أمرين:

أحدهما: أنّ رسول الله أهمل أمر الإمامه، فلم يصرح فيه بأحدٍ بعينه، و إنّما كان هناك رمزٌ و إيماء و كناية و تعريض لو أراد صاحبه أن يحتجّ به وقت الإختلاف و حال المنازعه لم يُقم منه صوره حجّه تُغنى، و لا دلاله

ص: ٣٥٥

١- . يقال: فلان آمنٌ فى سِرْبِه، أى فى نفسه.

تحسب و تكفى؛ و لذلك لم يحتج على عليه السلام يوم السقيفه بما ورد فيه، لأنه لم يكن نصياً جلياً يقطع العذر و يوجب الحجته؛ و عاده الملوك إذا تمهد ملكهم و أرادوا العقد لولدهم أو أولادهم أو ثقه من ثقاتهم أن يصرح—وا بذكره و يخطبوا باسمه على أعناق المنابر و بين فواصل الخطب و يكتبوا بذلك إلى الآفاق البعيده عنهم و الأقطار النائية منهم؛ و من كان منهم ذا سرير و حصن و مدن كثيره، ضرب اسمه على صفحات الدنانير و الدراهم مع اسم ذلك الملك، بحيث تزول شبهه فى أمره و يسقط الإرتياب بحاله؛ فليس أمر الخلافه بهين (١) و لا صغير لئترك حتى يصير فى مظنه الإشتباه و اللبس. و لعله كان لرسول الله فى ذلك عذراً لا نعلمه نحن؛ إمّا خشية من فساد الأمر أو إرجاف المنافقين (٢) و قولهم إنها ليس بنبوّه و إنما هى ملك به أوصى لذريته و سلالته، و لما لم يكن أحد من تلك الذريه فى تلك الحال صالحاً للقيام بالأمر لصغر السن، جعله لأبيهم ليكون فى الحقيقه لزوجته التى هى ابنته، و لأولاده منها من بعده.

و أمّا ما تقوله المعتزله و غيرهم من أهل العدل: إن الله تعالى علم أنّ المكلفين يكونون على ترك الأمر مهملاً غير معين أقرب إلى فعل

الواجب و تجنب القبيح. قال: و لعل رسول الله لم يكن يعلم فى مرضه أنه يموت فى ذلك المرض، و كان يرجو البقاء، فيمهد للإمامه قاعده واضحه. و ممّا يدل على ذلك أنه لما نوزع فى إحضار الدواه و الكتف ليكتب لهم ما لا يضلون بعده، غضب و قال: اخرجوا عنى. لم يجمعهم بعد الغضب ثانية و

ص: ٣٥٦

١- . الهين: الذى لا كرامه له.

٢- . الإرجاف: واحد أراجيف الأخبار. يعنى: حوض المنافقين فى الأحاديث غير الصحيحه.

يعرفهم رشدهم، و يهديهم إلى مصالحهم، بل أرجأ الأمر إرجاء من يرتقب الإفاهه و ينتظر العافيه.

قال: فبتلك الأقوال المحججه و الكنايات المحتمله و الرموز المشتبته مثل: حديث خصف النعل و منزله هارون من موسى و من كنت مولاه و هذا يعسوب الدين و لافتي إلّا عليّ و أحبّ خلقك إليك ... و ما جرى هذا المجرى ممّا لا يفصل الأمر و يقطع العذر و يسكت الخصم و يفحم المنازع، و ثبتّ الأنصار فادّعتها، و وثب بنو هاشم فادّعوها، و قال أبو بكر: بايعوا عمر أو أبا عبيده. و قال العباس لعلّي: امدد يدك لأبايعك. و قال قومٌ ممّن رعف به الدهر فيما بعد و لم يكن موجوداً حينئذ: إنّ الأمر كان للعباس لأنّه العمّ الوارث، و إن أبا بكر و عمر غصباه حقّه؛ فهذا أحدهما.

و أمّا السبب الثاني للاختلاف: فهو جعلُ عمر الأمر شورى في الستة و لم ينصّ على واحد بعينه، إمّا منهم أو من غيرهم. فبقى في نفس كلّ واحد منهم أنّه قد رُشح للخلافه و أهل للملك و السلطنه. فلم يزل ذلك في نفوسهم و أذهانهم مصوّراً بين أعينهم، مُرتبباً في خيالاتهم، منازعه إليه نفوسهم، طامحه نحوه عيونهم، حتى كان من الشقاق بين عليّ و عثمان ما كان؛ و حتى أفضى الأمر إلى قتل عثمان.

و كان أعظم الأسباب في قتله طلحه؛ و كان لا- يشكّ أنّ الأمر له من بعده لوجوهٍ منها سابقته، و منها أنّه ابن عمّ لأبي بكر، و كان لأبي بكر في نفوس أهل ذلك العصر منزله عظيمه أعظم منها الآن، و منها أنه كان سمحاً جواداً. و قد كان نازع عمر في حياه أبي بكر، و أحبّ أن يفوض أبو بكر الأمر إليه من بعده. فما زال يفتل في الذرّوه و الغارب في أمر عثمان،

و ينكر له القلوب، و يكدر عليه النفوس، و يغري أهل المدينة و الأعراب و أهل الأمصار به. و ساعده الزبير، و كان أيضاً يرجو الأمر لنفسه، و لم يكن رجاؤهما الأمر بدون رجاء عليّ، بل رجاؤهما كان أقوى؛ لأنّ عليّاً دحضه الأولان، و أسقطاه و كسرا ناموسه بين الناس، فصار نسياً منسياً. و مات الأكثر ممّن يعرف خصائصه التي كانت في أيام النبوه و فضله؛ و نشأ قومٌ لا يعرفونه و لا يرونه إلّا رجلاً من عرض المسلمين؛ و لم يبق له ممّا يمت به إلّا أنه ابن عمّ الرسول و زوج ابنته و أبو سبطيه؛ و نسي ما وراء ذلك كلّه. و اتفق له من بغض قريش و انحرافها ما لم يتفق لأحد. و كانت قريش بمقدار ذلك البغض تحبّ طلحه و الزبير؛ لأنّ الأسباب الموجبه لبغضهم لم تكن موجوده فيهما؛ و كانا يتألفان قريشاً في أواخر أيام عثمان؛ و يعدانهم بالعطاء و الإفضال و هما عند أنفسهما و عند الناس خليفتان بالقوّه لا بالفعل؛ لأنّ عمر نصّ عليهما و ارتضاهما للخلافه. و عمر متّبّع القول و مرضيُّ الفعال، موفق مؤيد مطاع، نافذ الحكم في حياته و بعد وفاته. فلمّا قُتل عثمان، أرادها طلحه و حرص عليها؛ فلو لا الأشر و قومٌ معه من شجعان العرب، جعلوها في عليّ لم تصل إليه أبداً. فلمّا فاتت طلحه و الزبير، فتقا ذلك الفتق العظيم على عليّ، و أخرجوا أمّ المؤمنين معهما و قصدا العراق، و أثارا الفتنة؛ و كان من حرب الجمل ما قد علم و عرف.

ثمّ كانت حرب الجمل مقدّمه و تمهيداً لحرب صفين، فإنّ معاويه لم يكن ليفعل ما فعل، لو لا طمعه بما جرى في البصره. ثمّ أوهم أهل الشام أنّ عليّاً قد فسق بمحاربه أمّ المؤمنين و محاربه المسلمين، و أنّه قتل طلحه و الزبير و هما من أهل الجنه؛ و من يقتل مؤمناً من أهل الجنه فهو من أهل النار. فهل كان الفساد المتولّد في صفين إلّا فرعاً للفساد الكائن يوم الجمل؟

ثم نشأ من فساد صفين و ضلال معاويه كل ما جرى من الفساد و القبيح في أيام بنى أميه. و نشأت فتنه ابن الزبير فرعاً من فروع يوم الدار، لأنّ عبد الله كان يقول: إنّ عثمان لما أيقن بالقتل نصّ عليّ بالخلافه، و لى بذلك شهوداً، و منهم مروان بن الحكم. أ فلا ترى كيف تسلسلت هذه الأمور فرعاً على أصل و غصناً من شجره و جذوه من ضرام. هكذا يدور بعضه على بعض؛ و كله من الشورى في السّته.

قال: و أعجب من ذلك قول عمر و قد قيل له: إنك استعملت يزيد بن أبي سفيان و سعيد بن العاص و معاويه و فلاناً و فلاناً من المؤلّفه قلوبهم من الطّلقاء و أبناء الطّلقاء، و تركت أن تستعمل عليّاً و العباس و الزبير و طلحه. فقال: أمّا عليّ فأثبته من ذلك، و أمّا هؤلاء النفر من قريش فأثبته أن يتشروا في البلاد فيكثروا فيها الفساد.

فمّن يخاف من تأميرهم لثلا- يطمعوا في الملك و يدّعيه كل واحد منهم لنفسه، كيف لم يخف من جعلهم سته متساوين في الشورى، مرشّحين للخلافه؛ و هل شيء أقرب إلى الفساد من هذا.

و قد روى أنّ الرشيد رأى يوماً محمداً و عبد الله ابنيه يلعبان و يضحكان، فسرّ بذلك؛ فلما غابا عن عينه بكى، فقال له الفضل بن الربيع: ما يبكيك يا أمير المؤمنين و هذا مقام جدل لا مقام حزن؟

فقال: أ ما رأيت لعبهما و موده بينهما؟ أما و الله ليتبدلن ذلك بغضاً و شتناً(1) و ليختلسن كل واحد منهما نفس صاحبه عن قريب؛ فإنّ الملك عقيم.

ص: ٣٥٩

و كان الرّشيد قد عقد الأمر لهما على ترتيب، هذا بعد هذا؛ فكيف من لم يرتبوا في الخلافه بل جعلوا فيها كأسنان المشط.

فقلتُ أنا لجعفر: هذا كله تحكيه عن محمد بن سليمان؛ فما تقول أنت؟

فقال:

إِذَا قَالَتْ حَذَامُ فَ-ص- دُقُوها***فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامُ (١)

أقول: قال العلامة المجلسي رحمه الله بعد نقل هذه المذاكره: «فقد ظهر أنّ جميع الفتن الواقعه في الإسلام من فروع الشورى و السقيفه و سائر ما أبدعه و أسسه هذا و أخوه». (٢)

٢٥- أهالي مصر و عثمان

كتب الإمام عليه السلام كتاباً إلى أهل مصر حين ولى عليهم مالك الأشر، و عبّر فيه عنهم بـ «الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ»، فشرح الشارح في شرح الكتاب بما هذا لفظه:

هذا الفصل يُشكّل على تأويله؛ لأنّ أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان؛ و إذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنّهم غضبوا لله حين عصى في الأرض فهذه شهاده قاطعه على عثمان بالعصيان و إتيان المنكر. و يمكن أن يُقال - و إن كان متعسفاً - : إنّ الله تعالى عُصِيَ فِي الْأَرْضِ لَا مِنْ عِثْمَانَ، بل مِنْ وِلاتِهِ و أمرائه و أهله، و ذهب بينهم بحق الله، و ضرب الجور سُرادقه بولايتهم، و

ص: ٣٦٠

١- شرح الحديدى، ج ٩، ص ٢٤، (مصر) و ص ٢٠، (الأعلمى)؛ قبله: فلو لا المزعجات من اللّيالى***لما ترك القطا طيب المن--ام

٢- بحار الأنوار، ج ٣١، ص ٨٧.

أمرهم على البرّ و الفاجر و المقيم و الظّاعن، فشاع المنكر و فُقد المعروف. يبقى أن يقال: هب أن الأمر كما تأوّلت، فهؤلاء الذين غضبوا لله إلى ما ذا آل أمرهم؟ أليس الأمر آل إلى أنهم قطعوا المسافه من م-صر إلى المدينة فقتلوا عثمان؟ فلا تعدّو حالهم أمرين: إلّا أن يكونوا أطاعوا الله بقتله، فيكون عثمان عاصياً مستحقاً للقتل؛ أو يكونوا أسخطوا الله تعالى بقتله، فعثمان إذا على حقّ، و هم الفساق العصاة؛ فكيف يجوز أن يبجلهم أو يخاطبهم خطاب الصالحين؟

و يمكن أن يجاب عن ذلك: بأنهم غضبوا لله و جاءوا من مصر و أنكروا على عثمان تأميرَه الأمراء الفسّاق، و حصره في داره طلباً أن يدفع إليهم مروان، ليجسوه أو يؤدّبوه على ما كتبه في أمرهم، فلما حُ-صر، طمّع فيه مبغضوه و أعداؤه من أهل المدينة و غيرها، و صار معظم الناس إلّاباً عليه، و قلّ عدد المصريّين بالنسبه إلى ما اجتمع من الناس على حصره و مطالبته بخلع نفسه و تسليم مروان و غيره من بنى أميه إليهم و عزل عمّاله و الإستبدال بهم، و لم يكونوا حينئذ يطلبون نفسه و لكن قوماً منهم و من غيرهم تسوّروا داره، فرماهم بعضُ عبيده بالسّهام فجرح بعضهم، فقادت الضروره إلى النزول و الإحاطه به، و تسرّع إليه واحدٌ منهم فقتله. ثم إن ذلك القاتل قُتل في الوقت. و قد ذكرنا ذلك فيما

تقدم و شرحناه، فلا يلزم من فسق ذلك القاتل و عصيانه أن يفسق الباقون؛ لأنهم ما أنكروا إلّا المنكر. و أمّا القتل فلم يقع منهم و لا راموه و لا أرادوه. فجاز أن يقال: إنهم غضبوا لله، و أن يُثنى عليهم و يمدحهم. (1)

أقول: ينبغي الالتفات إلى ما قاله الشارح الخوئي رحمه الله في هذا المجال:

ص: ٣٦١

١- شرح الحديدى، ج ١٦، ص ١٥٦، (مصر) و ص ٣٠٨، (الأعلمى).

«وَجَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كِتَابَهُ هَذَا إِلَى الْأَخْيَارِ الْوَجْهَاءِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ الَّذِينَ نَقَمُوا عَلَى الْمِظَالِمِ الْوَاقِعَةِ بِيَدِ عَمَّالِ عُثْمَانَ فِي مِصْرَ وَقَامُوا لِلنَّهْيِ عَنْهَا وَبَعَثُوا وَفْدًا إِلَى عُثْمَانَ يُطَلِّبُونَ عِزْلَ عَامِلِهِمْ وَاسْتِبْدَالَهَ بِرَجُلٍ صَالِحٍ، وَقَدْ اسْتَظْهَرَ الشَّارِحُ الْمَعْتَزَلِيُّ مِنْ هَذَا الْعَنْوَانِ الْوَصْفِيُّ رِضَاءَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَتْلِ عُثْمَانَ وَقَالَ فِي «ص ١٥٨ ج ١٦ ط مِصْرَ»: هَذَا الْفِصْلُ يَشْكَلُ عَلِيَّ تَأْوِيلَهُ، لِأَنَّ أَهْلَ مِصْرَ هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا عُثْمَانَ، وَإِذَا شَهِدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُمْ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عَصَى فِي الْأَرْضِ، فَهَذِهِ شَهَادَةُ قَاطِعِهِ عَلِيَّ عُثْمَانَ بِالْعِصْيَانِ. ثُمَّ تَعَسَّفَ بِاعْتِرَافِهِ فِي الْجَوَابِ عَنْهُ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ.

أقول: لا وجه لهذا الاستظهار فإنَّ المخاطب بهذا الكلام من أهل مصر هم الموصوفون بما ذكره عليه السلام منهم، ولا يلزم أن يكون قتله عثمان داخلاً فيهم.

و العجب من ابن ميثم حيث يقول «ص ٨٣ ج ٥»: فإن قلت: فيلزم أن يكون عليه السلام راضياً بقتل عثمان، إذ مدح قاتله على

المسير بقتله، أقول: قد عرفت أنَّ الخطاب في الكتاب لم يوجَّه إلى عامَّة أهل مصر ولا إلى قاتله عثمان. ولا وجه لهذا الإستنكار والتعريض للجواب من ابن ميثم. (١)

٢٦- ترجمه عائشه

عقد الحديدى فى ذيل قول الإمام عليه السلام فى خطبه ١٥٦: «وَأَمَّا فُلَمَانُهُ فَأَذْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ» فصلاً فى ترجمه عائشه و ذكر طرفاً من أخبارها، فهذا نص كلامه:

ص: ٣٦٢

١- . منهاج البراعه، ج ٢٠، ص ٦٧.

و فلانه كناية عن أم المؤمنين عائشه. أبوها: أبو بكر، وقد تقدّم ذكر نسبه. و أمها أمّ رومان، ابنه عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة. تزوّجها رسولُ الله قبل الهجرة بستين بعد وفاه خديجه و هي بنت سبع سنين، و بنى عليها بالمدينة و هي بنت تسع سنين و ع-شره أشهر. و كانت قبله تذكر لجبير بن مطعم و تسمّى له.

و كان رسول الله رأى فى المنام عائشه فى سرقة(1) من حرير عند متوفى خديجه، فقال: «إن يكن هذا من عند الله يمضه». روى هذا الخبر فى المسانيد الصحيحه. و كان نكاحه إيّاها فى سؤال، و بناؤه عليها فى سؤال أيضاً. فكانت تحبّ أن تدخل النساء من أهلها و أحبّتها على أزواجهنّ فى سؤال، و تقول: هل كان فى نساءه أحظى منى، و قد نكحنى و بنى علىّ

فى سؤال؟ ردّاً بذلك على من يزعم من النساء أنّ دخول الرّجل بالمرأه بين العيدين مكروه.

و توفى رسول الله عنها و هي بنت ع-شرين سنه. و استأذنت رسول الله فى الكنيه، فقال لها: «اكتنى بابنك عبد الله بن الزبير»؛ يعنى ابن أختها؛ فكانت تكنى أم عبد الله.

و كانت فقيهاً راويه للشّعري؛ ذات حظّ من رسول الله، و ميل ظاهرٍ إليها. و كانت لها عليه جرأه و إدلال، لم يزل ينمى و يست-شرى، حتى كان منها فى أمره فى قصّه ماريه ما كان من الحديث (2) الذى أسره إلى الزوجه الأخرى، و أدّى إلى تظاهرها عليه، و أنزل فيهما قرآناً يتلى فى المحارِب،

ص: ٣٤٣

١- . السرقة، واحده السرقة؛ و هو شقق من الحرير الأبيض.

٢- . انظر تفسير الكشاف ٤: ٤٥٣.

يتضمّن وعيداً غليظاً عقيب تص-ريح بوقوع الذنب، و صَيَّغُو الْقَلْبَ، و أعقبتها تلك الجراه و ذلك الإنبساط، و حدث منها في أيام الخلافه العلويّه ما حدث، و لقد عفا الله تعالى عنها و هي من أهل الجنه عندنا بسابق الوعد، و ما صحّ من أمر التوبه.

و روى أبو عمر بن عبد البرّ في كتاب الإستيعاب في باب عائشه، عن سعيد بن نصر عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن وضاح عن أبي بكر بن أبي شيبه عن وكيع عن عصام بن قدامه عن عكرمه عن ابن عباس قال:

قال رسول الله لنسائه: «أَيْتُكُنَّ صاحبه الجمل الأدب، يقتل حولها قتلى كثير، و تنجو بعد ما كادت». (١)

قال أبو عمر بن عبد البرّ: و هذا الحديث من أعلام نبوته . قال: و عصام بن قدامه ثقّه و سائر الإسناد، فثقه رجاله أشهر من أن تذكر. (٢)

و لم تحمل عائشه من رسول الله و لا ولد له ولد من مهيره (٣) إلّا من خديجه، و من السرايى من ماريه.

و قدّفت عائشه في أيام رسول الله بصفوان بن المعطل السلمى، و القصه مشهوره؛ فأنزل الله تعالى براءتها في قرآن، يتلى و ينقل؛ و جُلد قاذفوها الحدّ.

و توفيت في سنه سبع و خمسين للهجره. و عمرها أربع و ستون سنه. و

ص: ٣٦٤

١- . النهايه لابن الأثير ٢: ١٠؛ و الروايه هناك: «ليت شعري أيتكن صاحبه الجمل الأدب؛ تنبعا كلاب الحوآب؟»؛ و قال في شرحه: أراد «الأدب»، فأظهر الإدغام لأجل الحوآب، و الأدب: الكثير وبر الوجه.

٢- . الإستيعاب: ٧٤٤، و فيه: «و سائر الإسناد أشهر من أن يحتاج إلى ذكر».

٣- . المهيره: الحره من النساء؛ و هي غير السريه.

دفنت بالبقيع في ملك معاوية. و صَلَّى عليها المسلمون ليلاً و أمَّهم أبو هريره. و نزل في قبرها خمسة من أهلها: عبد الله و عروه ابنا الزبير و القاسم و عبد الله ابنا محمد بن أبي بكر و عبد الرحمن بن أبي بكر؛ و ذلك لسبع عشره خلت من شهر رمضان من السنه المذكوره. (١)

٢٧- بين عائشه و فاطمه عليها السلام

ثم نقل الشارح بعد هذه الترجمة، محاورته مع استاذہ اللمعاني في تفسير لفظتي «الضغن» و «الحقد»، اللتين أوصف الإمام عليه السلام عائشه بهما، قال ما هذا لفظه:

فأما قوله: «فأدر كها رأى النساء» أي ضعف آرائهن. و قد جاء في

الخبر: لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأه. و جاء: إنهن قليلات عقل و دين، أو قال: ضعيفات. و لذلك جعل شهاده المرأتين بشهاده الرجل الواحد. و المرأه في أصل الخلقه سريعه الإنخداع، سريعه الغضب، سيئه الظن، فاسده التدبير، و الشجاعه فيهن مفقوده أو قليله و كذلك السخاء.

و أمّا الضغن: فاعلم أنّ هذا الكلام يحتاج إلى شرح. و قد كنتُ قرأته على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني رحمه الله أيام اشتغالي عليه بعلم الكلام، و سألتُه عمّا عنده فيه، فأجابني بجواب طويل، أنا أذكر محصولة، بعضه بلفظه رحمه الله و بعضه بلفظي، فقد شدّ عني الآن لفظه كله بعينه. قال:

أول بدء الضغن كان بينها و بين فاطمه عليها السلام، و ذلك لأنّ رسول الله تزوّجها عقيب موت خديجه، فأقامها مقامها و فاطمه هي ابنة خديجه، و من

ص: ٣٦٥

١- شرح الحديدي، ج ٩، ص ١٩٠، (مصر) و ص ١٢٩، (الأعلمي).

المعلوم أنّ ابنه الرجل إذا ماتت أمُّها وتزوَّج أبوها أخرى كان بين الإبنه وبين المرأه كدَرٌ و شتآن، وهذا لا بدّ منه؛ لأنّ الزوجه تنفس عليها ميل الأب، والبنت تكره ميل أبيها إلى امرأه غريبه، كالضرة لأمها؛ بل هي ضره على الحقيقه وإن كانت الأم ميتة. ولأنّا لو قدرنا الأم حيه، لكانت العداوه مضطرمه متسرعه؛ فإذا كانت قد ماتت ورثت ابنتها تلك العداوه. وفي المثل «عداوه الحماه والكئه»، وقال الراجز:

إن الحماه أولعت بالكئه (1)*** وأولعت كئته - بالظن -

ثم اتفق أنّ رسول الله مال إليها وأحبها، فزاد ما عند فاطمه بحسب

زياده ميله. وأكرم رسول الله فاطمه إكراماً عظيماً أكثر ممّا كان الناس يظنون، وأكثر من إكرام الرجال لبنااتهم، حتى خرج بها عن حدّ حبّ الآباء للأولاد. فقال بمحضر الخاص والعام - مراراً لا مرّة واحده وفي مقامات مختلفه، لا في مقام واحد - : «إنها سيده نساء العالمين، وإنها عديله مريم بنت عمران، وإنها إذا مرّت في الموقف نادى منادٍ من جهه العرش: يا أهل الموقف، غصوا أبصاركم لتعبر فاطمه بنت محمد». وهذا من الأحاديث الصحيحه، وليس من الأخبار المستضعفه. وإنّ إنكاحه علياً إياها ما كان إلّا بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء بشهاده الملائكه. وكم قال لا مرّة: «يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها»، و«إنها بضعه مني، يريني ما رآها». فكان هذا وأمثاله يوجب زياده الضغن عند الزوجه حسب زياده التعظيم والتبجيل، و النفوس البشريه تغيط على ما هو دون هذا، فكيف هذا.

ص: ٣٦٦

١- الكئه: امرأه الابن.

ثم حصل عند بعلها ما هو حاصلٌ عندها أعني علياً عليه السلام ، فإن النساء كثيراً ما يجعلن الأحقاد في قلوب الرجال، لا سيما و هنّ محدّثات الليل؛ كما قيل في المثل. و كانت تكثر الشكوى من عائشه و يغشاها نساء المدينة و جيران بيتها، فينقلن إليها كلماتٍ عن عائشه، ثم يذهبن إلى بيت عائشه فينقلن إليها كلماتٍ عن فاطمه، و كما كانت فاطمه تشكو إلى بعلها، كانت عائشه تشكو إلى أبيها، لعلمها أنّ بعلها لا يُشكيها(١) على ابنته، فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثرٌ ما، ثمّ تزايد تقرّيطُ رسول الله لعليّ عليه السلام و تقرّيبه و اختصاصه، فأحدث ذلك حسداً له و غبطه في نفس أبي بكر عنه

و هو أبوها، و في نفس طلحه و هو ابن عمّها، و هي تجلس إليهما

و تسمع كلامهما و هما يجلسان إليها و يحادثانها، فأعدى إليها منهما كما أعدتهما.

قال: و لستُ أبرئ علياً عليه السلام من مثل ذلك، فإنّه كان ينفسُ على أبي بكر سكونَ النبيّ إليه و ثناءه عليه، و يحبّ أن ينفرد هو بهذه المزايا و الخصائص دونه و دون الناس أجمعين. و من انحرف عن إنسان انحرف عن أهله و أولاده؛ فتأكّدت البغضه بين هذين الفريقين. ثم كان من أمر القذف ما كان، و لم يكن عليّ عليه السلام من القاذفين، و لكنّه كان من المشيرين على رسول الله بطلاقها، تنزيها لعرضه عن أقوال الشنأه و المنافقين. قال له لما استشاره: «إن هي إلّا شسع نعلك». و قال له: «سلّ الخادم و خوّفها، و إن أقامت على الجحود فاضربها». و بلغ عائشه هذا الكلام كلّهُ، و سمعت أضعافه ممّا جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة. و نقل

ص: ٣٦٧

١- . يقال: أشكى فلانا؛ إذا قبل شكواه.

النساء إليها كلاماً كثيراً عن عليّ و فاطمه، و أنّهما قد أظهرتا الشّماتة جهاراً و سرّاً بوقوع هذه الحادثة لها، فتفاقم الأمر و غلظ.

ثمّ إنّ رسول الله صالحها و رجع إليها و نزل القرآن ببراءتها، فكان منها ما يكون من الإنسان يتتصر بعد أن قُهر، و يستظهر بعد أن غلب، و يبرأ بعد أن اتُّهم من بسط اللسان و فلتات القول. و بلغ ذلك كلّهُ عليّاً عليه السلام و فاطمه عليها السلام، فاشتدّت الحال و غلظت. و طوى كلٌّ من الفريقين قلبه على الشنتان لصاحبه.

ثمّ كان بينها و بين عليّ عليه السلام فى حياه رسول الله أحوال و أقوال كلّها تقتضى تهيج ما فى النفوس، نحو قولها له - و قد استدناه رسول الله، فجاء حتى قعد بينه و بينها و هما متلاصقان - : أ ما وجدت مقعداً لكذا - لا تكني

عنه - إلما فخذى؟ و نحو ما روى: أنّه سايره يوماً و أطال مناجاته، فجاءت و هى سائره خلفهما حتى دخلت بينهما و قالت: فيم أنتما، فقد أطلتما؟ فيقال: إنّ رسول الله غضب ذلك اليوم. و ما روى من حديث الجفنه من الثريد التى أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها. و نحو ذلك ممّا يكون بين الأهل و بين المرأه و أحمائها.

ثمّ اتفق أنّ فاطمه ولدت أولاداً كثيرة، بنين و بنات؛ و لم تلد هى ولداً. و أنّ رسول الله كان يقيم بنى فاطمه مقام بنيه، و يسمى الواحد منهما «ابنى» و يقول: «دعوا لى ابنى، و لا تُزرموا(1) على ابنى، و ما فعل ابنى؟». فما ظنك بالزوجه إذا حرمت الولد من البعل، ثمّ رأت البعل يتبنى بنى ابنته من غيرها، و يحنو عليهم حنوّ الوالد المشفق؟ هل تكون محبّه لأولئك البنين و

ص: ٣٦٨

١- . النهاية لابن الأثير ٢: ١٢٤، قال: «أى لا تقطعوا عليه بوله؛ يقال: زرم الدمع و البول؛ إذا انقطع».

لأمتهم ولأبيهم، أم مبيضة؟ وهل تؤدّ دوام ذلك واستمراره، أم زواله وانقضاءه.

ثم اتفق أنّ رسول الله سدّ باب أبيها إلى المسجد وفتح باب صهره. ثم بعث أباها ببراءه إلى مكة ثم عزله عنها بصهره. فقدح ذلك أيضاً في نفسها. وولد لرسول الله إبراهيم من ماريه، فأظهر عليّ عليه السلام بذلك سروراً كثيراً، و كان يتعصّب لماريه و يقوم بأمرها عند رسول الله ميلاً على غيرها، و جرت لماريه نكبه مناسبة لنكبه عائشه، فبرأها عليّ عليه السلام منها و كشف بطلانها، أو كشفه الله تعالى على يده؛ و كان ذلك كشفاً محسّاب-البصر، لا يتهيأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل

ببراءه عائشه.

و كلّ ذلك مما كان يُوغر صدرَ عائشه عليه، و يؤكّد ما فى نفسها منه.

ثم مات إبراهيم فأبطنت شماته و إن أظهرت كآبه، و وجم عليّ عليه السلام من ذلك و كذلك فاطمه، و كانا يؤثران و يريدان أن تتميز ماريه عليها بالولد، فلم يقدر لهما و لا لماريه ذلك و بقيت الأمور على ما هى عليه، و فى النفوس ما فيها حتى مريض رسول الله الذى توفى فيه، و كانت فاطمه عليها السلام و عليّ عليه السلام يريدان أن يمرّضاه فى بيتهما، و كذلك كان أزواجه كلّهنّ، فمال إلى بيت عائشه بمقتضى المحبّه القليله التى كانت لها دون نساءه، و كره أن يزاحم فاطمه و بعلاها فى بيتهما، فلا يكون عنده من الإنبساط لوجودهما ما يكون إذا خلا بنفسه فى بيت من يميل إليه بطبعه، و علم أنّ المريض يحتاج إلى فضل مداراه و نوم و يقظه و انكشاف و خروج حدث، فكانت نفسه إلى بيته أسكنّ منها إلى بيت صهره و بنته، فإنّه إذا تصوّر حياءهما منه استحياء هو أيضاً منهما، و كلّ أحدٍ يحبّ أن يخلو بنفسه و يحتشم الصيهر و البنت، و لم يكن له إلى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل إليها،

ص: ٣٦٩

فتمرّض في بيتها؛ فغَبِطت على ذلك. و لم يمرض رسول الله منذ قدم المدينة مثل هذا المرض؛ و إنما كان مرضه الشقيقه (١). يوماً أو بعضَ يومٍ ثم يبرأ، فتطاول هذا المرض و كان عليّ عليه السلام لا يشكّ أنّ الأمر له، و أنّه لا ينازعه فيه أحدٌ من الناس. و لهذا قال له عمّه و قد مات رسول الله: امدد يدك أباعك، فيقول الناس عمّ رسول الله بايع ابن عم رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان. قال: «يا عمّ،

و هل يطمع فيها طامعٌ غيري». قال: ستعلم. قال: «فإني لا أحبّ هذا الأمر من وراء رتاج، و أحبّ أن أصجر به». (٢) فسكت عنه.

فلما ثقل (٣) رسول الله في مرضه، أنفذ جيش أسامه و جعل فيه أبا بكر و غيره من أعلام المهاجرين و الأنصار، فكان عليّ عليه السلام حينئذ بوصوله إلى الأمر - إن حدث برسول الله حدث - أوثق، و تغلّب على ظنّه أنّ المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية فيأخذه صفواً عفواً، و تتم له البيعه، فلا يتهماً فسحها لو رام ضدّ منازعته عليها، فكان - من عود أبي بكر من جيش أسامه بإرسالها إليه و إعلامه بأنّ رسول الله يموت - ما كان؛ و من حديث الصلاة بالناس ما عرف؛ فنسب عليّ عليه السلام عائشه أنّها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصلّ بالناس لأنّ رسول الله - كما روى - قال: «ليصلّ بهم أحدُهم»، و لم يعين، و كانت صلاة الصبح. فخرج رسول الله و هو في آخر رمقٍ يتهدّى بين عليّ و الفضل بن العباس حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر، ثم دخل فمات ارتفاع

ص: ٣٧٠

١- الشقيقه: مرض يأخذ في نصف الرأس و الوجه.

٢- يقال: أسحر فلان بما في قلبه، أي أظهره.

٣- يقال: أصبح ثاقلاً، أي مريضاً.

الضحى؛ فجعل يومَ صلاته حَجَّةً في صرف الأمر إليه. وقال: أَيُّكُمْ يَطِيبُ نَفْسًا أَنْ يَتَقَدَّمَ قَدَمَيْنِ قَدَمَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ؟ و لم يحملوا خروج رسول الله إلى الصلاة لص-رفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن، فبويع على هذه النكته التي أتهمها على عليه السلام على أنها ابتدأت منها.

و كان على عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً و يقول: إنَّه لم يقل

إِنَّكَ لَصَوِيحِبَاتِ يَوْسُفَ، إِلَّا إِنْكَارًا لِهَذِهِ الْحَالِ وَ غَضَبًا مِنْهَا، لِأَنَّهَا وَ حَفْصَةَ تَبَادَرَتَا إِلَى تَعْيِينِ أَبُوَيْهِمَا، وَ أَنَّهُ اسْتَدْرَكَهَا بِخُرُوجِهِ وَ صَرْفِهِ عَنِ الْمَحْرَابِ فَلَمْ يُجِدْ ذَلِكَ وَ لَا أَثْرَ، مَعَ قُوَّةِ الدَّاعِي الَّذِي كَانَ يَدْعُو إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَ يَمَهِّدُ لَهُ قَاعِدَةَ الْأَمْرِ وَ تَقَرَّرَ حَالُهُ فِي نَفُوسِ النَّاسِ وَ مَنْ اتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَعْيَانِ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ. وَ لَمَّا سَاعَدَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْحِظِّ الْفَلَكَئِيِّ وَ الْأَمْرِ السَّمَائِيِّ الَّذِي جَمَعَ عَلَيْهِ الْقُلُوبَ وَ الْأَهْوَاءَ فَكَانَتْ هَذِهِ الْحَالُ عِنْدَ عَلِيِّ أَعْظَمَ مِنْ كُلِّ عَظِيمٍ، وَ هِيَ الطَّامَةُ الْكُبْرَى وَ الْمَصِيبَةُ الْعَظِيمَى، وَ لَمْ يَنْسِبْهَا إِلَّا إِلَى عَائِشَةَ وَ حَدَّهَا، وَ لَا عَلَّقَ الْأَمْرَ الْوَاقِعَ إِلَّا بِهَا. فَدَعَا عَلَيْهَا فِي خُلُوتِهِ وَ بَيْنَ خَوَاصِّهِ، وَ تَظَلَّمَ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا. وَ جَرَى لَهُ فِي تَخَلُّفِهِ عَنِ الْبَيْعَةِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ حَتَّى بَايَعَ. وَ كَانَ يَبْلُغُهُ وَ فَاطِمَةَ عَنْهَا كُلَّ مَا يَكْرَهُانَهُ مِنْذُ مَا رَسُوهُ اللَّهُ إِلَى أَنْ تُوَفِّيَتْ فَاطِمَةَ، وَ هُمَا صَابِرَانِ عَلَى مَضْضٍ وَ رَمَضٍ،^(١) وَ اسْتَظْهَرَتْ بَوْلَايَةَ أَبِيهَا وَ اسْتَطَالَتْ وَ عَظُمَ شَأْنُهَا. وَ انْخَذَلَ عَلِيٌّ وَ فَاطِمَةُ وَ قُفْرًا، وَ أُخِذَتْ فَدَكَ وَ خَرَجَتْ فَاطِمَةُ تَجَادَلُ فِي ذَلِكَ مَرَارًا فَلَمْ تَظْفِرْ بِشَيْءٍ. وَ فِي ذَلِكَ تَبَلَّغَهَا النَّسَاءُ وَ الدَّاخِلَاتُ وَ الْخَارِجَاتُ عَنِ عَائِشَةَ كُلِّ كَلَامٍ يَسُوؤُهَا، وَ يَبْلُغُنَّ عَائِشَةَ عَنْهَا وَ عَنِ بَعْضِهَا مِثْلَ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّهُ شَتَّانُ

ص: ٣٧١

١- . الرَّمَضُ: الْغَيْظُ الشَّدِيدُ.

ما بين الحالين و بعد ما بين الفريقين، هذه غالبه و هذه مغلوبه، و هذه أمره و هذه مأموره، و ظهر التشفى و الشماته، و لا شىء أعظم مراره و مشقه من شماته العدو.

فقلتُ له رحمه الله : أفتقول أنت: إنَّ عائشه عيّنت أباها للصلاه و رسولُ الله لم يعينه؟

فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، و لكن عالياً كان يقوله، و تكليفى غيرُ تكليفه؛ كان حاضراً و لم أكن حاضراً، فأنا محجوجٌ بالأخبار التى اتصلت بى، و هى تتضمن تعيين النبى لأبى بكر فى الصلاه، و هو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنه من الحال التى كان حضرها.

قال: ثم ماتت فاطمه، فجاء نساء رسول الله كلهنَّ إلى بنى هاشم فى العزاء إلّا عائشه؛ فإنها لم تأتِ و أظهرت مرضاً. و نُقل إلى على عليه السلام عنها كلامٌ يدلُّ على السرور.

ثم بايع على أباهما فسرت بذلك، و أظهرت من الإستبشار بتمام البيعه و استقرار الخلافه و بطلان منازعه الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثرُوا. و استمرت الأمور على هذا مدّة خلافه أبيها و خلافه عمر و عثمان، و القلوب تغلبت على و الأحقادُ تذيب الحجاره. و كلما طال الزمان على على تضاعفت همومه و باح بما فى نفسه، إلى أن قتل عثمان و قد كانت عائشه فيها أشدّ الناس عليه تأليفاً و تحريضاً؛ فقالت: أبعده الله، لمّا سمعت قتله؛ و أمّلت أن تكون الخلافه فى طلحه، فتعود الإمره تيميه كما كانت أولاً. فعديل الناس عنه إلى على بن أبى طالب، فلمّا سمعت ذلك صرخت: وا عثماناه، قُتل عثمانُ مظلوماً. و ثار ما فى الأنفس حتى تولد من ذلك يومُ الجمل و ما بعده.

هذه خلاصه كلام الشيخ أبي يعقوب رحمه الله ، و لم يكن يتشيع ، و كان شديداً في الاعتزال ، إلما أنه في التفضيل كان بغدادياً. (١)

أقول: أورد الشارح الخوئي رحمه الله بعد نقل هذه المحاوره نقوداً لطيفه، فليراجع أهل التحقيق إليها، تركناها خوفاً من التطويل. (٢)

٢٨- توبه عائشه

ثم أضاف الحديدى قصه توبتها و قال:

فأما قوله: «وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ»، فإنه يعنى بذلك حرمتها بنكاح رسول الله لها و حبه إياها. و حسابها على الله، لأنه غفور رحيم لا يتعاضم عفوه زله، و لا يضيق عن رحمته ذنب.

فإن قلت: هذا الكلام يدل على توقفه عليه السلام فى أمرها، و أنتم تقولون: إنها من أهل الجنة؛ فكيف تجمعون بين مذهبكم و هذا الكلام؟

قلت: يجوز أن يكون قال هذا الكلام قبل أن يتواتر الخبر عنده بتوبتها. فإن أصحابنا يقولون: إنها تابت بعد قتل أمير المؤمنين و ندمت و قالت: لوددت أن لى من رسول الله عشره بنين، كلهم ماتوا و لم يكن يوم الجمل. و أنها كانت بعد قتله تُثنى عليه و تنشر مناقبه، مع أنهم رووا أيضاً أنها عقيب الجمل كانت تبكى حتى تبلّ خمارها، و أنها استغفرت الله و ندمت. و لكن لم يبلغ أمير المؤمنين عليه السلام حديث توبتها عقيب الجمل بلاغاً يقطع العذر و يثبت الحجه. و الذى شاع عنها من أمر الندم و التوبه

ص: ٣٧٣

١- شرح الحديدى، ج ٩، ص ١٩٢، (مصر) و ص ١٣٠، (الأعلمى).

٢- منهاج البراعه، ج ٩، ص ٢٧٦.

شياً مستفيضاً، إنما كان بعد قتله عليه السلام إلى أن ماتت وهي على ذلك، و التائب مغفورٌ له، و يجب قبول التوبه عندنا في العدل، و قد أكدوا

وقوع التوبه. منها: ما روى في الأخبار المشهوره: أنّها زوجة رسول الله في الآخره كما كانت زوجته في الدنيا. و مثل هذا الخبر إذا شاع أوجب علينا أن نتكلف إثبات توبتها و لو لم ينقل؛ فكيف و النقل لها يكاد أن يبلغ حدّ التواتر. (١)

و قال أيضاً في موضع آخر من الكتاب:

أمّا أمّ المؤمنين عائشه فقد صحّت توبتها. و الأخبار الواردة في توبتها أكثر من الأخبار الواردة في توبه طلحه و الزبير؛ لأنّها عاشت زماناً طويلاً- و هما لم يبقيا. و الّذى جرى لها كان خطأً منها؛ فأى ذنبٍ لأمر المؤمنين عليه السلام في ذلك؟ و لو أقامت في منزلها لم تُبتدل بين الأعراب و أهل الكوفه. على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أكرمها و صانها و عظم من شأنها. و من أحبّ أن يقف على ما فعله معها فليطالع كتب السيره. و لو كانت فعلت بعمر ما فعلت به و شقّت عصا الأمه عليه، ثم ظفر بها، لقتلها و مزّقها إرباً إرباً؛ و لكنّ علياً كان حليماً كريماً. (٢)

أقول: و إن كان يكفي في ردّ ما تكلفه الحديدي حول إثبات توبه عائشه، الطرق الثلاثه التي بيّنها العلامة المجلسي رحمه الله، (٣) إلّا أنّي أقول له أيضاً:

أ و لست - أيها الحديدي - من نقل عن أصحابه المعتزله شروطاً كثيره للتوبه ما لم يكن جامعاً في توبه عائشه؟ فاقراً الآن ما كتبتّه بيمناك:

ص: ٣٧٤

١- . شرح الحديدي، ج ٩، ص ١٩٩، (مصر) و ص ١٣٥، (الأعلمي).

٢- . شرح الحديدي، ج ١٧، ص ٢٥٤، (مصر) و ص ١٧٨، (الأعلمي).

٣- . بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٣٣٩.

قال أصحابنا: و للتوبه شروطٌ آخر تختلف بحسب اختلاف المعاصي. و ذلك أنّ ما يتوب منه المكلف إمّا أن يكون فيه لآدمي حقّ أو لا حقّ فيه لآدمي .

فما ليس للآدمي فيه حقّ فنحو ترك الصلاه، فإنّه لا يجب فيه إلّا الندم و العزم على ما قدّمنا.(1)

و ما لآدمي فيه حقّ على ضربين: أحدهما أن يكون جنايه عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله أو دينه؛ و الآخر ألا يكون جنايه عليه في شيء من ذلك.

فما كان جنايه عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله فالواجب فيه الندم و العزم و أن يشرع في تسليم بدل ما أتلف. فإن لم يتمكن من ذلك لفقر أو غيره عزم على ذلك إذا تمكن منه. فإن مات قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب. و إن جنى عليه في دينه، بأن يكون قد أضلّه بشبهه استرله بها، فالواجب عليه مع الندم العزم و الإجتهد في حلّ شبهته من نفسه. فإن لم يتمكن من الإجتماع به عزم على ذلك إذا تمكن. فإن مات قبل التمكن أو تمكن منه و اجتهد في حلّ الشبهه فلم تنحل من نفس ذلك الضال فلا عقاب عليه؛ لأنّه قد استفرغ جهده.

فإن كانت المعصيه غير جنايه، نحو أن يغتابه أو يسمع غيبته؛ فإنّه يلزمه الندم و العزم. و لا يلزمه أن يستحلّه أو يعتذر إليه. لأنّه ليس يلزمه أرشٌ (2) لمن اغتابه فيستحلّه ليسقط عنه الأرش. و لا غمّه فيزيل غمّه بالإعتذار. و في ذكر الغيبه له ليستحلّه، فيزيل غمّه منها إدخال غمّ عليه؛

ص: ٣٧٥

١- و القضاء إن كان الذنب مما يمكن أن يستدرك، كالصلاه.

٢- الأرش: ديه الجراحات؛ و قيل هو الجراحات نفسها تكون على قدر معلوم.

فلم يجز ذلك. فإن كان قد أسمع المغتاب غيبته فذلك جناية عليه؛ لأنه قد أوصل إليه مضره الغم، فيلزمه إزاله ذلك بالاعتذار. (١)

أ و ليس خروج عائشه على أمير المؤمنين عليه السلام إضراراً بحق الناس، حق آلاف مقتول من الجانبين، حق الأطفال الصغار الأيتام، حق الأرامل و...؟ أ ترى أيها الحديدي أن هذا الذنب الكبير يغفر بدموع العين؟! هيهات هيهات.

٢٩- ترجمه أخرى من عائشه

و ينبغي أن نذكر في هذا الموضع طرفاً من نسب عائشه و أخبارها و ما يقوله أصحابنا المتكلمون فيها؛ جرياً على عادتنا في ذكر مثل ذلك كلما مررنا بذكر أحد من الصحابه.

أمّا نسبها: فإنها ابنه أبى بكر، و قد ذكرنا نسبه فيما تقدم. و أمها أم رومان ابنه عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينه بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن تميم بن مالك بن كنانه.

تزوجها رسول الله بمكة قبل الهجره بسنتين، و قيل بثلاث، و هى بنت سئ سنين، و قيل بنت سبع سنين؛ و بنى عليها بالمدينه و هى بنت تسع، لم يختلفوا فى ذلك.

و كانت تذكر لجبير بن مطعم و تسمى له.

و ورد فى الأخبار الصحيحه أن رسول الله أرى عائشه فى المنام فى سرقة حرير، متوفى خديجه رضى الله عنها، فقال: «إن يكن هذا من عند الله

يُمضيه». فتزوجها بعد موت خديجه بثلاث سنين. و تزوجها فى سؤال و أعرس

ص: ٣٧٦

١- . شرح الحديدي، ج ٢٠، ص ٥٩، (مصر) و ص ٢٩٨، (الأعلمى).

بها بالمدينه فى شؤال على رأس ثمانيه ع-شر شهراً من مهاجره إلى المدينه.

وقال ابن عبد البرّ فى كتاب الإستيعاب: كانت عائشه تحبّ أن تدخّل النساء من أهلها و أحبّتها فى شؤال على أزواجهنّ، و تقول: هل كان فى نساءه أحظى عنده منّى، و قد نكحنى و بنى علىّ فى شؤال؟

قلت: قرئ هذا الكلام على بعض الناس، فقال: كيف رأت الحال بينها و بين أحماؤها و أهل بيت زوجها؟

و روى أبو عمر بن عبد البرّ فى الكتاب المذكور: أنّ رسول الله توفّى عنها و هى بنت ثمان عشره سنه؛ فكان سنّها معه تسع سنين. و لم ينكح بكرّاً غيرها. و استأذنت رسول الله فى الكنيه، فقال لها: اكنّى بابنك عبد الله بن الزبير - يعنى ابن أختها - فكانت كنيّتها أمّ عبد الله.

و كانت فقيمه عالمه بالفرائض و الشعر و الطب.

و روى أنّ النبىّ قال: «فضل عائشه على النساء كفضل الثريد على الطعام». و أصحابنا يحملون لفظه النساء فى هذا الخبر على زوجاته؛ لأنّ فاطمه عليها السلام عندهم أفضل منها، لقوله: «إنّها سيده نساء العالمين».

و قذف بصفوان بن المعطل السلميّ فى سنه ستّ، منصرف رسول الله من غزاه بنى المصطلق، و كانت معه. فقال فيها أهل الإفك ما قالوا، و نزل القرآن ببراءتها.

و قوم من الشيعة زعموا أنّ الآيات التى فى سوره النور لم تنزل فيها؛ و إنّما أنزلت فى ماريه القبطيه و ما قذفت به مع الأسود القبطي. و جحدّهم لإنزال ذلك فى عائشه جحدّ لما يعلم ضروره من الأخبار المتواتره.

ثمّ كان من أمرها و أمر حفصه و ما جرى لهما مع رسول الله فى الأمر الذى أسره على إحداهما، ما قد نطق الكتاب العزيز به.

واعتزل رسول الله نساءه كلهن، واعتزلهما معهن، ثم صالحهن وطلق حفصه ثم راجعها.

وجرت بين عائشه و فاطمه إبلاغات، و حديث يوغر الصدور؛ فتولد بين عائشه و بين علي عليه السلام نوع ضغينه؛ و انضم إلى ذلك إشارته على رسول الله في قصه الإفك بض-رب الجاربه و تقريرها، و قوله: «إن النساء كثير».

ثم جرى حديث صللاه أبى بكر بالناس؛ فترعم الشيعه أن رسول الله لم يأمر بذلك، و أنه إنما صلى بالناس عن أمر عائشه ابنته، و أن رسول الله خرج متحاملاً و هو مثقل، فنحاه عن المحراب. و زعم معظم المحدثين أن ذلك كان عن أمر رسول الله و قوله. ثم اختلفوا، فمنهم من قال: نحاه، و صلى هو بالناس؛ و منهم من قال: بل ائتم بأبى بكر كسائر الناس؛ و منهم من قال: كان الناس يصلون بصلاه أبى بكر، و أبو بكر يصلى بصلاه رسول الله .

ثم كان منها فى أمر عثمان، و ت-ضرب الناس عليه، ما قد ذكرناه فى مواضعه ثم تلا ذلك يوم الجمل.

و اختلف المتكلمون فى حالها و حال من ح--ضر واقعه الجمل. فقالت الإماميه: كفر أصحاب الجمل كلهم، الرؤساء و الأتباع.

و قال قوم من الحشويه و العامه: اجتهدوا، فلا إثم عليهم، و لا نحكم بخطئهم و لا خطا على عليه السلام و أصحابه. و قال قوم من هؤلاء: بل نقول: أصحاب الجمل أخطوا، و لكنه خطأ مغفور، و كخطا المجتهد فى بعض مسائل الفروع عند من قال بالأشبه. و إلى هذا القول يذهب أكثر الأشعريه.

و قال أصحابنا المعتزله: كل أهل الجمل هالكون إلا من ثبتت توبته منهم. قالوا: و عائشه ممن ثبتت توبتها، و كذلك طلحه و الزبير. أما عائشه فإنها

اعترفت لعليّ عليه السلام يوم الجمل بالخطيأ، و سألته العفو. و قد تواترت الروايه عنها بإظهار الندم، و أنّها كانت تقول: ليتّه كان لى من رسول الله بنون عشره، كلّههم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و ثكلتّههم، و لم يكن يوم الجمل. و أنّها كانت تقول: ليتنى متّ قبل يوم الجمل. و أنّها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تبكى، حتى تبلّ خمارها. (١)

٣٠- لعن عليّ عليه السلام معاويه

قال نصر: (٢) فكان عليّ عليه السلام بعد الحكومه إذا صلّى الغداه و المغرب و فرغ من الصلاه و سلّم، قال: «اللهم العن معاويه و عمراً و أبا موسى و حبيب بن مسلمه و عبد الرحمن بن خالد و الضحاك بن قيس و الوليد بن عقبه». فبلغ ذلك معاويه، فكان إذا صلّى لعن عليّاً و حسناً و حسيناً و ابنَ عباس و قيس بن سعد بن عباده و الأشتر.

و زاد ابن ديزيل فى أصحاب معاويه: أبا الأعور السلميّ.

ص: ٣٧٩

١- شرح الحديدى، ج ١٤، ص ٢١، (مصر) و ص ٢٣٣، (الأعلمى).

٢- قال الحديدى فى ابتداء شرح هذه الخطبه أعنى خطبه ٣٥ بشأن نصر بن مزاحم: «و نحن نذكر ما أورده نصر بن مزاحم فى كتاب صفين فى هذا المعنى، فهو ثقّه ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى و لا إدغال، و هو من رجال أصحاب الحديث».

و روى ابن ديزيل أيضاً: أَنَّ أبا موسى كتب من مكة إلى عليّ عليه السلام :

أما بعد، فإنّي قد بلغني أنّك تلعنني في الصّلاه و يؤمّن خلفك الجاهلون. و

إنّي أقول كما قال موسى عليه السلام : «رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ». (١)

و روى ابن ديزيل عن وَكَيْع عن فضل بن مرزوق عن عطيه عن عبد الرحمن بن حبيب عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «يؤتى بي و بمعاويه يوم القيامة، فنجى ء و نختصم عند ذى العرش، فأيتنا فلج فلج أصحابه». (٢)

و روى أيضاً عن عبد الرحمن بن نافع القارئ عن أبيه قال: سُئِلَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَتْلِ صَفْيَانَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الْحِسَابُ عَلَيَّ وَ عَلَى مَعَاوِيَةَ».

و روى أيضاً عن الأعمش عن موسى بن طريف عن عبايه (٣) قال: سمعت عليّاً عليه السلام و هو يقول: «أنا قسيم النار، هذا لى و هذا لك». (٤)

و قال أيضاً فى شرح خطبه ٢٤٢:

و كان عليّ عليه السلام يقنت عليه (أبى موسى) و على غيره، فيقول:

«اللهم العن معاويه أولاً و عمراً ثانياً و أبا الأعور السلمي ثالثاً و أبا موسى الأشعري رابعاً». (٥)

٣١- معاويه و جعل الحديث

عقد المعتزلى فى شرح رساله ٥٦ بحثاً فى الأحاديث

المجعوله الموضوعه فى ذمّ أمير المؤمنين عليه السلام ، و نقل مطالب هامه، من جملتها ما يلى:

و ذكر شيخنا (٦) أبو جعفر الإسكافى رحمه الله تعالى - و كان من المتحقّقين

ص: ٣٨٠

١- . القصص، ١٧.

٢- . فلج، أى غلب.

٣- . عبايه بن رفاعه بن رافع بن خديج الأنصارى.

٤- . شرح الحديدى، ج ٢، ص ٢٦٠، (مصر) و ص ٤٣٦، (الأعلمى).

٥- . شرح الحديدى، ج ١٣، ص ٣١٥، (مصر) و ص ٢١٦، (الأعلمى).

٦- . هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافى؛ من متكلمى المعتزله و أحد أئمتهم؛ و إليه تنسب الطائفة الإسكافيه منهم؛ و هو

بغدادى أصله من سمرقند؛ قال ابن النديم: كان عجيب الشأن فى العلم و الذكاء و الصيانه و نبيل الهمه و النزاهه؛ بلغ فى مقدار
عمره ما لم يبلغه أحد؛ و كان المعتصم يعظمه. و له مناظرات مع الكرابيسى و غيره. توفى سنه ٢٤٠، لسان الميزان ٥: ٢٢١.

بمؤالاه على عليه السلام و المبالغين فى تفضيله، و إن كان القول بالتفضيل عاماً شائعاً فى البغداديين من أصحابنا كافة، إلا أن أبا جعفر أشدهم فى ذلك قولاً و أخلصهم فيه اعتقاداً - :

أن معاويه وضع قوماً من الصحابه و قوماً من التابعين على روايه أخبار قبيله فى على عليه السلام تقتضى الطعن فيه و البراءه منه. و جعل لهم على ذلك جُعلا- يُرغب فى مثله، فاختلقوا ما أرضاه؛ منهم أبو هريره و عمرو بن العاص و المغيره بن شعبه؛ و من التابعين عروه بن الزبير. (١)

قال أبو جعفر: و قد روى: أن معاويه بذل لسمره بن جندب مائه ألف درهم، حتى يروى أن هذه الآية نزلت فى على بن أبى طالب: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ»، (٢) و أن الآية الثانية نزلت فى ابن ملجم، و هى قوله

تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»، (٣) فلم يقبل؛ فبذل له مائتى ألف درهم فلم يقبل؛ فبذل له ثلاثمائه ألف فلم يقبل؛ فبذل له أربعمائه ألف، فقبل و روى ذلك.

قال: و قد صحَّ أن بنى أميه منعوا من إظهار فضائل على عليه السلام و عاقبوا على

ص: ٣٨١

١- . شرح الحديدى، ج ٤، ص ٦٣، (مصر) و ص ٢٨٣، (الأعلمى).

٢- . البقره، ٢٠٤، ٢٠٥.

٣- . البقره، ٢٠٧.

ذلك الراوى له؛ حتى أنّ الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلّق بفضله بل بشرائع الدين، لا يتجاسر على ذكر اسمه، فيقول: عن أبي زينب.

و روى عطاء عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: وددتُ أن أترك فأحدّث بفضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوماً إلى الليل، و أنّ عنقي هذه ضُربت بالسيف.

قال: فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهره و الاستفاضه و كثره النقل إلى غايه بعيده لانقطع نقلها للخوف و التقية من بنى مروان مع طول المدّه و شدّه العداوه. و لو لا أنّ الله تعالى في هذا الرجل سرّاً يعلمه من يعلمه، لم يُرو في فضله حديثٌ، و لا عُرفت له منقبه. ألا ترى أنّ رئيس قريه لو سخط على واحدٍ من أهلها و منع الناس أن يذكروه بخير و صلاح، لخمل ذكره و نسي اسمه، و صار و هو موجود معدوماً، و هو حيٌّ ميتاً. هذه خلاصه ما ذكره شيخنا أبو جعفر رحمه الله تعالى في هذا المعنى في كتاب التفضيل. (١)

٣٢- حقد عمرو بن العاص على أمير المؤمنين عليه السلام

ذكر الشارح في شرح خطبه ٨٣ ترجمه كامله لعمرو بن العاص، و نقل مطالب مهمه حوله، منها: أنه قال لعائشه:

لوددت أنّك قتلت يوم الجمل. قالت: و لم لا أباً لك. قال:

كنتِ تموتين بأجلك و تدخلين الجنه، و نجعلك أكبر التشيع على عليّ بن أبي طالب عليه السلام. (٢)

ص: ٣٨٢

١- شرح الحديدى، ج ٤، ص ٧٣، (مصر) و ص ٢٨٩، (الأعلمى).

٢- شرح الحديدى، ج ٦، ص ٣٢٢، (مصر) و ص ٣٩٤، (الأعلمى).

٣٣- عمرو بن العاص و ابن عباس

دخل ابنُ عباس على عمرو بن العاص في مرضه، فسلم عليه، فقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟

قال: أصبحتُ وقد أصلحتُ من دنياي قليلاً و أفسدت من ديني كثيراً. فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدتُ، و الذي أفسدتُ هو الذي أصلحت لفرزْتُ. و لو كان ينفعني أن أطلب طلبت. و لو كان ينجينني أن أهرب هربتُ. فقد صرتُ كالمنخق بين السماء و الأرض، لا أرقى يديين و لا أهبط برجليين. فعطني بعضه أنتفع بها يا ابن أخى.

فقال ابن عباس: هيهات أبا عبد الله، صار ابن أخيك أخاك؛ و لا تشاء أن تبلى إلا بليت؛ كيف يؤمر برحيل من هو مقيم؟

فقال عمرو: على حينها من حين ابن بضع و ثمانين تقنطنى من رحمه ربى؟ اللهم إن ابن عباس يقنطنى من رحمتك، فخذ منى حتى ترضى.

فقال ابن عباس: هيهات أبا عبد الله، أخذتُ جديداً و تُعطى خلقاً.

قال عمرو: ما لى و لك يا ابن عباس، ما أرسل كلمه إلا أرسلت نقيضها. (١)

٣٤- توبه عمرو بن العاص

و روى أبو عمر فى كتاب الإستيعاب أيضاً عن رجال قد ذكروهم و عددهم:

ص: ٣٨٣

١- . شرح الحديدي، ج ٦، ص ٣٢٣، (مصر) و ص ٣٩٥، (الأعلمى).

أَنْ عمراً لَمَّا حضرته الوفاة، قال له ابنه عبد الله - وقد رآه يبكي - لِمَ تب-كي، أجزعاً من الموت؟

قال: لا والله، ولكن لما بعده.

فقال له: لقد كنتَ على خير. فجعل يُدكِّرُه صحبه رسول الله وفتوحه بالشام.

فقال له عمرو: تركتَ أفضل من ذلك: شهادة أن لا إله إلا الله. إنني كنتُ على ثلاثة أطباق ليس منها طبقٌ إلَّا عرفتُ نفسي فيه:

كنتُ أوَّلُ أمرى كافراً، فكنتُ أشدَّ الناس على رسول الله . فلو متُّ حينئذٍ وجبت لي النار؛

فلَمَّا بايعتُ رسول الله كنتُ أشدَّ الناس حياءً منه، فما ملأتُ منه عيني قطُّ؛ فلو متُّ يومئذٍ قال الناس: هنيئاً لعمرو، أسلم و كان

على خيرٍ و مات على خير أحواله، فسرحوا له بالجنة؛

ثم تلبثتُ بعد ذلك بالسلطان و بأشياء، فلا أدري أعلني أم لي؟

فإذا متُّ فلا تبكين عليَّ باكيه، و لا يتبعني نائح، و لا تقربوا من قبري ناراً. و شدُّوا عليَّ إزارى، فإنني مخلصهم؛ و شنوا عليَّ التراب

شناً، فإن

جنبي الأيمن ليس بأحقَّ من جنبي الأيسر؛ و لا تجعلوا في قبري خشبه و لا حجراً، و إذا واريتموني فاقعدوا عندي قدرَ نحر جزور

و تقطيعها، أستأنس بكم.

فإن قلت: فما الذى يقوله أصحابك المعتزله فى عمرو بن العاص؟

قلت: إنهم يحكمون على كلِّ من شهد صفين بما يحكم به على الباغي الخارج على الإمام العادل، و مذهبهم فى صاحب الكبيره

إذا لم يتب معلوم.

فإن قلت: أليس فى هذه الأخبار ما يدلُّ على توبته، نحو قوله: و لا مستكبر

بل مستغفر؛(١) وقوله: اللهم خذ مني حتى ترضى؛ وقوله: أمرت فعصيت ونهيت فركبت؟ وهذا اعترافٌ وندم، وهو معنى التوبه.

قلت: إن قوله تعالى: «وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ»(٢) يمنع من كون هذا توبه. و شروط التوبه و أركانها معلومه، و ليس هذا الإعتراف و التأسف منها فى شى ء.

و قال شيخنا أبو عبد الله: أول من قال بالإرجاء المحض معاويه و عمرو بن العاص. كانا يزعمان أنه لا يضر مع الإيمان معصية. و لذلك قال معاويه لمن قال له: حاربت من تعلم، و ارتكبت ما تعلم؛ فقال: وثقت بقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا»(٣) و إلى هذا المعنى أشار عمرو

بقوله لابنه: تركت أفضل من ذلك: شهادة أن لا إله إلا الله.(٤)

٣٥- ختامه مسك

إلى هنا يتم الفصل الخامس، و به يتم ما أردنا ذكره فى هذا الكتاب. و لنختمه بذكر ما نقله الشارح عن شجاعه الإمام الحسن بن على روى لهما الفداء:

قال أبو الفرج: و حدثنى أبو عبيد محمد بن أحمد قال: حدثنى الفضل بن الحسن البصرى قال: حدثنى يحيى بن معين قال: حدثنى أبو حفص اللبان عن عبد الرحمن بن شريك عن إسماعيل بن أبى خالد عن حبيب بن أبى ثابت قال:

ص: ٣٨٥

١- . نقله الشارح قبيل هذه العبارة التى نحكىها.

٢- . النساء، ١٨.

٣- . الزمر، ٥٣.

٤- . شرح الحديدى، ج ٦، ص ٣٢٤، (مصر) و ص ٣٩٦، (الأعلمى).

خطب معاويه بالكوفه حين دخلها، و الحسن و الحسين جالسان تحت المنبر، فذكر علياً عليه السلام فقال منه، ثم نال من الحسن عليه السلام . فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه، فأخذه الحسن بيده فأجلسه، ثم قام فقال:

أيها الذاكِر علياً، أنا الحسنُ و أبي عليٌّ، و أنت معاويه و أبوك صخرٌ، و أمي فاطمه و أمك هند، و جدّي رسولُ الله و جدُّك عُتبه بن ربيعه، و جدّتي خديجه و جدّتك قتيله. فلعن الله أحمِلنا ذكراً و الأئمنا حسباً، و شرّنا قديماً و حديثاً، و أقدّمنا كفراً و نفاقاً.

فقال طوائف من أهل المسجد: آمين.

قال الفضل: قال يحيى بن معين: و أنا أقول آمين.

قال أبو الفرج: قال أبو عبيد: قال الفضل: و أنا أقول آمين.

و يقول علي بن الحسين الأصفهاني: (١) آمين.

قلتُ: و يقول عبد الحميد بن أبي الحديد مصنف هذا الكتاب: آمين. (٢)

و أنا أقول: اللهم آمين آمين آمين.

ص: ٣٨٦

١- . مقاتل الطالبين: ٧٠.

٢- . شرح الحديدي، ج ١٦، ص ٤٦، (مصر) و ص ٢٣٤، (الأعلمي).

فهرس المصادر

١. القرآن الحكيم.
٢. أسد الغابه فى معرفه الصحابه، على بن محمد الجزرى المعروف ب-ابن الأثير (م ٦٣٠ ق)، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ ق.
٣. الإرشاد فى معرفه حجج الله على العباد، مفيد، محمد بن محمد (م ٤١٣ ق)، قم، مؤسسه آل البيت ^، الطبعة الأولى، ١٤١٣ ق.
٤. الإصابه فى تمييز الصحابه، احمد بن على بن حجر العسقلانى (م ٨٥٢ ق)، بيروت، دارالكتب العلميه، الطبعة الأولى، ١٤١٥ ق.
٥. إثبات الوصيه، مسعودى، على بن حسين (م ٣٤٦ ق)، قم، أنصاريان، الطبعة الثالثه، ١٤٢٦ ق.
٦. الإحتجاج على أهل اللجاج، طبرسى، احمد بن على (م ٥٨٨ ق)، مشهد، المرتضى، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ ق.
٧. إحقاق الحق و إزهاق الباطل، القاضى نور الله المرعشى التسترى (م ١٠١٩ ق)، قم، مكتبه آيه الله المرعشى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ ق.
٨. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين و المستشرقين، خير

الدين الزركلى (م ١٣٩٦ ق)، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩ م.

٩. الإلهيات على هدى الكتاب و السنه و العقل، السبحانى التبريزى، جعفر، قم، مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام ، الطبعة السادسة، ١٤٢٦ ق.

١٠. الأنساب، السمعانى المروزى، أبو سعيد عبد الكريم (م ٥٦٢ ق)، حيدر آباد، مجلس دائره المعارف العثمانيه، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ ق.

١١. البدايه و النهايه، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى (م ٧٧٤ ق)، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ ق.

١٢. بحار الأنوار، المجلسى، محمد باقر بن محمد تقى (م ١١١٠ ق)، بيروت، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ ق.

١٣. تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم و الملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (م ٣١٠ ق)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ ق.

١٤. تاج العروس من جواهر القاموس، الحسينى الزبيدى محمد مرتضى (م ١٢٠٥ ق)، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٤ ق.

١٥. تفسير القمى، قمى على بن ابراهيم (م قرن ٣ ق)، قم، دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ ق.

١٦. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطى (م ٩١١ ق)، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ ق.

١٧. تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام، شمس الدين محمد بن احمد الذهبى (م ٧٤٨ ق)، بيروت، دار الكتاب العربى، الطبعة الثانية، ١٤١٣ ق.

١٨. التدوين فى أخبار قروين، الرافعى القزوينى عبد الكريم بن محمد (م ٦٢٣ ق)، بيروت، دار الكتب العلميه، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ ق.

١٩. تثبت دلائل النبوه، عبد الجبار بن احمد الشهير بقاضى عبد الجبار الهمدانى (م ٤١٥ ق)، القايره، دار المصطفى، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ ق.

٢٠. تلخيص مجمع الآداب، ابن الفوطى عبد الرزاق بن أحمد (م ٧٢٣ق)، دمشق، وزاره الثقافه، الطبعه الأولى، ١٩٦٧ ق.
٢١. حاشيه المكاسب، الإصفهاني محمد حسين (م ١٣٦١ ق)، قم، أنوار الهدى، الطبعه الأولى، ١٤١٨ ق.
٢٢. حليه الأبرار فى أحوال محمّد و آله الأطهار^١، البحراني، السيد هاشم بن سليمان (م ١١٠٧ ق)، قم، مؤسسه المعارف الإسلاميه، الطبعه الأولى، ١٤١١ ق.
٢٣. خاتمه مستدرک الوسائل، النورى الميرزا حسين (م ١٣٢٠ ق)، قم، مؤسسه آل البيت، الطبعه الأولى، ١٤١٦ ق.
٢٤. الروضه المختاره، صالح على الصالح، بيروت، الأعلمی، الطبعه الأولى، ١٩٧٢ م.
٢٥. سفينه البحار، القمى الشيخ عباس (م ١٣٥٩ ق)، قم، الأسوه، الطبعه الأولى، ١٤١٤ ق.
٢٦. سير أعلام النبلاء، الذهبى شمس الدين (م ٧٤٨ ق)، القاهره، دار الحديث، الطبعه الأولى، ١٤٢٧ ق.
٢٧. شرح الكافى (الأصول و الروضه)، المازندراني، محمد صالح بن احمد (م ١٠٨١ ق)، طهران، المكتبه الإسلاميه، الطبعه الأولى، ١٣٨٢ ق.
٢٨. شرح الحديدى (شرح نهج البلاغه)، عبد الحميد بن أبى الحديد (م ٦٥٦ ق)، قم، مكتبه آيه الله المرعشى، الطبعه الأولى، ١٤٠٤ ق.
٢٩. شرح الحديدى (شرح نهج البلاغه)، عبد الحميد بن أبى الحديد (م ٦٥٦ ق)، بيروت، الأعلمی، الطبعه الثانيه، ١٤٢٥ ق.
٣٠. صحيح البخارى، البخارى محمد بن اسماعيل (م ٢٥٦ ق)، بيروت، دار الفكر، الطبعه الأولى، ١٤٢٥ ق.
٣١. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الهاشمى البصرى (م ٢٣٠ ق)، بيروت، دار الكتب العلميه، الطبعه الأولى، ١٤١٠ ق.

٣٢. علل الشرايع، ابن بابويه، محمد بن علي (م ٣٨١ ق)، قم، الداوري، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ ش.

٣٣. الغدير في الكتاب و السنه و الأدب، الأميني عبد الحسين (م ١٣٤٩ ش)، قم، مركز الغدير، الطبعة الأولى، ١٤١٦ ق.

٣٤. الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب (م ٣٢٩ ق)، طهران، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ ق.

٣٥. الكامل في التاريخ، عز الدين علي بن ابي الكرم المعروف بابن الأثير (م ٦٣٠ ق)، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ ق.

٣٦. كشف الغمه في معرفة الأئمة، الإربلي علي بن عيسى (م ٦٩٢ ق)، تبريز، بني هاشمي، الطبعة الأولى، ١٣٨١ ق.

٣٧. كفايه الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، الكنجي الشافعي محمد بن يوسف (م ٦٥٨ ق)، طهران، دار إحياء تراث أهل البيت^١، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ ق.

٣٨. كشف المحججه لثمره المهججه، ابن طاووس علي بن موسى (م ٦٦٤ ق)

ق)، قم، بوستان كتاب، الطبعة الثانية، ١٣٧٥ ش.

٣٩. لسان الميزان، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (م ٨٥٢ ق)، بيروت، مؤسسه الأعلمي، الطبعة الثانية، ١٣٩٠ ق.

٤٠. مصادر نهج البلاغه و أسانيده، الحسيني الخطيب السيد عبد الزهراء، بيروت، دار الزهراء، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩ ق.

٤١. منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه، الهاشمي الخويي، الميرزا حبيب الله (م ١٣٢٤ ق)، تهران، المكتبه الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠ ق.

٤٢. مجمع الأمثال، الميداني أحمد بن محمد (م ٥١٨ ق)، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ ق.

٤٣. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيشابورى محمد بن عبد الله (م ٤٠٥ ق)، بيروت، دار الكتب العلميه، الطبعة الأولى، ١٤١١ ق.

٤٤. مروج الذهب، المسعودى على بن الحسين (م ٣٤٥ ق)، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ ق.

٤٥. المزار الكبير، ابن المشهدى محمد بن جعفر (م ٦١٠ ق)، قم، جماعه المدرسين، الطبعة الأولى، ١٤١٩ ق.

٤٦. معجم البلدان، الحموى ياقوت بن عبد الله (م ٦٢٦ ق)، بيروت، دار صادر، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.

٤٧. من لا يحضره الفقيه، ابن بابويه محمد بن على (م ٣٨١ ق)، قم، جماعه المدرسين، الطبعة الثانية، ١٤١٣ ق.

٤٨. معانى الأخبار، ابن بابويه محمد بن على (م ٣٨١ ق)، قم، جماعه المدرسين، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ ق.

٤٩. مصباح المتعبد و سلاح المتعبد، الطوسى، محمد بن الحسن (م ٤٦٠ ق).

ق، بيروت، فقه الشيعة، الطبعة الأولى، ١٤١١ ق.

٥٠. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى السيد محمد حسين (م ١٤٠٢ ق)، بيروت، الأعلمى، الطبعة الثانية، ١٣٩٠ ق.

٥١. معجم رجال الحديث، الخوئى السيد ابو القاسم (م ١٤١٣ ق)، قم، منشورات مدينه العلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ ق.

٥٢. الممل و النحل، الشهرستانى محمد بن عبد الكريم (م ٥٤٨ ق)، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ ق.

٥٣. نهج البلاغه (تحقيق: صبوحى صالح)، الشريف الرضى محمد بن الحسين (م ٤٠٦ ق)، قم، هجرت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ ق.

٥٤. النهايه فى غريب النهايه فى غريب الحديث و الأثر، ابن اثير الجزرى مبارك بن محمد (م ٦٠٦ ق)، قم، إسماعيليان، الطبعه الرابعه، ١٣٦٧ ش.

٥٥. نهج الحقّ و كشف الصدق، الحلى الحسن بن يوسف بن المطهر (م ٧٢٦ ق)، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، الطبعه الأولى، ١٩٨٢ م.

٥٦. وسائل الشيعه (تفصيل وسائل الشيعه إلى تحصيل مسائل الشريعه، الحر العاملى محمد بن الحسن (م ١١٠٤ ق)، قم، آل البيت، الطبعه الأولى، ١٤٠٩ ق. ٣٩٦/

ص: ٣٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

